شرح ملا جامى [illegible]

شرح الحكم
لابن عباد رحمه الله

حميده اغا كتبدر

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الملهم بالصواب، الكاشف لعباده عن وجوه المعاني ستر النقاب
والصلاة والسلام على سيدنا ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم خير من اوتي
الحكمة وفصل الخطاب، وعلى آله واصحابه الذين هم في اقطار اراضي سماء
المعاني اقطاب، اما بعد فيقول احقر عباد الله المفتقر الى لطف الصمد
علي بن حسام الدين الهندي غفر الله له ولوالديه وللمؤمنين لما فرغت من
تبويب كتاب الحكم المنسوب الى الشيخ العارف بالله ابي الفضل تاج الدين
احمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله الاسكندري رضي الله عنه اردت
ان ابوب شرح الحكم المسمى بالتنبيه للشيخ الصالح العارف بالله تعالى محمد
ابن ابرهيم بن عباد قدس الله سره فاستخرت الله في ذلك وبوبته ولم ازد
فيه شيا ولم انقص ولم اغير الالفاظ وعبارة يسيرة ذكرها الشارح
رحمه الله طالت بعض الاقوال على بعض ما تقدم او تاخر مثلها من الاقوال على
حسب ترتيب المولف فاغير تلك العبارة على وفق تبويبي ليحصل غرض
الكشف والمراجعة بها او ذكرها رضي الله عنه لربط الحكمة اللاحقة
بالحكمة السابقة فاترك ذلك لعدم الحاجة اليها وهو نادر جدا وهذه
ديباجة الشارح رضي الله عنه بعينها بسم الله الرحمن الرحيم
رب اعن يا كريم قال العبد الفقير الى الله تعالى المعتمد في غفران ذنوبه
على الله تعالى محمد بن ابرهيم بن عباد النفزي لطف الله به وغفر له وللمسلمين
اجمعين امين الحمد لله المنفرد بالعظمة والجلال المتوحد باستحقاق
نعوت الكمال، المنزه عن الشركاء والنظراء والامثال، المقدس عن سمات
الحدوث عن التغير والانتقال والاتصال والانفصال، عالم الغيب والشهادة
الكبير المتعال، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الهادي من الضلال
وعلى آله واصحابه الذين خلصت لهم الاعمال، وصفت منهم الاحوال، وعلى جميع

اسم مؤلف

من اتبعهم فيما لهم من محامد الصفات ومحاسن الخلال اما بعد فانا لما
رأينا كتاب الحكم المنسوب الى الشيخ الامام المحقق العارف المكاشف
الولي ابي الفضل تاج الدين احمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله الاسكندري
رضي الله عنه ونفعنا به من افضل ما صنف في علم التوحيد واجل ما
اعتمد بالتفهم والتحفظ كل سالك ومريد لكونه صغير الجرم عظيم العلم
ذا عبارات رائقة ومعان حسنة فائقة قصد فيها الى ايضاح طرق العارفين
والموحدين وابانة مناهج السالكين والمتجردين اخذنا في وضع تنبيه
يكون كالشرح لبعض معانيه الظاهرة وكالكشف للمعة يسيرة من
انواره الباهرة ولا قدرة لنا على استيفاء جميع ما اشتمل عليه الكتاب
وما تضمنه من لباب اللباب لان كلام الاولياء والعلماء منطو على
اسرار مصونة وجواهر حكم مكنونة لا يكشفها الا هم ولا تتبين حقائقها
الا بالتلقي عنهم ونحن في هذه الكلمات التي نوردها والمناحي التي
نعتمدها غير مدعين لشرح كلام المولف ولا ان ما نذكره فيه هو حقيقة
مذاهبهم حسب ما يفعله كل مصنف فانا ان ادعينا ذلك كان منا
اساءة ادب يتولد لنا والعياذ بالله الى العطب وكنا قد تعرضنا للخطر
والضرر في تعاطي ما لا يليق بنا من شرح كلام السادات من اهل الله تعالى
من غير خوف ولا حذر وانما نورد ذلك على حسب ما فهمناه من كلامهم وما
انتهى اليه علمنا من مذاهبهم فان وافقنا فيه حقيقة الامر وعثرنا على مكنون
السر كان ذلك من النعم التي لا نحصي لها شكرا ولا نقدر لها قدرا وان خالفنا
ذلك ولم نهتد الى تلك المسالك احلناه على نقصنا وجهلنا وانتفاعنا بالنور
بقولنا وفعلنا واقتصر الامر في ذلك علينا وكانوا هم مبرئين مما قلناه ونسبناه
جرم ان كان هذا مقصدنا لوجوه السلامة التي جعلناها عمدتنا فينبغي
ان نقدم اولا كلام المولف رحمه الله مستوفا ثم نتبعه كلامنا بصيغة
الخبر والدعوى ونأتي فيه بعبارة ابسط من عبارته واشارة اجلا من
اشارته ليفهم بذلك ما عسى يأتي في تفسير ما ذكره لانه تفسير مقرره

ونذكر في اثنائه كثيرا ما ناسب عند الكلام المنبه عليه لتتم بذلك
الفايدة في الغرض المتوجه اليه وما ظهر لنا من كلامه من تكرار معان
وتداخل فروع ومبان رأينا التنبيه عليه كالغرض واحلنا بعض على
بعض وعلى الناسخ لهذا المجموع ان يتتبع فما رسمناه ويكتب نص
كلام المولف بصبغ يخالف لون ما يكتب به سواه . او يكتبه بقلمين
مختلفين في الغلظ والرقة . ويوفي من ذلك كلامه حقه ليكون ذكر
اقرب الى تحصيل المرام في استخراج فابدع ترتيب الكلام والله الموفق
لا رب غيره ولا خير الا خيره . والذي حملني على وضعه . وتكلف تصنيفه
وجمعه بعد تقدم ارادة الله تعالى التي لا تنقلب . وتعين الذي ليس
للعبد منه ملجا ولا مهرب . ثم الذي رأينا من المطالب المهمة ونبهنا
عليه في صدر هذه المقدمة الحاح بعض الاصحاب في ذكر علي وترداده
بالمسئلة التي الي لكونهم على اعتقاد صحيح في هذه الطريقة ومحبة خالصة
لاهل الحقيقة فاسعفتهم بالطلوب وحققت لهم الامل فيما رغبوه كما نا
الله تعالى وحكم وقضاه علينا وحتم نفعنا الله تعالى واياهم بما اجرى منه على
ايدينا ولا جعله حجة عليهم ولا علينا ونحن نستغفر الله تعالى مما تعاطينا
من الامر العظيم واقتحمناه من الخطر الجسيم ونستعيذ به من الوقوع
في حبايل العدو الرجيم ونساله توفيقا يقفنا على جادة الاستقامة
ويصرفنا عن العمل بما يعقب ملامه وندامه ونرجو مع هذا اذ من علينا
بالانتماء الى مذاهبهم والانتساب الى كريم مناسبهم والتعلق باذيالهم
ومحاولة التشبه على منوالهم ورزقنا شيا من تعظيمهم وحبهم وقسطا من
تكريمهم وبرهم ان لا يحرمنا من شفاعتهم ولا يخرجنا من كنف ولايتهم ولا
يطردنا عن بابهم الكريم ولا يصرفنا عن منهجهم القويم فهم القوم
الذين لا يشقى جليسهم

شعر

الى سادة من عزهم . اقدامهم فوق الجباه
ان لم اكن منهم فلي . في ذكرهم عز وجاه

اللهم

انا نتوسل اليك بحبهم فانهم احبوك ولم يحبوك حتى احببتهم فبحبك
اياهم وصلوا الى حبك ونحن لم نتصل الى حبهم فبك لا بحظنا منك فتمم
لنا ذلك حتى نلقاك يا ارحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد
وآله الطيبين الطاهرين وتابعيهم باحسان الى يوم الدين وسلم
عليهم كثيرا انتهى ديباجة الشارح رضي الله عنه ثم نشرع الان
في تبويبه بعون الله وفضله وهذا فهرسته

باب العلم

العلم النافع الذي ينبسط في الصدر شعاعه وينكشف عن القلب قناعه

العلم النافع هو العلم بالله تعالى وصفاته واسمائه والعلم بكيفية التعبد
له والتادب بين يديه فهذا هو العلم الذي بسط في الصدر شعاعه
فيتسع وينشرح للاسلام ويكشف عن القلب قناع عرفته ولغته
الشكوك والاوهام وفي حكمة داود عزم العلم في الصدر كالمصباح
البيت قال محمد بن علي الترمذي رضي الله عنه العلم النافع هو الذي
تمكن في القلب وتصوره وذلك ان النور اذا اشرق في الصدر تصورت
الامور حسنها وسيئها ووقع لذلك ظل في الصدر فهو صورة الامور
فياتي حسنها ويجتنب سيئها فذلك العلم النافع من نور القلب خرج
تلك العلايم الى الصدر وهي علامات الهدى والعلم الذي قد تعلمه
فذلك علم اللسان وانما هو شي قد استودع الحفظ والشهوة غالبة
عليه قد احاطت به واذهبت ظلمتها ضوءه وقال ابو محمد
عبد العزيز المهدوي رضي الله عنه العلم النافع هو علم الوقت وصفاء
القلب والزهد في الدنيا وما يقرب من الجنة وما يبعد من النار
والخوف من الله والرجاء فيه وافات النفوس وطهارتها
وهو النور المشار اليه انه نور يقذفه الله في قلب من شاء دون علم
اللسان المنقول والمعقول وقال مالك بن انس رضي الله عنه ليس
العلم بكثرة الرواية وانما العلم نور يقذفه الله تعالى في القلوب وانما منفعة
العلم ان يقرب العبد من ربه ويبعده عن رؤية نفسه وذلك غاية
سعادته ومنتهى طلبه وارادته قال الجنيد رضي الله عنه العلم
ان تعرف ربك ولا تعدو قدرك وهذه عبارة مختصرة وجيزة جمع فيها
رحمه الله مقصود علوم الصوفية وهو معرفة الله تعالى وحسن الادب
بين يديه وهذه هي العلوم التي ينبغي للانسان ان يستغرق فيها عمره
الطويل ولا يقنع منها بكثير ولا قليل وقد قال سيدي ابو الحسن الشاذلي
رضي الله عنه من لم يتغلغل في هذه العلوم يعني علوم الصوفية مات مصرا على
الكباير وهو لا يعلم وما سوى هذه العلوم قد لا يحتاج اليها وانما اصحابها

مداومة

مداومته عليها وقد استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخبر المشهور
عنه من علم لا ينفع ثم ذكر المولف رحمه الله عبارة في بيان العلم النافع
وترغيبا لك فيه فقال خير علم ما كانت الخشية معه خير العلوم ما يلزم
وجوده الخشية لله تعالى لان الله تعالى اثنى على العلماء بذلك فقال
عز من قايل انما يخشى الله من عباده العلماء فكل علم لا خشية معه فلا
خير فيه بل لا يسمى صاحبه عالما على الحقيقة قال الربيع بن انس رحمه الله
في قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء قال من لم يخش الله
فليس بعالم الا ترى ان داود عليه الصلاة والسلام قال ذلك بانك
جعلت العلم خشيتك والحكمة الايمان بك فما علم من لم يخشك وما
حكمة من لم يومن بك قال في لطايف المنن فشاهد العلم الذي هو
مطلوب الله الخشية لله وشاهد الخشية موافقة الامر اما علم
يكون معه الرغبة في الدنيا والتملق لاربابها وصرف الهمة لاكتسابها
والجمع والادخار والمباهاة والاستكثار وطول الامل ونسيان
الاخرة فما ابعد من هذا العلم علمه من ان يكون من ورثة الانبيا
وهل ينتقل الشي الموروث الى الوارث الا بالصفة التي كان بها
عند الموروث عنه ومثل من هذه الاوصاف اوصافه
من العلما كمثل الشمعة تضي على غيرها وهي تحرق نفسها جعل الله العلم
الذي علمه من هذا وصفه حجة عليه وسببا في تكثير العقوبة لديه
وكان سهل بن عبد الله رضي الله عنه يقول لا تقطعوا امرا من امر
الدين والدنيا الا بمشورة العلماء تحمدوا العاقبة عند الله قيل
يا ابا احمد من العلماء قال الذين يوثرون الاخرة على الدنيا ويوثرون
الله عز وجل على نفوسهم وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في
وصيته وشاور في امرك الذين يخشون الله تعالى وقال الواسطي
رضي الله عنه ارحم الناس العلما لخشيتهم من الله تعالى واشفاقهم ما علمهم
الله تعالى عز وجل وقال في قوله صلى الله عليه وسلم طالب العلم تكفل الله برز

بمشورة

اعلم ان العلم حيث ما تكرر في الكتاب العزيز او في السنة انما المراد
به العلم النافع الذي تقارنه الخشية وتكتنفه المخافة قال الله تعالى
انما يخشى الله من عباده العلماء فبين ان الخشية تلازم العلم وفهم
من هذا ان العلماء انما هم اهل الخشية وكذلك قوله تعالى وقال
الذين اوتوا العلم وقوله تعالى والراسخون في العلم وقوله عز وجل
وقل رب زدني علما وقوله صلى الله عليه وسلم ها هنا طالب العلم تكفل
الله برزقه انما المراد بالعلم في هذا الموطن العلم النافع القاهر للهوى
القامع وذلك متعين بالضرورة لان كلام الله تعالى وكلام رسوله
صلى الله عليه وسلم اجل من ان يحمل على غير هذا وقد بينا ذلك في
غير هذا الكتاب والعلم النافع هو الذي يستعان به على طاعة الله
ويلزمك المخافة من الله والوقوف على حدود الله وهو علم المعرفة
بالله ويشمل العلم النافع العلم بالله والعلم بامر الله اذا كان لله
انتهى وسيذكر المعيار الصادق على صحة دعوى العلم والتعليم لله
في باب الرياضة في قوله اذا التبس عليك امران وقال الشيخ ابو عبد
الرحمن السلمي رضي الله عنه كل علم لا يورث صاحبه الخشية والتواضع
والنصيحة للخلق والشفقة عليهم والتحلي على حسن معاملة الله عز و
جل ودوام موافقته وطلب الحلال وحفظ الجوارح واداء الامانة ومخالفة
النفس ومباينة الشهوات فذلك العلم الذي لا ينفع وهو الذي استعاذ
منه النبي صلى الله عليه وسلم فقال اعوذ بك من علم لا ينفع ووصف الله
تعالى العلماء بالخشية فقال انما يخشى الله من عباده العلماء وقال
رجل للشعبي ايها العالم فقال انما العالم من يخشى الله عز وجل وقال
بعض السلف من ازداد علما فليزدد ورعا وقال رجل للجنيد رضي الله عنه
اي العلم انفع قال ما دلك على الله وبعدك من نفسك قال والعلم ما يدل
صاحبه على التواضع ودوام المجاهدة ورعاية السر ومراقبة الظاهر
والخوف من الله تعالى والاعراض عن الدنيا وعن طالبها والتقلل منها ومجانبة

ابواب

ابواب اربابها وترك ما فيها على من فيها من اهلها والنصيحة للخلق وحسن
الخلق معهم ومجالسة الفقراء وتعظيم اولياء الله تعالى والاقبال على ما
يعنيه فان العالم اذا احب الدنيا واهلها وجمع منها فوق الكفاية يغفل
عن الاخرة وعن طاعة الله تعالى بقدر ذلك قال الله عز وجل يعلمون
ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون وقال النبي
صلى الله عليه وسلم من احب دنياه اضر باخرته ومن احب اخرته اضر
بدنياه الا فاثروا ما يبقى على ما يفنى وقال الفضيل بن عياض رضي
الله عنه العالم طبيب الدين والدنيا داء الدين فاذا كان
الطبيب يجر الداء الى نفسه فمتى يبرئ غيره فاذا وفق العالم والله
من تعلمه الاقبال على الله وعلى اوامره والاعراض عن الدنيا وما فيها
فاول ما يلزمه ان يعرف نعم الله عليه في ذلك ويقوم بواجب الشكر
ويزيد تواضعا واجتهادا ويعلم انه محمول على ذلك وان ذلك بتوفيق
من الله لا بمجاهدة منه فان مجاهدته ومعرفته انما هي من الله عز وجل
عليه بزيادة توفيق فاذا كان العالم بهذا المحل من الدين كان اماما
مقتدا به في احكام الظواهر واحوال الباطن يهتدي بنوره كل من صحبه
ويستضي بعلمه كل من تبعه ويكون حجة الله على عباده وبركة في بلاده
ومن قاده علمه الى طلب الدنيا وطلب العلو فيها وطلب الرياسة والتبجح
للخلق فهو العلم الذي هو غير نافع وهو العالم المفتون ولا حسرة اعظم من
ان يهلك العالم بما يرجو به نجاته ونحن نعوذ بالله تعالى من الخذلان انتهى
ثم عبر المولف رضي الله عنه بعبارة اخرى من معنى ما تقدم فقال
العلم ان قارنته الخشية فلك والا فعليك العلم الذي يلازمه الخشية
فلك لانك تنتفع به في دنياك واخرتك وليس ذلك الا ما ذكرناه
والعلم الذي لا خشية فيه عليك لانك تستضر به فيهما وهو الفرق بين
علماء الدنيا وعلماء الاخرة من حيث ان علماء الاخرة موصوفون بالخشية
والرهبة وعلماء الدنيا موسومون بالامن والغرة وقد بين علماونا رضي

الله عنهم حال الفريقين واوضحوا امرهم بالنعوت والعلامات
واطالوا في ذلك النفس لما شاهدوا من استشار الفساد في الارض
بسبب جهل الناس بالعلم النافع اي شي هو فمن اراد الشفا في ذلك
واستيفاء الكلام عليه وما في ذلك من الاخبار والاثار فعليه بالنظر في
كتاب العلم من احياء علوم الدين لابي حامد الغزالي رضي الله عنه ولنا
ذلك ما ذكر المولف رحمه الله ههنا وقد قال الفضيل بن عياض رضي الله
عنه كان العلماء ربيع الناس اذا نظر اليهم المريض لم يسره ان يكون صحيحا
واذا نظر اليهم الفقير لم يود ان يكون غنيا وقد صاروا اليوم فتنة
على الناس قال هذا في زماننا الصالح فكيف لو ادرك زماننا هذا
فانا لله وانا اليه راجعون واعلم انه قد ورد في الكتاب والسنة
من فضل العلم والعلماء ما لا يحصى كثرة ولا يرجى حصول ذلك الا
لمن صحت فيه نيته وصحت نيته في ذلك ان يكون غرضه فيه طلب
مرضات الله تعالى واستعماله فيما ينفع عنده وايثار الخروج عن ظلمة
الجهل الى نور العلم فهذه النية الصحيحة التي تحمد عاقبتها اجلا وتجتني
ثمرتها في طاعة الله عاجلا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل يوم
لا ازداد فيه علما يقربني الى الله عز وجل فلا بورك لي في طلوع شمس
ذلك اليوم وقال الحسن البصري رضي الله عنه كان الرجل اذا طلب
العلم لم يلبث حتى يرى ذلك في تخشعه ولباسه وبصره ولسانه وصلاته
وهديه وزهده وان كان الرجل ليصيب الباب من ابواب العلم
فيعمل به فيكون له خيرا من الدنيا بما فيها لو كانت له فيضعها في الاخرة
وليأتين على الناس زمان يشتبه فيه الحق والباطل فاذا كان ذلك
لم ينفع فيه الا دعاء كدعاء الغريق وقال سفيان الثوري رضي
الله عنه انما يتعلم العلم ليتقى به الله عز وجل وانما فضل العالم على غيره
لانه يتقي الله به فان اختل هذا المقصد وفسدت نية طالبه بان
يستشعر به التوصل الى عرض دنيا وتحصيل مال او جاه فقد بطل اجره

وحبط

وحبط عمله وخسر خسرانا مبينا قال الله تعالى من كان يريد حرث الاخرة
نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة
من نصيب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه ابو
هريرة رضي الله عنه من تعلم علما لا يبتغي به وجه الله ولا يتعلمه الا ليصيب
به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيمة يعني ريحها وكان
الحسن رضي الله عنه يقول والله ما طلب هذا العلم الا كان حظه منه
ما اراد به وقال الحسن عقوبة العالم موت القلب قيل وما موت
القلب قال طلب الدنيا بعمل الاخرة فان انضاف الى هذا الغرض ان
احد يقصد به الى ان يتولى الاعمال السلطانية كاينة ما كانت او يتوصل
به الى اكتساب مال من حرام او شبهة فقد تعرض لغضب الله تعالى
وسخطه وباء باثمه واثم المقتدين به وكان الجهل اذ ذاك خيرا له
من العلم واحمد عاقبة قال ابو عمرو بن عبد البر رحمه الله روينا
عن الاوزاعي رضي الله عنه قال شكت النواويس الى الله عز وجل
ما تجد من نتن جيف الكفار فاوحى الله تعالى اليها بطون علماء
السوء انتن مما انتم فيه قال وروينا عن ساداتنا الشيوخ
الفضيل بن عياض واسد بن الفرات رضي الله عنهما انهما قالا بلغنا
ان الفسقة من العلماء ومن حملة القران يبدا بهم يوم القيمة قبل عبدة
الاوثان قال الفضيل رضي الله عنه لانه ليس من علم كمن لم يعلم قلت
والغالب على طلبة العلم في هذه الاعصار هذا الوصف المذموم لان حب
الدنيا قد استولى عليهم واستهواهم والحرص على التقدم والرياسة قد
ملكهم فاصمهم واعماهم ولذلك امارات وعلامات لا تحصى ولا تخفى وفي
الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يخرج في اخر الزمان رجال
يختلون الدنيا بالدين يلبسون للناس جلود الضان من اللين السنتهم
احلى من العسل وقلوبهم قلوب الذياب يقول الله تبارك وتعالى ابي
يغترون ام علي يجترون فبي حلفت لابعثن على اولئك فتنة تدع الحليم منهم

حيران رواه ابو هريرة رضي الله عنه وروى ابو الدردا رضي الله
عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى في بعض
الكتب او اوحى الله تعالى الى بعض الانبيا قل للذين يتفقهون لغير
الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الاخرة يلبسون للناس
مسوك الكباش وقلوبهم كقلوب الذياب السنتهم احلى من العسل
وقلوبهم امر من الصبر ايا يخادعون وبي يستهزون لا تيحن
لهم فتنة تدع الحليم فيهم حيران وفي بعض الاخبار المروية عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ياتي على الناس زمان لا
يبقى من القران الا رسمه ولا من الاسلام الا اسمه قلوبهم خربة
من الهدى مساجدهم عامرة من ابدانهم شر من تحت اديم السما علماوهم
منهم تخرج الفتنة واليهم تعود واعلم ان العلم النافع المتفق عليه
فيما سلف وخلف انما هو العلم الذي يودي صاحبه الى الخوف
والخشية وملازمة التواضع والذلة والتخلق باخلاق الايمان وتوافق
الاسرار والاعلان الى ما يتبع ذلك من بغض الدنيا والزهادة فيها
وايثار الاخرة عليها والموالاة في الله والمعاداة فيه والحرص على
التفطن للاسباب الباعثة له على الاستقامة ولزوم الادب بين يدي
الله تعالى في مراعيها حفظا ومعرفة الاسباب الصادة له عن ذلك فيرفضها
رفضا ويهرب الى غير ذلك من الصفات العلية والمناحي السنية فبهذا
كله تحصل له فوايد العلم وثمراته الدنياوية والاخروية فان تخلى طالب
العلم عنها او عن بعضها فان كان ما طلبه علما حقيقيا كان حجة عليه وان
رسميا كان وبالا وانصالا اليه والعياذ بالله من ذلك قال في لطايف
المنن ربما اعتر الغافل من طلبة العلم قول من قال طلبنا العلم لغير الله فابى
ان يكون الا لله وليس في قول هذا القايل ما يستروح اليه من طلب العلم
للرياسة والمنافسة وانما اخبر هذا القايل عن امر من الله عليه وفضل منه
الله تعالى منها لا يلزم ان تقاس عليه فيها غيره وذلك بمنزلة من به مرض

مرض

مرض في المعى اعيا علاجه الاطبا وضاق عليه خلقه فاخذ خنجرا وضرب به
مراق بطنه ليقتل نفسه فصادف ذلك المعى فقطعه فخرج الدا منه فهذا
فهذا لا يستصوب العقلاء فعله وان نجحت عاقبته وليست سلامة
العواقب رافعة للعتب عن الملقين انفسهم الى التهلكة ⁕ ليس المغرر محمودا وان سلما ⁕
وقال في موضع اخر ولا يغرنك ان يكون به انتفاع للبادي والحاضر
فقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله يويد هذا الدين بالرجل الفاجر
ومثل من يعلم العلم لاكتساب الدنيا وتحصيل الرفعة فيها كمثل من
رفع العذرة بملعقة من الياقوت فما اشرف الوسيلة وما اخس المتوسل
اليه ومثل من قطع الاوقات في طلب العلم ومكث اربعين سنة او خمسين
سنة يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل من قعد هذه المدة يتطهر ويجدد الطهارة
فلم يصل صلاة واحدة اذ مقصود العلم العمل كما ان المقصود من الطهارة
وجود الصلاة ولقد سال رجل الحسن البصري رضي الله عنه عن مسالة
فافتاه فيها فقال الرجل للحسن قد خالفك الفقها فيها فزبره الحسن وقال
ويحك وهل رايت فقيها انما الفقيه الذي يتفقه عن الله امره ونهيه قال
وسمعت شيخنا ابا العباس المرسي رضي الله عنه يقول الفقيه من انفقا
الحجاب عن عين قلبه انتهى والرجل الذي سال الحسن وهو الفرقد
السبخي والله اعلم وقد روي عنه في صفة الفقها كلام اتم من ما ذكر صاحب
كتاب لطايف المنن قال فرقد السبخي رضي الله عنه سالت الحسن رضي
الله عنه عن مسالة فاجابني عنها فقلت له ان الفقها يخالفونك فيها
فقال لي ثكلتك امك فريقد وهل رايت فقيها بعينك انما الفقيه الزاهد
في الدنيا والراغب في الاخرة البصير بدينه المداوم على عبادة ربه الورع
الكاف نفسه عن اعراض المسلمين العفيف عن اموالهم الناصح لجماعتهم
المجتهد في العبادة المقيم على سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي لا يهمز
من هو فوقه ولا يسخر ممن هو دونه ولا ياخذ على علم علمه الله له حطاما قلت
وعلى المعلم ان يتفقد احوال من يتعلم منه فلا يبذل علمه الا لمن يتوسم فيه الخير والصلاح

اذ بذلك تستقيم له النيات والمقاصد التي ذكرناها ولا يبدل لمن سوى هذا
ممن علم حاله او جهله قال رجل لسفيان الثوري رضي الله عنه لو انك نشرت
ما معك من العلم رجوت ان ينتفع به بعض عباده وتوجر على ذلك فقال سفيان
والله لو اعلم بالذي يطلب هذا العلم لا يريد به الا ما عند الله لكنت انا الذي
اتيه في منزله فاحدثه بما عندي ما ارجو ان ينفعه الله تعالى به وقد سيل
بعض العلماء عن شي فلم يجب فقال له السايل اما سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من كتم علما نافعا جاء يوم القيمة ملجما بلجام من نار فقال له اترك
اللجام واذهب فان جاء من يستحقه وكتمته فليلجمني به وفي قوله عز
من قايل ولا تؤتوا السفها اموالكم تنبيه على حفظ العلم ممن يفسده ويستضر به
اولى كما قيل ومن منح الجهال علما اضاعه ❁ وقد حكي عن بعض الامم السالفة
انهم كانوا يختبرون المتعلم منه في اخلاقه فان وجدوا اخلاقا ردية
منعوه التعلم اشد المنع وما ذاك الا انه يستعين بالعلم على مقتضى الخلق الردي
فيصير العلم التشر في حقه وقد قالت الحكما زيادة العلم في الرجل السوء
كزيادة الماء في اصول الحنظل كلما ازداد ريا ازداد مرارة وهذا كله
صحيح مجرب فينبغي ايضا للعالم ان لا يهمله بل يراعيه ويشتد في اعتباره
بما يتوهمه في تعليمهم من وجود المصالح على وجه تقدير حصول توفيق الله تعالى
لهم لان يعملوا ببعض ما يتعلمونه من العلم الصحيح ان كانت لهم ولاية حكم او غير
ذلك فان المفاسد التي تقع لهم بسبب ذلك في خاصة انفسهم والمفاسد التي
تتعدى منهم الى غيرهم اكثر ودرء المفاسد عند العقلاء اهم من جلب
المصالح اما المفاسد التي تختص بهم فهي تقوية صفاتهم الذميمة واخلاقهم
اللييمة بما يطلبونه من العلم لانهم يستشعرون بذلك التوصل الى جميع
مطالبهم الدنيوية على غاية الكمال والتمام فاذا استشعروا ذلك توجهوا
بهممهم اليه وعكفوا بالجد والاجتهاد عليه ولولا هذا الاستشعار لم يتصور
منهم ذلك فاذا حصلوا على شي من ذلك وظهرت لهم مخايل وصولهم الى
اغراضهم المذكورة فرحوا بذلك واغتبطوا به وكلما ازدادوا علما ازدادوا

بذلك

بذلك فرحا واغتباطا بما هم فيه وهذا الفرح والاغتباط في غاية الذم منهم
لانه متعلق بالاسباب الدنيا وهو بمنزلة السم القاتل الذي يوجب موت
القلوب وقسوتها وبعدها عن التاثر بالمواعظ والحكم كما قيل ❁

❁ اذا قسى القلب لم تنفعه موعظة ❁ كالارض اذ سبخت لم ينفع المطر ❁

فعند ذلك تنتعش نفوسهم وتتقوى صفاتها وتظهر اثار ذلك على ظواهرهم
من التكالب على الدنيا والركون الى من هي عنده ومن ابنايها المترفين وليس لهم
ما يتوسلون به اليهم سوى علمهم فيحتالون على تحصيل اقبالهم عليهم وصرف
وجوههم اليهم والتنفق عندهم بانواع من الحيل ولا يبالون في ذلك من
الريا والتصنع والنفاق والادهان ويجرهم ذلك الى انواع من المحظورات
وضروب من العصيان مع ما يحل بهم في ذلك من الذل والهوان فاذا نالوا
ذلك او بعضه حصل لهم مقصود نفوسهم وتمكنوا من جميع حظوظهم فخرجوا
من الحرية الى استعباد الاغيار واستبدلوا بالجهل النافع العلم الضار وقد
قال الفضيل بن عياض رضي الله عنه لو ان اهل العلم اكرموا انفسهم
وشحوا على دينهم واعزوا العلم وصانوه وانزلوه حيث انزله الله تعالى
لخضعت لهم رقاب الجبابرة وانقاد لهم الناس وكانوا لهم تبعا وعز الاسلام
واهله ولكنهم اذلوا انفسهم ولم يبالوا بما نقص من دينهم اذا سلمت لهم
دنياهم فبذلوا علمهم لابناء الدنيا ليصيبوا بذلك مما في ايدي الناس
فذلوا وهانوا على الناس ولله در الشاعر حيث قال ❁

❁ يقولون لي فيك انقباض وانما ❁ راوا رجلا عن موقف الذل احجما ❁
❁ اذا قيل هذا مورد قلت قد ارى ❁ ولكن نفس الحر تحتمل الظما ❁
❁ ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتي ❁ لاخدم من لاقيت لكن لاخدما ❁
❁ ااغرس عزا واجتنيه مذلة ❁ اذا فاتباع الجهل قد كان احزما ❁
❁ ولو ان اهل العلم صانوه صانهم ❁ ولو عظموه في النفوس لعظما ❁
❁ ولكن اهانوه فهانوا ودنسوا ❁ محياه بالاطماع حتى تجهما ❁

وقال وهب بن منبه رحمه الله لعطا الخراساني رضي الله عنه كان العلما قبلنا

قد استغنوا بعلمهم عن دنيا غيرهم وكانوا لا يلتفتون الى دنيا غيرهم وكان اهل
الدنيا يبذلون لهم دنياهم رغبة في علمهم فاصبح اهل العلم فينا اليوم يبذلون
لاهل الدنيا علمهم رغبة في دنياهم فاصبح اهل الدنيا قد زهدوا في علمهم
لما راوا من سوء موضعه عندهم وقال ذو النون المصري رضي الله
عنه كان الرجل من اهل العلم يزداد بعلمه بغضا للدنيا وتركا لها فاليوم
يزداد الرجل بعلمه حب الدنيا وطلبا لها وكان الرجل ينفق ماله على
علمه ويكسب الرجل اليوم بعلمه مالا وكان يرى على طالب العلم زيادة في
باطنه وظاهره فاليوم يرى على كثير من اهل العلم فساد في الظاهر
والباطن فانظر رحمك الله الى ما ذكره هولاء الفضلا بخلاف زماننا
هذا الزمان وليس الخبر كالعيان ثم بعد وقوع هذه المفاسد بهم
وتوغلهم بها في سوء ادبهم يتعذر عليهم سلوك طريق الحق لما استحكم
في قلوبهم من علامات سوء الخلق فقد قيل التعمق في الباطل قطع
لامال الرجوع عنه وكلما كان بعد المسافة عن الحق اتم كان الياس من
الرجعة اوجب واعظم الوبال عليهم اغترارهم بحالهم واستحسانهم
لسيء اعمالهم واعتقادهم انهم سالكون سبيل النجاة في الدار الاخرة
ونيل الثواب فيها وانهم هم الذين حازوا الرتب الشريفة والمناقب
المنيفة التي اختص بنيلها العلماء الذين هم ورثة الانبيا عليهم الصلاة
والسلام وليس عندهم من المعرفة وعلوم التحقيق ما يخرجون به من هذا
الغرور لانهم لم يسلكوا الطريق ذلك ولم يهتدوا لما هنالك فهذا هو الفساد
الذي يختص بهم ولا يشاركون غيرهم واما الفساد الذي يتعدى الى
غيرهم فاظهر من كل ظاهر وناهيك شرا من ملكته نفسه واستعبدته
اتم استعباد هل يبقى عليه شي من الشر او نوع من الفساد الا ويقع فيه
اذا تمكن منه ومن دقيق ما يسري عنهم من الفساد من غير قصد منهم لذلك
وقوع الاغترار للجهلة والاغمار بمشاهدة حالهم فانهم يشاهدونهم قد
حازوا من رتب الدنيا ما ارادوه ويتوهموا انهم نالوا شرف الاخرة بما افادوه

واستفادوه

واستفادوه فيحملهم ذلك على الاقتداء بهم في طلب العلم ان كانوا ممن
فيهم قابلية لذلك فيقعوا فيما وقعوا فيه من المهالك اويوديهم ذلك الى
محبتهم وموالاتهم واتخاذهم اربابا يسمعون منهم ويطيعونهم في اوامرهم
ونواهيهم ثم يخرج بهم استحسان حالهم الى الاقتداء بهم وهو مسارقة طباعهم
الدنية واخلاقهم الردية فان نفوس العامة قابلة لذلك ومهياة له بمنزلة
الصبي الذي ترسخ فيه اخلاق ابايه وجبلاتهم ومذاهبهم
وعند ذلك يبطل في حقهم ما هو مقصود بعثة الرسل صلوات
الله عليهم وسلامه من الترهيد في الدنيا والترغيب في الاخرة
وحب الفقر والمسكنة وايثار التواضع والذلة والتخلق باخلاق
الايمان والاسلام وشدة الحذر من ارتكاب المناهي والاثام
ثم يوول بهم ذلك الى الشرك الخفي والجلي ويحيق بهم
المكر السيئ والعياذ بالله ويكون ذلك وبالا ذلك على يديه
ولقد صدق ابن المبارك حيث يقول

وهل افسد الدين الا ملوك ۰ واحبار سوء ورهبانها
وباعوا النفوس ولم يربحوا ۰ ولم تغل في البيع اثمانها
لقد رتع القوم في جيفة ۰ تبين لذي العقل انتانها

وقد روي عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه انه اخذ حصاة
بيضا فوضعها في كفه ثم قال ان الدين قد استضاء اضاءة
هذه ثم اخذ كفا من تراب فجعل يذره على تلك الحصاة حتى
واراها ثم قال والذي نفسي بيده ليجيئن اقوام يدفنون
الدين هكذا كما دفنت هذه الحصاة ولتسلكن سبيل الذين
كانوا قبلكم حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل قلت
ومنشا وجود هذه المفاسد خراب بواطنهم وظلمة قلوبهم
بسبب فقد اليقين منها وانكساف انوار الايمان فيها
وافلاسهم من حقايق ذلك وعدم اختصاصهم بشي منه فصاروا

بذلك ماسورين لاهوايهم منقادين لاغراضهم وارايهم ففسدت
بذلك نياتهم ومقاصدهم والاعمال بالنيات فاذا كانت النيات
صالحة وترتب عليها اثار صالحه وانعطف من ذلك على القلوب
مزيد اشراق وحميد اخلاق ويوذن ذلك بوجود القرب من الله
تعالى ونيل درجة الحب منه واذا كانت النيات فاسدة
كانت الاعمال فاسدة ايضا وترتب عليها اثار فاسدة وانعطف
من ذلك على القلوب زيادة ظلمة ورداءة همة تقتضي البعد
من الله تعالى وحصول المقت منه وطلب العلم عمل من الاعمال
معرض للصحة والاعتدال وليت شعري هولاء الذين استغرقوا
اعمارهم في طلب العلم والاثر واتعبوا نفوسهم في الدراسة
والنظر وقطعوا ايامهم ولياليهم بالجوع والسهر وسمحت
نفوسهم بفراق ملذ[ا]تها والبعد عن جميع مالوفاتها
هل يبعثهم على ذلك باعث الدين او باعث الهوى ولا شك
ان باعث الدين غير متصور منهم بل هو محال في حقهم
كما قدمناه في خراب البواطن وظلمة القلوب وكيف يتصور
ذلك منهم وهم لم يعولوا على تخليصهم من التكاليف
الواجبة عليهم في ظواهرهم وبواطنهم بل لم يعرفوا تلك البتة
وان ادعوا انهم على الاحوال لا يجب عليهم فيها حكم يحتاجون
الى تعرفه والقيام به فهم مخدوعون ومن اين لهم ذلك
والعلم به لا يحصل ضرورة فلا بد لهم من استفادته ولا
عناية لهم بهذا ايضا وانما كان يتصور منهم باعث الدين
لو توفرت اغراضهم كلها عليهم ووصلوا الى ما يمكنهم الوصول
اليه من شهواتهم ولذاتهم بسبب ما من اسباب الدنيا ثم
يصرفون ما يفضل من اوقاتهم عن محاولة هذه المطالب
ونيلها الى طلب العلم عوضا عن البطالة التي يتبرم بها صاحبها

ويدعوه

ويدعوه فراغه من اشغال دنياه الى قطع ذلك الوقت بلهو
او لعب او ارتكاب معصية وذنب لا البطالة التي يكون فيها
استراحة لنفسه واستجمام لعقله وحسه ففي هذه الحالة
قد يصح باعث الدين من امثال هولا واما الحالة التي وضعناها
فلا يتصور عليها باعث الا الدنيا المجرده المجاوزة للحد
في الذم والمقت بمنزلة من هو حريص على الاتساع في الدنيا
والحصول على غاية ملاذها فانه يعمل فيما يوصله الى ذلك
وان كان فيه هلاكه فتراه يرتكب الاخطار ويخوض لجج البحار
ويجوز البراري والقفار ويهون عليه في جنب ما يومله كل
مشقة تصيبه وبلية تنزل به ولو لم يفعل هذا لم يحصل الا على
سد الرمق والاقتصار على البلغ والعلق فكذلك هولا الذين
كلامنا فيهم لو لم يتصوروا في خواطرهم الحصول على كليات اغراضهم
من اتساع مالهم وجاههم في دنياهم ووصولهم مع ذلك الى
رفيع الدرجات في عقباهم لم يبلغوا ذلك المبلغ في الاجتهاد
ولاقتصروا على بعضه وهذه كلها امور بينة لا اشكال فيها عند
من له ادنى تمييز وفهم وليس المانع لاكثر من ينتسب الى
العلم من العمل بمقتضى ما ذكرناه خفاوه عليهم كيف وهم
يعتقدون صحته ويسلمون حاصله وحقيقته في الاحايين عند
ما ينجلي عن قلوبهم ظلماتها وتتزحزح عن عظيم غمراتها اما بتذكير
مذكر من الخلق او وعظ واعظ في قلوبهم من قبل الحق ثم
يرجعون في ساير اوقاتهم الى مالوفاتهم ومعتاداتهم وانما
المانع لهم من ذلك انفراد الله عز وجل بالمشية والقدرة
واستيثاره بالخذلان والنصرة فاذا اراد الله تعالى ان
يضل عبدا من عباده لم ينصره عقل ولم ينفعه علم قال
الله تعالى ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيا

وفي مثل هذا الموطن تبطل احكام الاسباب وتحقق ارباب
الحقايق العظمة والجلال والعزة والكمال لرب الارباب فليعتبر
بما ذكرناه ارباب الابصار وليسلموا احكام الواحد القهار
لعلهم بذلك يهتدون الى منهج التحقيق حين يضل غيرهم عن
سواء الطريق ۰ مصايب قوم عند قوم فوايد ۰ وليقل العبد
المومن اذا نظر اليهم واعتبر بما جرى عليهم من سوء القضا
الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاهم به وفضلني عليهم تفضيلا
فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من
راى مبتلا فقال الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به هذا
وفضلني عليه وعلى كثير من خلقه تفضيلا عافاه الله من ذلك
البلا كاينا ما كان فعلى المعلم الناصح لنفسه السالم في
عقله وحسه العامل على تصحيح اعماله وهمته المشفق
على دينه الذي هو منوط بلحمه ودمه ان يتامل هذه المفاسد
ويقيس بها ما توهمه من المصالح الناشية عن تعليمه بزعمه
ويدقق النظر في ذلك كما يدقق في اكثر المسايل التي لا
يحتاج اليها ولا يقدم على التعليم في هذه الازمنة ذوات
العلل المزمنة حتى يقطع بوجوب ذلك عليه من غير تردد
ولا تجويز وقوع خطا في نظره ولا سبيل له الى هذا ولا يسعه
خلاف ذلك اذا كان متصفا قال بعضهم رايت سفيان
الثوري حزينا فسالته عن ذلك فقال وهو يترمرم صرنا
متجرا لابناء الدنيا قلت وكيف ذلك قال يلزمنا احدهم
حتى اذا عرف بنا وحمل عنا جعل حاجبا او عاملا او قهرمانا
او جابيا فيقول حدثنا سفيان الثوري وعليه ايضا ان
يحرص على مخالفة نفسه فيما تدعوه اليه من التعليم لان كل
ما تستحليه النفس ويوافق غرضها مصحوب بالافات والعلل
التي

التي تقدح في الاخلاص واخلاص الاعمال شرط في وجود صحة
القبول وعند ذلك يذهب عمله باطلا ولا ينال بسعيه طايلا وفي
من كلام علي بن ابي طالب رضي الله عنه كونوا لقبول العمل اشد
اهتماما منكم للعمل عند قوله ما قل عمل برز من قلب زاهد
ويأتي ايضا الكلام في اتهام النفس في دعايها الى ما ظاهره خير
عند قوله اذا التبس عليك امران وليتعلم الحزم في ذلك من بشر بن
الحارث الحافي رضي الله عنه كان يقول انا اشتهي ان احدث
ولو ذهب عني شهوة الحديث لحدثت وكان سبب تركه طلب
الحديث انه سمع ابا داود الطيالسي يحدث عن شعبة انه كان
يقول الاكثار من هذا الحديث يصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة
فهل انتم منتهون ولما سمعه قال انتهينا انتهينا ثم ترك الرحلة
في طلب الحديث واقبل على العبادة وروي ايضا مثل هذا
الكلام عن مسعر بن كدام فاذا كان الاكثار من الحديث بهذه المثابة
عند امامي المحدثين في زمنهما مع ما فيه من الفوايد الاخروية
فما ظنك بغيره من محدثات العلوم ومبتدعاتها ولقد ذكر الشيخ
الحافظ ابو عمرو بن عبد البر رحمه الله باسناده الى عبد الله
ابن مسلمة القعنبي رحمه الله قال دخلت على مالك فوجدته
باكيا فسلمت عليه فرد علي ثم سكت عني يبكي فقلت له يا ابا
عبد الله ما الذي ابكاك فقال لي يا ابن قعنب انا لله على ما فرط
مني ليتني جلدت بكل كلمة تكلمت بها في هذا الامر بسوط ولم
يكن فرط مني ما فرط من هذا الراي وهذه المسايل وقد كان
لي سعة فيما سبقت اليه قال هذا فيما كان اخذا فيه من
المسايل المحققة المبنية على اصول صحيحة غير ملفقة فما الظن
بما انتشر بعده من الهذيان الذي صار بحكم العادة واقتضاء
العصبية وتمالؤ الناس على الضلال تقليد رؤس الجهال دينا قويما

وصراطا مستقيما وعلى كل واحد من العالم والمتعلم ان يشتغل
بما هو اهم عليه مما هو مامور به مسيول عنه من مراقبته ربه
واصلاح نفسه وقلبه فله في ذلك شغل شاغل عما يفرق همه
ويقسي قلبه وينسيه ذكر ربه عز وجل قال ابن وهب رضي
الله عنه ذكر طلب العلم عند مالك بن انس رحمه الله فقال ان طلبه
لحسن اذا صحت فيه النيه ولكن انظر الى ما يلزمك من حين تصبح
الى حين تمسي فلا توثرن عليه شيا وكان الثوري رضي الله
عنه يقول لاهل العلم الظاهر طلب هذا ليس من زاد الاخرة
وكان يقول طلب الحديث ليس من عدة الموت لكنه علة يتشاغل
بها الرجال وكان يقول لولا ان للشيطان فيه نصيبا ما ازدحم
عليه يعني العلم فهذه نبذة قصدت الى ثبتها في الموضع الذي يليق
بها من هذه التنبيه ليتنبه بها من سبق له من الله تعالى زوال
العما عن بصره ومراجعة خوفه وحذره من المعلمين والمتعلمين
وليتبين بها كلام المولف رحمه الله غاية التبيين وبالله الذي
لا اله سواه استعين باب التوبه كيف يشرق
قلب صور الاكوان منطبعة في مراته ام كيف يرحل الى الله
عز وجل وهو مكبل بشهواته ام كيف يطمع ان يدخل
حضرة الله وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته ام كيف يرجو
ان يفهم حقايق الاسرار وهو لم يتب من هفواته
الجمع بين الضدين محال كاجتماع الحركة والسكون والنور والظلمه
وهذه الاشيا التي ذكرها المولف رحمه الله تعالى اضداد لا
تجتمع فان اشراق القلب بنور الايمان واليقين مضادة للظلمه
التي استولت عليه من ركونه الى الاغيار والاكوان واعتماده
عليها والمسير الى الله تعالى بقطع عقبات النفس مضاد
للاعتقال في حبس الهوى والشهوات ودخول حضرة الله المقدسة

المقتضية

المقتضية لطهارة الداخل ونزاهته مضاد لما هو عليه من
جنابة غفلاته التي مقتضاها الاقصاء والابعاد وفهم
دقايق الاسرار المستفادة من التقوى مضاد للاصرار
على المعاصي والهفوات واليه الاشارة بقوله عز من قايل
فاتقوا الله ويعلمكم الله وبما روي في بعض الاخبار من
علم ما لم يعلم قال يحيى بن معين رحمه الله المتقي احمد
ابن حنبل وابن ابي حواري رضي الله عنهما فقال احمد
ابن حنبل لابن ابي الحواري حدثنا بحكاية سمعتها من استاذك
ابي سليمان فقال يا احمد قل سبحان الله بلا عجب فقال احمد
ابن حنبل سبحان الله وطولها بلا عجب فقال احمد بن ابي
الحواري سمعت ابا سليمان يقول اذا اعتادت النفوس
على ترك الاثام جالت في الملكوت وعادت الى ذلك العبد
بطرايف الحكمة من غير ان يودي اليها عالم علما قال
فقام احمد بن حنبل ثلاثا وجلس ثلاثا وقال ما سمعت
في الاسلام بحكاية اعجب الي من هذه ثم ذكر الحديث الذي ذكر
من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لم يعلم قال احمد بن
الحواري صدقت يا احمد وصدق شيخك ولاجل كون
هذه الاشيا اضدادا عجب المولف رحمه الله ممن يعتقد
صحة اجتماعها وممن يطمع في نيل مراتب الرجال مع كونه
على قبح الخلال من علامة موت القلب عدم الحزن على ما فاتك
من الموافقات وترك الندم على ما فعلته من وجود الزلات
القلب اذا كان حيا بالايمان حزن على ما فاته من الطاعات
وندم على ما فعله من الزلات ومقتضى هذا الوجود الفرح
بما يستعمل فيه من الطاعات ويوفق له من اجتناب المعاصي
والسيات وجاء في الخبر من سرته حسنته وساته سيئته

ثناه

دعل مرصم

فهو مومن وان لم يكن العبد بهذا الوصف وهو الحزن على مافاته
والندم على ما اتاه فهو ميت القلب وانما كان ذلك من قبل ان
اعمال العبد الحسنة والسية علامتان على وجود رضا الله تعالى
عن العبد وسخطه عليه فاذا وفق الله تعالى عبده للصالحات
سره ذلك لانه علامة على رضاه عنه وغلب حينيذ رجاوه
واذا خذله ولم يعصمه فعمل بالمعاصي ساءه ذلك واحزنه
لانه علامة على سخطه عليه وغلب حينيذ خوفه والرجا
يبعث على الاجتهاد في الطاعات وليس من مقتضاه تركها
وعدم الحزن على مافاته منها امنا واغترارا والخوف
يبعث على المبالغة في اجتناب المعاصي والسيات وليس من
مقتضاه فعلها وترك الندم عليها اياسا وقنوطا وفي
حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال بينما نحن
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اتاه آتٍ فلما حاذانا
وراى اجتماعنا اناخ راحلته ثم مشى الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اوضعت راحلتي
من مسيرة تسع فسيرتها اليك ستا واسهرت ليلي واظمات
نهاري وانصبت راحلتي لا اسالك الا عن اثنتين اسهرتاني
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم من انت قال انا زيد
الخيل فقال لا بل انت زيد الخير سل فرب معضلة قد سيل
عنها قال جيت اسالك عن علامة الله تعالى فيمن يريد وفيمن لا
يريد فقال له صلى الله عليه وسلم بخ بخ كيف اصبحت يا زيد
قال اصبحت احب الخير واهله واحب ان يعمل به واذا
فاتني حننت اليه واذا عملت عملا قل او كثر ايقنت بثوابه
قال هي هي بعينها يا زيد ولو ارادك للاخرى هياك لها ثم لا
يبالي في اي واد هلكت ثم قال زيد حسبي حسبي ثم ارتحل ولم يلبث

لا يعظم الذنب عندك عظمة تصدك عن حسن الظن بالله
فان من عرف ربه استصغر في جنب كرمه ذنبه
عظمة الذنب عند مرتكبه على وجهين احدهما ان يعظم عنده
عظمة تحمله على التوبة منه والاقلاع عنه وصدق العزم
على ان لا يعود الى مثله فهذه عظمة محموده وهي من علامة
ايمان العبد كما قلنا قال عبد الله بن مسعود رضي الله
عنه ان العبد المومن يرى ذنوبه في اصل جبل يخاف ان
لا يقع عليه والفاجر يرى ذنبه كذباب وقع على انفه قال به
هكذا فاطاره ويقال ان الطاعة كلما استصغرت عظمت عند
الله وان المعصية كلما استعظمت صغرت عند الله والثاني
ان يعظم عنده عظمة توقعه في الياس والقنوط وتوديه الى
سوء الظن بالله تعالى فهذه عظمة مذمومة قادحة في
الايمان وهي اشر عليه من ذنوبه وسبب ذلك وجود
جهله بصفات مولاه المحسن الجواد الكريم ووقوفه مع نفسه
وقياسه بعقله وحدسه ولو كان عارفا بالله حق المعرفة لا
يستحقر ذنوبه في جنب كرمه وفضله فاي قدر للعبد او قيمة
حتى يقع في ذنب لا يسعه عفو ربه ويكبر عليه ان يغفر له قال
في التنوير واعلم انه لا بد في مملكته من عباده هم نصيب الحلم
ومحل ظهور الرحمة والمغفرة ووقوع الشفاعة وافهم ما قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا
لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر
لهم وقوله صلى الله عليه وسلم شفاعتي لاهل الكباير من امتي
وجا رجل الى الشيخ ابي الحسن رضي الله عنه فقال يا سيدي
كان البارحة بجوارنا من المنكرات كيت وكيت وظهر من ذلك الرجل
استغراب ان يكون هذا فقال يا هذا كانك تريد ان لا يعصى الله في

مملكته من احب ان لا يعصى الله في مملكته فقد احب ان لا تظهر مغفرته
وان لا تكون شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكم من
مذنب كثرت اساءته وذلته مخالفته اوجبت له الرحمة من ربه فكان
له راحما وبقدر ايمانه وان عصى حالما انتهى فلا ينبغي للعبد
ان يستعظم ذنبه استعظاما يوديه الى ان يلقي بيده اياسا
من روحه وقنوطا من رحمته وسوء ظن به بل عليه ان يتوب
الى ربه منه ويرجع عنه ويعلم حكم الله تعالى في تسليطه عليه
وتخليته بينه وبينه وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه
لولا ان الذنب خير للمومن من العجب ما خلى الله تعالى
بين مومن وبين ذنب ابدا فنبهك بهذا على ان الذنب مانع
من وجود العجب الذي هو اعظم حجاب بين العبد وبين مولاه
لان صاحبه ناظر الى نفسه لا الى ربه مستعظم لطاعته
وعبادته ملاحظ لذلك ومساكن له بخلاف ذلك الذنب لانه
يوجب له الخوف والحذر والالتجاء الى الله تعالى والفرار اليه
من نفسه والعجب يصرف العبد عن الله تعالى والذنب يصرفه
اليه والعجب يقبل به على نفسه والذنب يقبل به على ربه
والعجب يوديه الى الاستغنا والذنب يوديه الى الافتقار واخص
اوصاف العبد الى الله تعالى افتقاره اليه واشرف احوال
المومن ما يرده اليه ويقبل به عليه **لا صغيرة اذا قابلك
عدله ولا كبيرة اذا واجهك فضله** اذا ظهرت الصفات
العلية بطلت اعمال العاملين فاذا ظهرت احكام صفة العدل
على من ابغضه ومقته بطلت حسناته وعادت صغايره كبايره
واذا ظهر وصف الفضل على من احبه اضمحلت سياته
وعادت كبايره صغاير قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه
ان وضع عليهم عدله لم تبق لهم حسنة وان انالهم فضله

لم تبق لهم سيئة ومن دعايه رضي الله عنه الهي ان
احببتني غفرت سياتي وان مقتني لم تقبل حسناتي
وما احسن قول سيدي ابي الحسن الشاذلي رضي
الله عنه في دعايه ومناجاته واجعل سياتنا سيات
من احببت ولا تجعل حسناتنا حسنات من ابغضت فالاحسان
لا ينفع مع البغض منك والاساءة لا تضر مع الحب منك
وسياتي عن المولف رحمه الله في هذا المعنى قوله الهي
كم من طاعة بنيتها وحالة شيدتها هدم اعتمادي عليها
عدلك بل اقالني منها فضلك **اذا وقع منك ذنب فلا
يكن سببا ليوسك من حصول الاستقامة مع ربك
فقد يكون ذلك اخر ذنب قدر عليك** الاستقامة على
العبودية لا يناقضها فعل الذنب على سبيل الغلبة والهفوة
اذا جرى القدر عليه بذلك وانما يناقضها الاصرار عليه
فاذا وقع من العبد ذنب فينبغي له ان يبادر الى التوبة
منه ولا اياس بسبب وقوعه فيه من الاستقامة مع سيده ويرى
انه طرده وابعده رؤية توجب له القنوط من رحمة الله والاياس
من روح الله لانه قد يكون ذلك الذنب اخر ذنب قدر عليه
وقد وقع ذلك وفرغ منه

باب الاخلاص

الاعمال صور قايمة وارواحها وجود سر الاخلاص فيها اخلاص كل عبد
في اعماله على حسب رتبته ومقامه فاما من كان من الابرار
فمنتهى درجة اخلاصه ان تكون اعماله سالمة من الريا الجلي
والخفي وقصد موافقة الهوى النفسي طلبا لما وعد الله تعالى
به المخلصين من جزيل الثواب وحسن الماب وهربا مما وعد
به المخلطين من اليم العذاب وسوء الحساب وهذا من التحقق
بمعنى قوله تعالى اياك نعبد اي لا نعبد الا اياك ولا نشرك

في عبادتنا غيرك وحاصل امره اخراج الخلق عن نظره في
اعمال بره مع بقاء رويته لنفسه في النسبة اليها والاعتماد
عليها واما من كان من المقربين فقد جاوز هذا الى عدم رويته
لنفسه في عمله فاخلاصه انما هو شهود انفراد الحق تعالى بتحريكه
وتسكينه من غير ان يرى لنفسه في ذلك حولا ولا قوة ويعبر
عن هذا المقام بالصدق الذي يصح به قوام الاخلاص
وصاحب هذا سلوكه به طريق التوحيد واليقين وهو
من التحقق بمعنى قوله تعالى واياك نستعين اي لا
نستعين الا بك لا بانفسنا وحولنا وقوتنا فعمل الاول
هو العمل لله وعمل الثاني هو العمل بالله فالعمل لله يوجب
المثوبه والعمل بالله يوجب القربه والعمل لله يوجب
تحقيق العباده والعمل بالله يوجب تصحيح الارادة والعمل
لله نعت كل عابد والعمل بالله نعت كل قاصد والعمل لله
قيام باحكام الظواهر والعمل بالله قيام بالضماير
وهذه العبارات للامام ابي القسم القشيري رضي
الله عنه وبها يتبين الفرق بين المقامين وتباينهما
في الشرف والجلاله فاخلاص كل عبد هو روح اعماله
فبوجود ذلك يكون حياتها وصلاحيتها للتقرب بها ويكون
فيها اهلية وجود القبول لها وبعدم ذلك يكون موتها
وسقوطها عند درجة الاعتبار وتكون اذ ذاك اشباحا
بلا ارواح وصورا بلا معان قال بعض المشايخ رضي
الله عنهم صحح عملك بالاخلاص وصحح اخلاصك بالتبري من
الحول والقوة ما ارادت همة سالك ان تقف عند ما كشف
لها الا ونادته هواتف الحقيقه الذي تطلبه امامك ولا
تبرجت ظواهر المكونات الا ونادتك حقايقها انما نحن فتنة فلا تكفر

السائر

السائر الى الله تعالى يتجلى له في اثناء سلوكه انوار ويبدو
له اسرار فان ارادت همته ان تقف عندما كشف لها من
ذلك لاعتقاده انه وصل الي الغاية القصوي والنهاية من
المعرفه نادته هواتف الحقيقة المطلوبه الذي تطلب امامك فجد
في السير ولا تقف وان تبرجت له ظواهر المكونات بزينتها
قال الى حسنها وجمالها نادته حقايقها الباطنه انما نحن فتنة
فلا تكفر وغض عينيك عن ذلك ولا تلتفت اليه ودم
على سلوكك وسيرك واعلم انه ما دامت لك همة وارادة
فانت بعد في الطريق لم تصل فلو فنيت عنها لوصلت وما احسن
قول الشيخ ابو الحسن الششتري في هذا المعنى

فلا تلتفت في السير غيرا وكلما ... سوى الله غير واتخذ ذكره حصنا
وكل مقام لا تقم فيه انه ... حجاب فجد السير واستنجد العونا
ومهما ترى كل المراتب تجتلي ... عليك فحل عنها فعن مثلها حلنا
وقل ليس لي في غير ذاتك مطلب ... فلا صورة تجلى ولا طرفا تجنى

وقد رايت لسيدي الشيخ ابي الحسن الشاذلي رضي الله
عنه كلاما حسنا مناسبا لما ذكره المولف رحمه الله ههنا من
الترقي في الاحوال وظهور النقص في رويا الكمال فرايت ان اذكره
ههنا بنصه لما فيه من سني الفوايد وشرف المقاصد قال
رضي الله عنه اعلم انك ان اردت ان يكون لك نصيب مما
لاولياء الله فعليك برفض الناس جملة الا من يدلك على
الله باشارة صادقه واعمال ثابتة لا ينقضها كتاب ولا سنه
واعرض عن الدنيا بالكليه ولا تكن ممن يعرض عنها ليعطى
شيا على ذلك بل كن في ذلك عبد الله امرك ان ترفض عدوه
فان اتيت بهاتين الخصلتين الاعراض عن الدنيا والزهد
في الناس فاقم مع الله تعالى بالمراقبة والتزام التوبة بالرعاية

تفسير

والاستغفار بالانابة والخضوع للاحكام بالاستقامة و
هذه الوجوه الاربعة ان تقوم عبدا لله تعالى فيما تاتي
وتذر وتراقب قلبك ان لا ترى في المملكة شيا لغيره
فان اتيت بهذا نادتك هواتف الحق من انوار العز انك
قد عميت عن طريق الرشد من اين لك القيام مع الله بالامر
وانت تسمع قوله تعالى وكان الله على كل شي رقيبا فهناك
يدركك من الحياء ما يحملك على التوبة مما ظننت انه قريب
فالتزم التوبة بالرعاية لقلبك ان لا تشهد ذلك منك بحال
فتعود الى ما خرجت عنه فان صحت هذه منك نادتك هواتف
ايضا من قبل الحق التوبة منه بدات والانابة منه تتبعها
واشتغالك بما هو وصف لك حجاب عن مرادك فهناك
تظهر اوصافك فتستعيذ بالله منها وتاخذ في الاستغفار
والانابة والاستغفار طلب الستر من اوصافك بالرجوع الى
اوصافه فان كنت بهذه الصفة اعني الاستغفار والانابة
ناداك من قريب اخضع لاحكامي ودع عنك منازعتي واستسلم
مع ارادتي برفض ارادتك وانما هي ربوبية تولت عبودية
ولكن عبدا مملوكا لا يقدر على شي فمتى رايت منك قدرة
وكلتك اليها وانا بكل شي عليم فان صح لك هذا الباب
ولزمته اشرفت من هناك على اسرار لا تكاد تسمع من احد
من العالمين لا ترحل من كون الى كون فتكون كحمار الرحى
يسير والذي ارتحل اليه هو الذي ارتحل منه ولكن
ارحل من الاكوان الى المكون وان الى ربك المنتهى العمل
على طلب الجزاء والدرجات او نيل الرتب العليه والمقامات
نقصان في الحال وشوب في اخلاص الاعمال وهو معنى الرحل
من كون الى كون وسبب ذلك بقاء اعتبار النفس في ان يحصل

لها

لها رتبة وان تنال بسعيها موهبة وهذه كلها من الاكوان
والاكوان كلها متساويه في كونها اغيارا وان كان بعضها
انوارا وتمثيله بحمار الرحى مبالغة في تقبيح اعمال العاملين
على روية الاغيار وتلطف في دعايهم الى حسن الادب
بين يدي الواحد القهار حتى يتحققوا معنى قوله وان الى ربك
المنتهى فيكون انتها سيرهم اليه وعكوف قلوبهم عليه
وتكون اعمالهم اذ ذاك وفا بمقتضى العبودية وقياما
بحقوق الربوبيه فقط من غير التفات الى النفس على اي
حالة تكون فهذا هو تحقيق الاخلاص الكامل على مشاهدة
التوحيد الخاص جعلنا الله من اهله بمنه وفضله
وانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم فمن كانت هجرته
الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت
هجرته الى دنيا يصيبها او امراة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه
فافهم قوله عليه الصلاة والسلام فهجرته الى ما هاجر اليه وتامل ...
في هذا الحديث الشريف النبوي تنبيه على المعنى الذي
ذكره وموضع الاعتبار والتامل والله تعالى اعلم قوله
في القسم الثاني فهجرته الى ما هاجر اليه اي ولا نصيب
له فيها من الوصول والقرب الذي حظي به من هاجر
الى الله ورسوله وهو قوله فهجرته الى الله ورسوله
وهذا من باب حصر المبتدا في الخبر كما تقول زيد صديقي
اي لا صديق لي غيره وكانه صلى الله عليه وسلم نبه على ما
في القسم الثاني بالدنيا التي يريد ان يصيبها والمراة
التي يريد ان يتزوجها على حظوظ النفس والوقوف معها
والعمل عليها كاينة ما كانت وان كان ظاهره طلب
الحظ العاجل فقوله فهجرته الى الله ورسوله هو معنى الارتحال

... هذا ان كنت ذا فهم والسلام

من الاكوان الى المكون وهو المطلوب من العبد وهو مصرح
به غاية التصريح وقوله فهجرته الى ما هاجر اليه هو البقا
مع الاكوان والتنقل فيها وهو الذي نهي عنه وهو مشار
به غير مصرح فليكن المريد عالي الهمة والنية حتى لا يكون
له التفات الى غيره ولا كون البته ولقد احسن الشاعر

وكل ما قد خلق الله وما لم يخلق ❊ محتقر في همتي كشعرة في مفرقي ❊

قال رجل لابي يزيد رضي الله عنه اوصني فقال له ان
اعطاك من العرش الى الفرش قل له لا انت اريد وقال ابو سليمان
الداراني رضي الله عنه لو خيرت بين ركعتين ودخول الفردوس
لاخترت الركعتين لانني في الفردوس بحظي وفي الركعتين بربي
وقال الشبلي رضي الله عنه احذر مكره ولو في قوله كلوا
واشربوا وان كان ظاهره اكراما وانعاما فان في باطنه
ابتلاء واختبارا حتى ينظر من هو معه ومن هو مع الحظ
لا عمل ارجى للقلوب من عمل يغيب عنك شهوده ويحتقر عندك وجوده
في النسخة الموجودة بايدينا لا عمل ارجا للقلوب ومعناه
على هذا الوجه ان العمل الموصوف بهذه الصفة لا يلتفت
اليه القلب ولا يعتبره وفي عدم التفاته واعتباره سلامته
وتحرره من رق رويته فيبقى حينئذ مع ربه لا مع عمله
ويكون ذلك على حذف مضاف تقديره لا عمل ارجى لصلاح
القلوب او ما في معناه وسياتي من كلام المولف ما يناسب
هذا المعنى وهو قوله قطع السايرين له والواصلين اليه
عن روية اعمالهم وشهود احوالهم الى اخره والغالب
على الظن ان الذي قصده المولف وذكره انما هو لفظ القبول
فغلط الناسخ فقلب حروفه ولا يحتاج في هذا الى حذف
تقديره على هذا الوجه ان يقول سلامة العمل من الافات

شرط في قبوله لان صاحبه متقي لله تعالى وقد قال عز من قايل
انما يتقبل الله من المتقين وانما يسلم العمل من الافات باتهام
النفس في القيام بحقه وروية تقصيره فيه فيغيب عنه اذ
ذاك شهوده ويحتقر عنده وجوده فلا يساكنه ولا
يعتمد عليه وان لم يكن على هذا الوصف بل كان
ناظرا اليه ومستعظما غايبا عن شهود منة الله تعالى
عليه في توفيقه له اوقعه ذلك في العجب فحبط لذلك
عمله وخاب سعيه قال ابو سليمان رضي الله عنه
ما استحسنت من نفسي عملا فاحتسبته وقال علي
ابن الحسين رضي الله عنه كل شي من افعالك اذا اتصلت
به رويتك فذلك دليل على انه لم يقبل منك لان
المقبول مرفوع مغيب عنك وما انقطعت عنه رويتك
فذلك دليل على القبول وقد سيل بعض العارفين
ما علامة قبول العمل قال نسيانك اياه وانقطاع نظرك
عنه بالكلية بدلالة قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب
والعمل الصالح يرفعه فالعلامة رفع الحق تعالى ذلك العمل
انه لا يبقى عندك منه شي فانه اذا بقي في نظرك منه شي
لم يرتفع اليه ليبعد بين عبديتك وعبديته فينبغي
للعبد اذا عمل عملا ان يكون عنده نسيا منسيا بما ذكرناه
من اتهام النفس وروية التقصير حتى يحصل له قبوله
لا تفرحك الطاعة لانها برزت منك وافرح بها لانها
برزت من الله اليك قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا
الفرح بالطاعة على وجهين فرح بها من حيث شهودها
من الله تعالى نعمة منه وفضلا فهذا هو الفرح المحمود
وهو الذي طلب من العبد وذلك هو مقتضى شكرها

وفرح بها من حيث ظهورها من العبد باختياره وارادته
وقوته فهذا فرح مذموم منهي عنه وهو كفران النعمة
وهو من العجب المحبط للعمل فالفرح بها على هذا الوجه
فرح بلا شي وسياتي في اخر الكتاب انواع الفرح بالنعم
وما يحمد منها وما يذم تامة مستوفاة جل ربنا ان
يعامله العبد نقدا فيجازيه نسيئة جزاء المعاملة
لا يختص بدار الاخرة ربما اظهر الحق تعالى منه لبعض
اوليائه في الدنيا انموذجا يحملهم على الاجتهاد في
الاعمال ويتحقق به وجود قبولها في كل الاحوال
وذلك لعظيم كرمه وعميم فضله سبحانه جل وعلا
كفى من جزائه اياك على الطاعة ان رضيك لها اهلا
هذا بيان جزائهم المعجل وهو انه عرفهم من عظمته
وجلاله وكبريائه ما استحقروا معه انفسهم ان يكونوا
اهلا لان يكلفهم القيام بطاعته ويمدهم فيها بتيسيره
ومعونته فسباهم حينئذ حبه واستولى عليهم قربه
فانخنست اذ ذاك نفوسهم واضمحل وجودهم وذهب بهم
الحيا كل مذهب وهذا هو غاية الجزا ونهاية العطا عند
العلماء العارفين الذين يمنعهم وجدانه عن التطلع الى
غيره من الحظوظ الاجلة كفى العاملين جزاء ما هو فاتحه
على قلوبهم في طاعته وما هو موردة عليهم من وجود مؤانسته
هذا بيان اخر لما يكرمهم به من الجزاء المعجل وهو ان
العاملين لربهم يفتح لهم من المعارف ويورد على
قلوبهم من انواع اللطايف ما يتنسمون منه روح الانس
ويتنعمون به في حضرة القدس وهذا من علامات وجود
الرضوان الاكبر الذي يتلاشا دونه كل جزاء ويستحقر

كان

كان بعضهم يقول التملق للحبيب والمناجاة للقريب في الدنيا
ليس من الدنيا هو من الجنة ظهر لاهل الله تعالى في
الدنيا لا يعرفه الاهم ولا يجد سواهم روحا لقلوبهم
وقال بعض العلماء ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم
اهل الجنة الا ما يجده اهل التملق في قلوبهم بالليل
من حلاوة المناجاة وقال احمد بن ابي الحواري رضي
الله عنه دخلت على ابي سليمان الداراني رضي الله عنه
يوما وهو يبكي فقلت له وما يبكيك فقال يا احمد ولم لا ابكي
انه اذا جن الليل ونامت العيون وخلا كل حبيب بحبيبه وافترش
اهل المحبة اقدامهم وجرت دموعهم على خدودهم وتقطرت
في محاريبهم اشرف الجليل سبحانه فنادى يا جبريل بعيني
من يتلذذ بكلامي ويستروح الى ذكري واني لمطلع عليهم
في خلواتهم اسمع انينهم وارى بكاهم فلم لا تنادي فيهم يا جبريل
ما هذا البكا هل رايتم حبيبا يعذب احباوه ام كيف يجمل
بي ان اخذ قوما اذا جنهم الليل تملقوا لي فبي حلفت اذا
وردوا علي القيمة لاكشفن عن وجهي الكريم حتى ينظروا
الي وانظر اليهم من عبده لشي يرجوه منه او ليدفع
بطاعته ورود العقوبة عنه فما قام بحق اوصافه
عمل العاملين لحصول الجزاء او فرارا من عقوبة المولى
مدخول معلول ليس من شان العارفين والمحققين لان قيام
العبد بحق اوصاف مولاه يقتضي ان لا يعمل لاجل حظه
من جلب ثواب او دفع عقاب لانه عبد يستحق عليه مولاه
كل شي ولا يستحق هو عليه شيا وهذا من اعلام المحبة
لله تعالى لان المحب مجتمع الهم بامر محبوبه لا مراد له الا
ما اراد فعلى العبد ان يعمل لربه عز وجل لاجل جلاله

وعظمته وما هو عليه من محامد صفاته التي لا يشاركه فيها
فان خالف هذا وعمل على طلب حظه لم يقم بحق صفات مولاه
وكان ذلك نتيجة جهله وغفلته وعدم حيائه لربه وموفقه
قال سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه
ما طلعت شمس ولا غربت على احد على وجه الارض الا وهم
جهال بالله عز وجل الا من يؤثر الله تعالى على نفسه
وروحه ودنياه واخرته وفي اخبار داود عليه الصلاة
والسلام ان الله تعالى اوحى اليه ان اود الاوداء
الي من عبدني لغير نوال لكن ليعطي الربوبية حقها
وفيما نقل وهب بن منبه من الزبور ومن اظلم ممن عبدني
لجنة او لنار لو لم اخلق جنة ولا نارا لم اكن اهلا لان
اطاع او كما قال عز وجل وفي اخبار عيسى عليه السلام اذا
رايت التقي مشغوفا في طلب الرب فقد الهاه ذلك عما سواه
ومر عيسى عليه الصلاة والسلام على طايفة من العباد قد
احترقوا من العبادة كانهم الشنان فقال ما انتم فقالوا نحن
عباد فقال ولاي شي تعبدتم قالوا خوفنا الله عز وجل من
نار فخفنا منها قال حق على الله ان يومنكم ما خفتم عنه
ثم جاوزهم فمر باخرين اشد عبادة منهم فقال لاي
شي تعبدتم فقالوا شوقنا الله تعالى الى الجنان وما اعد فيها لاوليائه
فنحن نرجوها فقال حق على الله عز وجل ان يعطيكم ما رجوتموه
ثم جاوزهم ومر باخرين يتعبدون فقال ما انتم قالوا نحن المحبون
لله عز وجل لم نعبده خوفا من نار ولا شوقا الى جنته
ولكن حبا له وتعظيما لجلاله قال انتم اولياء الله حقا
معكم امرت ان اقيم فاقام بين اظهرهم وفي لفظ اخر انه قال
للاولين مخلوقا خفتم ومخلوقا احببتم وقال للاخرين انتم المقربون

قال

قال الشيخ ابو طالب المكي رضي الله عنه وممن روى عنه هذا
القول واقيم في هذا المقام جماعة من التابعين باحسان منهم
ابو حازم المدني كان يقول اني لاستحي من ربي ان اعبده
خوفا من العذاب فاكون مثل عبد السوء ان لم يخف
لم يعمل واستحيي ان اعبده لاجل الثواب فاكون كالاجير
السوء ان لم يعط اجر عمله لم يعمل ولكن اعبده محبة
له قال الشيخ ابو طالب المكي رضي الله عنه وقد
روينا معنى هذا الكلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يكونن احدكم كالعبد السوء ان خاف عمل ولا كالاجير
السوء ان لم يعط الاجرة لم يعمل وقال بعض اخوان
معروف رضي الله عنه له اخبرني عنك يا با محفوظ
اي شي اهاجك على العبادة والانقطاع عن الخلق
فسكت فقلت ذكر الموت فقال واي شي ذكر الموت فقلت
فذكر القبر قال واي شي ذكر القبر قلت خوف النار
ورجاء الجنة قال واي شي هذا ان إن مليكا هذا كله بيده
ان احببته انساك جميع هذا وان كان بينك وبينه
معرفة كفاك جميع هذا قال ابو طالب وحدثونا
عن علي بن الموفق قال رايت في النوم كاني ادخلت الجنة فرايت
رجلا قاعدا على مايدة وملكان عن يمينه وشماله يلقمانه
من جميع الطيبات وهو ياكل ورايت رجلا قايما على
باب الجنة يتصفح وجوه قوم فيدخل بعضهم الجنة ويرد
اخرين قال ثم جاوزتهما الى حظيرة القدس فرايت
في سرادق العرش رجلا قد شخص ببصره ينظر الى الله
تعالى لا يطرف فقلت لرضوان من هذا قال معروف الكرخي
عبد الله لا خوفا من نار ولا شوقا الى جنته بل حبا له فقد

اباحه النظر اليه الى يوم القيمه وذكران الاخرين بشر بن الحارث
واحمد بن حنبل رضي الله عنهما وقال ابو طالب روينا
عن رابعه العدويه وكانت احدي المحبين وكان الثوري
يجلس بين يديها فيقول علمينا مما افادك من طرايق الحكمة
وكانت تقول له نعم الرجل انت لولا انك تحب الدنيا
وكان يعترف لها ويسلم قولها وكان عابها هذا الا انه ا
كان يوثر كتب الحديث والاقبال على الناس وهي ابواب
الدنيا وقال لها الثوري يوما لكل عبد شريطه و
لكل ايمان حقيقه فما حقيقة ايمانك فقالت ما عبدت
الله خوفا من النار فاكون كالعبد السوء اذا خاف عمل
ولا حبا للجنة فاكون كالاجير السوء ان اعطى عمل ولكن
عبدته حبا له وشوقا اليه والاثار والحكايات في
هذا المعنى كثيرة لا تحصر فاذا عمل المريد على ما
ذكرناه كان عبد الله حقا فان طلب منه الثواب او
استعاذ به من العقاب فانما يطلبه او يستعيذ انجازا
لموعد ربه وفرارا من دعوى رويته حظه واتباعا
لما احب منه واذن له فيه من طلبه لفضله وكرمه
وامتنانه وهذا وما اشبهه هو المعنى بالحديث
المروي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل ما تقول في
الصلاة قال التشهد ثم اقول اللهم اني اسالك الجنة
واعوذ بك من النار اما والله ما احسن دندنتك
ولا دندنة معاذ فقال حولها ندندن لا ان يكون
رجاوه لحصول ذلك وخوفه من فقده باعثا له على
القيام بطاعته وملازمة عبادته فيكون عمله اذ ذاك

مدخولا

مدخولا معلولا هذا هو مذهب العارفين والمحققين
وعليه تنبني قواعد التصوف كلها متى طلبت عوضا عن
عمل طولبت بوجود الصدق فيه ويكفي المريب وجدان السلامة
تقدم ان العمل لحصول الجزاء مدخول معلول وحكينا
هنالك من الاثار والحكايات عن العارفين وارباب
القلوب ما فيه مقنع وقد ذكر المولف رحمه الله هذا
المعنى في مواضع متفرقة من هذا الكتاب وما ذكره
ههنا تقبيح لحال طالب الجزاء على العمل ومعنى ما
ذكره ان العمل على هذا الوجه معرض للبطلان لانه
اذا طالب ربه بالجزاء على عمله طالبه ربه بوجود
الصدق فيه والصدق الوفا بحقه في العمل واني
له توفية ذلك مع كونه طالبا للحظ من ربه فهو لا محالة
مريب فيكفيه وجدان السلامة من غير مزيد عليها
قال الواسطي رضي الله عنه العبادات الى طلب
العفو عنها اقرب منها الى طلب الاعواض عليها وقريب
من هذا ما قاله النصراباذي رضي الله عنه العبادات
الى طلب الصفح والعفو عن تقصيرها اقرب منها الى
طلب الاعواض والجزاء عليها وقال خير النساج رضي الله
عنه ميراث اعمالك ما يليق بافعالك فاطلب ميراث
فضله فانه اتم واحسن قال الله تعالى قل بفضل الله
وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون لا تطلب
عوضا عن عمل لست له فاعلا يكفي من الجزاء لك
على العمل ان كان له قابلا المنفرد بخلق اعمال العباد واختراعها
هو الله عز وجل فكيف يطلب العبد الجزاء على عمل
لا مدخل له فيه على الحقيقة ومعنى كون القبول جزاء قد تقدم

انت الى حلمه اذا اطعته احوج منك الى حلمه اذا عصيته
شرف العبد ورفعة قدره انما يكون بنظره الى ربه عز
وجل واقباله عليه وسكونه اليه واعتماده عليه ودناءته
وخسته وسقوطه من عين الله تعالى انما يكون بنظره الى نفسه
واقباله على غيره واستناده الى سواه فالعبد عند عمله بالطاعة
متعرض لهذه الاخطار من نظره لنفسه واستعظام عمله وعجبه
بطاعته وسكونه الى معاملته وليته يسلم فيه من دقايق
الريا والتصنع بخلاف المعصية في جميع هذه الاشيا فانها
تحمله على الحذر والخوف من ربه وتوجب له الاستكانة والخضوع
وشدة الافتقار اليه فلذلك كان العبد الى حلم الله تعالى
اذا اطاعه احوج منه الى حلمه اذا عصاه وفي الخبر
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اوحى الله تعالى الى
نبي من الانبيا قل لعبادي الصديقين لا يغتروا فاني ان
اقم عليهم عدلي وقسطي اعذبهم غير ظالم لهم وقل
لعبادي الخاطيين لا تياسوا من رحمتي فاني لا يكبر على ذنب
اغفره ولهذا المعنى قال ابو يزيد رضي الله عنه توبة
المعصية واحدة وتوبة الطاعة الف توبة ربما دخل
الريا عليك حيث لا ينظر الخلق اليك يا العبد في العمل حيث
يكون بمرا من الناس ظاهر لا يحتاج الى امارة عليه وريا
بعمله حيث لا يراه احد امر خفي لا يعرف الا بالامارات
والعلامات بل هو اخفى من دبيب النمل ومن اماراته ان
يلتمس بقلبه توقير الناس له وتعظيمه وتقديمه في المحافل
والمجالس ومسارعتهم الى قضاء حوايجه واذا قصر احد
في حقه الذي يستحقه عند نفسه استبعد ذلك واستنكره
ويجد تفرقة بين اكرامه واكرام غيره واهانته واهانة

سواه حتى ربما يظهر بعض ضعفاء العقول ذلك على السنتهم
فيتوعدون من قصر في حقهم بمعاجلة الله تعالى بالعقوبة
وان الله تعالى لا يدعهم حتى ينتصر لهم به ويأخذ بثارهم
فاذا وجد العبد هذه الامارات في نفسه فليعلم انه
مراء بعمله وان اخفاه عن اعين الناس وقد
روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال ان
الله تعالى يقول للقراء يوم القيمة الم تكونوا يرخص
عليكم السعر الم تكونوا تبادرون بالسلام الم تكونوا
تقضى لكم الحوايج وفي الحديث لا اجر لكم قد استوفيتم
اجوركم وقال عبد الله بن المبارك روى وهب بن
منبه رضي الله عنه ان رجلا من العباد قال لاصحابه
انا فارقنا الاموال والاولاد مخافة الطغيان فنخاف
ان يكون قد دخل علينا في امرنا هذا من الطغيان اكثر
مما دخل على اهل الاموال في اموالهم ان احدنا اذا
لقي احب ان يعظم لمكان دينه وان سال حاجة احب
ان تقضى له لمكان دينه وان اشترى شيا احب
ان يرخص عليه لمكان دينه فبلغ ذلك ملكهم فركب
في موكبه من الناس فاذا السهل والجبل قد امتلا
من الناس فقال السايح ما هذا قيل له الملك قد
اظلك فقال للغلام ايتني بطعام فاتاه ببقل وزيت
وقلوب الشجر فاقبل فجعل يحشو شدقه وياكل اكلا
عنيفا فقال الملك اين صاحبكم قالوا هذا قال كيف
انت قال كالناس وفي حديث اخر بخير فقال
الملك ما عند هذا من خير فانصرف عنه فقال السايح
الحمد لله الذي صرفك عني وانت لي ذام ومن هذا

النوع من الريا خاف الكبار وعدوا انفسهم بسببه
من الاشرار كما روي عن الفضيل رضي الله عنه
انه قال من اراد ان ينظر الى مراء فلينظر الي وسمع
مالك ابن دينار امراة وهي تقول له يا مرائي فقال يا هذه
وجدت اسمي الذي اضله اهل البصرة ودخل
رجل على داود الطائي رضي الله عنه فقال له ما
حاجتك فقال زيارتك فقال اما انت فقد عملت خيرا
حين زرت ولكن انظر ماذا ينزل بي انا اذا قيل لي
من انت فتزار من الزهاد انت لا والله امن العباد
انت لا والله امن الصالحين انت لا والله ثم اقبل يوبخ
نفسه ويقول كنت في الشبيبة فاسقا فلما كبرت صرت
مرائيا والله للمرائي اشد من الفاسق الى غير ذلك
مما يروى عنهم في هذا المعنى ولا يسلم من الريا الجلي
والخفي الا العارفون الموحدون لان الله تعالى طهرهم
من دقايق الشرك وغيب عن نظرهم رؤية الخلق
بما اشرق على قلوبهم من انوار اليقين والمعرفة فلم يرجوا
منهم حصول منفعة ولم يخافوا من قبلهم وجود
مضرة فاعمال هولاء خالصة وان عملوها بين اظهر
الناس وبمراء منهم ومن لم يحظ بهذا ويشاهد
الخلق ويتوقع منهم حصول المنافع ودفع المضار فهو
مراء بعمله وان عبد الله تعالى في قلة جبل حيث
لا يراه احد ولا يسمع به وسياتي عند قوله ادفن
وجودك في ارض الخمول في باب العزلة والخمول من قول
يوسف بن الحسين الرازي رضي الله عنه اعز شيء
في الدنيا الاخلاص وكم اجتهد في اسقاط الريا عن قلبي

فكانه

فكانه ينبت فيه على لون اخر استشرافك ان يعلم الخلق
بخصوصيتك دليل على عدم صدقك في عبوديتك الخصوصية ههنا ما
اختص الحق تعالى به بعض عباده من علم نافع او
عمل صالح وصدق العبودية فيه ان يقنع بعلم الله تعالى
بحاله ولا يتطلع ان يعلم بذلك احد من الخلق فيشغله
حينيذ الحيا من ربه والشكر له عن الاستشراف الى معرفة
الخلق بذلك ويغار على حاله من روية الاغيار له
ولهذا فضل عمل السر على العلانية بسبعين ضعفا
كما ورد في الخبر عن نبينا صلى الله عليه وسلم وقال
عيسى عليه السلام اذا كان يوم صوم احدكم فليدهن راسه
وليمسح شفتيه فاذا خرج الى الناس راوا انه لم يصم واذا
اعطى احدكم فليعط بيمينه وليخفها عن شماله واذا
صلى احدكم فليدل عليه ستر بابه فان الله تعالى يقسم
الثنا كما يقسم الرزق وقد سيل حكيم من الحكما عن
علامة الصادق فقال كتمان الطاعة وقال احمد
ابن ابي الحواري رضي الله عنه من احب ان يعرف بشي
من الخير ويذكر فقد اشرك في عبادته لان من عبد
على المحبة لا يحب ان يرى خدمته سوى مخدومه وقال
الشيخ ابو عبد الله القرشي رضي الله عنه كل من لم يقنع
في افعاله واقواله بسمع الله ونظره دخل عليه الريا لا
محالة وقال بعضهم ما اخلص احد قط الا احب ان
يكون في جب لا يعرف وقال سهل بن عبد الله التستري
رضي الله عنه من احب ان يطلع الخلق على ما بينه وبين الله
وقال ابو الخير الاقطع رضي الله عنه من احب ان يطلع
الناس على عمله فهو مرائي ومن احب ان يطلع الناس على حاله

فهو غافل

فهو كذاب وقال بعضهم لمن استوصاه لا تحب ان تعرف
ولا تحب ان تعرف انك ممن لا يحب ان يعرف فعلى العبد
اخفاء حاله جهده وان يبلغ في كتمانه اقصى ما عنده قال
الحسن رضي الله عنه ادركنا اقواما ما من احد منهم
ان يستطيع ان يسر شيا من عمله الا اسره وكان
الرجل ليجلس مع القوم وانه لفقيه وما يعلم به حتى يقوم
ولقد ادركت اقواما ياتي احدهم الزور فيصلي
وما يشعر به الزور ولقد ادركت اقواما وما من عمل
يقدرون ان يعملوه لله تعالى سرا فيكون علانيه ابدا ولقد
ادركت اقواما يجمع احدهم القران وما يعلم به جاره ولقد
ادركت اقواما يجتهدون في الدعا وما يسمعهم احد وقال
محمد بن واسع رضي الله عنه ادركت رجالا كان الرجل يكون
راسه مع راس امراته على وسادة واحدة قد بل ما تحت
خده من دموعه لا تشعر به امراته ولقد ادركت رجالا
يقوم احدهم في الصف فتسيل دموعه على خده ولا يشعر
به الذي على جنبه وفي رواية عنه ان كان الرجل يبكي
عشرين سنة وامراته معه لا تعلم فان وقع منه اعلان
واظهار في وقت ما فليشتغل حينيذ بمراقبة قلبه وصونه
عن ان يعمل فيه الفرح باطلاع الناس على حاله ولينكر
ذلك على نفسه وليكرهه ولا يرضاه منها وليجاهد
نفسه في ذلك اشد المجاهدة فان خالف هنا واستشرف
الى معرفة غير الله بحاله وغفل عن مجاهدة نفسه
في حال ظهور ذلك منه ولو في لحظة خيف عليه ان
يعمل الفرح في قلبه فيقع عند ذلك في الفتنة فان كان
ضعيف الارادة لم يسلم من الوقوع في الرياء الجلي والخفي

فان

فان سببه قد استتب له وان كان قوي الارادة وسالك
سبيل المعرفه لم يسلم من السكون او الركون فيفقد
حينيذ الغيرة على الحال وينحط بذلك عن ذروة الكمال
ولهذا كان اسقاط المنزلة عند الناس من ضروريات
سالكي هذه الطريقة كما سياتي عند قوله ادفن وجودك
في ارض الخمول فان تحقق العبد في المعرفة وشاهد
الوحدانية الصرفة جاز له الاخبار باعماله والاظهار
لمحاسن احواله بناء منه على نفي الغير واداء الواجب حق
الشكر كان بعض السلف يصبح فيقول صليت البارحة
كذا وكذا ركعة وتلوت كذا وكذا سورة فيقال له اما تخشى
من الريا فيقول وهل رايتم من يرائي بفعل غيره وكان
اخر يفعل مثل ذلك فيقال له لم لا تكتم ذلك فيقول الم
يقل الله عز وجل واما بنعمة ربك فحدث وانتم تقولون لا تحدث
فان قصد من هذا حاله الى هداية عباد الله ودعايهم
الى الله باظهار احواله واعماله للاقتداء به والاهتدا
بهديه فهو خارج عن النمط الاول وداخل في حكم
هذا المنزع الثاني وعلانية هذا افضل من سره
لانه سلم من الافات التي تعرض لها غيره وحصلت منه الفوايد
التي تضمنها اظهاره وجهره وقد جاء في الخبر السر
افضل من العلانيه والعلانيه افضل لمن اراد الاقتداء
وهذا ارجح الوجوه عند العلماء في قوله صلى الله عليه وسلم
للرجل الذي سالة عن فرحه باطلاع الناس على بعض اعماله
لك اجران اجر السر واجر العلانيه وقد فعل ما ذكرناه
من الاظهار جماعة من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم
اجمعين منعنا من ذكر وقايعهم خشية الاطالة وكان ذلك

منهم لاجل هذا الغرض ومقامهم هذا العبد مقام النصايح
لعباد الله والدعاة لهم الى الله تعالى فلا جرم كان له الدرجات
العلى عند الله عز وجل لانه من ايمة المتقين لله وقد اخبر
الله عز وجل بجزايهم وذكره عقب دعايهم بذلك فقال
عز من قايل اوليك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها
تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما فصل
في لطايف المنن اعلم ان مبنى الولي على الاكتفاء بالله و
القناعة بعلمه والاغتناء بشهوده قال الله عز وجل
ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال تعالى اليس الله
بكاف عبده وقال سبحانه الم يعلم بان الله يرى وقال
تعالى اولم يكف بربك انه على كل شي شهيد فمبنى امرهم
رضي الله عنهم في بدايتهم على الفرار من الخلق والانفراد
بالملك الحق واخفا الاحوال وكتم الاعمال تحقيقا لفنايهم
وتثبيتا لزهدهم وعملا على سلامة قلوبهم وحبا في اخلاص
اعمالهم لسيدهم حتى اذا تمكن اليقين وايدوا بالرسوخ
والتمكين وتحققوا بحقيقة الفناء وردوا الى وجود
البقا فهناك ان شاء الحق اظهرهم وان شاء سترهم
فقطعهم عن كل شي اليه وظهور الولي ليس بارادته
لنفسه لكن بارادة الله تعالى ان كان له مطلب الخفا
لا الجلا كما قدمنا فلما لم يكن الظهور مطلبهم واراد الله
سبحانه وتعالى اظهارهم فاظهرهم تولاهم في ذلك
بتاييده وواردات مزيده لقوله صلى الله عليه وسلم لعبد
الرحمن بن سمرة لا تطلب الامارة فانك ان اعطيتها
عن غير مسالة وكلت اليها ومن تحقق منهم بالعبودية
لله تعالى ولم يطلب ظهورا ولا خفاء بل ارادته وقف على

اعنت عليها وان
اعطيتها عن مسالة صح

اختيار

اختيار سيده له وقال الشيخ ابو العباس رضي الله
عنه من احب الظهور فهو عبد الظهور ومن احب الخفا
فهو عبد الخفا ومن كان عبد الله فسواء عليه اظهره او
اخفاه انتهى غيب نظر الخلق اليك بنظر الله اليك وغب
عن اقبالهم عليك بشهود اقباله عليك هذا المعنى هو
حقيقة صدق عبودية العبد الذي اشار اليه في المسالة
التي قبل هذه وهو ان لا يكون له شعور بما من الخلق
اليه من نظر او اقبال ولا تشوف اليه ولا طلب له وانما
يكون شعوره وتشوفه وطلبه ما من الله تعالى اليه من
نظره اليه واقباله عليه فيغيب ادنى الحالين باعلاهما
وذلك بان يعلم ان ما من الخلق اليه امر وهمي باطل
ينقاد اليه كل ذي عقل قاصر يوجب له هذا الانقياد
انواعا من الكباير والرذايل من الانحطاط في اهواء الناس
وتحسين مواقع نظرهم منه بالتصنع والتزين لهم وتربية
الجاه والحشمة لديهم تكبرا وتعظما عليهم ومعاشرتهم
بالنفاق والدهان وتخالف الاسرار والاعلان وهذا
عذاب اليم استعجله في دنياه اذ يفوته بذلك راحة قلبه
وطيب عيشه ويسلبه ثوب الغنا والعزة ويلبسه لباس
الطمع والذلة فتردى بذلك همته ويقل قيمته ولعذاب
الاخرة اكبر قال الشاعر

من راقب الناس مات غما ۞ وفاز بالراحة الجسور

وراى سهل بن عبد الله رضي الله عنه رجلا من الفقرا بمكة
فقال له شيا فقال يا استاذ لا اقدر على هذا من اجل الناس
فالتفت سهل الى اصحابه وقال لا ينال العبد حقيقة من هذا
الامر حتى يكون باحد وصفين حتى يسقط الناس من عينيه

فلا يرى في الدار الا هو وخالقه فان احدا لا يقدر ان يضره
ولا ينفعه او يسقط نفسه عن قلبه فلا يبالي باي حال
يرونه انتهى ثم من له بحصول ما اراده منهم واغراضهم
مختلفة وطباعهم متباينة وربما استحسن من نفسه شيا
لم يستحسنه غيره وربما ارضى شخصا بما لا يرضى اخر فهو
يعمل بزعمه فيما ينفعه عند الناس وهو ساع فيما يضره
عندهم وعند الله تعالى مع مقاساة التعب والنصب
في نفسه وفي الحكاية المذكورة عن لقمان وابنه تنبيه
على هذا المعنى ذكر ان لقمان دخل ذات يوم السوق
وهو راكب حمارا وابنه يسوقه فقال الناس حين راوه
شيخ لم يشفق على صبي فاركبه خلفه فقالوا اثنان على
حمار هلا زاد ثالثا فنزل لقمن وبقي الولد فقالوا شيخ
ماشي وصبي راكب فنزل الولد يمشي مع والده وساقا
جميعا الحمار فقالوا حمار فارغ وهذان يسوقانه
وكان غرض لقمان بهذا ان يرى ابنه شان الناس
مع من يراعي نظرهم وانه لا يسلم منهم على اي حالة يكون
فرضى الناس غاية لا تدرك واحمق الناس من طلب
ما لا يدرك فهذا حال من انقاد الى الاوهام من
ضعفاء العقول وسخفاء الاحلام واما من كان له عقل
وافر وعلم فاخر وجزيل عطاء وعظيم نوال فهو يعمل
فيما يؤديه الى هذه المطالب من غير اكتراث بذم ذام
او عيب عايب ويقول بلسان حاله ان الذي تكرهونه
مني ذلك الذي يشتهيه قلبي ويقول ايضا ما قال
محمد بن اسلم رضي الله عنه ما لي ولهذا الخلق كنت في صلب
ابي وحدي فادخل في قبري وحدي ثم ياتيني منكر ونكير

يسالاني

يسالاني وحدي فان صرت الى خير صرت وحدي وان
صرت الى شر كنت وحدي واوقف بين يدي الله وحدي
ثم يوضع ذنوبي وعملي في الميزان وحدي فان بعثت الى
الجنة بعثت وحدي وان بعثت الى النار بعثت وحدي
فما لي وللناس وقد سيل حارث بن اسد المحاسبي
رضي الله عنه عن علامة الصادق فقال الصادق هو
الذي لا يبالي لو خرج كل قدر له من قلوب الخلق من
اجل صلاح قلبه ولا يحب ان يطلع الناس على مثاقيل
الذر من حسن عمله ولا يكره ان يطلع الناس على السي
من عمله فان كراهته لذلك تدل على انه يحب الزيادة
عندهم وليس هذا من اخلاق الصادقين كما لا يحب
العمل المشترك كذلك لا يحب القلب المشترك العمل
المشترك لا يقبله والقلب المشترك لا يقبل عليه العمل المشترك
هو المشوب بالريا والتصنع والقلب المشترك هو الذي فيه
محبة غير الله تعالى والسكون اليه والاعتماد عليه فالعمل
المشترك معتل بنظر صاحبه الى الناس والقلب المشترك
معتل بنظر صاحبه الى نفسه فالعمل المشترك لا يحبه ولا يقبله
ولا يثيب عليه لفقده من الاخلاص منه والقلب المشترك
لا يحبه ولا يقبل عليه ولا يرضى به لعدم وجود الصدق
فيه فمن صح اعماله بالاخلاص واحواله بالصدق كان محبوبا
لله تعالى مثابا مرضيا عنه والا فلا ما احببت شيا الا
كنت له عبدا وهو لا يحب ان تكون لغيره عبدا المحبة للشي
تقتضي الانقياد اليه وشدة العلاقة به وان لا يبتغي
به بدلا كما قيل حبك للشي يعمي ويصم وذلك معنى استعباده
للمحب له فمن احب غير الله عز وجل استعبده ذلك الغير

كانيا ما كان والله عز وجل لا يحب ان تكون لغيره عبدا ولا
يرضى بذلك وقد قيل تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم
والخميصة والقطيفة والزوجة قال محمد بن السماك رحمه
الله تعالى كتب الي اخ ان استطعت ان لا تكون لغير الله عبدا
ما وجدت من العبودية بدا فافعل وقال الجنيد رضي الله
عنه انك لن تكون على الحقيقة له عبدا وشي مما دونه لك مسترقا
وانك لن تصل الى صريح الحرية وعليك من حقيقة عبوديتك
بقية وسئل عمن لم يبق عليه من الدنيا الا مقدار
مص نواه فقال المكاتب عبد ما بقي عليه درهم
ومن الحكايات في هذا المعنى ما ذكر عن ابي عبد
الله الرازي نزيل نيسابور رضي الله عنه قال
كساني ابن الانباري صوفا ورايت على راس الشبلي
رضي الله عنه قلنسوة ظريفة تليق بذلك الصوف
فتمنيت في نفسي ان يكونا جميعا لي فلما قام الشبلي رضي
الله عنه من مجلسه التفت الي فتبعته وكان عادته
اذا اراد ان اتبعه ان يلتفت الي فلما دخل داره
دخلت فقال انزع الصوف فنزعته فلففته وطرح القلنسوة
عليه ودعا بنار فاحرقهما ومثل هذا ما كان ينكره
عليه من لم يعرف مقصوده وفي ذلك شي كثير ورد
عنه ليس المحب الذي يرجو من محبوبه عوضا او يطلب
منه عرضا فان المحب من يبذل ليس المحب من يبذل له
المحبة تقتضي من المحب بذل كلياته وجزئياته في مرضات
محبوبه من غير طلب ينال له منه فهذا ما يلزم وجود المحبة كما قيل
ان المحب اذا احب حبيبه ۰ تلقاه يبذل فيه ما لا يبذل
بل يرى ما فعل من ذلك غاية الحظ وموافقة رضا محبوبه

نهاية

نهاية السعادة والبخت كما قال ابو حفص عمر بن الفارض
رحمه الله وغفر لنا وله ولجميع المسلمين
ما لي سوى روحي وباذل نفسه ۰ في حب من يهواه ليس بمسرف
فلئن رضيت بها فقد اسعفتني ۰ يا خيبة المسعى اذا لم تسعف
ولذلك قيل المحبة الايثار وهو ان لا يدع لمحبوبه ميسورا
الا بذله ولا ممكنا الا استعمله ولا يبقي لنفسه ولحظه
نفيسا ولا سنيا ولا يستثني ما بذ له سمسمه وانشدوا
لئن بقيت في العين مني نظرة ۰ فاني اذا في العاشقين دخيل
وقال ابو عبد الله القرشي رضي الله عنه حقيقة المحبة ان تهب
كلك لمن احببت حتى لا يبقى لك منك شي وقال ابو يعقوب
السوسي رضي الله عنه حقيقة المحبة ان ينسى العبد حظه من
الله وينسى حوايجه اليه وقيل لبعض المحبين المحبوبين
وكان قد بلغ المجهود في بذل ماله ونفسه حتى لم يبق منه بقية
ما كان سبب حالك هذه في المحبة فقال كلمة سمعتها من خلق
لخلق عملت في هذا البلاء فقيل وما هي قال سمعت محبا خلا
بمحبوبه وهو يقول له انا والله احبك بقلبي كله وانت تعرض
عني بوجهك كله فقال له المحبوب ان كنت تحبني فاي شي تنفق
علي فقال يا سيدي املكك ما املك ثم انفق عليك روحي
حتى اهلك فقلت هذا خلق لخلق وعبد لعبد فكيف بخلق
لخالق وعبد لمعبود فكان هذا سببه وهذا الذي ذكرناه
من لوازم المحبة الحقيقية واما رجاء العوض وطلب العرض
فهو حال من مقامات الرجاء وليس من مقام المحبة المخصوصة
في شي وقد قال الشاعر
من لم يكن بك فانيا عن حظه ۰ وعن الهوى والانس بالاحباب
فلانه بين المراتب واقف ۰ لمنال حظ او لحسن مآب

وقال اخر

وما انا بالباغي على الحب رشوة ... ضعيف هوى يرجى عليه ثواب

وقال محمد بن رويم رضي الله عنه من احب العوض بغض العوض اليه محبوبه وقيل اوحى الله عز وجل الى عيسى عليه السلام اني اذا اطلعت على قلب عبد فلم اجد فيه حب الدنيا والاخرة ملاته بحبي وقال بعض المحبين كوشفت باربعين حوراء رايتهن يتساعين في الهوى عليهن ثياب من فضة وذهب وجوهر يتخشخش وتثنى معهن فنظرت اليهن نظرة فعوقبت اربعين يوما ثم كوشفت بعد ذلك بثمانين حورا فوقهن في الحسن والجمال فقيل لي انظر اليهن فسجدت وغمضت عيني في سجودي لئلا انظر اليهن وقلت اعوذ بك مما سواك لا حاجة لي بهن فلم ازل اتضرع الى الله عز وجل حتى صرفهن عني وذكر الشيخ الحافظ ابو نعيم رضي الله عنه قال لي مبشر الخادم غزونا بعض الغزوات فاذا فتى الى جانبي واذا هو مقنع في الحديد يحمل على الميمنة حتى ثناها ثم حمل على الميسرة حتى ثناها ثم حمل على القلب حتى ثناها ثم انشا يقول

احسن بمولاك سعيد ظنا ... هذا الذي كنت له تمنا
تنح يا حور الجنان عنا ... ما لك قاتلنا ولا قتلنا
لكن الى سيدكن اشتقنا ... قد علم السر وما اعلنا

قال فحمل فقاتل فقتل منهم عددا ثم رجع الى مصافه فتكالب عليه العدو فحمل في الناس وهو يقول

قد كان رجاؤ ورجائي لم يخب ... ان لا يضيع اليوم كدي والطلب
يا من ملا تلك القصور باللعب ... لولاك ما طبت وما طاب الطرب

فحمل

فحمل فقاتل فقتل منهم عددا ثم رجع الى مصافه فتكالب عليه العدو وحمل الثالثة وهو يقول

يا لعبة الخلد قفي ثم اسمعي ... ما لك قاتلنا فكفي وارجعي
ثم ارجعي الى الجنان واسرعي ... لا تطمعي لا تطمعي لا تطمعي

ثم حمل فقاتل حتى قتل رحمه الله ونفع به ولاجل ما ذكرنا من اقتضاء مقام المحبة كلية البذل من المحب لزوم وقوع الابتلا والمطالبات به حتى تحصل له توفية حقوق هذا المقام على التمام ولهذا قال بعضهم اول ما يقول الله عز وجل للعبد اطلب العافية والجنة والاعمال وغير ذلك فان قال لا ما اريد الا انت قال له من دخل معي في هذا انما يدخل باسقاط الحظوظ ودفع الحدوث واثبات القدم وذلك يوجب لك العدم وقال بعض العلما اذا رايتك تحبه ورايته يبتليك فاعلم انه يريد ان يصافيك وقال بعض المريدين لاستاذه قد طولعت بشي من المحبة فقال يا بني هل ابتلاك بمحبوب سواه فآثرت عليه قال لا قال لا تطمع نفسك في المحبة فانه لا يعطيها لاحد حتى يبلوه وقال بعض علمائنا رضي الله عنهم كل اهل المقامات يرجوا ان يعفى عنهم ويسمح لهم الا من ادعى المعرفة والمحبة فانهم يطالبون بكل شعرة مطالبة وفي كل حركة وسكون ونظرة وخطرة لله ومع الله وقال ابرهيم بن ادهم رضي الله عنه وكان له مقامات في المحبة رفيعة قلت ذات يوم يا رب ان كنت اعطيت احدا من المحبين لك ما تسكن به قلوبهم قبل لقايك فاعطني ذلك فقد اضر بي القلق قال فرايت في النوم انه اوقفني بين يديه وقال يا ابرهيم اما استحييت مني ان تسالني ان اعطيك ما تسكن به قلبك قبل لقائي وهل يسكن المشتاق قبل لقا حبيبه

ام هل يستريح المحب الى غير مشوقه قال قلت يا رب تهت
في محبتك فلم ادر ما اقول فاغفر لي وعلمني ما اقول فقال قل
اللهم رضني بقضايك وصبرني على بلايك واوزعني شكر
نعمايك فللمحبين دقايق خطرات ولطايف ملاحظات يظهر
لهم الشوق في صفاء حبهم والبعد في مواطن قربهم فهم
يفرون منها ويخرجون عنها مخافة ان يسترق شي من ذلك
قلوبهم بادنى ميل او مساكنة فيوجب ذلك لهم السقوط
من مقامهم الرفيع الذي اهلهم واهلوا له ولذلك قال
سهل بن محمد بن عبد الله رضي الله عنه جنايات المحب عند
الله اشد من معصية العامة وهو ان يسكن الى غير الله
او يستانس بسواه وقيل اوحى الله عز وجل الى داود
عليه السلام يا داود اني حرمت على القلوب ان يدخلها
حبي مع حب غيري ويحكى ان الله قال لموسى عليه
الصلاة والسلام نعم العبد برخ هو لي الا ان فيه عيبا قال
يا رب ما هو قال يعجبه نسيم الاسحار فيسكن اليه فمن احبني
لم يسكن الى شي وروي ان عابدا عبد الله تعالى في
غيضة دهرا طويلا فنظر الى طاير قد عشش في شجرة ياوي
اليها ويصفر عندها فقال لو حولت مسجدي الى تلك الشجرة
فكنت انست بصوت ذلك الطاير قال ففعل فاوحى الله تعالى
الى نبي ذلك الزمان قل لفلان العابد استانست بمخلوق
لاحطنك درجة لا تنالها بشي من عملك ابدا كيف تطلب
العوض على عمل هو متصدق به عليك ام كيف تطلب الجزا على صدق
هو مهديه اليك العمل الذي يصح طلب العوض والجزاء عليه هو ما
عملته لينتفع به غيرك ولم يحصل لك بذلك منفعة ولم تندفع
عنك بسببه مضرة والاعمال الدينية المطلوبة منك ظاهرا وباطنا
تخالف

تخالف هذا كله اذ هي مسلوبة عنك منسوب الى ربك خلقها
واختراعها عايدة ثمرة ذلك ومنفعته عليك في ظاهرك وباطنك
وهو غني عنك وعنها ولذلك عبر عنها بالتصدق والاهدا
تنبيها على ان ذلك لم يكن الا لمنفعتك فطلب العوض والجزا
اذا على عمل هذه صفته في غاية القبح ولذلك صدر
المولف رضي الله عنه كلامه بكيف ليعجبك من ذلك الوصف
قال الواسطي رضي الله عنه مطالبة الاعواض على الطا
عات
من نسيان المفضل وسيل ابن عطاء رضي الله عنه عن
اقرب شي الى مقت الله فقال روية النفس وافعالها واشد
من ذلك مطالبة الاعواض على افعالها واستعمال المولف
رحمه الله لفظ الصدقة في الاعمال الظاهرة ولفظ الهدية
في الصدقة وعليه مدار الاعمال الباطنة اشعار بتباينهما
في الشرف كتباين الصدقة والهدية باب خلم
تختص بالصلاة الصلاة طهرة للقلوب من ادناس الذنوب
كما روي في الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قوله انما مثل الصلاة كمثل نهر عذب بباب احدكم
يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون يبقى من درنه واستفتاح
لباب الغيوب لان القلوب اذا طهرت وتزكت رفع عنها الحجب
والاستار فرات ما غاب عنها من الاسرار الصلاة محل المناجاة
لان فيها يكون الثنا والدعا والمناجاة مخاطبة الاسرار
عند صفاء الاذكار للملك الجبار ومعدن المصافاة وهي زوال
الاكدار الكونية بينك وبين ربك حتى يصفو قلبك وسرك
فيصفو لك حينيذ شهوده ويمحو ذاتك وجوده تتسع فيها
ميادين الاسرار حتى تتكاثر عليك في الظهور وتشرق فيها شوارق
الانوار فيكون قلبك نورا على نور وهذه العبارات الست

معانيها متقاربه ولما كانت هذه الاحوال التي ذكرها المولف
من فوايد الصلاة وان المقصود منها انما هو تحصيلها كان
ذكر المولف لها كالدليل على ما قاله من ان المامور به انما
هو اقامة الصلاة لا وجود الصلاة فان الصلاة المعتبرة
انما هي صلاة الخاشعين لا صلاة الغافلين التي لا تنتهض
لبلوغ هذه المقاصد السنية ولذلك كانت الصلاة ام
العبادات واساس الخيرات قال الله عز وجل واقم الصلاة
لذكري فاخبر ان الصلاة انما المراد منها الذكر وقد
روي معنى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
انما فرضت الصلاة وامر بالحج والطواف واشعرت المناسك لاقامة
ذكر الله تعالى ولذلك كانت قرة عين حبيب الله صلى الله عليه
وسلم على ما سياتي الكلام عليه حيث تعرض المولف له في بعض
الاخبار ان العبد اذا قام الى الصلاة رفع الله الحجب بينه وبينه
وواجهه بوجهه الكريم وقامت الملايكة من لدن منكبيه الى
الهوى يصلون بصلاته ويومنون على دعايه وان المصلي لينثر
عليه البر من اعنان السماء الى مفرق راسه ويناديه مناد
لو يعلم المناجي من يناجي ما انفتل وان ابواب السماء تفتح للمصلي
وان الله تعالى يباهي ملايكته بصفوف المصلين وفي التوراة
يا ابن ادم لا تعجز ان تقوم بين يدي مصليا باكيا فانا الله الذي
اقتربت من قلبك وبالغيب رايت نوري فكانوا يرون ان تلك الرقة
والبكا وتلك الفتوح الذي يجدها المصلي في قلبه من دنو الرب
عن القلب وعن محمد بن علي الترمذي رضي الله عنه دعى الله
تعالى الموحدين الى هذه الصلاة الخمس رحمة منه عليهم وهيا
لهم فيها الوان الضيافات لينال العبد من كل فعل وقول
شيا من عطاياه فالافعال كالاطعمة والاقوال كالاشربة وهي عرس

الموحدين

الموحدين هيا رب العالمين لاهل رحمته في كل يوم خمس مرات
حتى لا يبقى عليهم دنس ولا غبار وقال ابو طالب المكي رضي
الله عنه حدثت ان المومن اذا توضى للصلاة تباعدت عنه
الشياطين في اقطار الارض خوفا منه لانه يتاهب للدخول على
الملك فاذا كبر حجب عنه ابليس وضرب بينه وبينه سرادق
لا ينظر اليه وواجهه الجبار بوجهه الكريم فاذا قال الله
اكبر اطلع الملك على قلبه فاذا راى ليس فيه اكبر من الله فيقول
الملك صدقت الله اكبر في قلبك كما تقول قال فيتشعشع من
قلبه نور يلحق بملكوت العرش فينكشف له بذلك النور ملكوت
السموات والارض ويكتب له حشو ذلك النور حسنات
قال وان الغافل والجاهل اذا قام الى الصلاة احتوشته
الشياطين كما يحتوش الذباب على نقطة العسل فاذا كبر اطلع
الملك على قلبه فاذا كل شي في قلبه اكبر من الله تعالى عنده فقال
الملك كذبت ليس الله في قلبك كما تقول قال فيثور من قلبه
دخان يلحق بعنان السماء فيكون حجابا لقلبه عن الملكوت
قال فيرد ذلك الحجاب صلاته وتلتقم الشياطين قلبه ولا
تزال تنفخ فيه وتنفث وتوسوس اليه وتزين له وحتى ينصرف
من صلاته لا يعقل ما كان فيه ومعاني هذه الاخبار
والاثار موافقة لمعنى ما ذكره المولف رحمه الله ودالة عليه
فلذلك اوردتها هنا والله ولي المتقين برحمته علم قلة نهوض
العباد الى معاملته فاوجب عليهم وجود طاعته فساقهم
اليه بسلاسل الايجاب عجب ربك من قوم يساقون الى الجنة بالسلاسل
لما علم الله عز وجل قلة نهوض العباد الى معاملته الواجبة
عليهم من اقامة العبودية لمشاهدة الربوبية في حال طواعية
منهم اذ في ذلك قرة اعينهم وغاية بغيتهم اوجب عليهم وجود

طاعته في حال كراهية منهم لاجل ما حق فهم به ان لم يفعلوا
فساقهم بسلاسل ايجابه وتحذيره اليه واستدرجهم بذلك
الى ما فيه بغيتهم مما لا علم لهم به وفعل بهم ما يفعل بالصبي
الا لصبي تراه كيف يودب ويصرف عن استرساله على مقتضى
طبعه وجبلته ويلزم امورا شاقة عليه فيفعلها وهو كاره
لذلك والغرض انما هو حصوله على منافعه التي هو جاهل
بها فاذا كبر وعقل عرف ذلك عيانا وقد عجب ربك من
قوم يساقون الى الجنة بالسلاسل كما يفعل باسارى الكفار
حين يراد منهم الدخول في الاسلام يقادون الى الجنة بالسلا
في رقابهم وهذا حديث يروى عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم عجب ربك من اقوام يقادون الى الجنة بالسلاسل
قلت وتعبير المولف رحمه الله ورضي عنه بالسلاسل
والسوق بها استعاله ذلك في التكاليف الواجبة التي
الزم العباد القيام بها من بديع الاستعارات كما قال الشاعر
وليس كعهد الديار يا ام مالك • ولكن احاطت بالرقاب السلاسل
وكذلك تمثيله بالحديث المذكور فيه ذلك والاشارة
الى مقصوده في غاية الحسن قال بعض العلماء رضي الله
عنهم يجوز ان يكون معنى التعجب المنسوب الى الله تعالى
فيه اظهار عجب هذا الامر لخلقه لانه بديع الشان وهو ان
الجنة التي اخبر الله سبحانه بما فيها من النعيم المقيم والعيش
الدايم والخلود فيه الذي من حكم من سمع به من ذوي
العقول ان يسارع اليها ويبذل مجهوده في الوصول اليها
ويحتمل المكاره والمشاق لينالها وهولاء يمتنعون من ذلك
ويرغبون عنها ويزهدون فيها حتى يقادون اليها بالسلاسل
كما يقاد الى المكروه العظيم الذي تنفر منه الطباع وتالم منه الابدان

ويكرهه

ويكرهه النفوس وقد قرا جماعة من القرا بل عجبت
ويسخرون وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال لقد عجب الله من فلان وفلانه في حديث الانصاري
الذي قال لامراته اكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو حديث صحيح مشهور فالتعجب منسوب الى الله تعالى قد
ورد في الكتاب والسنة فهو ايضا من الصفات السمعية
اوجب عليك وجود خدمته وما اوجب عليك الا دخول جنته
هذه عبارة حسنة موافقة لما تقدم والمقصود من هذا
كله الاعلام بان الله تعالى غني عن خلقه لا ينفعه طاعتهم
ولا تضره معصيتهم وان التكاليف كلها انما اوجبها عليهم
لما يرجع اليهم من مصالحهم لا غير قلت وما ذكره المولف
رحمه الله هو حال عامة الناس الذين من شانهم التابي
وعدم الانقياد للاوامر والنواهي ولذلك احتاجوا
الى التخويف والتحذير والمولاة للحظ والمبالغة في التكثير
واما الخاصة منهم فلم يحتاجوا الى شي من ذلك لان
الله شرح صدورهم ونور بصايرهم وكتب في قلوبهم
الايمان وحبب اليهم الطاعة وبغض اليهم العصيان
فلم يقتصروا على ما اقتصر عليه المذكورون من فعل
الواجبات واجتناب المحظورات فقط بل اضافوا الى
ذلك المبادرة الى اعمال الطاعات والمسارعة الى نوافل
الخيرات وبالجملة صارت اعمالهم قربات وذلك لتمام
حريتهم وصحة عبوديتهم نعم العبد صهيب لو لم يخف
الله لم يعصه قال في التنوير وانما جعل الله سبحانه الايجاب
على العباد علما منه بما هم عليه من وجود الضعف
وبما نفوسهم متصفة به من وجود الكسل فاوجب عليهم

ما اوجب لانه لو خيرهم فيما اوجب عليهم لم يكونوا به قائمين
الا قليل وقليل ما هم فاوجب عليهم وجود طاعته وفي
التحقيق ما اوجب عليهم الا دخول جنته فساقهم الى
الجنة بسلاسل الايجاب عجب ربك من قوم يساقون الى
الجنة بالسلاسل فصل واعلم رحمك الله انا تلمحنا
الواجبات فراينا الحق سبحانه جعل في كل ما اوجبه تطوعا
من جنسه في اي الانواع كان ليكون ذلك التطوع من
ذلك الجنس جابرا لما عساه ان يقع من الخلل في قيام
العبد بالواجبات وكذلك جاء في الحديث انه ينظر في مفروض
صلاة العبد فان نقص منها شيئا كمل من النوافل فافهم
رحمك الله هذا ولا تكن مقتصرا على ما فرض الله عليك
بل ليكن فيك ناهضة حب توجب انكبابك على معاملة الله
تعالى فيما لم يوجبه عليك ولو كان العباد لا يجدون في موازينهم
الا فعل الواجبات وثواب ترك المحرمات لفاتهم من
الخير من الخير والمنة ما لا يحصره حاصر ولا يحرزه حارز
فسبحان الفاتح للعباد باب المعاملة والمهيي لهم اسباب
المواصلة فصل واعلم ان الحق سبحانه وتعالى علم ان
في عباده ضعفاء واقوياء فاوجب الواجبات وبين
المحرمات فالضعفاء اقتصروا على القيام بما اوجب والترك
لما حرم وليس في قلوبهم من سلطان الحب ووجود
الشغف ما يحملهم على المعاملة من غير ايجاب فمثلهم كمثل
العبد يعلم السيد منه انه ان لم يجارحه لم يهد اليه شيا
فكذلك وقت سبحانه الاوراد ووضف وظايف
العبودية وعرف ذلك بالطالع والغارب والزوال
وصيرورة ظل كل شي مثله في الصلاة وبالحول في الاموال

النامية العين والماشية وبوقت حصول المنفعة في
الزرع واتوا حقه يوم حصاده وبعشر ذي الحجة
في الحج وبشهر رمضان في الصيام فوظف الوظايف
ووقتها وجعل للنفوس فيها فسحة للحظوظ والسعي
في الاسباب واهل الله تعالى هم اهل الفهم عنه
جعلوا الاوقات كلها وقتا واحدا والعمر كله نهجا
الى الله تعالى قاصدا فعلموا ان الوقت كله له فلم يجعلوا
شيا منه لغيره ولذلك قال الشيخ ابو الحسن
رضي الله عنه عليك بورد واحد وهو اسقاط الهوى
ومحبة المولى ابت المحبة ان تستعمل محبوبا الا فيما
يوافق محبوبه وعلموا ان الانفاس امانة الحق عندهم
وودايعه لديهم وعلموا انهم مطالبون برعايتها فوجهوا
هممهم لذلك كما ان له الربوبية الدايمة فكذلك حقوق
ربوبيته عليك دايمة فربوبيته غير موقتة بالاوقات
فحقوق ربوبيته عليك ينبغي ايضا ان تكون كذلك ولذلك
قال سيدنا ابو الحسن رضي الله عنه ان لكل وقت
سهما يقتضيه الحق تعالى منك بحكم ربوبيته انتهى لما علم
الحق منك وجود الملل لون لك الطاعات وعلم ما فيك
من وجود الشره فحجرها عليك في بعض الاوقات ليكون همك
اقامة الصلاة لا وجود الصلاة فما كل مصل مقيم صح تلوين الطاعات لوجود
الملل وتحجيرها في الاوقات لوجود الشره نعمتان عظيمتان قا طعتان
على العبد سبيل عبوديته والملل تكرره يعرض للانسان من
عمل فيه مشقة فيصبر عليه ويتحمل التعب فيه حتى يضجر
ويسام فيترك ذلك العمل ويرفضه استثقالا له وهو شي
يعرض للمطيع بعد ايثاره للشي ومحبته له والشره مجاوزة الحد

في التسارع الى العمل والحرص عليه والذي يوجب وجود
الملل المداومة على نمط واحد من العبادات فلتساميها النفس
وتستثقلها فاذا لونت عليها استحلتها واستخفتها وقد قال
بعض الشعراء .

لا يصلح النفس اذ كانت مدبرة . الا التنقل من حال الى حال .

والموجب لوجود الشره صلاحية الاوقات كلها لايقاع
العبادات فيها مع شدة الحرص عليها وعند وجود الشره
يقع النقص والتقصير فيها فلذلك عين لها اوقاتا توقع
فيها واوقاتا لا توقع فيها وذلك هو معنى تحجيرها في الاوقات
فان كان الملك والشره واقعين في الصلاة لم يكن الاتي بها
مقيما لها لوقوع التقصير منه فيها ولم يومر الا باقامة
الصلاة لا بوجود صورة الصلاة قال سيدي ابو العباس
المرسي رضي الله عنه كل موضع ذكر فيه المصلون في معرض
المدح فانما جاء لمن اقام الصلاة اما بلفظ الاقامة او بمعنى
يرجع اليها قال الله سبحانه وتعالى الذين يومنون بالغيب ويقيمون
الصلاة وقال رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي
وقال عز وجل واقم الصلاة لذكري واقام الصلاة وقال
والمقيمين الصلاة ولما ذكر المصلين بالغفلة قال فويل
للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ولم يقل فويل
للمقيمين الصلاة فالاقامة انه اذا صلى المومن صلاة
فتقبلت منه خلق الله تعالى من صلاته صورة في ملكوته
راكعة ساجدة الى يوم القيمة وثواب ذلك لصاحب
الصلاة واقامة الصلاة حفظ حدودها ظاهرا وباطنا
قال ابن عطاء رضي الله عنه اقامة الصلاة حفظ
حدودها مع حفظ السر مع الله عز وجل لا يختلج بسرك سواه

قال الامام ابو القاسم القشيري رضي الله عنه هو
القيام باركانها وسننها ثم الغيبة عن شهودها برؤية من
تصلي له فيحفظ عليه احكام الامر بما يجري عليه منه وهو
عن ملاحظتها محو فنفوسهم منه مستقبلة الى القبلة .
وقلوبهم مستغرقة في حقايق الوصلة وتمثيل المولف .
رحمه الله بالصلاة دون ساير العبادات حسن لان ذلك
اكثر ما يقع فيها وقد يكون ذلك استطرادا للكلام على
الصلاة حسب ما يقوله بأثر هذه الصلاة طهرة للقلوب
الى اخره قيد الطاعات باعيان الاوقات كي لا يمنعك عنها
وجود التسويف ووسع عليك الوقت كي تبقى لك حصة الاختيار
انعم عليك فيما امرك به من الطاعات الموقتة بالاوقات
بنعمتين عظيمتين احداهما تقييدها لك باعيان الاوقات
لتوقعها فيها فتفوز بثوابها ولو لم يفعل هذا لسوفت
بها ولم تعملها حتى تفوت فيفوتك ثوابها والنعمة الثانية
توسيع اوقاتها عليك ليبقى لك نصيب من الاختيار حتى
تاتي بالطاعات في حال سكون وتمهل من غير حرج ولا ضيق
فله الحمد والشكر وله الفضل والمنة على نعمه كلها ظاهرة
وباطنة علم وجود الضعف منك فقلل اعدادها وعلم
احتياجك الى فضله فكثر امدادها هذا من فضل الله الذي عوده عبده
فتقليل اعدادها بان جعل الخمسين خمسة وذلك تخفيف منه
عنه لما علم وجود ضعفه وتكثير امدادها بان جعل الحسنة ثواب
خمسين وذلك فضل منه عليه اذ كان محتاجا اليه فله الحمد
والشكر على ذلك وهذه المعاني مذكورة في حديث الاسرى
وقال رضي الله عنه لما سيل عن قوله صلوات الله عليه وسلامه
وجعلت قرة عيني في الصلاة هل ذلك خاص به او لغيره منه شرب

ونصيب فاجابه بان قال رضي الله عنه ان قرة العين بالشهود
على قدر المعرفة بالمشهود فالرسول صلوات الله عليه وسلامه
ليس معرفة كمعرفته فليس قرة عين كقرته وانما قلنا ان قرة
عينه في صلاته بشهود جلال مشهوده لانه قد اشار الى ذلك
بقوله في الصلاة ولم يقل بالصلاة اذ هو صلوات الله عليه
وسلامه لا تقر عينه بغير ربه وكيف وهو يدل على هذا المقام
ويامر به من سواه لقوله صلى الله عليه وسلم اعبد الله كانك
تراه ومحال ان يراه ويشهد معه سواه قال له القايل قد
تكون قرة العين بالصلاة لانها فضل من الله وبارزة من منة
الله فكيف لا يفرح بها وكيف لا يكون قرة العين بها وقد قال
سبحانه وتعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا فاعلم
ان الاية قد اومات الى الجواب لمن تدبر سر الخطاب اذ قال
فبذلك فليفرحوا ولم يقل فبذلك فافرح يا محمد قل لهم
ليفرحوا بالاحسان والتفضل وليكن فرحك انت بالمتفضل
كما قال في الاية الاخرى قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون
الصلاة هي اجل ما يتحف الله بها عباده ويهديه اليهم وفي
الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما
اوتي عبد في الدنيا خير من ان يوذن له في ركعتين يصليهما ففيها
يحصل له الخلوة معه والانفراد به والمجالسة له والانقطاع
اليه وفيها ترفع الحجب عن قلوبهم والاستار وتتجلى فيها حقايق
الاسرار وتشرق فيها شوارق الانوار وفيها تكون المناجاة
والمصافاة كما تقدم وهي صلة بين العبد وربه عز وجل
قال محمد بن علي الترمذي رضي الله عنه الصلاة عماد الدين
واول شي فرضه الله عز وجل على المسلمين الصلاة الصلاة اقام
الله تعالى على العبد ليقبلوا عليه في صورة العبيد تذللا وتسليما

ويتذلل

وتبذلا وتخشعا وتخضعا وترغبا وتملقا فالوقوف تذلل والتكبير
تسليم والثنا والتلاوة تبذل والركوع تخضع والسجود تخشع
والجلوس ترغب والتشهد تملق فاقبل العبيد الى الله بهذه الصورة
ليقبل الله عليهم بالترحم والتعطف والتقبل والتكرم والتقرب
فليس شي من امر الدين اعظم من هذا ولهذا قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الصلاة عماد الدين وقال في حديث
اخر الصلاة نور وقال لا يزال الله مقبلا على العبد بوجهه
ما دام في صلاته وان الله تعالى لينصب الى احدكم وجهه
ما دام مقبلا عليه انتهى ولاجل هذه الفوايد كانت
الصلاة مفزع ذوي الفاقات والضرورات من ارباب
القلوب فيغنيهم وجودها عن كل مرغوب ويتسلون بها
عن كل محبوب قال الله تعالى وامر اهلك بالصلاة
واصطبر عليها لا نسالك رزقا الاية فواجب اذا ان
تكون قرة اعين عباد الله فيها وبها وقرة العين عبارة
عن الروح والراحة وكمال النعيم واللذة التي تحصل من
غاية الموافقة والملايمة لانها تختلف باختلاف احوال
الناس في مقاماتهم ومراتبهم فمن عظمت منزلته وعلت
مرتبته كانت ملايمته وموافقته في شهود التوحيد
وكمال التجريد المشار اليه في قوله صلى الله عليه وسلم
ان تعبد الله كانك تراه اذ محال ان تراه وتشهد معه
سواه كما قاله المولف رحمه الله وفيما روي عن عبد الله بن
عمر رضي الله عنه انا كنا نترايا الله بين اعيننا وكان
هذا لما خطب اليه عروة ابن الزبير ابنته وهو في الطواف
فلم يكلمه ابن عمر ولم يرجع اليه بشي ثم اعتذر اليه بعد
ذلك بهذا الكلام فصاحب هذا الحال يكون قرة عينه في

الصلاة لانها لما تتضمنه من التجلي التام والشهود الحقيقي ومن
كانت منزلته دون ذلك كانت ملايمته وموافقته في شهود
النعم ووجوه الفضل والكرم وكانت قرة عينه بها لا فيها
لانها فضل الله بارزة من منة الله كما قال المولف رحمه الله
ولا شك ان معنى قرة العين في الوجه الاول احق وبه انسب
والبق لان صاحبه فان عن نفسه باق بربه ومن كان على
هذا الوصف فهو من المخلصين الذين لا سلطنة عليهم للعدو
اللعين ومن زالت سلطنته عنه في صلاته لم يحتج الى مدافعته
ومراجعته وكانت صلاته ملزومة بالخضوع والحضور والدوام
والخشوع وعند فقدان العبد لحديث نفسه ووسوسة
عدوه يحصل له غاية النعيم واللذة ويتحقق في حقه معنى
قرت العين بخلاف الوجه الاخر فان صاحبه لم يفن عن نفسه
فضلا ان يرتقي الى درجة البقا بربه فلم ينقطع عنه حديث
النفس ولا وساوس العدو فيحتاج لا محالة الى مجاهدة
ومدافعة فيتشوش نعيمه ويتكدر لذته فيضعف معنى
قرة العين في حقه قال الشيخ العارف ابو محمد عبد العزيز
المهدوي رضي الله عنه وقرة عين لا يكون لمجاهد ولا لمن
يدفع الشيطان عنه بل هي لمن استراح عن المجاهدة والدفع
ولما كانت منزلة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عند ربه عز
وجل اشرف المنازل ورتبته في المعرفة ارفع المراتب
حيث لا يتصور ان يشاركه في ذلك غيره او يحل بها سواه
كانت قرة عينه في صلاته على حسب ذلك فمن قال ان ذلك
خاص به لانفراده بالمرتبة العليا والخاصية الكبرى
فقوله صحيح وعليه يدل ظاهر قوله صلى الله عليه وسلم وجعلت
قرت عيني في الصلاة بعد قوله انما حبب الي من الدنيا

الطيب

الطيب والنسا ولا شك ان حبه لهذين الامرين ليس على
قياس حب غيره لهما وانما ذلك لوجود الخاصية التي اقتضت منه
ذلك الا ترى انه ابيح له ما لم يبح لغيره من عدد الحراير وامن
لاجل ذلك من وقوع مفسدة التباغض والتشاجر بسبب اجتماع
الضراير واستعماله صلى الله عليه وسلم للطيب وحبه له انما
هو للقاية للملايكة التي تناجيه والا فهو في ذاته غني عن
الطيب واستعماله كما قال انس بن مالك رضي الله عنه ما
مسست حريرة ولا خزا الين من كف رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولا شممت رايحة قط مسكا ولا عنبرا اطيب من رايحة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا كان حاله في هذين
الامرين على ما ذكرناه مع انه لم يذكر فيهما سوى لفظ الحب
وهما من لذات الدنيا فكيف يكون حاله في الامر الثالث
مع انه عبر فيه بقرة العين وهي غاية المحبة وهو من اعمال الاخرة وقيل
في معنى قوله من الدنيا اي في الدنيا ومن قال ان لغيره
منه شربا ونصيبا على المعنى الذي يليق بهذا الغير فلقوله
وجه وجواب المولف رحمه الله محتمل لهذين الوجهين
والله اعلم بما اراد منهما او من غيرهما **باب في العزلة
والخمول** **ما نفع القلب شي مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة**
مداواة امراض القلب واجبة على المريد وامراضه انما تكون
من غلبة احكام الطبع عليه من صحبته للاضداد ووقوفه
مع المعتاد وانقياده الى هواء النفس وانسه بعالم الحس ومداواة
هذا المرض يتاتى من وجوه كثيرة وابلغها في ذلك وانفعها
العزلة عن الناس المصحوبة بالفكر فبالعزلة ينتفي الظاهر
عن مخالطة من لا تصلح مخالطته ومن لا يامن من دخول
الافات عليه بصحبته فيتخلص بذلك المعتزل من

المعاصي التي يتعرض لها بالمخالطة مثل الغيبة والمداهنة والريا
والتصنع ويتحصل له بذلك السلامة من مسارقة الطباع
الرديه والاخلاق الدنيه ويستفيد بذلك صيانة دينه
ونفسه عن التعرض للخصومات وانواع الشرور والفتن فان
للنفس تولعا وتسارعا الى الخوض في امثال هذا فواجب
على المعتزل ان يكف لسانه عن السوال عن اخبار الناس
وما هم مشغولون به ومنهمكون فيه ومنكبون عليه
ويصون نفسه عن الاصغاء الى اراجيف البلد وما اشتملت
عليه من الاحوال التي ذكرناها ويحرص على ان لا يغشاه
في عزلته وخلوته من شانه التطلع الى ذلك والبحث عنه
وليتجنب صحبة من لا يتورع في منطقه ولا يضبط لسانه
عن الاسترسال في دقايق الغيبة والوقيعة والتعريض
بالطعن على الناس والقدح فيهم فان ذلك مما يكدر صفو
القلب ويودي الى ارتكاب مساخط الرب فليهجره المعتزل
وليفر منه فراره من الاسد ولا يجتمع معه في مكان البته
ولينكر الى كل من تعرف له ممن هذا شانه من المنسوبين
الى الدين فضلا عن غيرهم كما قال بعضهم انكر من تعرف
ولا تتعرف الى من لا تعرف وفي الخبر مثل جليس السوء
كمثل القين ان لم يحرقك بشرره علق بك من ريحه وفي
وفي الاخبار السالفة ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه
الصلاة والسلام يا ابن عمران كن يقظانا وارتد لنفسك اخوانا
وكل اخ او صاحب لا يوازرك على مسرتي فهو لك عدو واوحى
الله تعالى الى داود عليه السلام فقال له يا داود ما لي
اراك منتبذا وحدانيا فقال الهي قليت الخلق من اجلك
فقال له يا داود كن يقظانا وارتد لنفسك اخوانا وكل

حذن

مسرتي

مسرتي

خدن لا يوافقك على مسرتي فلا تصحبه فانه لك عدو ويقسي
قلبك ويباعدك مني وما احسن قول ابي اسحق ابرهيم بن اسحق
مسعود النبيري في هذا المعنى

فخف ابنا جنسك واخش منهم ۞ كما تخشى الضراغم والسبنتا
وخالطهم وزايلهم حذارا ۞ وكن كالسامري اذ المستا

وبالعزلة ايضا يجتمع همه ويقوى في ذات الله عزيمته بخلاف
المخالطة فانها تفرق الهم وتضعف العزيمة وقد قيل
ان العبد ليعقد في خلوته على خصال من الخير يعملها
فاذا خرج الى الناس حللوا عليه ذلك عقدة عقدة حتى
يرجع الى بيته وقد انحلت العقد كلها وروي عن
عيسى عليه السلام انه قال لا تجالسوا الموتى فتموت
قلوبكم قيل ومن الموتى قال المحبون للدنيا الراغبون
فيها وفي الخبر المروي عن نبينا عليه الصلاة والسلام
انه قال اخوف ما اخاف على امتي ضعف اليقين وضعف
اليقين انما يكون من روية اهل الغفلة ومخالطة ارباب
البطالة والقسوة وقال ابو طالب رضي الله عنه
واضر ما ابتلي به العبد وادخله واعمله في هلاكه
واشده لحجبه وابعاده ضعف يقينه بما وعد من الغيب
وتوعد عليه بالشهادة وقوة اليقين اصل كل عمل صالح
وقال بعض هذه الطايفة قلت لبعض الابدال المنقطعين
الى الله تعالى كيف الطريق الى التحقيق والوصول الى
الحق قال لا تنظر الى الخلق فان النظر اليهم ظلمة قلت
لا بد لي منهم قال فلا تسمع كلامهم فانما كلامهم قسوة
قلب قلت لا بد لي قال لا تعاملهم فان معاملتهم خسران
وحسرة ووحشة قلت انا بين اظهرهم فلا بد لي من معاملتهم

قال فلا تسكن اليهم فان السكون اليهم هلكة قلت هذا
لعله قال يا هذا تنظر الى اللاعبين وتسمع كلام الجاهلين و
تعاشر البطالين وتسكن الى الهالكين وتريد ان تجد حلاوة
الطاعة وقلبك مع غير الله عز وجل هيهات هذا ما يكون
ابدا وبالعزلة ايضا ينكف بصره عن النظر الى زينة
الدنيا وزهرتها وينصرف خاطره عن الاستحسان لما ذمه
الله تعالى من زخرفها فتمتنع بذلك النفس عن التطلع لها
والاستشراف لها ومنافسة اهلها فيها قال الله تعالى
ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم ولا ينبغي لاحد
ان يحتقر هذا فانه يودي الى امراض عظيمة في القلب
ومن اعتزل الناس سلم باذن الله تعالى منها قال الامام
ابو القسم القشيري رضي الله عنه فارباب المجاهدات اذا
ارادوا صون قلوبهم عن الخواطر الردية لم ينظروا الى
المستحسنات وقال هذا اصل كبير لهم في المجاهدات
في احوال الرياضة انتهى وقال محمد بن سيرين رضي
الله عنه اياك وفضول النظر فانه يودي الى فضول
الشهوة وقال بعض الادباء من كثرت لحظاته دامت
حسراته وقالوا ان العين سبب الحين ومن ارسل
طرفه اقتنص حتفه وان النظر الى الاشيا بالبصر
يوجب تفرقة القلب وقد انشد في هذا المعنى

وانك ان ارسلت طرفك رايدا . لقلبك يوما اتعبتك المناظر
رايت الذي لا كله انت قادر . عليه ولا عن بعضه انت صابر

وبذلك ينقطع طمعه عن الناس ويحصل له منهم الياس
وذلك من اعظم فوايد العزلة عند العقلاء الاكياس ولا تتم
له منفعة العزلة الا باشتغال القلب بالفكرة وهي المقصود

ههنا وكانت العزلة مقدمة لها ومعينة عليها وذلك بعد
تقديم ما يحتاج اليه من علوم الشرع الظاهرة والقيام بمراعات
اداب باطنة وقد ذكر منها الشيخ ابو حامد الغزالي رضي الله عنه
جملة شافية في كتاب العزلة من الاحيا فلينظر هناك وقد
جاء في الخبر فكرة ساعة خير من عبادة سبعين سنة هكذا هو
والله اعلم وكان عيسى بن مريم عليه السلام يقول طوبى
لمن قيله ذكر وصمته تفكر ونظره عبرة ان اكيس الناس من
دان نفسه وعمل لما بعد الموت وقال كعب من اراد شرف
الاخرة فليكثر من التفكر وقيل لام الدردا ما كان افضل عمل
ابي الدردا قالت التفكر وذلك لانه يصل بها الى معرفة
حقايق الاشيا ويميز الحق من الباطل والنافع من الضار
ويطلع بها ايضا على خفايا افات النفس ومكايد العدو
وغرور الدنيا ويعرف بها وجوه الحيل في التحرز عنها والطهارة
منها قال الحسن البصري رضي الله عنه الفكرة مراة
تريك حسنتك من سيئتك ويطلع بها ايضا على عظمة الله و
جلاله اذا تفكر في اياته ومصنوعاته ويطلع بها ايضا على
الايه ونعمايه الجليه والخفيه فيستفيد بذلك احوالا
سنيه يزول بها مرض قلبه ويستقيم بسببها على طاعة ربه
قلت والعزلة التي ذكرها المولف رحمه الله تتضمن وجود
الخلوة وهي احد الاركان الاربعة التي هي اساس المريدين ويلزم
عنها من الثلاثة الباقية الصمت اذ لا يتاتى من اكثر الناس
الا بالخلوة والعزلة فان اضاف اليهما المريد الركنين الباقيين
وهما الجوع والسهر فقد حصل على تحلية الدوا والتخلق
بزمرة الاوليا والابدال قال سهل بن عبد الله رضي الله عنه
اجتمع الخير كله في هذه الاربع الخصال وبها صار الابدال ابدالا

شعرة

اخماص البطون والصمت والخلوة والسهر قال الشاعر ونظمها في

يا من يروم منازل الابدال • من غير قصد منه للاعمال •
لا تطمعن فيها فلست باهلها • ان لم تزاحمهم على الاحوال •
واصمت بقلبك واعتزل عن كل من • يدنيك من غير الحبيب الوالي •
فاذا سهرت وجعت نلت مقامهم • وصحبتهم في الحل والترحال •
بيت الولاية قسمت اركانه • ساداتنا فيه من الابدال •
ما بين صمت واعتزال دايم • والجوع والسهر الشريف العالي •

ادفن نفسك في ارض الخمول فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه

لا شي اضر على المريد من الشهرة وانتشار الصيت لان ذلك من اعظم حظوظه التي هو مامور بتركها ومجاهدة النفس فيها وقد تسمح نفس المريد بترك ما سوى هذا من الحظوظ ومحبة الجاه وايثار الاشتهار مناقض للعبودية التي هو مطالب بها قال ابرهيم بن ادهم رضي الله عنه ما صدق الله تعالى من احب الشهرة وقال بعضهم طريقنا هذا لا يصلح الا لاقوام كنست بارواحهم المزابل وقال ايوب رضي الله عنه والله ما صدق الله عبد الا سره ان لا يشعر بمكانه وقال رجل لبشر بن الحارث رضي الله عنه اوصني فقال اخمل ذكرك واطب مطعمك وقال بشر رضي الله عنه اعرف رجلا احب ان يعرف الا ذهب دينه وافتضح وقال ايضا رضي الله عنه لا يجد حلاوة الاخرة رجل يحب ان يعرفه الناس وقال الفضيل رضي الله عنه بلغني ان الله عز وجل يقول في بعض ما يمن به على عبده الم انعم عليك الم استر عليك الم اخمل ذكرك ثم ان محبة الاشتهار ربما يقدح في اخلاص العبد لانه بذلك لا ينفك عن الاغراض التي تبعثه على استمالة قلوب الخلق فتدعوه نفسه الى ذلك دعاء خفيا فينصبغ عمله بالريا انصباغا لا يتفطن له كما تقدم

عند

عند قوله ربما دخل الريا عليك حيث لا ينظر الخلق اليك وبقدر تحققه بوصف الخمول يتحقق له مقام الاخلاص حتى يتخلص بذلك من روية اخلاصه وبهذا يتبين لك افلاس جميع الناس الا من رحم الله وان الاخلاص في غاية الصعوبة على النفس وانه اعز الاشيا في الوجود قيل لسهل بن عبد الله رضي الله عنه اي شي اشد على النفس قال الاخلاص لانه ليس لها فيه نصيب وقال يوسف بن الحسين رضي الله عنه اعز شي في الدنيا الاخلاص وكم اجتهد في اسقاط الريا عن قلبي فكانه ينبت فيه على لون آخر قال الشيخ ابو طالب رحمه الله والاخلاص عند المخلصين اخراج الخلق من معاملة الخالق واول الخلق النفس والاخلاص عند المحبين ان لا يعمل عملا لاجل النفس ولا يدخل عليه مطالعة العوض او تشوف الى حظ طبع والاخلاص عند الموحدين خروج الخلق من النظر اليهم في الافعال وترك السكون والاستراحة بهم في الاحوال انتهى فاذا اخمل العبد نفسه والزمها التواضع والمذلة واستمر على ذلك حتى صار له خلقا وجبلة بحيث لا يجد لضعته الما ولا لمذلته طعما فحينيذ تزكى نفسه ويستنير بنور الاخلاص قلبه وينال من ربه اعلى درجات الخصوصية ويحصل على اوفر نصيب من المحبة الحقيقية قال الشيخ ابو طالب رضي الله عنه ومتى ذل في نفسه واتضع عند نفسه فلم يجد للذلة طعما ولا لضعته حسا فقد صار الذل والتواضع كونه فهذا لا يكره الذم من الخلق لوجود النقص في نفسه ولا يحب المدح منهم لفقد القدر والمنزلة في نفسه فصارت الذلة والضعة صفة له لا تفارقه لازمة له لزوم الزبالة للزبال والكساحة للكساح هما صنعتان له كساير الصنايع وربما فخر بهما لعدم النظر الى نقصهما فهذه ولاية عظيمة له من ربه

قد ولاه على نفسه وملكه عليها فقهرها بعزم وهذا مقام محبوب وبعض
المكاشفات بسرائر الغيوب ثم قال ومن كان حاله مع الله تعالى الذل
طلبه واستحلاه كما يطلب المتكبر العز ويستحليه اذا وجده فان
فارق ذلك الذل ساعة تغير قلبه لفراقه كما ان المتعزز
ان فارق العز ساعة تكدر عليه عيشه لان ذلك عيش نفسه
انتهى فاذا لابد للمريد من اسقاط جاهه واخمال ذكره وفراره
عن مواضع اشتهاره وتعاطيه امورا مباحة تسقطه من اعين
الناس كقصة السائح الذي سمع به ملك زمانه فجا اليه فلما
علم بذلك السائح استدعى بقلا وجعل ياكل اكلا عنيفا بمرأى
من الملك فلما راى على تلك الحالة استحقره واستصغره وانصرف
عنه ذامًا له وقد مر نص هذه القصة قبل هذا عند قوله
ربما دخل الرياء عليك حيث لا ينظر الخلق اليك وقد بالغ
بعضهم في مداواة علة الجاه الذي علق بالقلوب حتى استعملوا في
ذلك اشيا منكرة في ظاهر الشرع ورووا ذلك جائزا لهم ان
يفعلوه ويامروا به وذلك مثل قصة الرجل الذي دخل
الحمام ولبس من فاخر ثياب الناس تحت ثيابه بحيث تظهر
ومشي بذلك متمهلا بحيث يرى وتظن به السرقة فلما راه
الناس اخذوه وصفعوه ونزعوا الثياب واشتهر عندهم
بالسرقة حتى كان يعرف بلص الحمام فحينئذ وجد قلبه ومثل
ما يروى عن ابي يزيد رضي الله عنه في قصة الشاهد الذي
امر بحلق راسه ولحيته وتعليق مخلاة الجوز في عنقه
واعطايه من ذلك لمن صفعه من الصبيان وطوافه على
تلك الحالة في المحافل والمحاضر والحكايتان مشهورتان
ذكرهما الامام ابو حامد الغزالي رضي الله عنه وغيره قال
بعض المصنفين واذا جاز لمن غص بلقمة من طعام حلال
ان

ان يسيغها بجرعة من الخمر اذا لم يجد غيره مع ان تحريمه مقطوع
به ولا يفوته الا حياة فانية فلان يجوز هذا اذا تعين اولى اذ
يفوته بذلك الحياة الباقية والقرب من الله فاذا التزم العبد
هذه الطريق من الرياضات ماتت نفسه وحيي قلبه وقرب
من حضرة ربه واجتنى ثمرة غرسه على غاية الكمال والتمام
وتلك الثمرة اخلاق الايمان التي تكيفت بها نفسه وصارت
كالصفات الذاتية سلما له وهي نتيجة الحكمة التي انبتها
الله تعالى في قلوب عباده المتواضعين ومن يوتى الحكمة
فقد اوتي خيرا كثيرا قال عيسى عليه السلام لاصحابه
اين تنبت الجنة قالوا في الارض فقال عليه السلام كذلك
الحكمة لا تنبت الا في قلب مثل الارض فلسو وقد
ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في مدح الخمول وذم
الشهرة احاديث كثيرة منها ما روى ابو امامة رضي
الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله
عز وجل ان اغبط اوليائي عندي لمومن خفيف الحاذ
ذو حظ من الصلاة احسن عبادة ربه واطاعه
في السر وكان غامضا في الناس لا يشار اليه بالاصابع
وكان رزقه كفافا فصبر على ذلك ثم نفض بيده فقال
عجلت منيته قلت بواكيه قل تراثه وفي حديث
ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم رب اشعث اغبر ذي طمرين تنبو عنه اعين الناس
لو اقسم على الله لابره وروى معاذ بن جبل رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان يسير من
الريا شرك وان من عادى اولياء الله فقد بارز الله
بالمحاربة وان الله عز وجل يحب الاخفياء الاتقيا الذين

اذا غابوا لم يفقدوا واذا حضروا لم يدعوا ولم يعرفوا قلوبهم
مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة وروى ابو
هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في حديثه الذي نوه فيه باسم اويس القرني واشاد
بذكره ونبه على عظيم امره رضي الله عنه انه قال بينما
نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في حلقة من اصحابه
اذ قال ليصلين غدا معكم رجل من اهل الجنة قال
ابو هريرة فطمعت ان اكون ذلك الرجل فغدوت فصليت
خلف النبي صلى الله عليه وسلم فاقمت في المسجد حتى انصرف
الناس وبقيت انا وهو فبينما نحن كذلك اذ اقبل رجل
اسود متزر بخرقة مرتد برقعة فجاء حتى وضع يده في يد
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا نبي الله ادع الله
لي بالشهادة فدعى النبي صلى الله عليه وسلم له بالشهادة
وانا لنجد منه ريح المسك الاذفر فقلت يا رسول الله
اهو هو قال نعم وانه لمملوك بني فلان قلت افلا تشتريه
فتعتقه يا رسول الله فقال وانى لي بذلك ان كان الله
عز وجل يريد ان يجعله من ملوك الجنة وساداتهم يا ابا هريرة
ان لاهل الجنة ملوكا وسادة وان هذا الاسود اصبح
من ملوك الجنة وساداتهم يا ابا هريرة ان الله عز وجل
يحب من خلقه الاصفيا الاخفيا الابريا الشعثة رؤسهم
المغبرة وجوههم الخمصة بطونهم من كسب الحلال الذين
اذا استاذنوا على الامراء لم يؤذن لهم وان خطبوا المنعمات
لم ينكحوا وان غابوا لم يفقدوا وان حضروا لم يدعوا
وان طلعوا لم يفرح بطلعتهم وان مرضوا لم يعادوا وان
ماتوا لم يشهدوا قالوا يا رسول الله كيف لنا برجل منهم

قال ذلك اويس القرني قالوا وما اويس القرني قال
اشهل ذو صهوبة بعيد ما بين المنكبين معتدل القامة
آدم شديد الادمة ضارب بذقنه الى صدره
رام ببصره الى موضع سجوده واضع يمينه على شماله
يتلوا القران يبكي على نفسه ذو طمرين لا يؤبه له متزر
ازار صوف ورداء صوف مجهول في اهل الارض
معروف في اهل السماء لو اقسم على الله لابر قسمه الا
وان تحت منكبه الايسر لمعة بيضا الا وانه اذا كان
يوم القيمة قيل للعباد ادخلوا الجنة ويقال لاويس القرني
قف فاشفع فيشفعه الله تعالى في مثل عدد ربيعة ومضر
يا عمر ويا علي اذا انتما لقيتماه فاطلبا اليه ان يستغفر
لكما يغفر الله لكما وذكرنا في الحديث وفي حديث اخر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يكون في امتي رجل
يقال له اويس القرني يدخل في شفاعته عدد ربيعة ومضر
لو اقسم على الله لابره فمن لقيه بعدي فليقريه مني السلام
ثم سئل عن علامته فقال هو رجل صهب اشهل ذو طمرين
ابيضين له ام وقد كان به بياض فدعا الله عز وجل
فاذهبه الله الا مقدار الدينار او الدرهم لا يؤبه له
مجهول في اهل الارض معروف في اهل السماء وكان قد
بلغ من شدة خموله ونهاية ضعته ان الناس كانوا يسخرون
منه ويستهزؤن به ويؤذونه ويرون فيه اهلية للخداع
والتلصيص فينسبونه الى ذلك فقد روي انه دفع
اليه بعض فقهاء الكوفة ثوبين وكان يجالسه فانقطع
عن مجالسته لاجل العري فردهما عليه بعد ان اخذهما منه
وقال ان الناس يقولون من اين له هذان الثوبان ترى

من خلع عليهما وكان في ذلك الوقت مجالس الفقها ويظهر للناس
وذلك قبل ان يعرف برفعة القدر وجلاله الخطر وتفوه عمر
به على المنبر فلما راي ان الناس عرفوا حاله هرب عنهم
واستخفا منهم ولبس امره عليهم بالرعي وغيره
وقيل لعمر رضي الله لما سال عنه قومه ما فينا اخمل منه
ذكرا فلما لقياه هو وعلي رضي الله عنهما وسالاه من هو فقال
له راعي غنم واجير قوم وستر ذكر اويس فلما سالاه عن
اسمه قال عبد الله فلما سالاه عن اسمه الذي سمته به امه
امتنع ان يجيبه على ذلك فلما اخبراه بصفة النبي صلى
الله عليه وسلم له وانهما عرفاه بذلك قال لهما عسى ان
يكون ذلك غيري فلما قالا له اخبرنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان تحت منكبك الايسر لمعة بيضا وطلبا منه ان
يوضحها لهما لم يجد بدا من ان يوضحها لهما وذلك والله تعالى
اعلم ليريهما رويته عين صحة قول النبي صلى الله عليه وسلم
وصدقه في اخباره بالغيب وذلك امر واجب عليه والا
فلعله كان يتوصل لهما كما فعله في كل ما سيل عنه ثم بعد
ذلك لما ساله عمر رضي الله عنه ان يلتقي معه ويجعل
ذلك الموضع ميعادا بينه وبينه قال يا امير المومنين
لا ميعاد بيني وبينك ولا اعرفك ولا تعرفني بعد اليوم
ثم دفع الغنم او الابل الى صاحبها وخلا عن الرعاية وكذلك
فعل مع هرم بن حيان رضي الله عنه لما لقيه بشاطي
الفرات ووقع بينهما التعرف قال له حدثني بحديث عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم احفظه عنك قال له لا احب
ان افتح هذا الباب على نفسي لا احب ان اكون محدثا
ولا مفتيا ولا قاضيا فلما فرغا من الكلام الذي كانا بصدده

وساله

وساله متى وقت الاجتماع به ابا وامتنع وقال له لا اراك
بعد اليوم تطلبني ولا تسال عني انطلق انت ههنا حتى انطلق
انا ههنا ثم بعد ذلك اجتهد في طلبه والبحث عنه فلم
يقع له على خبر ومن عجيب امره ان حقق الله تعالى له هذا
الحال من الخفي والتستر واتمه له بعد موته مع ما اظهر بسببه
من الايات والعبر حينيذ قال عبد الله بن سلمة غزونا
اذربيجان زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعنا اويس
القرني رضي الله عنه فلما رجعنا مرض فمات فنزلنا فاذا
قبر محفور وماء مسكوب وكفن وحنوط فغسلناه وكفناه
وصلينا عليه ودفناه فقال بعض القوم لو رجعنا فعلمنا
قبره فرجعنا فاذا لا قبر ولا اثر قلت والحكايات
والاثار في مدح الخمول وذم الاشتهار اكثر من ان ياتي
عليها الحصار وقد اورد كثيرا منها الايمة المصنفون
في هذا العلم فليطالع المريد مستمدا من الله تعالى حسن
التوفيق والتاييد وتعبير المولف رحمه الله تعالى ههنا
بالدفن والارض والنبات والنتاج من مليح الاستعارة
ستر انوار السراير بكثايف الظواهر اجلالا لها
ان تتبذل بوجود الاظهار وان ينادى عليها بلسان الاشتهار
انوار السراير انما خفيت عن الاعيان باسترها من كثايف
الظواهر مع ان الظهور التام لا ينبغي ان يكون الا لها لانها
رفيعة القدر جليلة الخطر فاجلها عن الابتذال لها
بوجود اظهارها وصانها من ان ينادى عليها بلسان الاشتهار
بين الاغيار فيكون ذلك نوعا من الاهانة بها سبحان من
ستر سر الخصوصية بظهور البشرية وظهر بعظمة الربوبية
في اظهار العبودية سر الخصوصية هو حقيقة المعرفة

التي اختص بها اهل ولاية الله تعالى بحيث لا يبقى معها وجود
لغير ولا كون وذلك بما جعل الله فيهم من التهيوء والقابلية
فمن لطيف حكمة الله تعالى ان ستر ذلك بما اظهره من البشرية
التي من لوازمها وجود الغير والكون ولولا هذا الستر
لكان سر الله تعالى مبتذلا غير مصون كما قال في لطائف
المنن ولا بد للشمس من سحاب وللحسناء من نقاب ثم
ان من حقيقة ظهورا البشرية الاتصاف بصفة الافتقار
والاحتياج وغير ذلك من اوصاف الحدوث وذلك هو
حقيقة التعبد والتاله فظهر لنا من ذلك لزوم وجود الاله
معبود وهذه من عظمة الربوبية التي ظهرت لنا من وراء
حجاب العبودية ولولا ذلك لكان باطنا لا ظاهرا كما قال
سيدي ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه العبودية
جوهرة اظهر بها الربوبية فسبحان اللطيف الخبير ومن هو على
كل شي قدير والتسبيح الذي ذكره المولف هاهنا في غاية
المناسبة لما ذكر من المعنى **سبحان من لم يجعل الدليل على**
اوليايه الا من حيث الدليل عليه ولم يوصل اليهم الا من اراد ان يوصله اليه
لا دليل على الله سواه ولا وصول اليه بغيره وكذلك اولياءه
ولما كان الوصول الى الله تعالى لا يكون الا بالعناية والخصوصية
ويستحيل ان يكون بطلب او سبب كان اولياءه المخصوصون
بالقرب منه كذلك لما خلع عليهم الخلع العظيمة وتولاهم بالمنة
الجسيمة واصطفاهم لنفسه واختصهم بمحبته وانسه وطهر
اسرارهم من انجاس الاغيار وصان قلوبهم بما اودع فيها من
الانوار والاسرار فكانوا لذلك ضناينه في عباده وخباياه
في بلاده كما قال في بعض الاشارات عنه سبحانه اوليايي تحت
قبابي لا يعرفهم احد غيري وهذا من غيرته عليهم لان الحق سبحانه

وتعالى اغير على اوليايه من ان يظهرهم الى من لا يعرفهم فلم يجعل
لاحد دليلا عليهم الا من حيث الدليل عليه ولم يوصل
اليهم الا من اراد ان يوصله اليه لانه يلبسهم لباس التلبيس
بين الانام ويظهرهم بما يحقرهم في اعين الخواص والعوام وانى
يكون لاحد دليل عليهم او وصول بسبب اليهم قال في
لطايف المنن فاولياء الله اهل كهف الايواء فقليل من يعرفهم
قال وقد سمعته يعني شيخه ابا العباس المرسي رضي الله عنه
يقول معرفة الولي اصعب من معرفة الله تعالى فان الله
سبحانه معروف بكماله وجماله وحتى ومتى تعرف مخلوقا مثلك
ياكل كما تاكل ويشرب كما تشرب قال فيه واذا اراد الله
تعالى ان يعرفك بولي من اوليايه طوى عنك وجود بشريته
واشهدك وجود خصوصيته وقال صاحب كتاب انوار
القلوب لله سبحانه عباد ضن بهم عن العامة واظهرهم
للخاصة فلا يعرفهم الا شكلهم ومحب لهم ولله عباد ضن بهم
عن العامة والخاصة وعباد اظهرهم للعامة والخاصة
ولله عباد يظهرهم في البداية ويسترهم في النهاية
ولله عباد يسترهم في البداية ويظهرهم في النهاية ولله
عباد لا يظهر حقيقة ما بينه وبينهم الى الحفظة فمن سواهم
حتى يلقونه بما اودعهم منه في قلوبهم وهم شهداء الملكوت
الاعلا والصفح الايمن من العرش الذين تولى الله تعالى
قبض ارواحهم بيده فتطيب اجسادهم به فلا يعدو عليها
الثرى حتى يبعثوا بها مشرقة بنور البقا المجعول فيهم ببقا
الابد مع الباقي الاحد عز وجل انتهى وقال ابو يزيد
رضي الله عنه اولياء الله تعالى عرايس ولا يرى العرايس الا
من كان محرما لهم واما غيرهم فلا وهم مخدرون عنده في حجال

الانس لا يراهم احد في الدنيا ولا في الاخره وقال ابو علي
الجوزجاني رضي الله عنه الولي هو الفاني في حاله والباقي في
مشاهدة الحق تولى سبحانه وتعالى سياسته فتوالت عليه انوار
التولي لم يكن له عن نفسه اخبار ولا مع غير الله عز وجل قرار
وفي الاشارات عن الله سبحانه وتعالى انما سميت الولي وليا
لانه يليني دون ما سواه فهم منزهون بتنزيه الحق تعالى لهم
من ان يوصل اليهم بغيره ولذلك صدر المولف رحمه الله كلامه
بالتسبيح

باب في رعاية الوقت واغتنامه

ما من نفس تبديه الا وله فيك قدر يمضيه
الانفاس
ازمنة دقيقة تتعاقب على العبد ما دام حيا فكل نفس يبدو
منه ظرف لقدر من اقدار الحق سبحانه ينفذ فيه كاينا ما كان
فاذا كانت جزئيات العبد ودقايقه قد استغرقتها احكام الله
تعالى واقداره وكان جميع ذلك يقتضي منه حقوقا لازمة من
حقوق الله تعالى يقوم بها وهو مطالب بذلك ومسول عنه
وعن انفاسه التي هي امانة الحق عنده لم يبق له اذ ذاك مجال
لتدبير امور دنياه ولا محل لمتابعة شهوته وهواه لا تترقب
فروغ الاغيار فان ذلك يقطعك عن وجود المراقبة له فيما هو مقيمك فيه
اذا اقام الله العبد في سبب من الاسباب فالواجب عليه ان
يوفيه حقه ويلتزم فيه الادب ولا يترقب وقتا ثانيا يكون فيه
فارغا منه فان تاميله للوقت الثاني يمنعه من القيام بحق
الوقت الاول فيما اقيم فيه وتفويته ما يجب له وهو خلاف
الامر المطلوب منه فليجتنب ذلك المريد قال ابو حفص رضي
الله عنه الفقير الصادق الذي يكون في كل وقت بحكمه فاذا ورد
عليه وارد يشغله عن حكم وقته يستوحش منه وينفيه عنه
وقال سهل بن عبد الله رضي الله عنه اذا جنك الليل فلا
تومل

تومل النهار حتى تسلم ليلتك تلك وتودي حق الله فيها وتنصح
فيها لنفسك واذا اصبحت فكذلك وسيل سهل رضي الله عنه
متى يستريح الفقير قال اذا لم ير وقتا غير الوقت الذي هو
فيه

احالتك الاعمال على وجود الفراغ من رعونات النفس

اذا كان العبد متلبسا بحال من احوال دنياه وكان له فيها شغل
يمنعه من الاعمال الصالحة واحال ذلك العمل على فراغه
من تلك الاشغال وقال اذا تفرغت عملت فذلك من رعونة
النفس والرعونة ضرب من الحماقة وحماقته من وجوه الاول
ايثار الدنيا على الاخره وليس هذا شان عقلاء المومنين
وهو خلاف ما طلب منه قال الله تعالى بل تؤثرون
الحياة الدنيا والاخرة خير وابقى والثاني تسويفه بالعمل
الى اوان فراغه وقد لا يجد مهلة بل يختطفه الموت قبل ذلك
او يزداد شغله لان اشغال الدنيا يتداعى بعضها الى بعض
كما قيل

فما قضى احد منها لبانته ۞ ولا انتهى ارب الا الى ارب

والثالث ان تفرغ منها ما الذي يومنه من تبدل عزمه وضعف
نيته ثم فيه من دعوى الاستقلال ورويته القوة في جميع
الاحوال ما يستحقر في جنبه جميع هذا بل الواجب عليه ان
يبادر الى الاعمال على اي حال كان وان ينتهز فرصة الامكان
قبل مفاجاة الموت وحلول الفوت وان يتوكل على الله تعالى
في تيسيرها عليه وصرف الموانع الحايلة بينه وبينها وما احسن
قول عمر بن الفارض في هذا المعنى

وعد من قريب واستجب واجتنب غدا ۞ وشمر عن ساق اجتهاد بنهضة
وكن صارما كالوقت فالمقت في عسى ۞ واياك علي فهي اخطر علة
وسر زمنا وانهض كسيرا فحظك البطالة ما اخرت عزما لصحة
وجذ بسيف العزم سوف فان تجد ۞ نفسا فالنفس ان جدت جدت

حقوق في الاوقات يمكن قضاوها وحقوق الاوقات لا يمكن
قضاوها اذ ما من وقت يرد الا ولله عليك فيه حق جديد
وامر اكيد فكيف تقضي فيه حق غيره وانت لم تقض حق الله فيه
الحقوق الكاينة في الاوقات هي وضايف العبادات الظاهرة
من الصلاة والصيام وغيرهما فمن فاته شي منها في وقتها المعين
له امكنه قضاوه في وقت آخر اذا اجعل له في ذلك مجال رحب
فيستدرك فيه جميع ما يفوته من تلك الحقوق والحقوق المضافة
الى الاوقات هي المعاملات الباطنة التي تقتضيها احوال العبد
وواردات قلبه المتلونة عليه ووقت كل عبد ما هو عليه من ذلك
فالعبد مطالب بجميع حقوق ذلك عند وروده عليه اذ لله تعالى
على كل عبد عند كل حال يحل به ووارد يرد عليه حق جديد
وامر اكيد ولا يسعه الا ان يوفيه اذ ذاك فانه لم يجد
مجالا لقضايه ولا يمكنه ذلك فعلى العبد ان يكون مراقبا لقلبه
حتى يقوم بمراعات تلك الحقوق التي لا يمكنه قضاوها ان فاتت
قال سيدي ابو العباس المرسي رضي الله عنه اوقات
العبد اربعة لا خامس لها النعمة والبليه والطاعة والمعصيه
ولله عليك في كل وقت منها سهم من العبوديه يقتضيه الحق منك
بحكم الربوبيه فمن كان وقته الطاعه فسبيله شهود المنة من الله
عليه اذ هداه لها ووفقه للقيام بها ومن كان وقته المعصيه
فسبيله وجود التوبة والاستغفار ومن كان وقته النعمه فسبيله
الشكر وهو فرح القلب بالله ومن كان وقته البليه فسبيله الرضا
بالقضا والصبر والرضا رضا النفس عن الله والصبر مشتق
من الاصبار وهو الغرض للسهام وكذلك الصابر يتصف
بنصب نفسه غرضا لسهام القضا فان ثبت لها فهو صابر
والصبر ثبات القلب بين يدي الرب وفي الحديث عن
رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من اعطي فشكر
وابتلي فصبر وظلم فغفر وظلم فاستغفر ثم سكت صلى الله
عليه وسلم فقالوا ماذا له يا رسول الله فقال صلى الله عليه
وسلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون اي لهم الامن في الاخرة
وهم مهتدون في الدنيا ما فات من عمرك لا عوض له وما
حصل لك منه لا قيمة له عمر العبد ميدان الاعمال الصالحة المقربة
له من الله تعالى والموجبة له جزيل الثواب في الدار الاخرة
وهي هذه السعاده التي لها يكدح لها العبد ويسعى من
اجلها وليس له منها الا ما سعى كما قال تعالى وان ليس
للانسان الا ما سعى فكل جزء من العمر يفوته خاليا من
عمل صالح يفوته من السعادة بقدره ولا عوض له منه وقال
الجنيد رضي الله عنه الوقت اذا فات لا يستدرك وليس
شي اعز من الوقت وكل جزء يحصل له من العمر خاليا من ذلك
يتوصل به الى ملك كبير لا يفنى ولا قيمة له لما وصل الى
ذلك لانه في غاية الشرف والنفاسه ولاجل هذا مراعات

عظمت صح

السلف الصالح رضي الله عنهم لانفاسهم ولحظاتهم وبادروا
الى اغتنام ساعاتهم واوقاتهم ولم يضيعوا اوقاتهم في
البطاله والتقصير ولم يقنعوا لانفسهم من مولاهم الا بالجد
والتشمير وقد قال سيدنا ومولانا وحبيبنا علي بن ابي طالب
رضي الله عنه بقية عمر المومن ما لها ثمن يدرك فيها ما فات
ويحيي ما امات وقد نظم بعض الشعراء فقال

بقية العمر عندي ما لها ثمن • وان غدا غير محبوب من الثمن •
يستدرك المرء فيها كل فايتة • من الزمان ويمحو السوء بالحسن •

قال رجل لعامر بن قيس رضي الله عنه وهو يريد الجمعة
قف حتى اكلمك فقال لولا اني ابادر لوقفت لك قال له وما تبادر

قال ابادر خروج روحي وقال الحسن البصري رضي الله عنه
ادركت اقواما كانوا على ساعاتهم اشفق منكم على دنانيركم
ودراهمكم يقول كما لا يخرج احدكم دينارا ولا درهما الا فيما يعود
عليه نفعه فكذلك لا يحبون ان يخرجوا ساعة من اعمارهم
الا فيما يعود عليهم نفعه وقال سري السقطي رضي الله
عنه خرجت من بغداد اريد الرباط بعبادان لاصوم بها رجب
وشعبان فاتفق ان جزت في طريقي علي الجرجاني رضي الله عنه
وكان من الزهاد الكبار فدنا وقت افطاري وكان
معي ملح مدقوق واقراص فقال في ملحك مدقوق ومعك
الوان من الطعام لن تفلح ولن تدخل سنن المحبين فنظرت
الى مزود وكان معه فيه سويق الشعير يسف منه فقلت
ما دعاك الى هذا فقال اني حسبت ما بين المضغ والسف
سبعين تسبيحه فما مضغت الخبز منذ اربعين سنة وفي الخبر
ما من ساعة تاتي على العبد لا يذكر الله فيها الا كانت عليه
حسرة ويقال ان العبد تعرض عليه ساعاته في اليوم
والليلة فيراها خزاين مصفوفة اربعا وعشرين خزانة
فيرى في كل خزانة نعيما ولذة وعطا وجزا لما كان اودع خزانته
في ساعاته في الدنيا من الحسنات فيسره ذلك ويغتبط به
فاذا مرت به ساعات في الدنيا لم يذكر الله فيها راها في
الاخرة خزانة فارغة لا عطا فيها ولا جزاء عليها فيسوه ذلك
ويتحسر كيف فاته حيث لم يكن يدخر فيها شيا فيرى جزاءه
مدخورا ثم يلقي في نفسه الرضا والسكون وجا في الحديث
ان اهل الجنة بينما هم في نعيمهم سطع عليهم نور من فوق
اضات منه منازلهم كما تضي الشمس لاهل الدنيا فنظروا
الى رجال من فوقهم اهل عليين يرونهم كما يرون الكوكب

الدري

الدري في افق السماء وقد فضلوا عليهم في الانوار والجمال
والنعيم كما فضل القمر على ساير النجوم فينظرون اليهم
فيطيرون على نجب تسرح بهم في الهوى يزورون ذلك الجلال
والاكرام فينادون هولاء يا اخواننا ما انصفتمونا كنا
نصلي كما تصلون ونصوم كما تصومون فما هذا الذي فضلتم
به علينا فاذا النداء من قبل الله عز وجل انهم كانوا يجوعون
حين تشبعون ويعطشون حين تروون ويعرون حين
تكتسون ويذكرون حين تسكتون ويبكون حين تضحكون
ويقومون حين ترقدون ويخافون حيث تامنون فلذلك
فضلوا عليكم اليوم فذلك قوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم
من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون وقالوا ابو علي الدقاق
رضي الله عنه رؤي بعضهم مجتهدا فقيل له في ذلك فقال
ومن اولى مني بالاجتهاد وانا اطمع ان الحق الابرار والكبار من
السلف الصالح رضي الله عنهم وقد قال الله سبحانه وتعالى
وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وفي معناه انشدوا السباق قولا وفعلا
حذر النفس حسرة المسبوق الخذلان كل الخذلان ان تتفرغ من
الشواغل ثم لا تتوجه اليه وتقل عوايقك ثم لا ترحل اليه
من الخذلان ان تصدك العوايق والشواغل عن التوجه الى الله
تعالى والرحيل اليه بل الواجب عليك ان تبادر الى ذلك
وترمي بالعوايق والشواغل خلف ظهرك كما قيل سيروا الى الله
عرجا ومكاسير ولا تنتظروا الصحة فان انتظار الصحة بطالة
قال الله عز وجل انفروا خفافا وثقالا وقد تقدم هذا المعنى
عند قوله احالتك الاعمال على وجود الفراغ من رعونات النفس
فان زالت شواغلك وقلت عوايقك ثم قعدت عن التوجه والرحيل
فهو الخذلان كل الخذلان اعاذنا الله منه قال الامام ابو القاسم

القشيري رضي الله عنه فراغ القلب عن الاشتغال نعمة عظيمه
فاذا كفر العبد هذه النعمه بان فتح على نفسه باب الهوي وانجر
في قياد الشهوات شوش الله تعالى عليه نعمة قلبه وسلبه ما يجد
من صفا قلبه **باب الذكر لا تترك الذكر لعدم**
حضورك مع الله فيه لان غفلتك عن وجود ذكره اشد من غفلتك
في وجود ذكره فعسى ان يرفعك من ذكر مع وجود غفلة الي ذكر
مع وجود يقظه ومن ذكر مع وجود حضور ومن ذكر مع وجود حضور
الي ذكر مع غيبة عما سوى المذكور وما ذلك على الله بعزيز

يقظة الى ذكر مع وجود

الذكر اقرب الطرق الى الله تعالى وهو علم على وجود ولايته كما
قيل الذكر منشور الولايه فمن وفق للذكر فقد اعطي المنشور
ومن سلب الذكر فقد عزل وقال الشاعر

والذكر اعظم باب انت داخله ۞ لله فاجعل له الانفاس حراسا

قال الامام ابو القاسم القشيري رضي الله عنه الذكر عنوان
الولاية وعنان الوصلة وتحقيق الارادة وعلامة صحة البدايه
ودلالة صفاء النهايه فليس وراء الذكر شي وجميع الخصال
المحمودة راجعة الى الذكر ومنشاها عن الذكر وفضايل الذكر
اكثر من ان تحصى ولو لم يرد فيه الا قوله تعالى في كتابه العزيز
فاذكروني اذكركم وقوله عز وجل فيما يرويه عنه رسول الله صلى
الله عليه وسلم انا عند ظن عبدي بي وانا معه حين يذكرني
ان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملا ذكرته
في ملا خير منه وان تقرب الي شبرا تقربت منه ذراعا وان تقرب
الي ذراعا تقربت منه باعا وان اتاني مشيا اتيته هرولة
لكان في ذلك الشفا والغنيه وهذا الحديث متفق على صحته
قالوا ومن خصايصه انه غير موقت بوقت فما من وقت الا والعبد
مطلوب به اما وجوبا واما ندبا بخلاف غيره من الطاعات

قال

قال ابن عباس رضي الله عنهما لم يفرض الله تعالى على عباده
فريضة الا جعل لها حدا معلوما ثم عذر اهلها حال العذر
غير الذكر فانه لم يجعل له حدا ينتهي اليه ولم يعذر احد في تركه
الا مغلوبا على عقله وامرهم بذكره في الاحوال كلها فقال عز
من قايل فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم وقال تعالى
يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا اي بالليل والنهار
والسفر والحضر والغنا والفقر وفي الصحة والسقم والسر
والعلانيه وعلى كل حال وقال مجاهد رضي الله عنه الذكر
الكثير ان لا تنساه ابدا وروي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال اكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون
فينبغي للعبد ان يستكثر منه في كل حالاته ويستغرق
فيه جميع اوقاته ولا يغفل عنه وليس له ان يترك لوجود
غفلته فيه فان تركه له وغفلته عنه اشد من غفلته فيه
فعليه ان يذكر الله تعالى بلسانه وان كان غافلا فيه فلعل
ذكره مع وجود الغفلة يرفعه الى الذكر مع وجود اليقظه وهذا
نعت العقلا ولعل ذكره مع وجود اليقظه يرفعه الى الذكر مع
وجود الحضور وهذه صفة العلماء ولعل ذكره مع وجود الحضور
يرفعه الى الذكر مع وجود الغيبه عما سوى المذكور وهي مرتبة
العارفين المحققين من الاولياء قال الله تعالى واذكر
ربك اذا نسيت اي اذا نسيت ما دون الله عند ذلك تكون
ذاكرا لله تعالى وفي هذا المقام ينقطع ذكر اللسان ويكون
العبد محوا في وجود العيان وفي هذا المعنى انشدوا

ما ان ذكرتك الا هم يلعنني ۞ سري وقلبي وروحي عند ذكراكا
حتى كان رقيبا منك يهتف بي ۞ اياك ويحك والتذكار اياكا
اما ترى الحق قد لاحت شواهده ۞ وواصل الكل من معناه معناكا

وقال الواسطي مشيرا الى هذا المقام الذاكرون في ذكره
اكثر غفلة من الناسين لان ذكره سواه قال ابو العباس
ابن البنا في كلام ذكره على مقدمة كتاب ابن ابي العز تقي الدين
ابن المظفر الشافعي وهو كتاب الاسرار العقليه في الكلمات
النبويه ورايت هذا الكلام بخطه رحمه الله تعالى ومن احسن
الذكر ما هاج عن خاطر وارد من المذكور جل ذكره وهذا هو
الذكر الخفي عند المتصوفه على الاستهتار والتمكن في الاسرار
واما قولهم حتى يتمكن المذكور الى حاله يستغرق به عن
الذكر فليس ذلك تمكن حلول ولا اتحاد بل حكمة وقدرة من
عزيز عليم وبيان غور ذلك ان يكون القلب عند الذكر في
الذكر فارغا من الكل فلا يبقى فيه غير الله جل ذكره فيصير
القلب بيت الحق ويمتلي منه فيخرج الذكر من غير قصد ولا تدبير
وحينيذ يكون للحق المبين لسانه الذي ينطق به فان بطش هذا
الذاكر كان يده التي يبطش بها وان سمع كان سمعه الذي
يسمع به قد استولى المذكور العلي على الفواد فامتلكه وعلى
الجوارح فصرفها فيما يرضيه وعلى الصفات من هذا العبد
فقلبها كيف يشا في مرضاته فلذلك يخرج الذكر من غير تكليف
وتنبعث الاعمال بالطاعات نشاطا ولذة من غير كلل ذلك
فضل الله يوتيه من يشا والله ذو الفضل العظيم ان الله
مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وصف الله تعالى ام
موسى عليه الصلاة والسلام بمعنى ذلك في قوله الحق واصبح
فواد ام موسى فارغا اي فارغا من كل شي الا من ذكر موسي
فكادت ان تبدي به من غير قصد منها لذكره ولا تدبير
بل كان تركها للتصريح بذكره صبرا انما ربط الله تعالى على
قلبها لتكون من المومنين لما اوحى اليها من قبل في شان موسي

وانه

وانه لمن المرسلين وبذلك يندفع الاشكال الذي ذكر ابو العز
ووصفه بالعظم وهو اجتماع ضدين في بادي الراي وهما الذكر
والغفلة عن الذكر وهذه المعالم والمراقي لا يعرف حقايقها الا
السالكون وجدانا والعلماء ايمانا وتصديقا واياك والتكذيب
بايات الله فتكون من البكم الصم في الظلمات واما المذكور لا يجوز
عليه وصف البعد والعدم ولا يمنعه حجاب ولا يحويه مكان
ولا يشتمل عليه زمان ولا يجوز عليه الغيبة بوجه ولا يتصف
بحلول الات المحدثين ولا يجري عليه احكام المخلوقين فهو حاضر
عينا ومعنى وشاهد سرا ونجوى اذ هو القريب من كل
شي اقرب للذاكر له من نفسه من حيث الايجاد له والعلم
به والمشيئة فيه والقدرة والتدبير له والقيام عليه.
خلق الخليقه فلا يلحقه اوصافها واوجد الاعداد فلا
يحصره معانيها سبحانه وهو العلي الكبير انتهى كلام الشيخ
ابو العباس رحمه الله تعالى في معنى المقام الثالث من مقامات
الذكر وهو في غاية الحصر والتحقيق مشيرا الى توحيد الخواص
من اهل هذا الطريق فلا ينبغي ان يستبعد العبد الوصول
الى هذا المقام الكريم فليس ذلك بعزيز على الفتاح العليم
فعلى العبد القيام بحسن الاسباب ومن الله تعالى رفع الحجاب
اكرمك كرامات ثلاث جعلك ذاكرا له ولولا فضله لم تكن
اهلا لجريان ذكره عليك وجعلك مذكورا به اذ حقق نسبته
لديك وجعلك مذكورا عنده فتمم نعمته عليك
اكرم الله تعالى عبده المومن بثلاث كرامات جمع له فيها كل المفاخر
والمحامد اولها كونه ذاكرا له بان اجرى ذكره على قلبه ولسانه
ومن اين له ذلك وباي وسيلة نال له لولا فضل الله تعالى وكرمه
وثانيها كونه مذكورا به فيقال هذا عبد الله ووليه وصفيه ومختاره

وذلك لما اكرمه به من تحقيق النسبة لديه وهي اثبات الخصوصية وسيجي
معنى الخصوصية في باب قرب العبد عند قوله لا يلزم من ثبوت
الخصوصية له وقد تقدم معنى الخصوصية ايضا وثالثها
كونه مذكورا عنده وهذه هي غاية الاكرام ومنتهى الفضل
والانعام قال الله تعالى ولذكر الله اكبر قيل معناه ذكر الله
عبده اكبر من ذكر العبد الله وفي حديث ابي بن كعب رضي
الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان
اقرا عليك القران قال قلت يا رسول الله سماني لك ربك
قال نعم فقرا علي قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا
هو خير مما يجمعون وفي حديث ابي حيوم البدري رضي الله
عنه قال لما نزلت لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب الى
اخرها قال جبريل عليه السلام ان ربك يامرك ان تقرئها
أبيا فقال صلى الله عليه وسلم لابي ان جبريل امرني
ان اقريك هذه السورة قال ابي او ذكرت ثم يا رسول
الله قال نعم فبكى ابي وفي حديث ابي هريرة رضي الله
عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى انا
عند ظن عبدي بي وانا معه اذا ذكرني ان ذكرني في نفسه
ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منه
وان تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا وان تقرب الي
ذراعا تقربت اليه باعا وان اتاني يمشي اتيته هرولة
وعن ابي هريرة وابي سعيد الخدري رضي الله عنهما
شهدا ان به على النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما
جلس قوم مسلمون مجلسا يذكرون الله تعالى فيه الا
حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة
وذكرهم الله فيمن عنده قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه
ياغفول

يا غفول يا جهول لو سمعت صرير القلم حين يجري في اللوح المحفوظ
بذكرك لمت طربا **ماكان ظاهر ذكر الاعن باطن شهود وفكر**
اعمال الظاهر تبع لما يكون في الباطن وسياتي المعنى عند
قوله ما استودع في غيب السرائر ظهر في شهادة الظواهر
فالذكر الظاهر لا محالة ثمرة باطن الشهود والفكر

باب الفكرة الفكرة سير القلب في ميادين الاغيار

الفكرة التي امر بها العبد وحض عليها هي سير القلب
في ميادين الاغيار فقط وهي مخلوقات الله تعالى ومصنوعاته
واما الفكرة في ذات الله تعالى فلا سبيل اليها يعتبر المتفكرون
في ايات الله ولا يتفكرون في ماهية ذاته روي عن ابن
عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابصر قوما فقال ما لكم قالوا نتفكر في الخالق فقال تفكروا في
الخلق ولا تتفكروا في الخالق فانكم لا تقدرون قدره قال
الامام ابو القاسم القشيري رضي الله عنه التفكر
نعت كل طالب وثمرته الوصول بشرط العلم فاذا سلم
الفكر عن الشوائب ورد صاحبه على مناهل التحقيق ثم
ثم فكر الزاهدين في فناء الدنيا وقلة وفائها لطلابها
فيزدادون بالتفكر زهدا فيها وفكر العابدين في جميل
الثواب فيزدادون نشاطا عليه ورغبة فيه وفكر
العارفين في الالاء والنعماء فيزدادون محبة لله سبحانه
وقال الجنيد رضي الله عنه اشرف المجالس واعلاها
الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد وفي بعض النسخ الفكرة
سير القلب في ميادين الاعتبار ومعناه ظاهر **الفكرة
سراج القلب فاذا ذهبت فلا اضاءة له** القلب الخالي من الفكرة
خال من النور مظلم بوجود الجهل والغرور وقد تقدم هذا

هذا المعنى عند قوله ما نفع القلب شي مثل عزلة يدخل بها ميدان
فكره الفكرة فكرتان فكرة تصديق وايمان وفكرة شهود
وعيان فالاولى لارباب الاعتقاد والثانية لارباب الشهود والاستبصار
تقدم الان ان الفكرة سير القلب في ميادين الاغيار وسيره
على وجهين صعود ونزول فالصعود لارباب الاغيار ومنتهى
فكرة ناشية عن التصديق والايمان وهذا للسالكين وهو حال
ترقيهم وهو نعت المستدلين بالاثار على الموثر والنزول
لارباب الشهود والاستبصار وفكرتهم فكرة ناشية عن الشهود
والعيان وهذا للمجذوبين وهو حال تدليهم وهو وصف
المستدلين بالموثر على الاثار وسيجي هذا المعنى عند ذكر
المجذوب والسالك في باب تفاوت مراتب السالكين باب
الزهد وفضيلته ما قل من عمل برز من قلب زاهد ولا
اكثر عمل برز من قلب راغب مقادير الاعمال على حسب
قلوب العمال فما صدر عن الزاهدين في الدنيا من عمل طاعة
وان كان قليلا في الحس فهو قليل على التحقيق وذلك لان الزاهدين
سلموا من الافات التي تقدح في اخلاص اعمالهم من مرايات
الناس والتصنع لهم وطلب الاعواض عليها الدنيوية عليها
منهم لانهم زهدوا فيها فيحصل لهم قبول اعمالهم فيتوفر
قليلها بسبب ذلك ويكثروا الراغبون وقد قال سيدنا
ومولانا علي بن ابي طالب رضي الله عنه كونوا لقبول العمل اشد
اهتماما منكم للعمل فانه لا يقل عمل مع التقوى وكيف يقل
عمل يتقبل وقد وصف الله تعالى ذكر المومنين بالكثرة لما تضمنه
من وجود الاخلاص وعدم رياء الناس فقيل في قوله عز
وجل يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا يعني خالصا
كثيرا فسمي الخالص كثيرا وهو ما خلصت فيه النية لوجه الله تعالى
وذكر

٤٨

وذكر وصف المنافقين بالقلة لما اشتمل عليه من عدم
الاخلاص ووجود ريا الناس فقال الله عز وجل يراون
الناس ولا يذكرون الله الا قليلا غير خالص وروى عن
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه قال ركعتان من عالم
زاهد خير من عبادة المتعبدين المجتهدين الى اخر الدهر
ابدا سرمدا وقال بعض الصحابه رضوان الله عليهم اجمعين
لصدر التابعين رضي الله عنهم انتم اكثر اعمالا واجتهادا من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم كانوا خيرا منكم قيل له ولم
ذلك قال كانوا ازهد منكم في الدنيا وعن بعض الصحابة رضي
الله عنهم قال تابعنا الاعمال كلها فلم نر في امر الاخرة ابلغ من
الزهد في الدنيا وقال سيدي الشيخ ابو سليمان الداراني
رضي الله عنه سالت سيدي الشيخ معروف الكرخي رضي الله عنه
عن الطايعين لله تعالى باي شي قدروا على الطاعة قال باخراج
الدنيا عن قلوبهم ولو كان شي منها في قلوبهم ما صحت لهم سجدة
وقال سيدي الشيخ ابو عبد الله القرشي رضي الله عنه شكى
بعض الناس لرجل من الصالحين انه يعمل اعمال البر ولا يجد
حلاوة في قلبه قال لان عندك بنت ابليس وهي الدنيا ولا
بد للاب ان يزور بنته في بيتها وهو قلبك ولا يوثر دخوله
الا فسادا وكان سيدي الشيخ سهل بن عبد الله رضي الله
عنه يقول يعطى الزاهد ثواب العلماء والعباد ثم يقسم على
المومنين ثواب اعماله ولا يرى في القيمة احد افضل من زاهد
عالم ورع ليقل ما تفرح به يقل ما تحزن عليه درك
المفاسد اهم عند العقلاء من جلب المصالح فمن زوى
الله تعالى عنه فضول الدنيا فرضي بذلك وقنع منها باليسير
ولم يتطلع الى زيادة من مال او جاه فهو كامل العقل حسن

النظر لنفسه لانه دفع عن نفسه مفسدة وجود الحزن لتركه لما يفيد
حصول منفعة الفرح الذي يزول عن قرب واعتاض من ذلك
الراحة الدايمة كما قيل

ومن سره ان لا يرى ما يسوءه ... فلا يتخذ شيا يخاف له فقدا
فان صلاح المرء يرجع كله ... فسادا اذا الانسان جاز به الحدا

قيل لبعضهم لم لا تغتم فقال لاني ما اقتني ما يغمني فقده فالمفروح
به هو المحزون عليه ان قليلا فقليل وان كثيرا فكثير
كما قيل ... على قدر ما اولعت بالشي حزنه ... ويصعب نزع السهم مهما تمكنا

ويحكى انه حمل الى بعض الملوك قدح من فيروزج مرصع بالجواهر
لم ير له نظير ففرح الملك به فرحا شديدا فقال لبعض الحكما
عنده كيف ترى هذا فقال اراه مصيبة وفقرا قال وكيف
ذلك قال ان انكسر كانت مصيبة لا جبر لها وان سرق صرت
فقيرا اليه ولم تجد مثله وقد كنت قبل ان يحمل اليك في امن
من المصيبة والفقر فاتفق ان انكسر القدح يوما فعظمت
مصيبة الملك فيه وقال صدق الحكيم ليته لم يحمل الينا
وامثال هذه المصيبة واعظم منها نازلة بكل من له
علاقة بشي من اسباب الدنيا فانها ان لم توخذ منه بغصب
او سرقة او جايحة نازلة فلا بد ان يوخذ عنها بالموت
الهادم للذات المبغض للشهوات فان كان له الف محبوب مثلا
نزل به عند الموت الف مصيبة في وقت واحد لا تداركها
كلها وقد سلبت منه في كرة واحدة فلذلك كان الزهد
في الدنيا من فضايل العقل قال سهل بن عبد الله رضي
الله عنه العقل الف اسم ولكل اسم منه الف اسم واول
اسم منه ترك الدنيا وقيل للحسن رضي الله عنه كيف يسمى
عاقلا وهو يمسي ويصبح في الدنيا ومباهاة اهلها في المطاعم
والمشارب

والمشارب والملابس والمراكب اوليك هم الخاسرون واوليك
هم الغافلون واوليك هم الجاهلون وقد قيل في هذا المعنى
وانشدوا ... ايها المرء ان دنياك بحر ... طافح موجه فلا تامنها
وسبيل النجاة فيها مبين ... وهو اخذ الكفاف والقوت منها

وقال ابو علي الثقفي رضي الله عنه اف من اشغال الدنيا اذا
اقبلت واف من حسراتها اذا ادبرت والعاقل من لا يركن الى
شي اذا اقبل كان شغلا واذا ادبر كان حسرة وقد قيل في معناه

ومن يحمد الدنيا لشي يسره ... وسوف لعمري عن قريب يلومها
اذا ادبرت كانت على المرء حسرة ... وان اقبلت كانت كثيرا همومها

وقيل لابي القاسم الجنيد رضي الله عنه متى يكون الرجل
موصوفا بالعقل قال اذا كان للامور مميزا ولها متصفحا
وعما يوجب عليه العقل باحثا يلتمس بذلك طلب الذي
هو اولى ليعمل به ويوثره على ما سواه فان كان ذلك فمن
صفته ركوب الفضل في كل احواله بعد احكام العمل بما فرض
عليه وليس من صفة العقلا اغفال النظر لما هو احق
واولى ولا من صفتهم الرضا بالنقص والتقصير
فمن كانت هذه صفته بعد احكامه لما يجب عليه من عمله
ترك التشاغل بما يزول وترك العمل بما يفنى وينقضي
وذلك صفة كل ما حوت عليه الدنيا وكذلك لا يرضى
ان يشغل نفسه بقليل زايل ويسير حايل بل يصد
التشاغل به والعمل له عن امور الاخرة التي يدوم نعيمها
ونفعها ويتابد سرورها ويتصل بقاوها وذلك ان
الدين يدوم نفعه ويبقى على العامل له حظه وما سوى
ذلك زايل متروك مفارق موروث يخاف مع تركه سوء
العاقبة فيه ومحاسبة الله عليه وكذلك صفة العاقل

لانه يتصفح الامور بعقله ولا اخذ منها باوفره قال الله تعالى
الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين
هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب بذلك وصفهم الله تعالى
وذووا الالباب هم ذووا العقول وانما وقع الثنا عليهم
بما وصفهم الله تعالى بالاخذ باحسن الامور عند استماعها
واحسن الامور هو افضلها وابقاها على اهلها نفعا في
العاجل والآجل والى ذلك ندب الله عز وجل من عقل
في كتابه انتهى كلام الجنيد رضي الله عنه وهو في غاية
الحسن ونهاية التحقيق وفيه مناسبة لما كنا بصدده
من التنبيه على كلام المولف فرايت ذكره ههنا لايقا والله
تعالى الموفق بمنه ان اردت ان لا تعزل فلا تتول ولاية لا
تدوم لك هذه من امثلة ما تقدم لان الولاية مالها الى الحزن
بسبب وقوع العزل عنها ومقتضى نظر العقل ترك الولاية المفرح
بها لئلا يقع في العزل المحزون به ان رغبتك البدايات زهدتك
النهايات ان دعاك اليها ظاهر نهاك عنها باطن [باطن صح] بدايات الامور وظواهرها يرغب
الجاهل فيها وتدعوا اليها لانها رايقة الحسن مليحة الظاهر
فيغتر الجاهل بذلك فتقوده الى ما فيه ضرره وهلاكه ونهايا
الامور وبواطنها تزهد العاقل وتنهاه عنها لما اشهدته
من سماجتها وقبح باطنها فيعتبر العاقل بذلك فيهرب
منها ويسلم من شرها وسياتي هذا المعنى قريبا عند
قوله الاكوان ظاهرها غرة وباطنها عبرة قال وهب
ابن منبه رضي الله عنه صحب رجل بعض الرهبان سبعة ايام
ليستفيد منه شيا فوجده مشغولا عنه بذكر الله تعالى والفكر
لا يفتر ثم التفت في اليوم السابع فقال يا هذا قد علمت ما تريد
حب الدنيا راس كل خطيئة والزهد في الدنيا راس كل خير والتوفيق
بجاح

نجاح كل بر فاحذر راس كل خطيئة وارغب في راس كل خير
وتضرع الى ربك ان يهب لك نجاح كل بر قال وكيف اعرف
ذلك قال كان جدي رجلا من الحكما قد شبه الدنيا بسبعة اشيا شبهها
بالما المالح يغر ولا يروي ويضر ولا ينفع وبظل الغمام يغر
ويخذل وبالبرق الخلب يغر ولا ينفع وبسحاب الصيف يغر
ولا ينفع وبزهر الربيع يغر بنضرته ثم يصفر فتراه هشيما وباحلام
النائم يرى السرور في منامه فاذا استيقظ لم يجد في منامه
شيا الا الحسرة وبالعسل المشوب بالسم الزعاف يغر ويقتل
فتدبرت هذه الاحرف السبع [السبع صح] سبعين سنة ثم زدت فيها حرفا
واحدا فشبهتها بالغول التي تهلك من اجابها وتترك من اعرض
عنها فرايت جدي في النوم فقال لي يا بني انت مني وانا منك
قلت فباي شي يكون الزهد في الدنيا قال باليقين
واليقين بالصبر والصبر بالعبر والعبر بالفكر ثم وقف الراهب
فقال خذها ولا اراك خلفي الا مجردا بفعل دون قول فكان
ذلك اخر العهد به وقال محمد بن علي الترمذي رضي الله
عنه لم تزل الدنيا مذمومة في الامم السالفة عند العقلا
منهم وطلابها مهانين عند الماضين وما قام داع في امة
الا حذر من متابعة الدنيا وجمعها والحب لها الا ترى
مومن آل فرعون كيف قال اتبعوني اهدكم سبيل الرشاد
ثم قال انما هذه الدنيا متاع اي لم تصل الى سبيل الرشاد [المحبوة صح]
وفي قلبك محبة الدنيا وطلبك لها والحكايات والاثار
في احوال الدنيا وغرورها وشرورها اكثر من ان تحصى
ولا شي ابين في ذلك من قوله تعالى في صفتها اعلموا انما
الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في
الاموال والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا

ثم يكون حطاما وفي الاخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان
وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور انما جعلها محلا للاغيار
ومعدنا لوجود الاكدار تزهيدا لكم فيها ورود الاغيار والاكدار
الدنيا ونبه على العبد نعم من الله تعالى عليه لان ذلك لا
محالة يدعوه الى الزهادة في الدنيا والتجافي عنها ويصرف
عنه وجود الغباوة والجهالة لاجل تمسكه بالخيال وما
يستضر به في الحال والمال لان الموجب لرغبته فيها
وحرصه على نيلها انما هو ما يتوهمه فيها من الحصول
على منيته وبغيته وقضا غرضه من شهوته ونهمته من
غير مكدر ولا منغص ولو تصور له حصوله على هذه الاشيا
على حسب ما يحبه ويهواه كان ينبغي له ان يرغب عنها عوضا
عن الرغبة فيها ان كان عاقلا لان مآل امرها الى الفنا
والزوال والانقضا والارتحال وقد قالوا شر لا يدوم
خير من خير لا يدوم وقال الشاعر

اشد الغم عندي في سرور * تيقن عنه صاحبه انتقالا
اري الدنيا على من كان فيها * تدور فلا تديم عليه حالا

ثم هي مانعة له من سعادة الاخرة والقرب من الله عز وجل
الذي هو غاية طلب الطالبين ونهاية رغبة الراغبين
فكيف وهو معرض فيها لانواع المصايب والفجايع ووقوع
الاغيار والاكدار فما من احد فيها الا وهو في كل حال
ووقت غرض لاسهم ثلثة سهم بليه وسهم رزيه وسهم
منيه فاذا نزل به ذلك عادت النعمة نقمه وانقلبت الحبره
عبره وصارت الفرحه ترحه وهكذا شان الدنيا ابدا فلا
يفي مرجوها بمخوفها ولا يقوم خيرها بشرها ولقد صدق الشاعر في قوله

ان الليالي لم تحسن الى احد * الا اساءت اليه بعد احسان

وصدق

وصدق ايضا من قال

ما قام خيرك يا زمان بشره * اولى بنا ما قل منك وما كفى
زمن اذا اعطى استرد عطاءه * واذا استقام بدا له متحرفا

وقد كتب علي بن ابي طالب الى سلمان الفارسي رضي الله
عنهما انما مثل الدنيا كمثل الحية لين مسها قاتل سمها
فاعرض عنها وعما يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها ودع عنك
همومها لما تيقنت من فراقها وكن اسر ما تكون فيها
احذر ما تكون منها فان صاحبها كلما اطمان فيها الى سرور
اشخص منها الى مكروه وقال بعض البلغا دار الدنيا
كالاحلام المنام وسرورها كظل الغمام واحداثها كصوايب السهام
وشهواتها كمشوب السمام وفتنتها كالامواج الطوام
وقال ابو العتاهيه

هي الدار دار الاذى والقذى * ودار الفنا ودار الغير
ولو نلتها بحذافيرها * لمت ولم تقض منها الوطر
ايا من يومل طول البقا * وطول الخلود عليه ضرر
اذا ما كبرت وبان الشباب * فلا خير في العيش بعد الكبر

وانشد ابو منصور الثعالبي رحمه الله في ذم الدنيا فقال

تنح عن الدنيا فلا تخطبنها * ولا تخطبن قتالة من تناكح
فليس يفي مرجوها بمخوفها * ومكروهها اما تاملت راجح
لقد قال فيها الواصفون فاكثروا * وعندي لها وصف لعمري صالح
سلاف قصاراها زعاف ومركب * شهي اذا استلذذته فهو جامح
وشخص جميل يونق الناس حسنه * ولكن له اسرار سوء قبايح

فاذا علم العبد هذا كل علم يقين وتمكن من قلبه غاية التمكين لم
يتصور منه مع ذلك وجود رغبة البتة لانه اذ ذاك يجمع بين
خيبتين وخسارتين ويأتيه الموت وهو صفر اليدين من

منافع الدارين وذلك هو الخسران المبين قال ابو هاشم
الزاهد رضي الله تعالى عنه ان الله تعالى وسم الدنيا
بالوحشة ليكون انس المريدين به دونها وليقبل المطيعون
اليه بالاعراض عنها واهل المعرفة بالله تعالى من الدنيا
مستوحشون والى الاخرة مشتاقون وقيل اوحى الله
تعالى الى الدنيا تضيقي وتشددي على اوليائي وترفهي
وتوسعي على اعدائي تضيقي على اوليائي حتى لا يشتغلوا
بك عني وتوسعي على اعدائي حتى يشتغلوا بك عني فلا
ينتفعوا الذكري علما بان لا تقبل النصح المجرد فقد وتكون من
ذوائقها ما يسهل عليك وجود النصح المجرد لا يقبله الا من لم يستحكم
فيه حب العاجلة ولا انس بلذاتها الفانية وكان كريم
الطبع سهل القياد فاما من رسخت فيه تلك الخبايث
وتمكنت من باطنه وكان لئيم السجية صعب المقادة
فلا بد في قصد هدايته وارشاده من زيادة على النصح
والوعظ وهو وجود ما يقهره ويجبره وليس ذلك الا ما
ذكرناه فاعرف قدر النعمة عليك بذلك واعمل بمقتضاها
وسلم لربك في حكمته وقدرته وحسن ظنك به وسيأتي
هذا المعنى في باب الشكر عند قوله من لم يقبل على الله
تعالى بملاطفة الاحسان قيد اليه بسلاسل الامتحان
الطي الحقيقي ان تطوي مسافة الدنيا عنك حتى ترى الاخرة
اقرب اليك منك طي مسافة الدنيا انما يتصور من العبد اذا
اشرق نور اليقين في قلبه فحينئذ تنعدم الدنيا في نظره
وتنطوي في اعتباره ويرى الاخرة حاضرة لديه موجودة
عنده بل يراها اقرب اليه منه اذ ذاته فانية منطوية بهذا
الاعتبار فمن كانت هذه مشاهدته لا يتصور منه حب الغائب
الفاني

القاني وهو الدنيا واستبدله بالخاص الباقي وهو الاخرة
ولذلك كان اصل الرغبة في الدنيا وايثارها على الاخرة
ضعف اليقين فمن لم يشرق في قلبه نور اليقين لم يشاهد
الملك الكبير ومن لم يشاهده احب الدنيا وهي لا شيء
فلم تكن قيمته عند الله شيئا فهذا هو الطي الحقيقي لمسافة
الدنيا الذي يكرم الحق به اولياءه وبه تتحقق عبوديتهم
لربهم عز وجل لا طي مسافة الارض الذي ربما تكون
استدراجا ومكرا ولا طي الليالي والايام بالوصال
للصائم وترك الشراب والطعام اذا لم يتمحض طاعة وبرا
ويدل على ما ذكر كلام المؤلف رحمه الله تعالى لو اشرق
نور اليقين لرايت الاخرة اقرب من ان ترحل اليها
ولرايت محاسن الدنيا قد ظهرت كسفة الفناء عليها
نور اليقين تدرك به حقائق الامور على ما هي عليه
فيحق به الحق ويبطل به الباطل والاخرة حق والدنيا
باطل فاذا اشرق نور اليقين في قلب العبد ابصر به الاخرة
التي كانت غائبة عنه حاضرة لديه حتى كانها لم تزل
وكانت اقرب اليه من ان يرحل اليها فحق بذلك حقها
عنده وابصر الدنيا الحاضرة لديه قد انكسفت نورها
واسرع اليه الفنا والذهاب فغابت عن نظره بعد ان
كانت حاضرة فظهر له بطلانها حتى كانها لم تكن فيوجب
له هذا النظر اليقيني الزيادة في الدنيا والتجافي عن
زهرتها والاقبال على الاخرة والتهيئ لنزول حضرتها
ووجدان العبد لهذا هو علامة انشراح صدره بذلك
النور كما قال صلى الله عليه وسلم ان النور اذا دخل
القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل يا رسول الله هل

لك لك من علامة تعرف بها قال نعم التجافي عن دار الغرور
والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله
او كما قال صلى الله عليه وسلم وعند ذلك تموت شهواته
وتذهب دعاوي نفسه فلا تامره بسوء ولا تطالبه
بارتكاب منهي ولا تكون له همة الا المسارعة في الخيرات
والمبادرة لاغتنام الساعات والاوقات وذلك
لاستشعاره طول الاجل وفوات صالح العمل والى هذا
المعنى الاشارة بحديثي حارثة ومعاذ رضي الله عنهما

مطلب حديث حارثة رضي الله تعالى عنه

روى انس بن مالك رضي الله عنه قال بينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم يمشي اذ استقبله شاب من الانصار
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كيف اصبحت يا حارثة
فقال اصبحت مؤمنا بالله حقا قال انظر ما تقول فان
لكل قول حقيقة فقال يا رسول الله عزفت نفسي عن
الدنيا فاسهرت ليلي واظمات نهاري فكاني بعرش الرحمن
بارزا وكاني انظر الى اهل الجنة يتزاورون فيها وكاني انظر
الى اهل النار يتعاوون فيها فقال ابصرت فالزم عبد نور
الله الايمان في قلبه فقال يا رسول الله ادع لي بالشهادة
فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم فنودي يوما في
الخيل يا خيل الله اركبي فكان اول فارس ركب واول
فارس استشهد فبلغ امه ذلك فجاءت الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله اخبرني عن ابني حارثة
فان يك في الجنة فلن ابكي ولن اجزع وان يك غير ذلك
بكيت ما عشت في الدنيا فقال يا ام حارثة انها ليست بجنة
ولكنها جنة في جنان والحارث في الفردوس الاعلى فرجعت
وهي تضحك وهي تقول بخ بخ لك يا حارثة وروى انس رضي الله عنه

ايضا

حديث معاذ رضي الله تعالى عنه آمينا

ايضا ان معاذ بن جبل رضي الله عنه دخل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال كيف اصبحت يا معاذ
قال اصبحت بالله مؤمنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ان لكل قول مصداقا ولكل حق حقيقة فما مصداق ما
تقول قال يا نبي الله ما اصبحت صباحا قط الا ظننت
ان لا امسي ولا امسيت مساء قط الا ظننت ان لا اصبح
ولا خطوت خطوة قط الا ظننت ان لا اتبعها باخرى
وكاني انظر الى كل امة جاثية تدعى الى كتابها مع نبيها واوثانها
التي كانت تعبد من دون الله وكاني انظر الى عقوبة اهل
النار وثواب اهل الجنة قال النبي صلى الله عليه وسلم
عرفت فالزم فهذان الرجلان الفاضلان حارثة
ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما لما اشرق عليهما نور
اليقين وتمكن من قلوبهما اي تمكين صدر منهما ما صدر مما
ذكرناه من فنون العبر وشاهدا امر الدارين بمنزلة
رأي العين فسلمت اعمالهما من العيوب والافات وحفظا
من الهفوات والسيئات وظهرت منهما الاسرار من القلوب
وسارعا في كل امر محبوب وطارت ارواحهما اشتياقا
الى لقاء الواحد الفرد وطابت انفسهما بالموت حتى صار
عندهما احلا من الشهد حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم
وكذلك غيرهما من الصحابة وكبار التابعين وائمة الدين رضي الله
عنهم اجمعين ولقد اصاب معبر عن حالهم فاسمع مقالا صادقا مقبولا
ان الالى ماتوا على دين الهوى وجدوا المنية منهلا معسولا
روى انس بن مالك رضي الله عنه ان حرام بن ملحان رضي
الله عنه وهو خال انس طعن يوم بير معونة في راسه فتلقى دمه
بكفه ثم نضحه على راسه ووجهه وقال فزت ورب الكعبه

وكان جبار بن سلمى فيمن حضر بير معونة مع عامر بن الطفيل ثم
اسلم بعد ذلك فكان يقول مما دعاني الى الاسلام انني طعنت
رجلا منهم فسمعته يقول فزت والله قال فقلت في نفسي
والله ما فاز اليس قتلته حتى سالت بعد ذلك عن قوله
فقالوا الشهادة فقلت فاز لعمر الله والمطعون ها هنا
والله اعلم هو عامر بن فهيرة رضي الله عنه وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم في شان الامراء الثلثة يوم
موته اخذ الراية زيد رضي الله عنه فاصيب ثم اخذها
جعفر فاصيب ثم اخذها ابن رواحة رضي الله عنه
فاصيب ثم اخذها خالد بن الوليد رضي الله عنه عن
غير امرة ففتح الله تعالى عليه المنة قال صلى الله عليه وسلم
والله ما يسرنا انهم عندنا او قال ما يسرهم انهم عندنا
وعيناه تذرفان فلله درهم لقد حازوا مرتبة شريفة
ومنزلة عالية منيفة وتبا لامثالنا الذين عميت بصايرهم
واظلمت سرايرهم فحجبت عنا شموس المعارف ووقعنا
في اودية المهالك والمتالف واغتررنا بهذه الدار
الغرارة والفتانة السحارة فتشبكت مخاليبنا مع شباكها
وارتبكنا في مصايدها واشراكها من غير شعور منا
بحالها وتزوير محالها فكنا في قصدنا اليها وتعويلنا عليها
بمنزلة ظمان لاح له سراب حسبه ما فلما جاءه لم يجد فيه
هناء ولا غناء ثم مع هذا كله ننتسب الى الدين وندعي
كمال المعرفة واليقين والدخول في غمار اولياء الله المتقين
مع ان احدنا لو خير بين حلول الحين والبقاء في الدنيا
معلقا باشفار العين لاختار البقاء فيها على هذا الحال مع كونه
لا يحدث نفسه في طاعة بازدياد ولا عن معصية بانتقال

وهذه

وهذه كلها اخلاق يهودية لا يليق بمن ينتسب الى الملة
المحمدية قال الله عز وجل مخبرا عن حال اليهود
وكاشفا لاسرارهم وهاتكا لاستارهم ولتجدنهم احرص
الناس على حياة ومن الذين اشركوا يود احدهم لو يعمر
الف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر والله
بصير بما يعملون فلو لم ينه العاقل عن محبة البقا في هذه
الدار ويامره بايثار دار القرار الا تشبهه باليهود
الناقضين للعقود المتهاونين باوامر المعبود لكان
ذلك ابلغ ناه وآمر فضلا عما ورد في ذلك من مواعظ وزواجر
نزع الله من قلوبنا حجاب الغفلة والغرور وحمانا عن
مشابهة كل ظلوم وكفور وحبب الينا لقاءه ورزقنا
ما رزق اصفياءه واحباءه بمنه وكرمه **الاكوان ظاهرها
غرة وباطنها عبرة فالنفس تنظر الى ظاهر غرتها
والقلب ينظر الى باطن عبرتها** الاكوان ها هنا كلما يمكن
ان يكون للنفس فيه حظ من متاع الدنيا وزهرتها وهي
رايقة الظاهر قبيحة الباطن كما قيل

على وجه مي مسحة من ملاحة • وتحت الثياب العار لو كان باديا

فهي من حيث ظاهرها حلوة خضرة وبالنظر الى باطنها جيفة قذرة
فالنفس تنظر الى زينتها الظاهرة فتغتر بها فيهلك صاحبها
والقلب ينظر الى مقابحها الباطنة فيعتبر بها ويسلم من شرها
وقد روي في الكتب السالفة ان الحواريين قالوا لعيسى
عليه السلام يا روح الله صف لنا اولياء الله تعالى الذين
لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقال عيسى عليه السلام هم
الذين نطق بهم الكتاب وبه نطقوا وبهم علم الكتاب وبه
علموا وبهم قام الكتاب وبه قاموا نظروا الى باطن الدنيا

حين نظر الناس الى ظاهرها وعاينوا اجل الدنيا حين عاين الناس
عاجلها فاماتوا منها ما خشوا ان يميتهم وتركوا منها ما
علموا ان سيتركهم فصار ذكرهم فيها فواتا وفرحهم بها
حزنا ما عارضهم منها رفضوه وما اشرف لهم بغير الحق
وضعوه خلقت الدنيا عندهم فلم يجددوها وخربت
فيما بينهم فلم يعمروها وماتت في صدورهم فلم يحيوها
هدموها وبنوا بها اخرتهم احيوا ذكر الموت واماتوا ذكر
الحياة يحبون الله ويحبون ذكره ويستضيئون بنوره و
يضيئون به لهم الخبر العجيب وكان بعض العلماء يقول
ما سطع لي زينة من زخرف الدنيا الا كشف لي باطنه
وظهر لي عزوف عنها قال ابو طالب المكي رضي الله
عنه فهذه عناية الله تعالى لمن وليه من الاولياء المقربين
منه فمن شهد الدنيا ولو وصفها لم يعتبر باخرها ومن
عرفها بباطن حقيقتها لم يعجب بظاهرها ومن كوشف بعاقبتها
لم يشتهوه زخرفها وكان عيسى عليه السلام يقول
ويلكم علماء السوء مثلكم مثل قناة حسن ظاهرها جص وباطنها
نتن ان اردت ان يكون لك عز لا يفنى فلا تستعزن بعز يفنى
العز الذي لا يفنى هو الغنا عن الاسباب كلها بوجود مسببها
لانه باق لا يفنى فالتعلق به عز لا يفنى والعز الذي يفنى
هو الغنا بالاسباب مع الغيبة عن مسببها لانها فانية
فالتعلق بها عز فان لا يبقى والتعلق بالله عز لا يفنى وليس
لك الا احدهما لانهما ضدان لا يجتمعان فان اخترت العز
الباقي بالله تعالى لم يقدر احد ان يذلك يحكى ان
رجلا امر بالمعروف لهارون الرشيد فحرج عليه هرون
الرشيد وكانت له بغلة سيئة الخلق فقال اربطوه معها تقتله

برجلها ففعلوا ذلك فلم تضره فقال اطرحوه في بيت وطينوا عليه
الباب ففعلوا ذلك فرئي في بستان وباب البيت مسدود
فاخبر هرون بذلك فاتي بالرجل فقال من اخرجك من
البيت فقال الذي ادخلني البستان فقال ومن ادخلك
البستان فقال الذي اخرجني من البيت فقال اركبوه دابة
فطوفوا به في البلد وليقل قايل الا ان هرون اراد
ان يذل عبدا اعزه الله فلم يقدر وان اخترت العز
بالاسباب خذلتك واسلمتك احوج ما تكون اليها وكنت
في غاية الذل والهوان حكي عن بعضهم انه قال رايت
في الطواف رجلا وبين يديه شاكريه يطردون الناس
فبعد ذلك بمدة رايت انسانا يتكفف الناس على الجسر
يسال شيا قال فكنت انظر اليه وشبهته بذلك الرجل
فقال ايش تنظر فقلت اشبهك برجل رايته في الطواف
من شانه كذا وكذا فقال انا ذلك الرجل تكبرت في موضع
يتواضع فيه الناس فوضعني في موضع يرتفع فيه الناس
قال في التنوير فان اعتززت بالله دام عزك وان
اعتززت بغيره فلا بقاء لعزك اذ لا بقاء لمن انت به معتز
قال وانشدنا بعض الفضلاء لنفسه ٥٥
ليكن بربك كل عزك يستقر ويثبت ٥٥ فان اعتززت بمن يموت فان عزك ميت ٥
قال ودخل انسان على بعض العارفين وهو يبكي فقال
ما شانك فقال مات استاذي فقال له ذلك ولم جعلت استاذك
من يموت ويقال اذا اعتززت بغير الله فقدته او
استندت الى غيره فقدته وانظر الى الهك الذي ظلت عليه
عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا انما الهكم الله الذي لا اله
الا هو وسع كل شي علما باب الفقر والفاقه

ورود الفاقات اعياد المريدين الاعياد عبارة عن الاوقات التي يعود على الناس بالمسرات والافراح وهم مختلفون في ذلك فمنهم من مسرته وفرحه بوجود حظه ونيل شهوته وغرضه وهذا هو حال عامة المسلمين ومنهم من مسرته وفرحه بفقدان حظوظه واعواز اماتيه واغراضه وهذا هو حال الخاصه من المريدين لان مدار امرهم انما هو على مراعاة قلوبهم وتصفية اسرارهم من كدورات الاغيار والاثار ولا يتاتى لهم ذلك الا بوجدانهم لما يقهرهم من ضروب الفاقات وانواع الحاجات والضرورات فتراهم يوثرون الفقر على الغنا والشده على الرخا والذل على العز والمرض على الصحه لما يحصل لهم بذلك رقة وحلاوه لا يعرف قدرها الا هم لانها من وجودهم لقرب ربهم وانسهم به في حال فقدان حظهم وكلما ازدادوا فاقة وبلاء زادهم مولاهم قربه وولاء كان بعضهم يطوف حول الكعبة وهو يقول موتزر بشملتي كما ترى • وصبية باكية كما ترى • وامراة عريانة كما ترى • يا من يرى الذي بنا ولا يرى • اما ترى ما حل بي اما ترى • فسمعه بعضهم فجمع له كسرا ودفعها اليه فقال له اليك عني لو كان معي شي لما امكنني ان اقول هذا القول قال في التنوير وفي البلايا والفاقات من اسرار الالطاف ما لا يفهمها الا اولوا البصاير الم تر ان البلايا تخمد النفس وتذيلها وتدهشها عن طلب حظوظها ويقع مع البلايا وجود الذل ومع الذل يكون النصره ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذله وقال ابو اسحق ابرهيم الهروي رضي الله عنه من اراد ان يبلغ الشرف كل الشرف فليختر سبعا على سبع فان الصالحين اختاروها حتى بلغوا سنام

الخير

الخير أن يختار الفقر على الغنا والجوع على الشبع والدون على المرتفع والذل على العز والتواضع على الكبر والحزن على الفرح والموت على الحياه وسياتي عند قول المولف رحمه الله تعالى من ظن انفكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره الشفا في هذا المعنى فواجب اذن ان يكون ورود الفاقات اعياد المريدين كما قال فاذا فقدوا ذلك بمواتاة الاسباب استشعروا وجود الحجاب وبعدهم عن محل الاقتراب فحزنوا لذلك وتاسفوا وودوا لو عاد اليهم الحال الاولى ومن هذا المعنى ما حكى عن خير النساج رضي الله عنه انه قال دخلت بعض المساجد فاذا فيه فقير فلما راني تعلق بي وقال ايها الشيخ تعطف علي فان محنتي عظيمه فقلت وما هي قال فقدت البلا وقرنت بالعافيه فنظرت فاذا هو قد فتح عليه بشي من الدنيا وقال بعضهم ان الفقير الصادق ليتحرز من الغنا حذرا ان يدخل عليه الغنا فيفسد عليه فقره كما ان الغني يتحرز من الفقر حذرا ان يدخل عليه فيفسد عليه غناه وسياتي عند قوله خيرا وقاتك وقت تشهد فيه وجود فاقتك من حكايات عطا السلمي والفتح الموصلي والفضيل بن عياض والربيع بن خيثم رضي الله عنهم ما يوافق ما ذكرناه

وانشد وا في ذكر اعياد المريدين والعارفين وقيل انها لابي علي الروذباري رضي الله عنه • قالوا غدا العيد ماذا انت لابسه • فقلت خلعة ساق حبه جرعا •

• فقر وصبر هما ثوباي تحتهما • قلب يرى الفه الاعياد والجمعا •

• احرى الملابس ان تلقى الحبيب به • يوم التزاور في الثوب الذي خلعا •

• الدهر لي ماتم ان غبت يا املي • والعيد ما كنت لي مراى ومستمعا •

ربما وجدت من المزيد في الفاقات ما لا تجده في الصوم والصلاة

ورود الفاقات يحصل للمريد بها مريد كثير من صفا القلب
وطهارة السر وقد لا يحصل له ذلك بالصوم والصلاة لان
الصوم والصلاة قد تكون فيها شهوة وهوى وما كان هذا
سبيله لا يومن فيه من دخول الافات فلا يفيدك تخلية ولا تزكية
بخلاف ورود الفاقات فانها مباينة للهوى والشهوة
على كل حال وسياتي نحو هذا المعنى عند قوله اذا
فتح لك وجهة من التعرف فلا تبال معها ان قل عملك الى اخره
الفاقة بسط المواهب الفاقات تحضرمع الحق وتجلسه على
بساط الصدق وناهيك بما يكون في تلك المحاضرة والمجالسة
من المواهب الربانية والنفحات الرحمانية اذا اردت
ورود المواهب عليك صحح الفقر والفاقة لديك انما الصدقات للفقرا
هذا مثل ما ذكره الان وذكر الاية عقيبه اشارة
بديعة ومما يتعلق بظاهر الاية التي استشهد
بها المولف رحمه الله على طريقة القوم ما قال بعضهم صدق
الفقير اخذ الصدقة ممن يعطيه لا ممن تصل اليه على
يديه فالحق تعالى هو المعطي على الحقيقة لا من جعلها لهم
فان قبلها من الحق فهو الصادق في فقره لعلو همته فان
قبلها من الوسايط فهو المترسم بالفقر مع رداءة همته
فاقتك لك ذاتية وورود الاسباب مذكرات لك بما خفي
عليك منها والفاقة الذاتية لا تدفعها العوارض
اذا ثبت ان نعمتي الايجاد والامداد لازمتان لك وانك
في ذاتك عدم لولاهما فالفاقة اذا ذاتية لك والاضطرار
لازم لوجودك وان كنت غنيا بوجود النعمتين المذكورتين
فان ذلك امر عرضي والامور الذاتية لا يزيلها الامور
العرضيات وانما اورد عليك الاسباب التي تضاد وجودك

وبقاء وجودك لتذكرك بذلك ما خفي عليك من وجود الفاقة
الذاتية لك والاضطرار اللازم لوجودك فتلازم مركزك
وتقوم بحق عبوديتك ولا تتجاوز حدك وطورك قال
بعضهم انما حمل فرعون ان قال انا ربكم الاعلى طول العوافي
والغنا لبث اربعماية سنة لم يتصدع راسه ولم يحم
جسمه ولم يضرب عليه عرق فادعا الربوبية ولو اخذته
الشقيقة ساعة واحدة او ليلة كل يوم لشغله ذلك
عن دعوى الربوبية قال في لطايف المنن الاضطرار
يعطيه حقيقة العبد اذ هو ممكن فكل ممكن مضطر الى
ممد يمده وكان الحق سبحانه هو الغني ابدا فالعبد مضطر
اليه ابدا ولا يزايل العبد هذا الاضطرار لا في الدنيا
ولا في الاخرة ولو دخل الجنة فهو محتاج اليه فيها غير
انه غمس اضطراره في المنة التي افرغت عليه ملابسها
وهذا هو حكم الحقايق اذ لا يختلف حكمها لا في الغيب ولا
في الشهادة ولا في الدنيا ولا في الاخرة فالعلم صفته
الكشف اي علم كان وفي اي وقت كان والارادة صفتها
التخصيص اي ارادة كانت وفي اي وقت كانت ومن
اتسعت انواره لم يتوقت اضطراره وقد عتب الله تعالى
اقواما اضطروا اليه عند وجود اسباب الجاتهم الى
الاضطرار فلما زالت زال اضطرارهم قال الله سبحانه
وتعالى واذا مسكم الضر في البحر الاية وقال تعالى
واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه الاية وقال عز
وجل قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر الايتين الى غير ذلك
من الايات الواردات في هذا المعنى ولما لم تصل عقول
العموم الى ما يعطيه حقايق وجوداتهم سلط الحق عليهم

الاسباب المثيرة للاضطرار ليعرفوا قهر ربوبيته وعظمة الهيبته
انتهى خيرا وقاتك وقت تشهد فيه وجود فاقتك وترد فيه الى وجود
ذلتك انما كان هذا خير الاوقات لك لوجود حضورك فيها مع ربك
وانقطاع نظرك عن الوسايط والاسباب الموجبة لبعدك وحجبك
فهي لا محالة خير اوقاتك وهي مواسمك واعيادك على حسب
ما قاله المولف رحمه الله قبل هذا حكي عن عطا السلمي
رضي الله عنه انه بقي سبعة ايام لم يذق شيا من الطعام ولم
ولم يقدر على شي فسر قلبه بذلك غاية السرور فقال يارب
ان لم تطعمني ثلاثة ايام اخرى لاصلين لك الف ركعة وقيل
ان فتحا الموصلي رضي الله عنه رجع ليلة الى بيته فلم يجد
عشا ولا سراجا ولا حطبا فاخذ يحمد الله تعالى ويتضرع اليه
ويقول الهي لاي سبب وباي استحقاق عاملتني بما تعامل به
اوليايك وقال بشر بن الحارث رضي الله عنه بلغني ان
بنت الفتح الموصلي عريت فقيل له الا تطلب من يكسوها فقال
لا ادعها حتى يرى الله عز وجل عراها وصبري عليها فكان
اذا كان ليالي الشتا جمع عياله ومال بكسايه عليهم ثم قال
اللهم افقرتني وافقرت عيالي واعريتني واعريت عيالي
وجوعتني وجوعت عيالي باي وسيلة توسلت اليك
وانما تفعل هذا باوليايك واحبابك فهل انا منهم حتى افرح
وقيل ان الفضيل بن عياض رضي الله عنه بكى في ليلة قرة
فقال الهي جعتني واجعت عيالي واعريت عيالي واقعدتني
واقعدت عيالي في بيت ليس به مصباح وقد يا تفعل هذا
باوليايك واهل طاعتك الهي فباي عمل استحققت هذا منك
حتى ادوم لك عليه وقيل للربيع بن خيثم رضي الله عنه قد
غلا السعر فقال نحن اهون على الله من ان يجيعنا انما يجيع اولياه

لا تمدن يدك الى الاخذ من الخلايق الا ان ترى ان المعطي
فيهم مولاك فاذا كنت كذلك فخذ ما وافقك العلم

هذه قاعدة عظيمة يحتاج اليها السالكون المتجردون ليبنوا عليها
احوالهم فيما يصل اليهم من الرفق على ايدي الخلق وقد ذكرها
المولف رحمه الله بعبارات بديعة مجوده جمع فيها جملة المعاني
يحتاج اليها من ذكرناه فلنبسط كلامه في ذلك حسب عادتنا
معه على الوجه الذي ذكرناه في مقدمة هذا التنبيه وهذا
قصدنا في جميع ما تكلمناه عليه من مسايل كتابه ونقول
على حسب ذلك ارزاق العباد المعتادة لهم تنقسم الى
قسمين احدهما رزق يصلون اليه باسباب واعمال
وتصرفات كالتجارات والصناعات وغيرهما وهذا حال اهل
الاسباب والثاني رزق يصل اليهم على ايدي الخلق
من غير عمل ولا سعي وهذا حال اهل التجريد وكل واحد
من القسمين له اداب واحكام تخصه فاحكام القسم الاول
واداب لم يتعرض له المولف رحمه الله وهي مذكورة في فن الفقه
وغيره فواجب على كل من دخل في شي من الاسباب تحصيل
علمه وطلبه من حيث هو واحكام القسم الثاني واداب
هي التي تعرض لها المولف رحمه واجمل جميع ذلك في مراعات
شرطين وجعلهما من شروط صحة الاخذ الشرط الاول
ان لا يرى العطا الا من مولاه عز وجل وهذا هو الاصل وانما
اشترط على الاخذ لانه مقتضى حاله من تحقيق التوحيد وتخليص
التجريد وبه يصح له مقام القناعة والتوكل ويسقط عن قلبه
هم الرزق وتزول به عنه علاقات الخلق وان لم يكن على
هذا الوصف كان عبدا للناس مولها قلبه اليهم فيكثر طمعه
فيهم ورغبته فيما في ايديهم واستشرافه اليهم فيقع بسبب

ذلك في كبائر الذنوب من معاصي القلب والجوارح مثل المداهنة
والنفاق والريا والتصنع والتلبيس والغش وعدم النصيحه
وقلة الشفقه وغير ذلك من الصفات المذمومه المناقضة
للعبودية لله عز وجل قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه من
استفتح باب المعاش بغير مفاتيح الاقدار وكل الى المخلوقين
ولا يكفي في تلك الروية المذكوره ان يكون علما وايمانا
فقط بل لا بد ان يكون حالا وذوقا دعا بعض الناس
شقيق البلخي رضي الله عنه وكان في طبقة من اصحابه
نحو خمسين رجلا فوضع الرجل طعاما واسعا وانفق نفقة
كثيره فلما قعدوا قال لهم شقيق البلخي ان هذا الرجل
يقول من لم ير اني صنعت هذا الطعام واني اقدمه
اليه فطعامي عليه حرام قال فقاموا كلهم الا شابا كان
فيهم نقصت مشاهدته عنهم فقال صاحب المنزل
لشقيق رحمك الله ما اردت بهذا قال اردت ان
اختبر توحيد اصحابي اي كلهم لا يرونه فيما صنع
ولا ينظرون اليه فيما قدم الا ذلك الرجل وحده وانما
اشترطنا في روية العطا من الله تعالى ان يكون حالا
وذوقا لان ذلك هو اللايق بحال المجرد كما ذكرناه
لان التجريد حال شريف لا يدخل فيه بالاختيار والتام
لان ذلك من اتباع هوى النفس وطلب الحظ والراحه
وانما يقيم الحق فيه من اراده به من اهل التقوى والمراقبه
بعد شغله لله تعالى وجده في الهرب من كل ما يقطعه
عن الله تعالى فحينيذ يسلبه الحق تعالى من تدبيره و
اختياره ويكاشفه بوحدانيته في ايراده واصدارهم ويكون
تركه للاسباب بحكم الوقت واشارة الحال كما روي ان

ابا حفص النيسابوري كان حدادا وكان غلامه يوما ينفخ
عليه الكير فادخل الشيخ يده في النار واخرج الحديد من
النار فغشي على غلامه وترك ابو حفص الكانون واقبل على
شانه وكان رضي الله عنه يقول تركت العمل فرجعت اليه وتركني
العمل فلم ارجع اليه وقال ابرهيم الخواص رضي الله عنه
لا ينبغي للصوفي ان يتعرض للقعود عن الكسب الا ان يكون
رجلا مغلوبا قد اغنته الحال عن المكاسب واما من كانت
الحاجات به قايمة ولم يقع له عزوف يحول بينه وبين
التكلف فالعمل اولى به والكسب يسعى احل له وابلغ لان
القعود لا يصلح لمن لم يستغن عن التكلف وقال
الشيخ ابو عبد الله القرشي رضي الله عنه ما دامت الاسباب
قايمة في النفس فالاكتساب اولى وقال بعض المنقطعين
كنت ذا صنعة جليلة فاريد مني تركها فحاكت في صدري
من اين المعاش فهتف بي هاتف لا اراك تتقطع الي وتتهمني
في رزقي على ان اخدمك وليا من اوليايي او منافقا من
اعدايي وقد اشترط رسول الله صلى الله عليه وسلم
في صحة قبول العطا عدم الاستشراف الى الناس ولا
يكاد يحصل هذا الشرط لمن ذكرناه من اهل التجريد
الا بهذه الروية المذكورة وروى زيد بن خالد
الجهني رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من جاده من اخيه معروف من غير مسالة ولا
اشراف نفس فليقبله فانما هو رزق ساقه الله تعالى
اليه وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال من وجه اليه شي من هذا الرزق من غير مسالة
ولا اشراف فلياخذه وليوسع في رزقه فان كان عنده

غني فليدفعه الى من هو احوج منه فقال عمر بن الخطاب رضي
الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيني العطا
فاقول له اعطيه يا رسول الله افقر اليه مني فيقول رسول
الله صلى الله عليه وسلم خذه فتموله او تصدق به وما جاءك
من هذا وانت غير مشرف ولا سايل فخذه وما لا والا فلا
تتبعه نفسك قال سالم فمن اجل ذلك كان ابن عمر
لا يسال احدا شيا ولا يرد شيا اعطيه فالاستشراف
الى الناس من موقف قادح في التوحيد فلا ينبغي ان ياخذ
المريد عطاء على هذا الوجه روي ان احمد بن حنبل رضي
الله عنه خرج ذات يوم الى شارع باب الشام فاشترى
دقيقا ولم يجد في الموضع من يحمله له فوافى ايوب الحمال
فحمله ودفع اليه احمد اجرته فلما دخل الدار بعد اذنه
له اتفق ان اهل الدار قد خبزوا ما كان عندهم من الدقيق
وتركوا الخبز على السرير ينشف فراه ايوب رضي الله عنه
وكان يصوم الدهر فقال احمد لابنه صالح ادفع الى ايوب
رغيفين من الخبز فدفع اليه رغيفين فردهما فقال
احمد ضعهما ثم صبر قليلا فقال خذهما والحقه بهما
فلحقه فاخذهما فرجع صالح متعجبا فقال له احمد عجبت من رده
واخذه قال نعم قال له هو رجل صالح لما راى الخبز استشرفت
نفسه له فاعطي فلم ياخذ فرددناه اليه بعد الياس فقبله واما
الاستشراف الى الرزق مع قطع النظر عن الخلق فلا يضر
ذلك لانه خلق ضعيف ذا فاقة ورزقه معلوم لا بد منه
فاستشرافه الى الرزق في الحقيقة استشراف الى الرزاق
ولا ينافي ذلك حقيقة العبودية ولكن ان كثر منها الاستشراف
الى الرزق وشغل صاحبه عن دوام المحاضرة والمناجاة مع الحق

فليصرفها

فليصرفها عن ذلك صرفا جميلا ولينتهج لها من التعلق والوثوق
بالله سبيله قال سيدي الشيخ ابو محمد عبد العزيز المهدوي
رضي الله عنه كنت في بدايتي واقف بين العشائين اصلي وانا
فارغ بلا سبب حتى جاءتني النفس فقالت السلام عليك فقلت وعليك
السلام فقالت لي العشاء دهتني بداهية فتوقفت فالهمني الله
تعالى فقلت لها اتدري له موضعا قالت لا فقلت لها اتدري
ايش هو ومتى هو قالت لا فقلت لها انا رب او عبد قالت
عبد قلت فالعبد يقدر على شي ما هذا الكفر والشرك الذي
اتيتني بها اهربي الى خالقك فاطلبي منه العشا لانه خالقك والقادر
على كل شي فيعطيك ويجيب لك ما طلبت فتطعمي وتاكلي فاياك
واياي وما هذه الحيرة قال فهربت الى خالقها فجاءعنا
متمكن كثير فاكلنا قال وكذا يحتج عليها ومن هنا تثبت الاقدام
وذكر ايضا مسيلة عظيمة مفيدة تتضمن كيف يكون حال
الفقير بالنسبة الى الرزق وما يحتاج اليه بنيته من الرفق وجعلها
من قواعد الفقر والارادة فراينا ذكرها في هذا الموضع من
الواجب المتعين ليتحقق في العمل بها كل من يقف عليها من مريد
متجرد بين قال رضي الله عنه اعلم ان الفقير لا يخلو اما
ان يكون جالسا او ماشيا اما قاعدة الجالس فان جلسته
موضع البيته وهو مكانه وزمانه طرف سجادته لا يتعداه
ولا يكون التفاته لوقت ولا الى سبب معلوم لانه لا يدري
الاوقات ما هي ولا يحدها ولا يدري متى هي ولا وقتها ويعلم
ان جميع الاشيا نطلبه وتحتاج اليه لانها خلقت من اجله وهو
خليفة فيها وقد فرغ من جميعها فالالتفات والامل فيها اذا
بل يكون هدفا للاقدار يجري عليه ولا كسب له ولا سبب في
التحصيل ثم قال واما الماشي من الفقراء الذي يكون

في سفرا وغيره فلا يجاور همته خطوته مثالـه ان يكون ماشيا فيخطر له الغير والالتفات اليه من بلد او شخص او مطعم او مشرب فيهلك ويظفر به العدو وترك قدمه فان تمادى في التعلق بشيء من هذه القواطع والشواغل ومشى الى شيء منها وفقده ومات مات قاتل نفسه وذلك انه يكون في يوم صايف وهجير وقد اصابه العطش الشديد فيعرض خاطـر ما فيجيء العدو فيروج اليه ان اسرع فتلحق ذلك الما فتشرب منه فيزول عطشك فان مشى راكنا الى هذا الخاطر فيجي الى الموضع فيجده سرابا فهناك يظفر به العدو ويقول له الآن يموت فيقتله من ساعته فيموت قاتل نفسه اذا كان جاهلا بربه واياته ولم يعرف دواءه من دايه ولا تعلم العلم ولا سال العلماء لبقايه مع نفسه قـال فحكمه اذا جاءه هذا الخاطر بالترويج من العدو وفي سفره من السرعة الى الما والركون الى الاغيار من منازل او اشخاص او غير ذلك ان يعرض على العدو ويقول يمكن ان الله تعالى يتوفاني قبل لحوقه فبالضرورة يطيعه في ذلك ويسلمه ويقول له ايضا قـال النبي صلى الله عليه وسلم من مشى الى طمع فليمش رويدا وقـال صلى الله عليه وسلم من تانى اصاب او كاد ومن عجل اخطا او كاد والعجلة من الشيطان ومن هذا كثير فلا يشك شاك انه كما يحتج للنفس والشيطان بهذه القواعد مع العلم انهم ينقطعون ولا حجة عندهم بعد الاستغاثة بالله تعالى والتعلق به ثم يقول له ايضا اتنكر ان الله تعالى قادر ان يطعمني ويسقيني ان شاء ينبع لي عينا الساعة قبل وصولي لذلك الما فيقول له الشيطان بالضرورة نعم فاذا كان هذا كله كذلك فالله سبحانه

وتعالى

وتعالى اعلم بمصالحي ومنافعي من كل مخلوق فاذا حصل هذا العلم جعل يمشي متانيا همته مع خطوته ناظرا لما يرد عليه من ربه فان وصل الى ما خطر له اولا او رآه من بعد ولم يجد ما تعلق به خاطره اولى من صاحب او طعام لا يبقى على اصله لا تغير عنده ولا تردد فيظفر هو بالعدو ويقتله كما فعل ايضا الشيطان بغير الشي وضده انتهى ما اردنا ذكره من كلام الامام وهو عندي من نفيس الكلام المقرب غاية المرام لما تضمنه من المعاني البديعه والانفاس الرفيعه ولما فيه من تجريد التوحيد والآداب المرضيه من العبيد فهو جدير بان يكتب ويرسم ويعمل به الغرض الذي تقدم والله اعلم واحكم والشـرط الثاني ان لا ياخذ الا ما يوافق العلم وهذا شرط لازم للمتجرد ايضا قـال الشيخ ابو طالب المكي رضي الله عنه ينبغي لمن لا معلوم عنده من الاسباب ان يتورع في اخذها ويتخير المعطي لها كما يتخير اهـل المكاسب في الاكتساب لان الله سبحانه في كل شيء حكما والقعود عن المكاسب لا يسقط احكامها والقاعد عن الطلب بها يسقط احكام الطالب ولان ترك العمل يحتاج الى علم ولم يكن سيرة الفقراء الصالحين ان ياخذوا من كل احد ولا في كل وقت ولا ياخذ واكلما يعطون مما يزيد على كفايتهم الا ان يكون مما يخرجونه لغيرهم انتهى فموافقة العلم التي ذكرها المولف رحمه الله تعالى على قسمين موافقة علم الظاهر وموافقة علم الباطن اما موافقة العلم الظاهر فهو ان لا ياخذ الا من يد عاقل بالغ تقي وقـد جاء في الحديث لا تاكل الا طعام تقي ولا ياكل طعامك الا تقي فلا تاخذ من يد ظالم ولا عامل بالربا ولا جاهل بما يحل ويحرم من وجوه المكاسب ولا ياخذ من يد صبي ولا عبد غيرما ذون لهما ولا معتوه واما موافقة علم الباطن

فان لا ياخذ الا ما كان على وجه الرفق والمعونه ولا ياخذ
الا ما هو مفتقر عليه في الحال ولا غنا له عنه من ضروريا ته
وحاجاته من غير اسراف ولا اقتار ولا باس ان ياخذ ما زاد
على ذلك ان كان في خلقه سخا وبذل وايثار وتخلق بمحاسن
الاخلاق لا ليتوصل به الى حظ عاجل من جاه او رياسه او
قبول عند الناس ولا ياخذ ما يعطاه على سبيل الابتلاء والاختبار
اما الابتلاء بان ياتيه قبل وقته او زايدا على حاجته فان
اخذه فليخرجه في السر ليامن بذلك من آفه الاظهار واما الاختبار
فان لا ياخذ شيا كان قد نوى تركه لله تعالى من شهوة كان
ابتلي بها قد ملكته واسرته ومنعته القيام بحقوق ربه
فليوف بعهد الله وليدفع ذلك عن نفسه الا ان خاف انحلال عزمه
وفساد نيته وان لم يخف ذلك فلياخذه وليخرجه الى غيره
وهذا اشد شي على النفس وهو من اعظم درجات الزهد
ولا ياخذ من منان ولا فخور ولا مظهر لعطيته ولا ياخذ ممن
يثقل على قلبه قبول عطيته فقد قيل لا ياكل طعامك الا من
يري لك الفضل عليه في اكله ولا تاكل الا طعام من يرى
انه وديعة عنده ولا تاكل الا طعام زاهد ليسر باكلك
ولا تاكل الا طعاما يراك صاحبه افضل من الطعام
وقد روي انه اهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم
سمن واقط وكبش فقبل السمن والاقط ورد الكبش وكان
يقبل من بعض الناس ويرد على بعض الناس وقال لقد
هممت ان لا اقبل الا من قرشي وانصاري او ثقفي او دوسي
قال الشيخ ابو طالب المكي رضي الله عنه وفعل هذا
جماعة من التابعين رضي الله تعالى عنهم فمن ذلك انه جاء
الى فتح الموصلي رضي الله عنه صرة فيها خمسون درهما فقال

حدثني

حدثني عطاء ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من آتاه الله
عز وجل رزقا من غير مسالة فرده فانما يرده على الله
ثم فتح الصرة فاخذ منها درهما ورد سايرها وكان
الحسن رضي الله عنه يروي هذا الحديث عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وحدثنا عنه ان رجلا اهدى اليه كيسا
فيه الوف ورزمه فيها من دقيق خراسان فرد ذلك فقال
له بعض اصحابه في ذلك فقال من جلس مثل مجلسي هذا
وقبل من الناس شيا مثل هذا لقي الله تعالى يوم القيمة
وما له عنده من خلاق وكان الحسن رضي الله عنه يقبل
من اصحابه وكان ابرهيم التيمي رضي الله عنه يسال اصحابه
الدرهم والدرهمين ويعرض عليه غيرهم المئين فلا
ياخذ وكان بعض العباد اذا دفع اليه بعض اهل الدنيا
الشي قال ضعه عندك واعرض على قلبك حالي كيف انا عندك
بعد الاخذ افضل او دون ذلك واصدقني فان قال له
انت عندي الآن افضل منك قبل ذلك او قال له انت عندي
بعد الاخذ كما كنت قبل ذلك قبل منه وان اخبره بنقصانه
في قلبه لم يقبل منه وكان بعضهم يرد على اكثر
الناس صلاتهم فعوتب في ذلك فقال ما ارد عليهم الا
اشفاقا عليهم ونصحا لهم يذكرون ذلك ويحبون ان يعلم
بهم فتذهب اموالهم وتحبط اجورهم ويروى عن الاعمش
رضي الله عنه قال جاء شاب من العرب الى سيدي
الشيخ ابرهيم النخعي رضي الله عنه بالفي درهم فقال
يا ابا عمران خذ هذه الالف درهم والله ما هي من ذي سلطان
ولا من كذا ولا من كذا فقال له ابرهيم بارك الله لك
وجزاك خيرا فلما ولى قلت له ما منعك ان تاخذها والله

مالها مراتك عنيص قال صدقت يا باسليمان ولكن هذا شاب
من العرب لم يحنكه السن ولم تحنكه الاداب فكرهت ان
يجلس في حيه ويقول اعطيت ابرهيم الفي درهم فيحبط
الله بذلك عمله واجره وتذهب دراهمه وممن ذهب
الى ذلك الثوري رضي الله عنه كان يشترط على بعض
من كان ياخذ منه ان لا يذكره لاشفاقه عليه لا من
اجله بل من ذهاب اجره لانه قيل في معنى قوله عز وجل
لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى قال المن ان يذكره
والاذى ان يظهره وقال الجنيد رضي الله عنه للرجل
الخراساني الذي جاءه بالمال وساله ان ياكله فقال
الشيخ بل افرقه على الفقرا فقال الرجل انا اعلم بالفقرا
منك فلم اختر هذا فقال الشيخ له وانا اومل ان اعيش
حتى اكل هذا فقال له الرجل اني لم اقل لك انفقه
في الخل والبقل انما قلت لك انفقه في الطيبات والوان
الحلاوات فكلما نفد اسرع كان احب الي فقال الجنيد رضي
الله عنه ومثلك لا يحل ان يرد عليه فقبله فقال الرجل
ما ببغداد احد اعظم منة علي منك فقال الجنيد رضي
الله عنه وما ببغداد احد ينبغي ان يقبل منه شي الا
من كان مثلك وكان السري السقطي رضي الله عنه
يوصل الى احمد بن حنبل رضي الله عنه الشي فيرده فقال
له السري يا احمد احذر افة الرد فانها اشد من افة
الاخذ فقال احمد اعد علي ما قلت فاعاده فقال احمد
ما رددت عليك الا وعندي قوت شهر فاحبسه لي عندك
فان كان بعد شهر فانفذه الي وعلى الجملة فلا ينبغي
ان ياخذ المريد الا من يد زاهد وعارف فبذلك

يسلم

الجبار بيان

يسلم من جميع الافات ويكفى من جميع المونات قال ابو بكر
الدقاق رضي الله عنه انا منذ اربعين سنة اصحب
هولاء فما رايت رفقا لاصحابنا الا من بعضهم لبعض او ممن
يحبهم ومن لم تصحبه التقوى والورع في هذا الامر
اكل الحرام النص وان اراد ان يسلك هولا فليفعل قال
ابو طالب المكي رضي الله عنه كان بشر بن الحارث رضي
الله عنه لا يقبل من الناس شيا وكان بعضهم يقول
احب ان اعلم من اين ياكل فقال له من يخبر امره انا
ادري من اين ياكل كان له صديق عاقل يعني نظيره
في العقل والدين لان بعضهم كان لا يقبل الا من
النظراء ولا يقبل من الاتباع وهذا الصديق العاقل
الذي كان يقوم بكفايته ولم يكن يظهر امره ولا يلتقي معه
هو السري بن مغلس السقطي رضي الله عنه قال بشر
رضي الله عنه ما سالت قط احدا شيا من الدنيا الا سريا
السقطي رضي الله عنه لانه قد صح عندي زهده في الدنيا
فهو يفرح بخروج الشي من يده ويتبرم ببقائه عنده فاكون
قد اعنته على ما يحب وكان سري رضي الله عنه يوجه
الى احمد بن حنبل رضي الله عنه يقول ذلك الفتى المعروف
بطيب الغذا انه ليعجبني امره وان بلغت به الحاجات كل
مبلغ واشرف على الضعف وتحققت الضرورة وسال مولاه
فلم يقدر له بشي ووقته يضيق عن الكسب لشغله بحاله
فعند ذلك ليقرع باب السبب فيسال لكن دون هولاء ممن
جهل حاله جاء في الاثر من جاع فلم يسال فمات دخل
النار وقد سال الناس عند الحاجة والفاقة نبي الله
موسى والخضر عليهما السلام لقوله تعالى استطعما اهلها

وكان ابو جعفر الحداد رضي الله عنه وهو شيخ الجنيد رضي
الله عنهما يسال من باب او بابين بين العشائين ويكون
ذلك معلومه الى وقت حاجته من يوم او يومين وكان له
رضي الله عنه مقام في الزهد والتوكل قال ابو
طالب المكي رضي الله عنه ولم يعب عليه هذا لا عموم ولا
خصوص ونقل عن ابي سعيد الخراز رضي الله عنه انه كان
يمد يده عند الفاقة ويقول شي لله تعالى ونقل
عن ابرهيم بن ادهم رضي الله عنه انه كان معتكفا بجامع
البصرة مدة وكان يفطر في كل ثلثة ايام ليلة وليلة افطاره
يطلب من الابواب وكان الثوري رضي الله عنه يسال
في البوادي من الحجاز الى صنعاء اليمن وقال كنت اذكر
لهم حديثا في الضيافة قال فيجيئون الي طعاما فاتناول منه
حاجتي واترك ما بقي وليجتنب المريد الاكل بالدين
وقبول ارفاق النسوان فان قيل كيف يرد ما يعطاه
في الوجوه التي حكمتم عليه بعدم الاخذ فيها وهو انما ياخذ
من يد ربه كما تقدم وهل المراد لذلك الا الرد على الله
تعالى فكيف يستقيم ذلك فالجواب ان القيام بحق
الشريعة والطريقة لا بد منه والتوحيد لا ينافي ذلك وقد
قيل الكامل من لا يطفي نور معرفته نور ورعه وكل باطن
من العلم يخالف ظاهرا من الحكم فهو مردود ووجه
صحة الرد للعطاء عند مشاهدة التوحيد ظاهر اذ لا فرق في
ذلك بين يدي المعطي ويد الاخذ فكما يشهد الاخذ يد
الله تعالى في العطا عند يد المعطي فياخذ ما يعطاه عند موافقة
العلم اتباعا لاذن الله تعالى وامره يشهد يد الله تعالى
في المنع عند يد نفسه بالرد عند مخالفة العلم فلا ياخذه ولا يقبله

اتباعا

اتباعا لنهي الله تعالى عن ذلك وعدم اذنه فيه كما فعل رسول
الله صلى الله عليه وسلم في الكبش الذي اهدي اليه مع السمن
والاقط وكما فعله الفتح الموصلي والحسن البصري رضي الله
عنهما مع روايتهما الحديث الذي ذكر فيه ان رد الهبة رد
على الله وقد تقدم ذكره بلفظه فبهذا يندفع ذلك الخيال
والله تعالى الموفق لصالح الاعمال وانما اطلت الكلام في هذه
المسالة لان الحاجة ماسة اليها وليعلم من ذلك ان جميع
تفاريعها ومسايلها داخلة في كلام المولف رحمه الله على
حال ايجازه واختصاره فكلامه فيها من بديع الكلام ومستحسنه
ولشيخه ابي العباس المرسي رضي الله عنه في معنى ما ذكره
كلام بديع مختصر منتزع من كلام الله عز وجل نقله عنه في لطايف
المنن قال رضي الله عنه للناس اسباب وسببنا نحن
الايمان والتقوى قال الله سبحانه وتعالى ولو ان اهل القرى
امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض وقد
جود المولف صياغته واحسن سياقته في مقصد الارشاد والهداية

باب رياضة النفس والتحذير عن سياستها

تشوفك الى ما بطن فيك من العيوب خير من تشوفك الى ما حجب عنك من الغيوب

حكم المريد ان يتشوف الى معرفة ما غاب عنه من معايب نفسه
ويتطلبها ويبحث عنها فان ذلك هو حق الحق تعالى منه فينبغي ان
يحرص عليه ويصرف عنان اعتنايه اليه ليحصل له صفا اعماله
من الافات ونقا احواله من الكدورات وينتفي عنه الجهل
والغرور وينقطع من باطنه مواد الشرور وقد ذكر الشيخ
ابو حامد الغزالي رضي الله عنه في كتابه رياضة النفس
فصلا في الطريق الذي يتعرف الانسان عيوب نفسه فلينظر
فيه المريد وقد جعل حاصله اربعة اوجه احدها ان يجلس

بين يدي شيخ بصير بالعيوب والآفات فيحكمه على نفسه ويتبع
اشارته فيما يشير به عليه والثاني مصاحبة صديق صدوق
يجعله رقيبا على احواله واعماله لينبهه على ما يخفى عليه من
مذام خلاله والثالث ان يستفيد معرفة عيوبه من اعدائه اذ
لا بد من جريان ذلك على السنتهم عند ثلبهم وغيبتهم والرابع
ان يستفيد ذلك من مخالطة الناس اذ يطلع بذلك على مساويهم
فاذا اطلع عليها منهم علم انه لا ينفك هو عن شيء منها لان
كل طباع البشرية في ذلك متقاربة وقد يظهر له في نفسه
ما هو اعظم مما يراه في غيره فيطالب نفسه حينئذ بالتطهير
منها والتنزه عنها هذا تلخيص ما ذكره ثم قال وهذه
كلها حيل من فقد شيخا عارفا زكيا بصيرا بعيوب النفوس
مشفقا ناصحا في الدين فارغا من تهذيب نفسه مشغولا بتهذيب
عباد الله ناصحا لهم فمن وجد الطبيب فليلازمه فهو الذي
يخلصه من مرضه وينجيه من الهلاك الذي هو بصدده انتهى
واما طلبه للغيوب المحجوبة عنه من خفايا القدر ولطايف
العبر فانه حظ نفسه لا حق عليه فيه للحق تعالى فليطب عنها
نفسا ولا يشغل بها عقلا وحسا وما ظهر له منها لا يسكن اليه ولا
يعول عليه فان ذلك من المعايب القادحة في عبوديته
ولهذا قالوا كن طالب الاستقامة ولا تكن طالب الكرامة فان
نفسك تتحرك وتطلب الكرامة ومولاك يطالبك بالاستقامة
ولأن تكون بحق مولاك اولى بك من ان تكون بحظ نفسك ومن
الحكايات في هذا المعنى الذي ذكرناه ما روي في الاسرائيليات
عن وهب بن منبه رضي الله عنه ان رجلا من بني اسرائيل صام
سبعين سنة يفطر في كل سنة ايام فسأل الله تعالى ان يريه كيف
تغوي الشياطين الناس فلما طال ذلك عليه ولم يجب قال لو اطلعت

على

على خطيئتي وذنبي بيني وبين ربي لكان خيرا لي من هذا الامر
الذي طلبته فارسل الله تعالى اليه ملكا فقال له ان الله تعالى
ارسلني اليك وهو يقول لك ان كلامك هذا الذي تكلمت به
احب الي مما مضى من عبادتك فقد فتح الله تعالى بصرك
فانظر فنظر بقلبه فاذا جنود ابليس قد احاطت بالارض
واذا ليس احد من الناس الا والشياطين حوله كالذباب
قال اي رب من ينجو من هذا قال الورع اللين وسياتي
بيان ان الكرامات غير مطلوبة التحصيل ولا مغتبط بوجو(دها)
لدى كل عالم نبيل عند قوله ليس كل من ثبت تخصيصه
كمل تخليصه في باب تفاوت مراتب السالكين اخرج من
اوصاف بشريتك عن كل وصف مناقض لعبوديتك لتكون
لنداء الحق مجيبا ومن حضرته قريبا اوصاف البشرية المتعلقة
بامر الدين نوعان احدهما ما يتعلق بظاهر العبد وجوارحه
وهي الاعمال والثاني ما يتعلق بباطنه وقلبه وهي
العقود فاما ما يتعلق بظاهره وجوارحه فينقسم الى
قسمين ما وافق الامر ويسمى طاعة والثاني ما خالفه
ويسمى معصية واما ما يتعلق بباطنه وقلبه فينقسم ايضا الى
قسمين احدهما ما وافق الحقيقة ويسمى ايمانا وعلما والثاني
ما خالفها ويسمى نفاقا وجهلا والنظر فيما يتعلق بظاهر
العبد يسمى في الاصطلاح تفقها والنظر فيما يتعلق بباطنه
يسمى في الاصطلاح تصوفا فهذان الامران هما كلية
العبد وظاهره تابع لباطنه بالضرورة لان القلب هو
الملك والجوارح جنوده ورعيته ومن شان الرعية طاعة
الملك فيما يامر به وينهى عنه وقد نبه على هذا المعنى
رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال ان في الجسد مضغة

اذا اصلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي
القلب صلاح القلب انما يكون بطهارته عن الصفات المذمومة
كلها دقيقها وجليلها وهي هذه الصفات المناقضة للعبودية
من اوصاف البشرية التي اشار اليها المولف رحمه الله
وهي التي تسم صاحبها بسمة النفاق والفسوق وهي
كثيرة مثل الكبر والعجب والريا والسمعة والحقد والحسد
وحب الجاه والمال ويتفرع عن هذه الاصول
فروع خبيثة من العداوة والبغضاء والتذلل للاغنيا
واستحقار الفقراء وترك الثقة بمجي الرزق وخوف
سقوط المنزلة والشح والبخل وطول الامل والاشر والبطر
والغل والغش والمباهاة والتصنع والمداهنة والقسوه
والفضاضة والغفلة والغلظة والجفا والطيش والعجلة
والحدة والحمية وضيق الصدر وقلة الرحمة وقلة الحيا
وترك القناعة وحب الرياسة وطلب العلو والانتصار
للنفس اذا نالها الذل وذهاب ملكة النفس اذا رد
عليه قوله الى غير ذلك من النعوت الذميمة والاخلاق
اللئيمة واصل فروعها وعنصر منابعها انما هو روية
النفس والرضا عنها وتعظيم قدرها وترفيع امرها
فبهذه الامور كفر من كفر ونافق من نافق وعصى
من عصى وبها خلع من عنقه ربقة العبودية لربه
عز وجل من خلع حسب ما يقوله المولف رحمه الله باثر هذا وشان
الصوفي انما هو النظر في ما يطهرها ويزكيها من انواع الرياضات
والمجاهدات وقد بينوا طرق ذلك في كتبهم قال الشيخ ابو
طالب رحمه الله ولا يكون المريد بدلا حتى يبدل بمعاني صفات الربوبية
صفات العبودية وباخلاق الشياطين اوصاف المومنين وبطباع

البهايم

البهايم اوصاف الروحانيين من الاذكار والعلوم فعندها
يكون بدلا مقربا قال والطريق الى هذا بان يملك نفسه
فيملكها بنسخ الهوى ويسلط عليها فاذا اردت ان تملك نفسك
فلا تملكها وضيق حبلها عليها ولا توسع عليها فاذا ملكتها
ملكتك وان لم تضيق عليها انتشرت عليك واذا اردت
الظفر بها فلا تفرضها لهواها واحبسها عن معتاد ملابها
فان لم تمسكها انطلقت بك وان اردت ان تقوى عليها
فاضعفها بقطع اسبابها وحبس موادها والا قويت عليك
فضعفت عنك انتهى فاذا قام المريد بذلك على الوجه الذي سموه
له والتزم الوظايف التي امروه بها طهر قلبه وتزكت
نفسه واتصف بمحاسن الصفات التي تزينه بين العباد
وينال بها من قرب ربه غاية المراد فتظهر حينيذ عليه
اثار جميلة من التواضع لله والخشوع بين يديه والتعظيم
لامره والحفظ لحدوده والهيبة له والخوف منه والتذلل
لربوبيته والاخلاص في عبوديته والرضا بقضايه وروية
المنة له عليه في منعه وعطايه ويتصف فيما بين خلقه بالرافة
والرحمة واللين والرفق وسعة الصدر والحلم والاحتمال
والصيانة والنزاهة والامانة والثقة والعطف والتاني
والوقار والسخا والجود والحيا والبشاشة والنصيحة
وسلامة الصدر الى غير ذلك من اخلاق الايمان التي
ينال العبد بها غاية السعادة والحسنى والزيادة قلت
وهذان المعنيان هما اللذان يعبر عنهما ايمة الصوفية بالتخلي
والتحلي اي التخلي من الصفات المذمومة والتحلي بالصفات
المحمودة ويعبرون ايضا عنهما بالتزكية والتحلية وهما حقيقة
السلوك الذي يعبرون به ايضا وسياتي الاشارة الى كيفية

ذلك عند قوله لولا ميادين النفوس ما تحقق سير السايرين فاذا
صح للمريد هذا السفر وانقلب منه الى افضل مستقر تحققت
عبوديته لربه عز وجل لم يملكه غيره ولم يسترقه سواه وارتقى
في القرب من ربه الى اشرف محل فيكون هناك منزله ومثواه و
يكون حينيذ كما قال المولف رحمه الله لنداء الحق مجيبا لانه
اذ ذاك يناديه باسم العبد فيقول له يا عبدي فيجيب
حينيذ مولاه باسم الرب فيقول له لبيك يا رب فيكون
صادقا في اجابته متحققا في نسبته ويكون ايضا من حضرته
قريبا لوجود بعده عن نفسه التي من شانها النفور عنها
والفرار منها فاذا اقامه الحق تعالى مقام العبودية وحاز
مرتبة القربة من حضرة الربوبية كان محفوظا من اقتحام
الاوزار مليسرة عليه اعمال الاخيار متحليا في الظاهر
والباطن باشرف الحلى محظيا بفضيلة التشبه بالملا الاعلى
قال الله عز وجل ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته
ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقال
تعالى ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه
وله يسجدون وقال عز من قايل لا يعصون الله ما امرهم
ويفعلون ما يومرون ومرتبة العبدية انما لته هذه الخصوصيه
وكذلك من تشبه بهم في محاسن صفاتهم من الصفوة
الصوفيه الا ان هولاء محفوظون لا معصومون على ما اصطلحوا
عليه من الفرق بين الحفظ والعصمه والفرق بينهما ما قاله الامام ابو
القاسم القشيري رحمه الله ان المعصوم لا يلم بذنب البته
والمحفوظ قد يحصل منه هنات وقد يكون له في الندور زلات
ولكن لا يكون له اصرار اوليك الذين يتوبون من قريب وقد وصف
الله تعالى عباده بتخصيص اولى التطهير والتمحيص في ايات كريمه

بصفات

بصفات جليلة عظيمة واعد لهم على ذلك خيرات جسيمه فقال تعالى
وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون
قالوا سلاما الى قوله حسنت مستقرا ومقاما واليك النظر فيما
قاله فيها اهل التفسير وما استنبطه منها ارباب الاشارات
والتذكير واما من عدا هولاء فهم عبيد نفوسهم الشهوانيه
ومسترقوا حظوظهم الدنياويه قال الله عز وجل
افرايت من اتخذ الهه هواه وقال النبي صلى الله عليه
وسلم فيما يروى عنه تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم الحديث
وهولا من عبيد العدد المعنيين بقوله عز وجل ان كل من
في السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا لقد احصاهم
وعدهم عدا وكلهم اتيه يوم القيمة فردا واعلم انه لا
يتهيا هذا السلوك الى حضرة ملك الملوك الا لمن وفقه
الله تعالى لمعرفة نفسه وما ركبت عليه من ملام الصفات
ومن عرف ذلك من نفسه لا يزال متهما لها مسيا الظن بها
اخذا حذره منها والا وقع في المعاصي والذنوب من حيث لا
يشعر وقد نبه المولف رحمه الله تعالى على هذا بقوله

الرضا عن النفس اصل جميع الصفات المذمومة وعدم الرضا
عنها اصل الصفات المحموده وقد اتفق على هذا جميع العارفين
وارباب القلوب وذلك لان الرضا عن النفس يوجب تغطية
عيوبها ومساويها ويصير قبيحها حسنا كما قيل وعين الرضا عن كل
وعدم الرضا عن النفس على عكس هذا لان العبد اذ ذاك يتهم
نفسه فيتطلب عيوبها ومساويها ولا يغتر بما تظهر من الطاعات
والانقيا دكما قيل في الشطر الاخر ولكن عين السخط تبدي المساويا
فمن رضي عن نفسه استحسن حالها وسكن اليها ومن استحسن حال

عيبها كلها

وسكن اليها استولت عليه الغفلة وبالغفلة ينصرف قلبه عن التفقد
والمراعاة لخواطره فتثور حينيذ دواعي الشهوة على العبد وليس عنده
من المراقبة والتذكر ما يدفعها به ويقهرها فتصير الشهوة غالبة
له بسبب ذلك ومن غلبة شهوته وقع في المعاصي لا محالة واصل
ذلك كله رضاه عن نفسه ومن لم يرض عن نفسه لم يستحسن
حالها ولم يسكن اليها ومن كان بهذا الوصف كان متيقظا
متنبها للطوارق والعوارض وباليقظة والتنبه يتمكن
من تفقد خواطره ومراعاتها وعند ذلك تخمد نيران الشهوة
فلا يكون لها عليه غلبة ولا قوة فيتصف العبد حينيذ بصفة
العفة فاذا صار عفيفا كان مجتنبا لكل ما نهى الله عنه محافظا
على جميع ما امره به وهذا هو معنى الطاعة له عز وجل
واصل هذا كله عدم رضاه عن نفسه فاذا لا شي اوجب
على العبد من المعرفة بنفسه ويلزم من ذلك عدم الرضا
عنها وبقدر تحقق العبد في معرفة نفسه يصح له حاله ويعلو
مقامه وقد ورد عن الكبار والاخيار من الكلمات المتضمنة لعيبهم لنفوسهم
والتهمة منهم لها وعدم رضاهم عنها اكثر من ان تحصى ولذلك
قال ابو حفص رضي الله عنه من لم يتهم نفسه على دوام الاوقات
ولم يخالفها في جميع الاحوال ولم يجرها الى مكروهها في ساير
ايامه كان مغرورا ومن نظر اليها باستحسان شي منها فقد
اهلكها وكيف يصح لعاقل الرضا عن نفسه والكريم بن الكريم
ابن الكريم يقول وما ابري نفسي ان النفس لامارة بالسوء
وقال ايضا رضي الله عنه منذ اربعين سنة اعتقادي في نفسي
ان الله ينظر الي نظر السخط واعمالي تدل على ذلك وقال
الجنيد رضي الله عنه لا تسكن الى نفسك وان دامت طاعتها
لك في طاعة ربك وقال ابو سليمان الداراني رضي الله عنه

ما رضيت عن نفسي طرفة عين وحكي عن سري السقطي رضي
الله عنه انه قال اني لانظر الى انفي في اليوم كذا كذا مرة
مخافة ان يكون قد اسود لما اخافه من العقوبة وقال
ايضا ان من الناس ناسا لو مات نصف احدهم ما انزجر النصف
الاخر ولا احسبني الا منهم الى غير هذا من العبارات الصادرة
عن المشايخ رضي الله عنهم في هذا المعنى وقد الف الشيخ
ابو عبد الرحمن السلمي رضي الله عنه جزءا صغير الجرم عظيم الفايدة
في عيوب النفس وكيفية مداواتها فلينظر فيه المريد وكذلك الف
قبله الامام ابو عبد الله المحاسبي كتابا سماه بالنصايح جمع فيه من
معايب النفس وخدعها وغرورها وشرورها جملة شافية كافية
ونبه فيه على سنن دارسة عافية مما كان عليه سلفنا الصالح رضوان
الله تعالى عليهم من التفتيش والتفقد والنظر فيما تصلح به اعمالهم
واحوالهم وتفسد والمحافظة على تطهير الاسرار والقلوب
والمبالغة في الحذر من محقرات الذنوب وقد نقل الامام
ابو حامد الغزالي منه فصلا في كتابه واعتمد فيه ذكره
بلفظه ونص خطابه بعد ان اثنى على مولفه بما هو اهله بان
للجاهل به علمه وفضله فقال في حقه والمحاسبي رحمه الله خير
الامة في علم المعاملة وله السبق على جميع الباحثين عن عيوب
النفس وافات الاعمال واغوار العبادات وكلامه جدير بان
يحكى على وجهه ثم ذكره وقد كان احد زمانه علما وعبادة
ونخبة اوانه ودعا وزهادة سيدي الحاج ابو العباس بن عاشر
رحمة الله عليه ورضوانه يكثر من التحريض على مطالعة ذلك الكتاب
والعمل بما تضمنه من حق وصواب واظنني سمعته ذات يوم
يقول لا يجمل بما فيه الاولي او كلاما هذا معناه فليتخذ المريد
مطالعته وردا وليحرص على العمل بما تضمنه مستعينا بالله تعالى وسايلا

منه توفيقا ورشدا النصح لمولاه في مراعات اصلاح باطنه والقيام
على قدم الصدق في مواطنه وليجعل هجيراه مطالعة كتب التصوف
وموالاة اهله بالتالف والتعرف فبذلك تتقوى انوار ايمانه
ويقينه وتنتفي عنه الغفلة في عمله بوظايف دينه ولا يقتصر
على ذلك الا فرض العين وما يستجم به نفسه من مكابدة التعب
والاين ولا يشغل نفسه بعلم يغبر في وجه مقصوده ويوجب
له انتكاث مواثيقه وعهوده وهو ما اكب عليه الناس اليوم
وحادوا به عن سنن القوم حتى تطرق لهم بسبب ذلك من
رذايل الصفات وعظيم الافات ما اصارهم الى الهلاك
والشقا واعقبهم النفاق في قلوبهم الى يوم اللقا وسجل عليهم
بالكذب في دعواهم انهم قاصدون يطلبون رضا مولاهم فاياك
واياهم • لقد اسمعت لو ناديت حيا • ولكن لا حياة لمن تنادي •
ولذلك قال رضي الله تعالى عنه ولان تصحب جاهلا لا يرضى
عن نفسه خير لك من ان تصحب عالما يرضى عن نفسه فاي علم لعالم
يرضى عن نفسه واي جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه
فايدة الصحبة انما هي الزيادة في الحال وعدم النقصان فيها
حسب ما ياتي الكلام عليه عند قوله لا تصحب من لا ينهضك حاله
ولا يدلك على الله مقاله فصحبة من يرضى عن نفسه وان كان
عالما شر محض لا فايدة فيها لان علمه غير نافع له وجهله الذي
اوجب له رضاه عن نفسه صار غاية الضرر وكانه اذا فاته
هذا العلم الذي يريه عيبه حتى لا يرضى عن نفسه لا علم عنده وصحبة
من لم يرض عن نفسه وان كان جاهلا خير محض وفيه كل الفايدة
لان جهله غير ضار وعلمه الذي اوجب له عدم رضاه عن نفسه
غالب عليه النفع فكانه اذا حصل له هذا العلم لا جهل عنده
كيف يخرق لك العوايد وانت لم تخرق من نفسك العوايد

خرق

خرق العوايد بانكشاف عالم القدس ولا يكرم الحق تعالى به الا من خرق
عوايد نفسه وفني عن ارادته وحظوظه فمن لم يصل الى هذا
المقام لا يطمع فيها وان ظهر له ما صورته صورة الكرامة ينبغي له
ان يخاف عند ذلك من الاستدراج والمكر ولا يحب ذلك ولا
يطلبه فان احبه وطلبه فهو دليل على بقايه مع ارادته و
حظوظه وعاداته فكيف تخرق العوايد لمن هذه صفته على سبيل
الكرامه وهل هذا الا محال لا يستقيم قال الشيخ ابو طالب
المكي رضي الله عنه وجميع الاسرار من الغيوب التي تكنها الحجب
والاستار لا تظهر عليها الا مطلوب والمطلوب لا يكون محجوبا وهو
عن نفسه مسلوب فمن بقيت عليه من نفسه بقية ونظر الى الحركة
وسكونه بعينه نظرة خفية فليسترها عليه رحمة منه له لانه لو كوشف
بها هلك في حيرة الهوى وغرق في بحر الدنيا ونفس حبه وعين طلبه
اياها هو حجابه عنها واستتارها عنه حتى يكون كارها لظهورها
كراهية لظهور الخلق على معصيته وخايفا منها لخوفه على نفسه
في تظاهرها عليه بهلكته فهناك حين يبتلى بها ويختبر لينظر
كيف يعمل وكذا الشيخ ابو عبد الله القرشي رحمه الله قال
من لم يكن كارها لظهور الايات وخوارق الواردات منه كراهية
الخلق لظهور المعاصي فهو في حقه حجاب وسترها عنه رحمة فاذا
من خرق عوايد نفسه لا يريد ظهور شي من الايات وخوارق العادة
له بل تكون نفسه عنده اقل واحقر من ذلك فاذا فني عن ارادته
جملة وكان له تحقيق في روية نفسه بعين الحقارة والذلة حصلت
له اهلية ورود الالطاف ووجوه الاسعاف وسلك الى رتبة العبد
المبهج الباهج وضرب مع اهل الارادة بالقدح الفالج قال الشيخ
ابو العباس بن العريف رضي الله عنه اصبحت يوما مهموما
فقلت للشيخ ابي القسم بن رويبة حدثني بحكاية عسى الله

ان يفرج بعض ما بي فقال نعم ووصف لي رجل ببعض السواحل
يعرف بابي الخيار فقصدته فوجدته على ساحل البحر فسلمت عليه
وجلست فلم يتكلم ولم اكلمه حتى اذا كان وقت الصلاة اقبل
نفر من بعض الاودية متفرقون فاجتمعوا اليه وتقدم منهم
واحد منهم فصلى بهم ثم افترقوا ولم يكلم احد منهم احدا
وجلس الشيخ مكانه وجلست عنده حتى اذا كان وقت الصلاة
اقبل النفر وصلوا ثم انصرفوا حتى جاء وقت صلاة العصر
اجتمعوا وصلوا ثم جلسوا بعد ذلك وتذاكروا في سير
الصالحين ومقامات الاوليا الى قرب الاصفرار ثم تفرقوا
واجتمعوا للمغرب ثم تفرقوا فجلست عندهم ثلثة ايام وهم على
ذلك فوقع في نفسي ان اسالهم عن مسالة استفيد بها فتقدمت
اليه فقلت له ايها الشيخ مسيلة اسال عنها قال فنظر
الجماعة الي كالمنكرين ففزعت فقلت له ايها الشيخ متى يعلم المريد
انه مريد قال فاعرض عني ولم يجبني فخفت ان اكون اغضبته
فقمت عنه فلما كان في اليوم الثاني قلت لابد ان اساله عن
المسالة وعزمت على ذلك فتقدمت وقلت ايها الشيخ متى يعلم
المريد انه مريد فاعرض عني كالاول فلم يجاوبني فقمت وعدت في
الثالث وسالته عن المسالة بعينها فاجتمع وقال لا تقل هكذا اظنك
تريد ان تسال عن اول قدم يضعه المريد في الارادة فقلت نعم
فقال اذا اجتمع فيه اربع خصال احدها ان تطوى له الارض وتكون
عنده كقدم واحد وان يمشي على الما وياكل من الكون حتى اراد وان
لا ترد له دعوه فعند ذلك يضع اول قدمه في الارادة واما متى ما
علم المريد عندنا انه مريد سقط من حد الارادة قال الشيخ
ابو العباس بن العريف رضي الله عنه فصحت صيحة كادت نفسي تذهب
منها فقلت له ايستنا من الارادة يا ابا القسم وتعجبت من علو همته

انتهى

انتهى واعلم انه اول ما تخرق له من العادة تسميته باسم مريد مع كونه
مسلوب الارادة وما احسن ما قال الشاعر

تكون مريدا ثم فيك ارادة • اذا لم ترد شيا فانت مريد

والتحقيق في هذا ان من تحقق بعبودية الله عز وجل بمراعات
حقوقها لاجل ما وجب عليه من ذلك لا ليتوصل به الى نيل ذلك
حظ ما هو الذي يسمى مريدا فلم يسم بذلك الا لانه متصف
بالارادة الحقيقية المتعلقة بحظوظه لكن لما كان سلب
احدهما يقتضي وجود الاخرى لاقتضا الواجب صح لذلك للشاعر
ان يطلق نفس الارادة على من سلبت منه ويجزم عمن وجدت
فيه رشاقة وملاحة وتعمية ولهذا تبين لك كلام ابي يزيد
رضي الله عنه واستقامته حيث قيل له ما تريد فقال اريد ان
لا اريد وانه ليس بمختل ولا متناقض كما توهم بعضهم قال في
التنوير واعلم انه قد قال بعضهم ان ابا يزيد لما اراد ان لا يريد
فقد اراد وهذا قول من لا معرفة له عنده وذلك ان ابا يزيد
رضي الله عنه انما اراد ان لا يريد لان الله تعالى اختاره
وللعباد اجمع عدم الارادة معه فهو اراد لا يختار واما معه شيا
ولا يريدوه فهو في ارادته ان لا يريد موافق لارادة الله له
ولذلك قال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه فجعل مختارات
الشرع وترتيباته هو مختار له تعالى ليس لك منه شي واسمع
واطع فهذا موضع الفقه الرباني والعلم اللدني وهو ارض
لتنزل علم الحقيقة الماخوذ عن الله تعالى قال فابان
الشيخ بهذا الكلام ان كل مختارات الشرع لا يناقض
اختياره مقام العبودية المبني على ترك الاختيار لله لا يتخدع
عقل القاصر عن درك الحقيقة بذلك فيظن ان الوظايف
والاوراد ورواتب السنن ارادتها تخرج بها العبد عن صريح

العبودية بانه قد اختار في بين الشيخ ان كل مختارات الشيخ
وترتيباته لبس لك منه شي وانما انت مخاطب ان تخرج عن تدبيرك
لنفسك واختيارك لها عن تدبير الله ورسوله لك فافهم قال
فقد علمت اذا ان ابا يزيد ما اراد ان لا يريد الا ما اراد الله تعالى
اراد منه ذلك فلم تخرجه هذه الارادة عن العبودية المقتضاة
منه انتهى وقد طال بنا الكلام في هذا المعنى حتى كاد ان يبعد المناسبة
بينه وبين المسالة المنبه عليها من الكتاب بحيث ينجر بعضه الى
بعض لكن لما كان مقصدنا في هذا التنبيه استغنام ذكر الفوايد
في مفاصلها ومظانها لتفرع مسايل هذا الفن الغريب اسماع من
اراد الله تعالى توفيقه ممن بينه وبينه بعد المشرقين صح منا ذلك
وكنا سايرين فيه على اوضح المسالك وبالله التوفيق **تمكن حلاوة الهوى
من القلب هو الداء العضال** القلب محل الايمان والمعرفة واليقين
وهذه هي الارادة لا امراضه التي اوجبها دخول الهوى والشهوة
فاذا تمكن الداء من القلب لم يبق للدواء محل ولذلك اعضل امره
وبعد بروه **لا يخاف عليك ان تلتبس الطرق عليك وانما
يخاف عليك من غلبة الهوى عليك** الطرق الى الله تعالى واضحة لايحه
لان الحق سبحانه هو الذي تولى ذلك وبه انزل الكتب وارسل الرسل
ونصب عليه الادلة والبراهين فلا يخاف على العبد من التباسها
عليه وانما يخاف من غلبة الهوى عليه حتى يعميه ذلك عن رويتها
قال احمد بن خضرويه البلخي رضي الله عنه الطريق واضح والحق
لايح والداعي قد اسمع فما التحير بعد هذا الا من العمى **الناس
يمدحونك بما يظنون فيك فكن انت ذاما لنفسك لما تعلم منها**
ذم العبد لنفسه واحتقارها بما يتحققه من عيوبها وافاتها
مطلوب منه وان ذلك يوديه الى الحذر من غرورها وشرورها
فتصلح بذلك اعماله وتصدق احواله والا فسدت عليه واعتلت

دخول

لدخول الافات عليها ولا يصدنه عن ذلك ثنا الناس عليه و
مدحهم له وحسن الظن به فينبغي ايضا ان يقوم بحق ما يجب عليه
من اتهام نفسه وسوء اعتقاده فيها قال بعضهم من فرح بمدح
نفسه فقد امكن الشيطان ان يدخل في بطنه وقال اخر اذا قيل
لك نعم الرجل انت فكان احب اليك من ان يقال لك بيس
الرجل فانت والله بيس الرجل وقيل لبعض الصحابة رضي الله
عنهم لا يزال الناس بخير ما ابقاك الله فيهم فغضب وقال
اني لاحسبك عراقيا وقال بعضهم لما مدح اللهم ان عبدك
تقرب الي بمقتك فاشهدك على مقته وقال اخر اللهم اجعلنا
خيرا مما يظنون ولا تواخذنا بما يقولون واغفر لنا ما لا يعلمون
قال الامام ابو حامد الغزالي وانما كرهوا المدح خيفة
ان يفرحوا بمدح الخلق وهم ممقوتون عند الخالق فكان
اشتغال قلوبهم بحالهم عند الله تعالى يبغض اليهم مدح الخلق
لان الممدوح هو المقرب عند الله تعالى والمذموم على
الحقيقة هو المبعد عن الله تعالى الملقى في النار مع الاشرار
فهذا الممدوح ان كان عند الله تعالى من اهل النار فما
اعظم جهله اذا فرح بمدح غيره وان كان من اهل الجنة
فلا ينبغي ان لا يفرح الا بفضل الله تعالى وثنايه عليه اذ
ليس امره بيد الخلق ومهما علم ان الارزاق والاجال
بيد الله تعالى قل التفاته الى مدح الخلق وذمهم وسقط
من قلبه حب المدح واشتغل بما يهمه من امر دينه انتهى كلام
ابي حامد رضي الله عنه **المومن اذا مدح استحيا من الله تعالى
ان يثني عليه بوصف لا يشهده من نفسه** المومن الحقيقي هو الذي لا
يشهد من نفسه صفة محموده يستحق بها ان يمدح او يثني
عليه وانما يشهد ذلك من ربه عز وجل فاذا اثنى الناس عليه

وذكروا محاسنه استحيا من الله تعالى استحياء تعظيم واجلال
ان يثني عليه بصفة ليست منه فيزداد بذلك مقتا لنفسه
واحتقارا ونفورا عنها ويقوى عنده روية احسان الله تعالى
اليه وشهود فضله في اظهار المحاسن عليه وهذا هو الشكر
الذي ينال به المزيد مع سلامته من السكون الى ثنا العبيد
اجهل الناس من ترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس الاغترار
بمدح الناس وثنايهم غاية في الجهل والغباوه وذلك من
علامة المقت لان المغتر بذلك ترك يقينه بنفسه لظن
غيره به وهو على كل حال اعلم بنفسه وقد شبه الحارث
المحاسبي رضي الله عنه الراضي بالمدح بالباطل بمن
يهزئ به ويقال له ان العذرة التي تخرج من جوفك لها
رايحة المسك وهو يفرح بذلك ويرضي بالسخريه عليه
قلت ولا شك ان الذنوب والعيوب التي يعلمها
العبد من نفسه انتن واقذر من العذرة التي تخرج من
جوفه ولا فرق بين الحالين الا انه في حال المدح يعلم
ان المادح يشاركه في معرفة ذنوبه وعيوبه مشاركة
ذلك المستهزي للمستهزا به في معرفة حال ما يخرج
من جوفه فهو بجهله وغباوته قد رضي بان يكون له في
قلوب العبيد الجاهلين بحاله قدر او جاه من غير مبالاته
بسقوطه من عين مولاه الذي يعلم من حاله ما لا يعلمه هو
ولا غيره من حيث رضي بالمدحة وفرح بها ولم يقابل
ذلك بالاستحياء والكراهة هذا اذا كان المادح من اهل
العلم والدين واما ان كان جاهلا او فاسقا فلا غباوة
اعظم من الرضا بمدحهم والفرح به قال يحيى بن معاذ
الرازي رضي الله عنه تزكية الاشرار هجنة بك وحبهم

كره

٧٧

نكت عيب عليك وقيل لبعض الحكما ان العامة يثنون عليك
فاظهر الوحشة من ذلك وقال لعلهم راوا مني شيا اعجبهم
ولا خير في شي يسرهم ويعجبهم ويروى عن بعض الحكما
انه مدحه بعض العوام فبكى فقال له تلميذه ابتكي وقد مدحك
قال انه لم يمدحني حتى وافق بعض خلقي خلقه فلذلك بكيت
فانظر هذا فقد نبهك هذا الحكيم على العلة في ذلك اذا
اطلق الثنا عليك ولست باهل فاثن عليه بما هو اهله المومن
هو الذي لا يرى نفسه اهلا لان يمدح او يثنى عليه لان
موجبات ذلك ليس له منها شي كما تقدم فاذا اطلق الله تعالى
السنة الناس بالثنا عليه ولا اهلية فيه لذلك فينبغي
ان يعرف الحق لاهله فيستعمل نفسه بالثنا على الله تعالى بما
هو اهله ليكون ذلك شكرا لنعمة اطلاق الالسنة بالثنا عليه
من غير استحقاق لذلك ولا ثبوت اهلية حظ النفس في المعصية
ظاهر جلي وحظها في الطاعة باطن خفي ومداواة ما يخفى صعب علاجه
النفس شانها ابدا طلب الحظوظ والفرار من الحقوق فهي لا تسعى
الا في ذلك ولو عملها في الطاعات فضلا عن المعاصي ومن
حاسب نفسه وراقب خواطره تبين له مصداق هذا وقد
يجد من النشاط واللذة في نوع من العبادة ما لا يجده في
نوع اخر وان كان هذا النوع الاخر اتم فضيلة منه وما ذاك
الا لاجل ان حظها فيه اكثر من الاخر فاهل الخبرة والبصيرة
يتهمون انفسهم اذا الفت بابا من ابواب العبادة لمعرفتهم
بخدعها ومكايدها فيشوشون ذلك عليها وينتقلون منها
فيها وقد حكي عن ابي محمد المرتعش رضي الله عنه انه قال
حججت كذا وكذا حجة على التجريد فبان لي ان جميع ذلك كان
مشوبا بحظي وذلك ان والدتي سالتني ان استقي لها

جرة ما فتثقل ذلك على نفسي فعلمت ان مطاوعة نفسي في الحج
كانت بحظ وشوب من نفسي اذ لو كانت نفسي فانية لم يصعب
عليها ما هو حق في الشرع فهذا مما يبين ان حظ النفس في
الطاعة موجود ولكنه خفي على العامل فلذلك تعسر مداواته
لانه يحتاج الى دقة فهم ونفوذ ادراك لينطلب بذلك
افات نفسه ولطايف خدعها وخفايا حظوظها فيعمل على تصفية
اعماله من ذلك فلا جرم اذا كان ذلك متعذرا يجب عليه
اتهام نفسه ومخالفتها في كل ما تدعوا اليه كما بينا ما كان قال
ابو بكر الخفاف رضي الله عنه سمعت بعض مشايخنا يقول
عن احمد بن ارقم البلخي قال حدثتني نفسي بالخروج الى
اسباب الغزو فقلت سبحان الله ان الله تعالى يقول ان
النفس لامارة بالسوء وهذه تامرني بالخير لا يكون هذا ابدا ولكنها
استوحشت فتريد لقاء الناس فتستروح اليهم ويتسامع الناس
الناس بها يستقبلونها بالبر والتعظيم والاكرام فقلت لها
لا اسكنك العمران ولا انزل على ذي معرفة فاجابت فاسات
ظنا بها وقلت الله اصدق قولا فقلت لها اقاتل العدو
حاسرا فتكونين اول قتيل فاجابت وعدا شيا مما ارادها به
فاجابت الى كل ذلك فقلت يا رب نبهني لها فاني لها متهم
ولقولك مصدق فالهمت كانها تقول لي انك تقتلني كل يوم
مرات بمخالفتك اياي ومنع شهواتي ولا يشعر بي احد فان قاتلت
فقتلت كانت قتلة واحدة فنجوت منك ويتسامع الناس فيقال
استشهد احد فيكون شرفا لي وذكرا في الناس قال فقعدت
ولم اخرج ذلك العام فهكذا خدع النفس وغرورها اعاذنا الله
من شرها اذا التبس عليك امران فانظر اثقلهما على النفس
فاتبعه فانه لا يثقل عليها الا ما كان حقا هذا هذا
ميزان

ميزان صحيح باعتبار غالب الانفس لانها مجبولة على الجهل والشره
فشانها ابدا انما هو طلب الحظوظ والفرار من الحقوق كما تقدم
عند قوله حظ النفس في المعصية ظاهر جلي وحظها في
الطاعة باطن خفي فاذا وجد المريد من نفسه ميلا وخفة
عند بعض الاعمال دون البعض اتهمها وترك ما مالت اليه وخفت
عليها وعمل بما استثقلته قال بعض العارفين منذ
عشرين سنة ما سكن قلبي الى نفسي ساعة وسكون القلب
الى النفس هو اتباعها للاخف عليها دون الاثقل وهو
معدود عندهم من نفاق القلب ومن بقي عليه شيء من وعي
الهوى وان قل لا يومن عليه من مثل هذا اذ الخفة العمل
على النفس انما يكون لاجل موافقة هواها وهواها لا يميل
الا الى الباطل فاذا التبس عليك امران واجبان او مندوبان
ولم تعلم ايهما اوجب او افضل لتقدمه على الاخر فانظر ايهما
اثقل على نفسك فاعمل به وانما قلنا باعتبار غالب الانفس
لان النفس المطمينة لا توصف بالجهل ولا بالشره فقد
يخف عليها العمل ولا يدل ذلك على انه باطل فليكن نظر العبد
حينيذ الى ما هو اكثر فايدة واعظم مزيدا فليقدمه على غيره
وقد ذكر الشيخ ابو طالب المكي رضي الله عنه حكاية عجيبة
في شره النفس وكونها لا تميل الا الى الباطل قال حدثني بعض
اخواني عن بعض هذه الطايفة قال قدم علينا بعض الفقرا
فاشترينا من جار لنا حملا مشويا ودعوناه اليه في جماعة من اصحابنا
فلما مد يده واخذ لقمة وجعلها في فيه ثم لفظها ثم اعتزل وقال كلوا
انتم فانه قد عرض لي عارض يمنعني من الاكل فقلنا لا ناكل ان لم
تاكل فقال انتم اعلم اما انا فغير آكل ثم انصرف قال وكرهنا ان
ناكله دونه فقلنا لو دعونا الشوا فسالناه عن اصل هذا الحمل فلعل

له سببا مكروها فدعوناه فلم نزل به نسأله حتى اقر انه كان ميتتم وان
نفسه شرهت الى بيعه حرصا على ثمنه فشواه ووافق انكم اكلتموه
قال فرقناه للكلاب قال ثم اني لقيت الرجل بعد وقت فسالته
لاي معنى تركت الاكل ولاي عارض فقال اخبرك ما شرهت نفسي الى
طعام منذ عشرين سنة للرياضة التي رضتها به فلما قدمتم الي هذا
شرهت نفسي اليه شرها ما عهدته قبل ذلك فعلمت ان في الطعام
علة فتركت اكله لاجل شره النفس اليه قال الشيخ ابو طالب
فانظر رحمك الله كيف اتفقا في شره النفس عن قصة واحدة
ثم اختلفا في التوفيق والخذلان فعصم العالم بالورع والمحاسبة
والتحفظ به وترك الجاهل مع شره النفس بالحرص وترك المراقبة
اعني البايع للجهل وعصم الاخرون للتوفيق بحسن الادب
وهو قمع شره النفس عن الاكل بعد صاحبهم ثم تدورك
البايع بعد وقوعه بصدق المشتري وحسن نيته انتهى
وثم ميزان اخر اصح واكثر تحقيقا من الاول وهو ان تقدر
نزول الموت به فاي عمل سره ان يكون مشغولا به اذ ذاك فهو
حق وما عداه باطل قال في لطائف المنن والموت ميزان
على الافعال والاحوال كما هو ميزان في دائرة الرتب اما الرتب
فكما تقدم يعني انه علامة صحة مرتبة الولاية واما الافعال
والاحوال فاذا التبس عليك امر لا تدري هل يرضي الله تعالى
تركه او فعله او حالة انت بها لا تدري هل قمت فيها بحق
او قمت فيها بهوى فاورد الموت على ما انت فيه من افعال
واحوال فكل حالة وعمل تثبت مع تقدير ورود الموت عليها
ولم ينهزم فهو حق وكل حالة وعمل هزمها الموت فهو باطل
اذ الموت حق والحق يهزم الباطل ويدمغه لقوله تعالى بل
نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق وقوله

سبحانه

سبحانه قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب وقوله عز وجل
وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وما كنت
قايما فيه بحق لم يهزمه الموت اذ هو حق والموت حق والحق
لا يهزم الحق قال وقد تجاريت بالكلام انا ومن يشتغل
بالعلم في انه ينبغي اخلاص النية فيه وان لا يشتغل به الا لله
قلت الذي يقرا العلم لله هو الذي اذا قلت له غدا تموت لا
يضع الكتاب من يده انتهى قلت وهذا هو فصل الخطاب
ونهاية الصواب فان العبد في هذه الحالة لا يهمه منه الا
العمل الصالح الخالص من شوائب الريا ومزاحمة حظ النفس
واتباع الهوى وهذا هو المطلوب من العبد ولا يستتب له
ذلك الا بان يتحقق بما يقدره من حلول الموت وحصول الفوت
وهذا هو معنى قصر الامل الذي هو اصل حسن العمل وهو
ان لا يقدر لنفسه وقتا ثانيا يكون فيه حيا وعند ذلك
يخلص عمله من الافات ويتطهر من انواع الرعونات لان توقع
الموت في كل نفس ولحظة يهدم عليه جميع ذلك كما ذكره المؤلف
رحمه الله وكل عمل استرسل فيه صاحبه غافلا عن تقدير وقوع
ذلك ان لم يكن متحققا به لا يسلم مما ذكرناه فاذا بعيد من الاخلاص
من ياخذ في علم غير متعين عليه الاخذ فيه لا يجتني ثمرته الا في
ثاني حال ويكون بحالة راهنة متمكنا من ايقاع طاعة تزيد مصلحتها
على مصلحة ما اخذ فيه من العلم يفوز بثوابها ويتنجز له حصول التقرب
بها لان في ذلك فوت نفسه ووفارة حظه واية ذلك ان لو عرض
له في حالة اخذه فيه عرض دنياوي يكون احتظاء نفسه به اكثر
فيقدمه على ما كان اخذا فيه ويتشاغل به من غير مبالاة بما
يفوته من ذلك وانما عبرنا بلفظ الاخذ ليدخل فيه تعلم المتعلم وتعليم
المعلم فان الامر فيهما واحد وكل عمل لا اخلاص فيه ليس بالله

ولا لله مردود على صاحبه مضروب به وجهه وبهذا يتبين لك غرور
اكثر الخلق في علومهم واعمالهم الا من رحم الله ولهذا نشاهد
اكثر الناس عند نزول الموت بهم يندمون على ما اسلفوه من عمل
ويودون ان لو انسي لهم في الاجل هيهات هيهات فنعوذ بالله
من الغافلين من زمان المهلة فانها مبدا كل عمل فاسد ومنشا
وجود الغرة والجهالة لكل عالم وعابد وما ذكرناه من معرفة
اختلاف درجات المصالح ليتقدم الفاضل منها على المفضول لا
يصح الا ممن ايده الله بنور اليقين وجبله على النصيحة له في الدين
وكان له حظ وافر من الخوف والحذر وموافقة مولاه في
كل ورد وصدر ومصدر ولا شك ان هذه المرتبة عزيزة
المنال متعذر ادراكها على الاحاد من الرجال وسبيل من
لم يصل اليها ممن ذكرنا اذا كان منصفا ان يستعين بنظر من
هو اصح منه حالا واصوب مقالا وفعالا ويفوض جميع امره اليه
ويعتمد اشارته فيما يشير به عليه وعلامة انصافه وجود اتهامه
لنفسه وعدم اعتماده على عقله وحدسه ومن لم يكن منصفا
فالكلام معه هذيان فاسد وضرب في حديد بارد وقد تقدم
في باب العلم مزيد تنبيه على غرور الآخذين في العلم والله ولي
التوفيق **المومن يشغله الثنا على الله تعالى عن ان يكون لنفسه
شاكرا وتشغله حقوق الله تعالى عن ان يكون لحظوظه ذاكرا**
شكر النفس روية نسبة الافعال الجميلة والاحوال الجميلة اليها
وذلك ثنا عليها وهو مضاد للثنا على الله تعالى وذكر حظها
من اعتقاد ان لها حقا على ما تفعله من الطاعات وهو مضاد
للقيام بحقوق الله تعالى فالمومن الحقيقي لا يلتفت الى نفسه في
نسبة شي من المحاسن اليها ولا في طلب حظ عليه لها بل يشغله الثنا
على الله تعالى والحرص على توفية حقوقه عن جميع ذلك **لولا ميادين النفوس**

**ما تحقق سير السايرين لا مسافة بينك وبينه حتى تطويها رحلتك
ولا قطعة بينك وبينه حتى تمحوها وصلتك** السير الى الله تعالى هو قطع
عقبات النفس ومحو آثار دعاويها وغلبة احكام طبيعتها وجبلتها
حتى يتطهر من ذلك ويحصل لها اهلية القرب من الله تعالى
وتصل الى سعادة لقايه ولولا معاناة هذه الاشيا لم يتحقق
السير والسلوك كيف والحق سبحانه وتعالى اقرب الى العبد
من نفسه فالبعد الحسي وهي المسافة التي تطويها رحلته
والبعد المعنوي وهو القطعة التي تمحوها وصلته محالان
في حقه تعالى لنفي المثلية في الاول وعدم الضد به في الثاني
وهذه الالفاظ التي عبر بها المولف رحمه الله تعالى من السير
والميادين والرحلة والوصلة وفي معناها السير والسلوك
والذهاب والرجوع من عبارات استعملها الصوفيه في امور
معنويه تجوزوا بها من امور حسيه ومرجع جميع ذلك الى
علوم ومعاملات يتصف بها العبد لا غير وهذا الكلام الذي
ذكره المولف رحمه الله هاهنا وما تقدم له ولنا غير ما مرة
من ان النفس هي الحجاب الاعظم عن الله تعالى وان مجاهدتها
وقمعها وموتها تنال سعادة لقاء الله صحيح المعنى قال بعضهم
ما الحياة الا في الموت اي ما حياة القلب الا في اماتة النفس
وقيل النعمة العظمى الخروج عن النفس لان النفس اعظم حجاب
بينك وبين الله تعالى قال سيدي ابو مدين رضي الله عنه
من لم يمت لم ير الحق وقال سيدي ابو العباس رضي الله عنه
لا يدخل على الله الا من بابين من باب الفنا الاكبر وهو الموت
الطبيعي ومن باب الفنا الذي تعنيه هذه الطايفة وعن
حاتم الاصم رضي الله عنه انه قال من دخل في مذهبنا هذا
فليجعل في نفسه اربع خصال من الموت موت احمر وموت اسود

وموت ابيض وموت اخضر فالموت الابيض الجوع والموت الاسود
احتمال الاذى الناس والموت الاحمر مخالفة النفس والموت
الاخضر طرح الرقاع بعضها على بعض وقال سهل بن عبد الله رضي الله
عنه للنفس سر ما ظهر ذلك السر على احد من خلقه الا على فرعون قال انا
ربكم الاعلى ولها سبع حجب سماوية وسبع حجب ارضية فكلما يدفن العبد
نفسه ارضا ارضا سما قلبه سماء سماء فاذا دفنت النفس تحت الثرى وصلت
بالقلب الى العرش يعني اذا خالفها وفارقها وسبيل المريد الى الوصول
الى موت النفس انما يكون بتقديم الافتقار والالتجا والرغبة الى
مولاه في ان يعينه ويقويه على امر نفسه ويسهل عليه طريق سلوكه
وليستعمل هذا في كل حال ووقت وليجعله عمدته فيما هو بسبيله
وسياتي في باب التسليم من كلام المولف رحمه الله ما توقف
مطلب انت طالبه بربك وقال بعض العارفين لا يمكن الخروج
من النفس بالنفس وانما يكون الخروج من النفس بالله ثم يشتغل
بمراعات حدود الشريعة والطريقة في ظاهره وباطنه والتزام
ادابهما ولكل عبد عمل مخصوص يقتضي لا محالة حكما مخصوصا يقوم
بحقه وذلك يختلف باختلاف احوال الناس فحركات العبد
وسكناته هي اعماله الظاهرة ومقصوده وهمته وارادته هي
اعماله الباطنة وكل واحد من القسمين ينبغي ان ياخذ فيه
بعزايم الامور ويجتنب الرخص التي هي من شان العامة
والجمهور حسب ما سياتي في باب الاستدراج عند قوله من
جهل ان يسي الادب فتوخر العقوبة عنه فعمل الظاهر ان
كان واجبا فليبادر الى فعله ولا يتوان عنه وليقم بجميع
ادابه اللازمة له ويلتحق بذلك ما يكون مندوبا اليه
اذا علم في اي مرتبة هو وانما اشترطنا هذا الشرط لان
المندوبات التي تعترضه يحتاج فيها الى تقديم الاولى فالاولى
والاهم

والاهم فالاهم فان لم يفعل على هذا وقدم ما ليس باهم
كان متبعا للهوى لا لموجب العلم وليأخذ في ذلك بالقصد من غير
افراط ولا تفريط ولا غلو ولا تقصير وفي حديث عايشة رضي الله
عنها انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكلفوا من العمل
ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا وان افضل العمل ادومه
وان قل وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الدين يسر ولن يشاد الدين احد الا غلبه فسددوا
وقاربوا وابشروا وان كان حراما فليبادر الى تركه واجتنابه
وليقطع عن نفسه جميع اسبابه ويلتحق بذلك ما يكون مكروها او
كان مباحا فهذا هو محل نظر المريد فعليه ان ياخذ بالعزيمة فيه
ويقف على حدود الضرورة منه وليكن احتياجه لما يشتد ميل
النفس اليه ويعظم حرصها عليه اكثر من اجتنابه لما فقد منه
ذلك ويختلف ذلك باختلاف الاشخاص فرب شخص يميل
نفسه الى ما لا يميل اليه نفس شخص اخر فليشتغل المريد
بقطع ذلك وزوال علاقته من قلبه بالرياضة والمجاهدة
وليستمر على ذلك حتى يكون وقوفه على ما لا بد له منه على وجه الطاعة
والقربة على سبيل الهوى والشهوة وما يشتد ميل نفوس اكثر
الناس ما يكون اكثر سبب تناوله واستفهاما له مراعات نظر الخلق
والجري على عوايدهم والسيئة ومراسمهم المذمومة ومجاهدة
النفس في مثل هذا عسيرة جدا لا سيما على من ابتلي بحب
الجاه والرياسة وقبول الخلق في ولاية حكم او نشر علم
او غير ذلك فانها اشد الشهوات علاقة بالقلب واضرها
بالمريد فيجب عليه ان يعتني بذلك ويبالغ في تطهير ظاهره
وباطنه مما يتعاطاه من اعمال واحوال وقد نبهنا على هذا المعنى
في باب العزلة والخمول عند قول المولف رحمه الله ادفن وجودك

في ارض الخمول فما نبت مما لم يدفن لم يتم نتاجه ويتعين على المريد
في رياضته ومجاهدته ان يمنع حواسه ويكف جوارحه عن التطلع
والجولان في مظان وجدان شهواته وسبتي عاداته وان لا يجامعها
ولا يتفق معها فان ذلك منشا كل شر ومنبع كل فساد وضر كما
قيل • ان السلامة من سلمى وجارتها • ان لا تمر على حال بواديها •
فليراقب ربه وليحفظ جوارحه وقلبه فان الانسان قد يتحرك
مثلا في طلب الخير والعمل من اعمال البر فيتفق ان تقع بصره
على شي له فيه هوى وشهوة فتميل نفسه اليه بالكلية والمحبة
فيتكدر عليه وقته ويظلم قلبه ويختل عليه في لحظة ما كابد فيه
امس في سنة مثلا وكذلك ساير حواسه وقد شبه العلما
رضي الله عنهم النفس في مثل هذا بدابة استعارها رجل
من ربها ومالكها لينصرف بها في حاجته وكانت دابة جموح
صعبة المرام فجاز بها المستعير في بعض تصرفاته على دار
مولاها فنزعت الى دار سيدها فانه لا محالة يحتاج الى صرف
عنانها فان تقاعست ضربها بالسوط والعصا حتى يصرفها بذلك
عما نزعت اليه وقد يكون في ذلك عليه تعب ومونة وسبب
هذا انما هو خطوره بها الى دار مولاها الذي الفته واعتادته
ولو لم يمر بها عليها لسلم ولم يحتج الى معاناة ولا مكابدة
فان تغافل عنها حتى ادخلت يديها في عتبة الباب واستملكت منه
ثم اراد منعها من الدخول لم تطعه بوجه بل اقتحمت به باب الدار
كرها وربما جرحت راسه والمته وسبب ذلك انما هو تمكينها
من الحلول بمقتضى طبيعتها وموافقة جبلتها فكذلك حال النفس
فالنفس ان اعطيتها هواها فاغرة نحو هواها فاها ولذلك كانت
الخلوة والعزلة من احب الواجبات على المريد فان نفسه اذ ذاك
تكون ساكنة هادية قد نسيت عوايدها وفترت دعاويها وبدواته

ع

على ذلك تحصل له من التزكية والتحلية والاستقامة والطمانينة
ما هو المقصود بالرياضة والمجاهدة فان اعتراه شي مما ذكرناه
اختل عليه حاله واحتاج من ذي قبل الى المجاهدة الشاقة
والرياضة الصعبة وانى له مع ذلك تلافي ما فاته وقد قالوا
وقفة المريد شر من فترته قال الامام ابو القسم
القشيري رضي الله عنه والفرق بين الفترة والوقفة
ان الفترة رجوع عن الارادة وخروج منها والوقفة
سكون عن السير باستحلاء الكسل وكل مريد وقف
في ابتدا الى وقفة لا يجي منه شي انتهى كلامه رحمه الله فهذه آفات
المريد الامور هي التي يجب ان يراعيها المريد والله ولي التوفيق
والتسديد ولا غنى للمريد في هذا القسم من تحصيل ما يحتاج
اليه من العلوم الشرعية على ما ينبغي وعمل الباطن يرجع حاصله
الى امر واحد وهو اخلاص التوحيد لله عز وجل باعتقاد الربوبية
له وذلك بان يحمل نفسه على الاستسلام لاحكام الله تعالى وترك
المنازعة والتدبير والاختيار بين يديه وهذا المعنى هو
الذي ضمنه المولف رحمه الله ونفع به في كتابه التنوير في اسقاط التدبير
فليستعن المريد على ذلك به ولا يقصد برياضته ومجاهدته التوصل
الى شي من الكرامات وخرق العوايد وانواع الاجابات فان ذلك
فتنة وبلية قاطع عليه طريق العبودية قال الشيخ ابو عثمان المغربي
رضي الله عنه من اختار الخلوة على الصحبة ينبغي ان يكون خاليا من جميع
الاذكار الا ذكر ربه وخاليا من جميع الارادات الا رضى ربه وخاليا
من مطالبة النفس من جميع الاسباب وان لم يكن بهذه الصفة فان
خلوته توقعه في فتنة او بلية قال الشيخ ابو عبد الله القرشي
رضي الله عنه من عمل ليجد او يرى لم يفتح له شي حتى يكون فصله
تحقيق العبودية والقيام بما يجب عليه من حقوق الربوبية قال

صاحب كتاب عوارف المعارف فمن دخل الخلوة معتلا في دخوله دار
عليه الشيطان وسول له انواع الطغيان وامتلا من الزور والمحال
وظن انه حصل على حسن الحال قال وقد دخلت الفتنة على
قوم دخلوا الخلوة بغير شروطها واقبلوا على ذكر من الاذكار واستجموا
نفوسهم بالعزلة عن الخلق ومنعوا الشواغل عن الحواس كفعل
الراهبين والبراهمة والفلاسفة والوحدة في جمع الهم لها تاثير
في صفاء الباطن مطلقا فكلما كان من ذلك بحسن سياسة
الشرع ومتابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتج صفا في النفس
ليستعان به على اكتساب علوم رياضية مما يعتني به الفلاسفة والله
وكلما اكثر من ذلك كثر البعد من الله ولا يزال المقبل على ذلك يستغويه
الشيطان بما يكتسب من العلوم الرياضية او بما قد يترايا له من صدق
الخاطر وغير ذلك حتى يركن اليه كل الركون ويظن انه قد فاز
بالمقصود من الخلوة ولا يعلم ان هذا الفن من الفايدة غير ممنوع
من النصارى والبراهمة وليست هي المقصود من الخلوة يقول
بعضهم الحق يريد منك الاستقامة وانت تطلب الكرامة وقد
يفتح على الصادقين بشي من خرق العادات وصدق الفراسة
وتبيين ما سيحدث في المستقبل وقد لا يفتح عليهم ذلك ولا يقدح
في حالهم عدم ذلك وانما يقدح في حالهم الانحراف عن حسن الاستقامة
وما يفتح من ذلك على الصادقين يصير مزيد انتفاعهم والداعي لهم
الى صدق المجاهدة والمعاملة والزهد في الدنيا والتخلق بالاخلاق
الجميلة وما يفتح من ذلك على من ليس تحت سياسة الشرع يصير
سببا لمزيد بعده وغروره وحماقته واستطالته على الناس وازدرايه
بالخلق ولا يزال به حتى تنخلع ربقة الاسلام من عنقه وينكر الحدود
والاحكام والحلال والحرام ويظن ان المقصود من العبادات ذكر
الله تعالى وترك متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم يتدرج من ذلك

الى

انتج تنوير القلب والزهد في الدنيا
وحلاوة الذكر والمعاملة لله تعالى
باخلاص من الصلاة والتلاوة
وغير ذلك وما كان من ذلك من غير
سياسة الشرع ومتابعة رسول الله
صلى الله عليه وسلم صح

الى الحد وتزندق ونعوذ بالله من الضلال وقد يلوح لاقوام خيالات
يظنونها وقايع ويسمونها بوقايع المشايخ من غير علم تحقيق ذلك انتهى كلامه
رحمه الله وهو في غاية الحسن ونهاية التحقيق فمهما ورد العبد
على مثل هذه الاسباب التي ذكرناها مشاهدا التوفيق ربه عز
وجل وتاييده له يحصل له مزيد كثير وعند ذلك يتطهر باطنه
من جميع الافات ومن خبايث الصفات وتستنير سريرته
بانواع المكاشفات والملاطفات وقد عبر الامام ابو القاسم القشيري
رضي الله عن طريق موت النفس بعبارات صحيحة مليحة فقال
قتل النفس في الحقيقة التبري عن حولها وقوتها وشهود شي منها
ورد دواعيها اليها وتشويش تدبيرها عليها وتسليم الامور الى
الحق سبحانه بجملتها وانسلاخها من اختيارها وارادتها وامتحاء
اثار بشريتها عنها فاما بقاء الرسوم والهياكل فلا خطر لها ولا حين انتهى
فهذه هي السبيل الى موت النفس المفضي الى حضرة القدس لكونه جاريا
على مقتضى الشريعة والحقيقة اللتين بانوارهما يهتدي كل سالك
ومريد ولا بد للمريد في هذه الطريق من صحبة شيخ محقق مرشد
قد فرغ من تاديب نفسه وتخلص من هواه فليسلم نفسه اليه و
ليلتزم طاعته والانقياد اليه في كل ما يشير به عليه من غير ارتياب
ولا تاويل ولا تردد فقد قالوا من لم يكن له شيخ فالشيطان شيخه
وقال ابو علي الثقفي رضي الله عنه لو ان رجلا جمع العلوم كلها
وصحب طوايف الناس لا يبلغ مبالغ الرجال الا بالرياضة من شيخ او
امام او مودب ناصح ومن لم ياخذ ادبه من امر له وناهيه يريه
عيوب اعماله ورعونات نفسه لا يجوز الاقتدا به في تصحيح المعاملات
وقال سيدي ابو مدين رضي الله عنه من لم ياخذ الادب من
المتادبين افسد من يتبعه قال المولف رحمه الله في لطايف
المنن انما يكون الاقتدا بولي دلك الله عليه واطلعك على ما اودعه

من الخصوصية لديه فطوى عنك شهود بشريته في وجود خصوصيته
فالقيت اليه القياد فسلكت بك طريق سبيل الرشاد يعرفك برعونات
نفسك وكمائنها ودفائنها ويدلك على الجمع على الله ويعلمك الفرار عما
سوى الله تعالى ويسايرك في طريقك حتى تصل الى الله تعالى ويوقفك
على اساءة نفسك ويعرفك باحسان الله اليك فيفيدك معرفة اساءة
نفسك الهرب منها وعدم الركون اليها ويفيدك العلم باحسان الله
اليك الاقبال عليه والقيام بالشكر اليه والدوام على ممر الساعات
بين يديه قال فان قلت فاين من هذا وصفه لقد دللتني على اغرب
من عنقاء مغرب فاعلم انه لا يعوزك وجدان الدالين وانما قد يعوزك
وجود الصدق في طلبهم جد صدقا تجد مرشدا وتجد في ذلك ايتين
من كتاب الله تعالى قال الله سبحانه وتعالى امن يجيب المضطر
اذا دعاه وقال عز وجل فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم فلو
اضطررت الى من يوصلك الى الله تعالى اضطرار الظمآن الى الماء
والخايف الى الامن لوجدت ذلك اقرب اليك من وجود طلبك
ولو اضطررت الى الله اضطرار الام لولدها اذا فقدته لوجدت
الحق منك قريبا ولك مجيبا ولوجدت الوصول غير متعذر عليك
ولتوجه الحق بتيسير ذلك عليك انتهى وفي كلامه رحمه الله تنبيه
على ان الشيخ من منح الله وهداياه للعبد المريد اذا صدق في
ارادته وبذل في مناصحة مولاه جهد استطاعته لا على ما توهمه
من لا علم عنده وعند ذلك يوفقه الله تعالى لاستعمال الاداب
معه لما اشهده من عالي مرتبته ورفيع درجته قال سيدي ابو
مدين رضي الله عنه الشيخ من شهدت له ذاتك بالتقديم وسرك بالتعظيم
الشيخ من هذبك باخلاقه وادبك باطراقه وانار باطنك باشراقه
الشيخ من جمعك في حضوره وحفظك في مغيبه قال المولف
رحمه الله في لطايف المنن وليس شيخك من سمعت منه وانما شيخك من

اخذت

اخذت عنه وليس شيخك من واجهتك عبارته انما شيخك الذي
سرت فيك اشارته وليس شيخك من دعاك الى الباب وانما شيخك
من رفع بينك وبينه الحجاب وليس شيخك من واجهك مقاله انما شيخك
الذي نهض بك حاله شيخك هو الذي اخرجك من سجن الهوى ودخل
بك على المولى شيخك هو الذي ما زال يجلو مرآت قلبك حتى تجلت
فيه انوار ربك نهض بك الى الله فنهضت اليه وسار بك حتى وصلت
اليه ولا زال محاذيا لك حتى القاك بين يديه وزج بك في نور
الحضرة فقال ها انت وربك انتهى واداب المريد مع الشيخ
والشيخ مع المريد كثيرة مذكورة في كتب الائمة الصوفية رضي الله عنهم
ومن ابلغ ذلك واوجزه ما ذكره الامام ابو القسم القشيري
رضي الله عنه قال فشرط المريد ان لا يتنفس نفسا الا باذن شيخه
ومن خالف شيخه في نفس سرا او جهرا فسيرى غبه من غير ما حجبه
سريعا ومخالفة الشيوخ فيما يستترونه منهم اشد مما يكابدونه بالجهر
واكثر لان هذا يلتحق بالخيانة ومن خالف شيخه لا يشم رائحة الصدق
فان بدر شي منه من ذلك فعليه بسرعة الاعتذار والافصاح عما حصل منه
من المخالفة والخيانة ليهديه شيخه الى ما فيه كفارة جرمه ويلتزم في الغرامة على
ما يحكم به عليه فاذا رجع المريد الى شيخه بالصدق وجب على شيخه جبران
نقصه بهمته فان المريدين عيال على شيوخهم فرض عليهم ان ينفقوا
عليهم من قوت احوالهم ما يكون جبرانا لتقصيرهم وقال الشيخ
العارف محيي الدين ابو العباس البوني رحمه الله واياك ان تخفي خاطرا خطر
لك الا ان تلقيه للشيخ طاعة كانت او معصية على اي نوع برز
لك ولو اختلف عليك الف مرة في الساعة اختلفت اليه الف ساعة
في الخاطر ليعلمك الدواء الذي ترتجي برءا ويحمل عنك بهمته قال
ولقد رايت تلميذا من اصحاب شيخنا الامام تاج العارفين ابي محمد
عبد العزيز بن ابي بكر القرشي المهدوي رضي الله عنه وكنت جالسا عنده

فدخل عليه وفي يده باقلات فقال يا سيدي اني وجدت هذه الباقلا
فما اصنع بها فقال له اتركها حتى تقطر عليها فقلت يا سيدي حتى الباقلات
يعلم بها قال يا ولدي لو خالفني في لحظة من خطراته لم نفلح ابدا فاذا
جوهدت النفس بهذه المجاهدات وقوتلت بهذه المقاتلات رجعت
عن جميع ما لوفاتها الدنيه وعاداتها الرديه وزال عنها النفور
والاستكبار وذلت لمولاها بالعبوديه والافتقار وتركت اعمالها
فصفت احوالها وهذه هي خاصيتها التي خلقت لاجلها ومزيتها
التي شرفت من قبلها وانما الفت سوى هذه لمرض اصابها من الركون
الى هذا العالم الادنى والانس بالشهوات التي تزول وتفنى حتى
امتنع عليها ما خلقت لاجله من موجب سعادتها وغاية شرفها وافادتها
فلما تعالجت بما ذكرناه عادت الى الصحة والى طبعها الاصلي فالفت
العبوديه والتزمتها وصارت بذلك مطمينه صالحة لان يقال لها
يا ايتها النفس المطمينة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في
عبادي وادخلي جنتي قال الشيخ العارف ابو محمد عبد العزيز
المهدوي رضي الله عنه النفس المطمينة هي التي تخلصت من السوي
ولم يبق بينها وبين السوى نسبة وكانت مبادیها في الاكتساب
الايماني والرضا المكتسب فلما صفت وتطهرت من جهة المخلوقات
وزوال الحجاب الذي هو صفة الخلق سمعت النداء من مكان قريب
فاجابت لعدم الحجاب فخرجت للمواهب والرضا الوضعي الموهبي الذي
قال الله فيه رضي الله عنهم ورضوا عنه فدخلت في رضا الله المطلوب
الموهوب وفي عبادته وجنته لا في جنتها بوصف كسبها واعمالها
انتهى وعلامة وصول المريد الى هذا المقام الحميد ان تستوي عنده
الاحوال ولا يتاثر باطنه بما يواجه به من قبيح الافعال والاقوال لاستغراق
قلبه في مطالعة حضرة الكمال قال ابو عثمان الحيري رضي الله عنه لا
يكمل الصدق للرجل حتى يستوي قلبه في اربعة اشيا في المنع والعطا والعز

والذل

والذل وقال محمد بن خفيف رضي الله عنه قدم علينا بعض
اصحابنا فاعتل وكان به علة البطن فكنت اخدمه واخذ منه الطست طول
الليل فغفوت مرة فقال لي لعنك الله فقيل له كيف وجدت نفسك
عند قوله لك لعنك الله قال كقوله رحمك الله وحكي عن ابرهيم بن ادهم
رضي الله عنه انه قال ما سررت في الاسلام الا مرات معدودات
كنت في مركب يوما وكان به رجل يحكي الحكايات المضحكة فيضحك
منه الناس وكان يقول رايت وقتا في معركة الترك علجا فعلت به
هكذا وكان ياخذ بلحيتي ويمر يده على حلقي هكذا والناس يضحكون
منه ولم يكن عندهم في ذلك المركب عنده احد اصغر مني ولا احقر فسررت
بذلك ويوم اخر كنت جالسا فجاء انسان فصفعني من غير
سبب ويوم اخر كنت جالسا فجا انسان فبال علي وكان
في وقت حاتم الاصم رضي الله عنه رجل يسيء القول فيه وفي
اصحابه ويواجههم كل يوم بالقبيح فوقع عليه جذع من السقف
في بعض الايام في حال مواجهته القوم بالسب والشتم فمات
فقال الحمد لله فقيل له هذا خلاف ما تامرنا به فقال ما حمدت الله
تعالى شماتة بموته بل حمدت الله اذ لم اسر بنكبته هذا واشباهه
من احوالهم معلوم ضرورة وابلغ من هذا كله محبة الموت
وكراهة البقا في الدنيا شوقا الى لقاء المولى قال بعضهم
حقيقة زوال الهوى من القلب حب لقاء الله تعالى في كل نفس من غير
اختيار حالة يكون المرء عليها فاذا وجد المريد هذه العلامات
في نفسه فقد خرج من عالم جنسه ووصل الى حضرة قدسه وكان كما قال
الشاعر لك الدهر طوعا والانام عبيد ⁕ فعش كل يوم من زمانك عيد
وكما قال سيدي ابو العباس بن العريف رضي الله عنه في هذا المعنى
بدا لك سر طال عنك اكتتامه ⁕ ولاح صباح كنت انت ظلامه
فانت حجاب القلب عن سر غيبه ⁕ ولولاك لم يطبع عليه ختامه

فان عجزت عنه حل فيه وطنبت • على مركب الكشف المصون خيامه
وجا حديث لا يمل سماعه • شهي الينا نثره ونظامه
اذا سمعته النفس طاب نعيمها • وزال عن القلب المعنى غرامه

وانشد وانا في معناه ايضا •

قولي لآمالي الا فابعدي • قد انجز الاحباب لي موعدي
قد كنت قبل اليوم مستانسا • منك بخل مشفق مسعد
وان نسيم الوصل من نحوهم • هب فلي عندك ظل ندي
وحيث لاحت لي اعلامهم • فليس لي فقر الى مرشد

وان لم يجدها في نفسه فليستمر على سلوكه ومجاهداته ولا يغتر بما يترايا له من سيئ حالاته فانه لم يصل بعد ولم يحصل له من هوى نفسه فقد وليس طريق موت النفس بقطع جميع الارفاق عنها وردها الى الاجتزاء بالحشيش والتخالد والمبالغة في التقشف والتقلل مع قطع النظر عن احوال القلب وهممه وقصوده وارادته وترك الالتفات الى ما يجد منها وما يفقد فذلك كله غلو وبدعة وقد غلط في هذا طوايف من الناس عملوا عليه في رياضاتهم ومجاهداتهم ولم يقصدوا بذلك اخلاص العبوديه لربهم فادّاهم ذلك الى اختلال عقولهم وانحلال قوى ابدانهم ولم يحصلوا بذلك من امرهم على فايدة وذلك لجهلهم بالسنة وما كان عليه سلف هذه الامة

باب الاعتدال بين الخوف والرجا من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجا عند وجود الزلل

اقول الاعتماد على الله تعالى نعت العارفين الموحدين والاعتماد على غيره وصف الجاهلين الغافلين كاينا ما كان ذلك الغير حتى علومهم واعمالهم واحوالهم واما العارفون الموحدون فانهم على بساط القرب والمشاهدة ناظرون الى ربهم فانون عن انفسهم فاذا وقعوا في زلة او اصابتهم غفلة شهدوا تصريف

الحق تعالى لهم وجريان قضايه عليهم كما انهم اذا صدرت منهم طاعة او لاح عليهم لايح من يقظة لم يشهدوا في ذلك انفسهم ولم يروا فيها حولهم ولا قوتهم لان السابق الى قلوبهم ذكر ربهم فانفسهم مطمينة تحت جريان اقداره وقلوبهم ساكنة بما لاح لها من انواره ولا فرق عندهم بين الحالين لانهم غرقى في بحر التوحيد قد استوى خوفهم ورجاوهم فلا ينقص من خوفهم ما يجتنبون من العصيان ولا يزيد في رجاهم ما ياتون به من الاحسان قال شارح المجالس العارفون قايمون بالله قد تولى الله تعالى امرهم فاذا ظهرت منهم طاعة لم يرجوا عليه ثوابا لانهم لم يروا انفسهم عمالا لها وان ظهرت منهم زلة فلديه على القايل لم يشاهدوا غيره في الشدة والرخا قيامهم بالله ونظرهم اليه وخوفهم منه ورجاوهم الانس به انتهى واما غيرهم فبقوا مع نفوسهم في نسبة الافعال اليها وطلب الحظ لها عليها فاعتمدوا على اعمالهم وسكنوا الى احوالهم فاذا وقعوا في زلة نقص بذلك رجاوهم كما انهم اذا عملوا طاعة جعلوها من اعظم عددهم واقوى معتمدهم فتعلقوا بالاسباب وحجبوا بتفرقهم بها عن رب الارباب فمن وجد هذه العلامة في نفسه فليعرف منزلته وقدره ولا يتعدى طوره فيدعي مقامات الخاصه من المقربين واما هو من عامة اصحاب اليمين وسنا اشارات الى هذا المعنى في مواضع من كلام المولف وقد ذكر الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي والحافظ ابو نعيم الاصبهاني عن يوسف بن الحسين الرازي رضي الله عنه قال عارضني بعض الناس في كلام وقال لي لا تستدرك مرادك من عملك الا ان تتوب فقلت مجيبا لو ان التوبة تطرق بابي ما اذنت لها على اني انجو بها من ذنبي ولو ان الصدق والاخلاص كانا عبدين

لي لبعتهما زهدًا مني فيهما لاني ان كنت عند الله عز وجل في علم الغيب
سعيدا مقبولا ثم اتخلف باقتراف الذنوب والمآثم وان كنت عنده
شقيا مخذولا لم تسعدني توبتي واخلاصي وصدقي وان الله تعالى
خلقني انسانا بلا عمل ولا شفيع كان لي اليه وهداني لدينه الذي
ارتضاه لنفسه فقال عز وجل ومن يبتغ غير الاسلام دينا
فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين فاعتمادي على فضله
وكرمه اولى من اعتمادي على افعالي المدخولة وصفاتي المعلولة
ان كنت حرا عاقلا لان مقابلة فضله وكرمه بافعالنا من قلة المعرفة
لنا بالكريم المتفضل قلت وهذه الحكاية وامثالها ربما تقرع
سمع من لا حقيقة له عنده من طريق القوم فينكر معناها ولا يعتقده او
يسلمه ويدعيه مقاما لنفسه وكلتا الحالتين مودية بصاحبها
الى ضرر وخطر فليتق الله عبد ليس له بصر في هذه الطريقة
ان ينكر ما ذكرناه فيقع في الاعتراض على السادة والاولياء وفي
ذلك بعد من الله عز وجل او يدعيه مقاما لنفسه من غير ان
يستظهر عليها ويتوثق منها ويزنها بالمعيار الذي نبهنا عليه
ومحال وجود ذلك ممن لم يصح مقام الفناء عن النفس فيرتكب
حينئذ مساخط الله تعالى ويتعدى حدوده ويجعل ذلك حجة
لنفسه غلطا وجهلا وهذا باب من الزندقة والعياذ بالله
لا نهاية لمذامك ان ارجعك اليك ولا تفرغ مدائحك ان اظهر
جوده عليك من ارجعه الحق تعالى الى نفسه ووكله الى عقله
وخدمته فقد طرده عن بابه وابعده عن جنابه وكانت احواله
مدخولة معلولة واعماله مستقبحة مرذولة ومن اواه الله تعالى
اليه واظهر جوده عليه فقد اصطنعه لنفسه ورفعه الى حضرة
قدسه وكانت احواله حسنة جميلة واعماله كلها محمودة مقبولة كما قيل
لما انست الى حماك تعرفت ذاتي فصرت انا والحسن انا

من عبر من بساط احسانه اصمتته الاساءة مع ربه ومن عبر من
بساط احسان الله اليه لم يصمت اذا اساء من شاهد احسان نفسه
وعمله بطاعة ربه انبسط لسانه بالنصيحة والموعظة لعباد الله تعالى
فان وقعت منه اساءة ومخالفة انقبض عن ذلك وصمت لما يعتريه
من الخجل والحيا وهذه طريقة اهل التكليف الذين ينظرون الى
ما منهم الى الله تعالى من عمل صالح او طالح ومن شاهد احسان
الله اليه وغاب عن رويته احسانه هو انبسط لسانه في الحالين
من غير فرق لان مشاهدته لوحدانية ربه وقيوميته اوجبت
جراته على ذلك وقد قيل جراة الجنان تنطق اللسان وتطلق
العنان وهذه طريقة اهل التعريف الذين ينظرون ما من الله
تعالى اليهم قلت وما ذكرته ههنا من لفظتي التعريف
والتكليف وما نبهت به عليها من الكلام اللطيف اشرت به
الى مسئلة عظيمة مهمة ينبني عليها اداب واحكام جمة وهي
مسئلة اختلاف الناس في معاملتهم لربهم بحسب تباينهم في مراتب
قربهم ومن احكامها مسئلة التعبير التي اقتصر المولف عليها
في هذا الفصل ولم يذكر معها سواها مما ينبني على ذلك الاصل وقد
نبه عليها في لطائف المنن واتى فيها بكلام مستوعب حسن فراينا
ان ننقله ههنا بكماله ليتبين به مقصودنا في تفصيله واجماله
قال فيه وقال رضي الله عنه يعني شيخه ابا العباس المرسي رضي
الله عنه الناس على ثلثة اقسام عبد هو بشهود ما منه الى الله تعالى وعبد
هو بشهود ما من الله اليه وعبد هو بشهود ما من الله عز وجل الى
الله قال ومعنى كلام الشيخ هذا ان من الناس من يكون الغالب عليه
شهود تقصيره واساته فيقوم مقام المعتذر بين يدي الله ويلازمه
الاحزان ويحالفه الانتحاب ويستولي عليه الحشمة كلما بدت منه سيئة
او كشف له عن اوصاف سوء وعبد اخر الغالب عليه شهود ما من الله تعالى اليه

من الفضل والاحسان والجود والامتنان فهذا تلازم المسرة بالله
والفرح بنعمة الله قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك
فليفرحوا هو خير مما يجمعون فالاول هو حال الزهاد والعباد والثاني
حال اهل العناية والوداد والاول شان اهل التكليف والثاني
شان اهل التعريف الاول حال اهل اليقظ والثاني حال اهل
المعرفة فلذلك قال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه غرق
شدايد الزمان في الله الا لطاف الجارية من الله عليه وغرق
اساته في احسان الله تعالى اليه فاذكروا الا الله لعلكم تفلحون
وقال رضي الله عنه قليل العمل مع شهود المنة من الله تعالى
خير من كثير العمل مع روية التقصير من النفس وقال بعض اهل
المعرفة لا تخلو شهود التقصير من الشرك في التقدير وقال
الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه قرات ليلة من الليالي قل اعوذ برب
الناس الى ان انتهيت الى قوله من شر الوسواس الخناس الذي
يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس فقيل لي شر الوسواس
وسواس يدخل بينك وبين حبيبك ينسيك الطاف الحسن ويذكرك
افعالك السيئة ويقلل عندك ذات اليمين ويكثر عندك ذات
الشمال ليعدل عن حسن الظن بالله ورسوله الى سوء الظن بالله
ورسوله فاحذر هذا الباب فقد اخذ منه كثير من الزهاد
والعباد واهل الجد والاجتهاد ولذلك قل ان تجد الزاهد
والعابد الا مكمودا حزينا لانه علم ان الله تعالى طالبه بالعبودية
وحمله اعباوها والزمه ما اشفقت السموات والارض والجبال
من حمله قال الله سبحانه وتعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض
والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما
جهولا فغاب الزهاد ثقل ما حملوا ولم ينفذوا الى شهود لطف الحامل
للاثقال عن عباده المتوكلين عليه فلذلك لزمهم الكمد واستولى

عليهم

عليهم الحزن واهل المعرفة بالله علموا انهم حملوا من التكليف امرا
عظيما وعلموا ضعفهم عن حمله والقيام به متى وكلوا الى نفوسهم قال الله
عز وجل وخلق الانسان ضعيفا وعلموا انهم اذا رجعوا الى الله تعالى
حمل عنهم ما حملهم قال الله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه
فرجعوا اليه بصدق الرجع فحمل عنهم الاثقال فساروا الى الله
تعالى محمولين في محفات المنن مروح عليهم بنفحات اللطف والاخرون
صاروا الى الله عز وجل حاملين لاثقال التكاليف فلازمهم المشقات
وتطول لهم المسافات فان شاء ادركهم بلطفه فاخذ بايديهم من شهود
معاملتهم الى شهود سابق توفيقه لهم فطابت لهم الاوقات واشرقت
عنهم العنايات واما القسم الثالث الذين هم مع الله تعالى
بشهود ما من الله الى الله هولاء هم اهل التوحيد والداخلون
في ميادين التفريد واهل القسم الاول وهم الذين غلب
عليهم شهود ما منهم الى الله تعالى لم يخرجوا عن باطن الشرك
وان خرجوا عن ظاهره لانهم اقبلوا على انفسهم موبخين لها
مشاهدين لتقصيرهم واساتهم فلو لم يشهدوا الفعل لها ومنها
ما توجهوا لها بالتوبيخ اذا قصرت فلذلك قال ذلك العارف
الذي سبق قوله لا يخلو شهود التقصير من الشرك في التقدير
فان قلت اذا كان توبيخ النفس وذمها يستلزم دقيقة الشرك
فكيف نصنع والله تعالى قد ذم النفس وامرنا بتوبيخها اذا قصرت
وبخها هواذا كانت كذلك فالجواب ان ذمها لان الله
تعالى امرك بذمها من غير ان تشهد لها قدرة او تضيف اليها فعلا
تراها هي الفاعلة له واما القسم الثاني وهو الذي يشهود ما من
الله اليه فهو وان كان خيرا من القسم الاول لكنه ما سلم
من اثباته لنفسه اذ راى نفسه مهداة اليها هدايا الحق فلولا
اثباته لنفسه ما شهد ذلك فلاجل هذين المعنيين اثر اهل الله

القسم الثالث وهو ان يكون بشهود ما من الله الى الله فافهم انتهى
كلامه رحمه الله ولاجل ما تضمنه من الفوايد الجليله والمقاصد النبيله
دعانا قرب المناسبة الى ذكره على ما هو عليه في هذا الموضع والله
الموفق لا رب غيره **اذا اردت ان يفتح عليك باب الرجا فاشهد
ما منه اليك واذا اردت ان يفتح لك باب الحزن فاشهد
ما منك اليه** الرجا والحزن حالان عن مشاهدتين فمن
اراد ان ينفتح له باب الرجا فليشهد ما من الله له من الفضل
والكرم والاسعاف والالطاف فسيغلب عليه حينيذ باب الرجا
ومن اراد ان ينفتح له باب الحزن فليشهد ما منه الى الله تعالى
من المخالفة والعصيان وسوء الادب بين يديه فسيغلب عليه
حينيذ حال الحزن **الرجا ما قارنه عمل والا فهو امنية**
الرجا مقام شريف من مقامات اليقين وهو يبعث على الاجتهاد
في الاعمال كما سياتي في باب التفرس عند قوله الحزن على فقدان
الطاعه مع عدم النهوض اليها من علامة الاغترار لان من
رجا شيا طلبه ومن خاف من شي هرب منه واما الرجا الكاذب
الذي يفتر صاحبه عن العمل ويجريه على المعاصي والذنوب
فليس هذا برجاء عند العلما ولكنه امنية واغترار بالله
تعالى وقد ذم الله تعالى قوما ظنوا مثل هذا واصروا على
حب الدنيا والرضا بها وتمنوا المغفرة على ذلك فسماهم خلفا
والخلف الردي من الناس فقال عز وجل فخلف من بعدهم
خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون
سيغفر لنا قال الشيخ معروف الكرخي رضي الله عنه طلب
الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وارتجاء الشفاعة بلا سبب نوع
من الغرور وارتجاء رحمة من لا يطاع جهل وحمق وقد قالوا
الحكما من زعم ان الرجا مع الاصرار صحيح فكذلك فليزعم ان طلب الربح

الفقر وتلح النار من البحر صحيح وفي الحديث عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد
الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله تعالى وقال
الحسن رضي الله عنه ان قوما الهتهم اماني المغفرة حتى خرجوا
من الدنيا وليس لهم حسنة يقول احدهم احسن الظن بربي
وهو يكذب لو احسن الظن بربه احسن العمل وتلا قوله عز وجل
وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين
وكان يقول رضي الله عنه عباد الله اتقوا هذه الاماني فانها
اودية النوكا تحلون فيها والله ما اتى الله عبدا بامانيه خيرا في
الدنيا ولا في الاخره كتب ابو عمير المنصور الى بعض اخوانه
اما بعد فانك قد اصبحت تومل بطول عمرك وتتمنى على الله
تعالى الاماني بسوء فعلك وانما تضرب حديدا باردا انتهى
**ان لم تحسن ظنك به لاجل وصفه حسن ظنك به لاجل معاملته
معك فهل عودك الا حسنا وهل اسدى اليك الا مننا**
حسن الظن بالله تعالى احد مقامات اليقين والناس فيه على
قسمين خاصه وعامه فالخاصة حسنوا الظن به لما هو عليه
من النعوت السنيه والصفات العليه والعامه حسنوا الظن
به لما هم فيه من سبوغ النعم وشمول الفضل والكرم والتفاوت بين
المقامين ظاهر ولذلك لا يخاف من الانقلاب والتغيير في
احدهما ما يخاف في الاخر لان ارباب المقام الاول لما تحققوا
في المعرفة بالله تعالى واختصوا بانوار اليقين به اطمانت قلوبهم
وسكنت نفوسهم فلم يبق فيهم متسع لوجود تهمه ولا مجال لسوء
ظن وارباب المقام الثاني لم يرتقوا عن نظرهم الى الافعال وهي
ملتوية عليهم في كل حال وعند وقوع بعض ما لا يلايمهم منها فهم
ربما تضعف عن تحمل مكارهها قوى قلوبهم فلا تحصل لهم البرادة من

خواطر سوء الظن وتحدث النفس بما يقتضي وجود هلع وجزع فليكن
العبد من عند ذلك مشاهدا معنى قوله عز وجل وعسى ان تكرهوا
شيا وهو خير لكم وما اشبهه وليقس النادر على الغالب قال
ابو محمد عبد العزيز المهدوي رضي الله عنه حسن الظن عبارة
عن قطع الوهم ان يكون او لا يكون لان الوهم قاتل وهو لوقت
ثاني فمتى اعطيت اذنك للوهم ملكت وحكمت وكذلك لا تصغ
بالاذن للشيطان والنفس حبس واحد انتهى قلت وحسن
الظن يطلب من العبد في امر دنياه وفي امر اخرته اما امر دنياه فان
يكون واثقا بالله تعالى في ايصال المنافع والمرافق اليه من غير كد
ولا سعي فيها او بسعي خفيف ماذون فيه ماجور عليه وبحيث لا
يفوته ذلك شيا من فرض او نفل فيوجب له ذلك سكون وراحة
في قلبه وبدنه فلا يستفزه طلب ولا يزعجه سبب واما امر اخرته
فان يكون قوي الرجا في قبول اعماله الصالحة وتوفية اجوره عليها
في دار الثواب والجزا فيوجب له ذلك المبادرة لامتثال الامر والتكثير
من اعمال البر بوجدان حلاوة واغتباط ولذاذة ونشاط قال
يحيى بن معاذ رضي الله عنه اوثق الرجا رجا العبد ربه واصدق
الظنون حسن الظن بالله عز وجل ومن مواطن حسن الظن
بالله تعالى التي ينبغي للعبد ان لا يفارقه فيها اوقات الشدايد
والمحن وحلول المصايب في الاهل والمال والبدن ليلا يقع بسبب
ذلك في الجزع والسخط وسياتي هذا المعنى في باب الصبر عند قول
المولف من ظن انفكاك لطفه عن قدرته فذلك لقصور نظره ومن
اعظم مواضع حسن الظن بالله تعالى حالة الموت وقد جاء في الخبر
لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله عز وجل وفي حديث
جابر من استطاع ان لا يموت الا وهو يحسن الظن بالله فليفعل
ثم تلى هذه الاية وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم ولانه

تعالى قال فيما يروي عنه انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شا
قال ابو طالب المكي رضي الله عنه وكان ابن مسعود رضي الله
عنه يحلف بالله تعالى ما احسن عبد ظنه بالله تعالى الا اعطاه ذلك
لان الخير كله بيده فاذا اعطاه حسن الظن به فقد اعطاه ما يظنه
لان الذي حسن ظنه به هو الذي اراد ان يحققه له انتهى وقد
روي عن ابي النضر حيان قال خرجت عايدا ليزيد بن الاسود
فلقيت واثلة بن الاسقع وهو يريد عيادته قال فدخلنا
عليه وهو في فراشه فلما راى واثلة بسط يده وطفق يشير
اليه فاقبل واثلة حتى جلس على الفراش واخذ يزيد بن الاسود
بكفي واثلة حتى جعلهما على وجهه فقال له واثلة اسالك عن
شي تخبرنيه قال لا تسالني عن شي اعلمه الا اخبرتك به قال له
واثلة كيف ظنك بالله عز وجل قال ظني والله بالله حسن
قال فابشر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال
الله تبارك وتعالى انا عند ظن عبدي بي ان ظن خيرا وان ظن
شرا وروى عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال عاد
رسول الله صلى الله عليه وسلم مريضا فقال له رسول الله صلى
الله عليه وسلم كيف ظنك بربك قال يا رسول الله حسن الظن قال
فظن به ما شيت فان الله عز وجل عند ظن المومن به وروى ابو
هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان حسن
الظن بالله من حسن عبادة الله قلت والاخبار والاثار
في الرجا وحسن الظن بالله وسعة رحمته اكثر من ان تحصى
وطالعها مما يزيد المريد قوة في هذا المقام فمن اراد الشفا في ذلك
فعليه بمطالعة كتب الرجا من قوت القلوب وكتاب الاحيا من استغرب
ان ينقذه الله تعالى من شهوته وان يخرجه من وجود غفلته
فقد استعجز القدرة الالهية وكان الله على كل شي مقتدرا من

استرقته الشهوات واستولت عليه الغفلة فلا ينبغي له ان يستغرب
ان ينقذه الله من اسر شهوته وان يخرجه من وجود غفلته لما يشاهد
من استحكام ذلك فيه فان في ذلك نسبة العجز الى القدرة الالهية
والله تعالى متصف بالاقتدار على كل شي وهذا من الاشيا وليعلم
العبد ان قلوب العباد ونواصيهم بيده فلا يقنط ولا ييأس وليقصد
باب مولاه بالذلة والانكسار والافتقار فعساه يسهل عليه ما استصعب
ويظهر فيه ما استغرب به وما ذلك على الله بعزيز وليعتبر هذا المعنى
بالحكايات التي يروى عن الصالحين الذين تقدمت لهم في
بداياتهم الزلات ووقعت منهم قبل توبتهم الهفوات فتداركهم
الله تعالى بلطفه واستنقذهم بجوده وعطفه فاصلح اعمالهم
وصفى احوالهم وابدل سياتهم حسنات ورفعهم من اسفل السافلين
الى اعلى الدرجات كل ذلك في اقرب زمان واقصر مدة واوان
والحكايات في هذا المعنى عن الشيوخ مثل سيدي الشيخ فضيل
ابن عياض وسيدي الشيخ عبد الله بن المبارك وسيدي الشيخ عقال
رضي الله عنهم اجمعين معروفة فالمشهورة ومن اغرب ما رايت في هذا
المعنى ما رواه عبد الصمد بن معقل عن عمه وهب بن منبه رضي الله
عنهم ان رجلا قتل نفسا فجا الى سايح من سياح بني اسرايل فساله
عن ذلك فرفع له السايح عرجونا من الارض ابيض قد بلي حايلا ثم قال له
اذا اخضر هذا العرجون قبلت توبتك واراد السايح بذلك ان يوئسه
من التوبة لعظم ذنبه فاخذ الرجل العرجون وهو يطمع في التوبة ويعزم
عليها فتاب وجعل يعبد الله زمانا ويدعوا حتى اخضر ذلك العرجون باذن
الله تعالى وقدرته واغرب من هذا واعجب ما اخرجه مسلم في صحيحه
من حديث ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا
فسال عن اهل العلم فدل على راهب فاتاه فقال له قتلت تسعة وتسعين

نفسا

نفسا فهل لي من توبة فقال لا فقتله فكمل به المائة ثم سال عن اعلم
اهل الارض فدل على رجل عالم فقال له اني قتلت مائة نفس فهل لي
من توبة فقال نعم ومن يحول بينك وبين التوبة انطلق الى ارض كذا
وكذا فان بها اناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله تعالى معهم ولا ترجع
الى ارضك فانها ارض سوء فانطلق حتى انتصف الطريق اتاه ملك
الموت واختصمت فيه ملايكة الرحمة وملايكة العذاب قالت ملايكة
الرحمة جانا تايبا مقبلا بقلبه الى الله عز وجل وقالت ملايكة
العذاب انه لم يعمل خيرا قط فاتاهم ملك في صورة ادمي فجعلوه
حكما بينهم فقال قيسوا ما بين الارضين فالى ايهما كان ادنى
فهو لها فقاسوه فوجدوه ادنى الى الارض التي قصدها فقبضته
ملايكة الرحمة قال قتادة قال ابو الحسن ذكر لنا انه لما اتاه
الموت نأى بصدره وقال عيسى بن دينار رضي الله عنه ما وفق
الله تعالى عبدا لعمل الا وهو يريد ان يتقبله منه وما وفق الله
تعالى عبدا لنزوع عن ذنب الا وهو يريد ان يغفره له وذكر
القاضي يونس بن عبد الله المعروف بابن الصفار رحمه الله
وغفر له في كتاب التشبيب والتيسير لصالح العمل انه اخبره ثقة
من اهل العلم قال كان رجل من اهل الادب له اصحاب يجمعهم
بهم مجالس المكروهة فدعوه ذات ليلة فلم يجبهم فقالوا له ما
منعك من اجابتنا قال دخلت البارحة في الاربعين وانا استحي
من شيبي ثم لزم الخير والعبادة قال وروي عن عمر بن عبد
العزيز رضي الله عنه انه قال وجبت حجة الله على ابن الاربعين
وذكر فيه ايضا عن مغيث بن سمي قال كان رجل من بني اسرايل
يعمل بالخطايا فبينما هو يسير ذات يوم ذكر ما سلف من عمله فقال
اللهم غفرانك فمات على تلك الحال فغفر له وذكر فيه ايضا ان رجلا
من العلما راى في منامه شيخا وجماعة من الشعرا قد احدقوا به

يسالونه فقالوا له ايها الشيخ اخبرنا باحكم بيت قالته العرب فانشدهم
صبا ما صبا حتى علا الشيب راسه • فلما علاه قال للباطل ابعد
قال والله لقد نفعني الله بهذا البيت ما ذكرته بعد ذلك عند شهوة
او خطيئة الا ارتدعت عنها وارجوا الله ان لا يفارقني الانتفاع
به ما بقيت ان شا الله تعالى وفي الكتاب المذكور حكايات
مستحسنات في هذا المعنى **لا يخرج الشهوة من القلب الا
خوف مزعج او شوق مقلق** الشهوة المتمكنة من القلب لا يخرجها
الا وارد قوي قاهر غالب يرد عليه وذلك اما خوف من عجج
او شوق مقلق وما عدا هذين الامرين لا استقلال له بذلك
**لا تياس من قبول عمل لم تجد فيه وجود الحضور فربما قبل من العمل ما لم
تدرك ثمرته عاجلا** العمل الذي لا يجد صاحبه حضورا فيه ينبغي له
ان لا ياس من قبوله فان ذلك الى الله تعالى فقد يقبل من
العمل ما لم يدرك ثمرته عاجلا من وجدان حضور او حلاوة او
غير ذلك ولو لم يكن الا قصد التقرب به وسقوطه عن
نظره وقد تقدم في باب الاخلاص التنبيه على هذا المعنى
عند قوله لا عمل ارجى للقبول **باب آداب الدعا**
**لا يكن تاخر امد العطا مع الالحاح في الدعا موجبا لياسك
فهو قد ضمن لك الاجابة فيما يختار لك لا فيما تختار لنفسك وفي
الوقت الذي يريد لا في الوقت الذي تريد** حكم العبد ان لا يتحكم
شيا على مولاه ولا يجزم بصلاحية حال من الاحوال له لانه جاهل
من كل وجه قد يكره الشي هو خير له ويحب الشي وهو شر له وقال
سيدي ابو الحسن الشاذلي رحمه الله لا تختر من امرك شيا واختر
ان لا تختار وفر من ذلك المختار ومن فرارك ومن كل شي
الى الله عز وجل وربك يخلق ما يشا ويختار ودخل رجل على
سيدي ابي العباس المرسي رضي الله عنه وكان به الم فقال

ذلك

ذلك الرجل عافاك الله يا سيدي فسكت ولم يجاوبه ثم سكت
ذلك الرجل ساعة ثم قال الله يعافيك يا سيدي فقال الشيخ ابو
العباس ولما سالت الله العافية قد سالته العافية والذي انا
فيه هو العافية رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سال الله العافية
وقد قال ما زالت اكلة خيبر تعاودني فالآن قطعت ابهري
سيدنا ابو بكر رضي الله عنه قد سال الله العافية وبعد ذلك
مات مسموما سيدنا عمر رضي الله عنه سال الله العافية وبعد
ذلك مات مطعونا سيدنا عثمان رضي الله عنه سال الله
العافية وبعد ذلك مات مذبوحا سيدنا علي رضي الله عنه
سال الله العافية وبعد ذلك مات مقتولا فاذا سالت الله
العافية فسله العافية من حيث يعلمها لك انها عافية انتهى
فعلى العبد ان يسلم نفسه الى مولاه ويعتقد ان الخيرة له في جميع
ما به يتولاه وان خالف ذلك مراده وهواه فاذا دعا وطلب
من مولاه شيا يرى ان له فيه مصلحة ايقن بالاجابة لا محالة
قال الله عز وجل وقال ربكم ادعوني استجب لكم وقال
عز من قايل واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة
الداعي اذا دعان • وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من احد يدعو
بدعاء الا آتاه الله عز وجل ما سال او كف عنه من السوء مثله
ما لم يدع باثم او قطيعة رحم وعن انس رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ما من داع يدعو الا استجاب الله تعالى
له دعوته او صرف عنه مثلها سوء او حط من ذنوبه بقدرها
ما لم يدع باثم او قطيعة رحم فاذا الاجابة المطلقة حاصلة لكل
داع على حسب ما ورد الوعد الصادق الا ان الاجابة امرها الى الله
عز وجل يجعلها متى شا ومتى يكون المنع وتاخر العطا اجابة وعطا لمن فهم

عن الله تعالى في ذلك فلم ييأس العبد من فضل الله تعالى اذا رأى منعا
او تاخرا وان لح في دعايه وسواله وقد يكون تاخير ذلك الى الاخرة
خيرا له فقد جاء في بعض الاخبار يبعث الله العبد فيقول الله تعالى له
الم امرك برفع حوايجك الي فيقول بلى قد رفعتها اليك فيقول الله تعالى
ما سالت شيا الا اجبتك فيه ولكن نجزت لك البعض في الدنيا وما لم انجزه
في الدنيا فهو مدخر لك تخذه الان حتى يقول ذلك العبد ليته لم يقض
لي حاجتي في الدنيا وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى
النهي عن الاستعجال في اجابة الدعا في قوله يستجاب لاحدكم ما لم يعجل
فيقول قد دعوت فلم يستجب لي وقد دعا موسى وهرون عليهما السلام
على فرعون فيما اخبر الله تعالى به حين قال ربنا اطمس على اموالهم واشدد
على قلوبهم فلا يومنوا حتى يروا العذاب الاليم ثم اخبر انه اجاب دعاهما في
قوله سبحانه وتعالى قد اجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين
لا يعلمون قالوا وكان بين قوله تعالى لهما قد اجيبت دعوتكما وبين هلاك
فرعون اربعون سنة وقال سيدي ابو الحسن الشاذلي رضي الله
عنه في قوله فاستقيما اي على عدم استعجال ما طلبتما ولا تتبعان
سبيل الذين لا يعلمون هم الذين يستعجلون الاجابة وناهيك شرفا
وحظا ما يتحصل له بسبب ملازمة الدعا من الظفر بمحبة الله تعالى
وموافقة رضاه فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال ان الله يحب الملحين في الدعا وقد جاء في الحديث قال
جبريل عليه السلام يا رب عبدك فلان اقض له حاجته فيقول
دعوا عبدي فاني احب ان اسمع صوته رواه انس بن مالك عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقتضى هذا ان من الناس من
يعجل الله عز وجل له نوال الحاجة لكراهة صوته وقد روي
هذا المعنى ايضا منصوصا فليكن العبد خايفا من ذلك عند
تعجيل الاجابة لدعايه قال ابو محمد عبد العزيز المهدوي رضي الله

عنه

عنه كل من لم يكن في دعايه تاركا لاختياره وراضيا باختيار الحق
فهو مستدرج وهو ممن قيل له اقضوا حاجته فاني اكره ان اسمع صوته
فاذا كان في دعايه مع اختيار الحق تعالى لا مع اختياره لنفسه كان مجابا وان لم
يعط والاعمال بخواتيمها انتهى وقد تكون الاجابة مرتبة على شروط
لا علم للداعي بها فتتاخر لعدم وقوع ذلك او بعضه وذلك مثل
وجود الاضطرار قال الله تعالى امن يجيب المضطر اذا دعاه
فرتب الاجابة على الاضطرار وقال بعض العارفين اذا
اراد الله تعالى ان يستجيب دعا عبد من عبيده رزقه الاضطرار
في الدعا والاضطرار لا يتحققه العبد من نفسه في جميع حالاته قال
بعضهم المضطر الذي اذا رفع الى الله تعالى يديه لم ير لنفسه
عملا وهذا حال شريف ومقام منيف يعز على اكثر الناس
الوصول اليه فكيف يتحقق ما ينبني عليه وفي المسيلة التي
تاتي باثر هذا تنبيه على هذا المعنى **لا يشككنك في الوعد
عدم وقوع الموعود وان تعين زمانه لبلا يكون ذلك قدحا
في بصيرتك واخمادا لنور سريرتك** الحق سبحانه وتعالى لا
يخلف الميعاد فمن وعده مولاه شيا وان كان معين الزمان
ثم لم يقع ذلك الموعود فلا ينبغي ان يشككه ذلك في صدق وعد
ربه ولجواز ان يكون وقوع ذلك الوعد معلقا على اسباب
وشروط استاثر الحق سبحانه وتعالى بعلمها دون العبد فعلى
العبد ان يعرف قدره ويتادب مع ربه ويسكن اليه فيما وعده
به ويطمين اليه ولا يتشكك في ذلك ولا يتزلزل اعتقاده
فيه فمن كان على هذا الوصف فهو عارف بالله تعالى سالم البصيرة
منور السريرة والا فعلى العكس **طلبك منه اتهام له وطلبك له
غيبة منك عنه وطلبك لغيره لقلة حيايك منه وطلبك من غيره
لوجود بعدك عنه** الطلب الذي يتصور من العبد على اربعة اوجه

وكلها مدخولة معلولة طلبه من الله وطلبه له وطلبه لغيره
وطلبه من غيره فطلبه من الله تهمة له اذ لو وثق به في
ايصال منافعه اليه من غير سوال لما طلب منه وطلبه له
غيبة عنه اذ الحاضر لا يطلب وطلبه لغيره قلة حياء منه
اذ لو استحيا منه انقبض عما يكرهه له مولاه من طلبه لغيره
ومن حق الحياء منه ان لا يذكر معه غيره ولا يوثر عليه
سواه وطلبه من غيره لوجود بعده عنه اذ لو كان قريبا منه لكان
غيره بعيدا عنه فلا يطلب منه فالطلب كله عند الموحدين العارفين
معلول كان الطلب متعلقا بالحق او بالخلق الا ما كان من الطلب
على وجه التعبد والتادب واتباع الامر واظهار الفاقة والفقر
فحينئذ تزول عنه العلة **لا تتعدى نية همتك الى غيره فالكريم لا
تتخطاه الامال** الهمة العلية تانف من رفع حوائجها الى غير كريم ولا
كريم على الحقيقة سوى الله تعالى قال الجنيد رضي الله عنه الكريم
الذي لا يحوجك الى وسيلة وقال الحارث المحاسبي رضي الله
عنه الكريم الذي لا يبالي من اعطى وقيل الكريم الذي لا يخيب رجاء
المومّلين واجمع العبارات في معنى الكريم ما قيل في الكريم الذي اذا
قدر عفى واذا وعد وفى واذا اعطى زاد على منتهى الرجا ولا يبالي
كم اعطى ولا لمن اعطى وان رفعت الى غيره حاجة لا يرضى وان جفي
عاتب وما استقصى ولا يضيع من لاذ به والتجا ويغنيه عن الوسايل
والشفعا فاذا كانت هذه الصفات فلا يستحقها احد سوى الله تعالى
فينبغي اذا ان لا تتخطاه امال المومّلين الى غيره كما قال بعضهم

حرام على من وحد الله ربه * وافرده ان يجتدي احدا رفدا
ويا صاحبي قف بي مع الحق وقفة * اموت بها وجدا واحيا بها وجدا
وقل لملوك الارض تجهد جهدها * فذا الملك ملك لا يباع ولا يهدى

لا ترفعن الى غيره حاجة هو موردها عليك فكيف يرفع غيره ما كان

**هو له واضعا من لا يستطيع ان يرفع حاجة عن نفسه فكيف يستطيع
ان يكون لها عن غيره رافعا** اذا اورد الله تعالى اليك حاجة وانزل
بك نازلة فاعلم انه لا رافع لها سواه اذ مستحيل ان يرفع غيره ما كان
هو له واضعا لثبوت توحيده في ان لا فاعل سواه واذ هو غالب
على امره لا يغالبه احد ويستحيل ايضا ان يرفعها عنك من لا
يستطيع ان يرفعها عن نفسه لو نزلت به لثبوت عجزه وضعفه
ومن المحال تعلقك في حاجتك بمن هو محتاج مثلك قال
بعضهم من اعتمد على غير الله عز وجل فهو في غرور لان الغرور
ما لا يدوم ولا يدوم شي سواه وهو الدائم القديم لم يزل ولا يزال
وعطاوه وفضله دايما فلا تعتمد الا على من يدوم عليك منه
الفضل والعطا في كل نفس وحين واوان وزمان وقال
عطا الخراساني رضي الله عنه لقيت وهب بن منبه في الطريق
فقلت له حدثني حديثا احفظه عنك في مقامي واوجز قال
اوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام يا داود اما وعزتي
وعظمتي لا ينتصر بي عبد من عبادي دون خلقي اعلم ذلك من نيته
فتكيده السموات السبع ومن فيهن الا جعلت له منهن فرجا ومخرجا
اما وعزتي وعظمتي لا يعتصم عبد من عبادي بمخلوق دوني اعلم
ذلك من نيته الا قطعت اسباب السموات السبع من يده واسخت
الارض من تحته ولا ابالي في اي واد هلك وقال بعضهم كنت في
مجلس يزيد بن هرون وكان الى جانبي رجل فسالته عن قصته وخبره
فقال نفدت نفقتي قلت ومن تومل لما قد نزل بك فقال يزيد
فقلت اذًا لا يسعفك بحاجتك ولا ينجح طلبتك ولا يبلغك املك
فقال وما علمك رحمك الله قلت اني قرات في بعض الكتب ان الله
تعالى يقول وعزتي وجلالي وجودي وكرمي وارتفاعي فوق عرشي
في علو مكاني لاقطعن امل كل مومل لغيري بالاياس ولاكسونه ثوب المذلة

عند الناس ولا نحينه من قربي ولا قطعته من وصلي لو صل غيري
ايومل غيري في النوايب والشدايد بيدي وانا الحي ويرجى غيري
ويطرق الفكر ابواب غيري وبيدي مفاتيح الابواب وهي مغلقة
وبابي مفتوح لمن دعاني من ذا الذي املني لنايبة فقطعت به دوني
ومن ذا الذي رجاني لعظيم جرمه فقطعت رجاه مني ومن ذا الذي
قرع بابي فلم افتحه له جعلت امال خلقي بيني وبينهم متصلة فقطعت
بغيري وجعلت رجاهم مذخور الهم عندي فلم يرضوا بحفظي وملات
سمواتي ممن لا يملون تسبيحي من ملايكتي وامرت ان لا يغلقوا الابواب
بيني وبين عبادي فلم يثقوا بقولي الم يعلم من طرقته نايبة من نوايبي
انه لا يملك كشفها احد غيري فمالي اراه بامالة معرضا عني ومالي اراه
ساهيا الى سواي اعطيته بجودي ما لم يسالني ثم انتزعته عنه
فلم يسالني رده وسال غيري اتراني ابدا بالعطية قبل المسالة
ثم اسال فلا اجيب سايلي ابخيل انا فيبخلني عبادي اليس
الدنيا والاخرة لي اوليس الرحمة والفضل بيدي او ليس الجود
والكرم لي او ليس انا محل الامال فمن ذا الذي يقطعها دوني
وما عسى ان يومل المومِلون لو قلت لاهل سمواتي واهل
ارضي املوني ثم اعطيت كل واحد منهم من الفكر مثل ما اعطيت
الجميع ما انتقص ذلك من ملكي عضو ذرة وكيف ينقص ملك انا
قيمه فيا بوس القانطين من رحمتي ويا بوس من عصاني ولم
يراقبني وتوثب على محارمي ولم يستحيي مني قال رحمه الله
املي علي هذا الحديث فكتبته ثم قال والله لا اكتب حديثا
بعده متى اطلق لسانك بالطلب فاعلم انه يريد ان يعطيك
اطلاق اللسان بالطلب هو ان يحل عنه عقدة الصمت الذي اوجبه
الاستغنا بالاغيار وعدم روية الفاقة والافتقار فاذا حل عنه
هذه العقدة بشهود فقره وفاقته وانطلق لسانه بالطلب كان اذ

ذاك

ذاك داعيا بلسان الاضطرار وكان مجاب الدعوة لصدق
الموعد باجابة دعوة المضطر والله لا يخلف الميعاد وانشدوا

لو لم ترد نيل ما ارجوا واطلبه   من فيض جودك ما علمتني الطلبا

وفي الحديث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من اذن له في الدعا منكم فتحت له ابواب الرحمة
وما يسال الله شيا قط احب اليه من ان يساله العفو والعافية
في الدنيا والاخرة وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال من اعطي الدعا لم يحرم الاجابة قال الشيخ ابو بكر الخفاف
رضي الله عنه فكيف لا يجيب وهو يحب صوته ولولا ذلك ما فتح
له الدعا وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا صب الله عليه البلايا
صبا وسحه عليه سحا فاذا دعا قالت الملايكة صوت معروف
وقال جبريل يا رب عبدك فلان اقض حاجته فيقول دعوا عبدي
فاني احب ان اسمع صوته فاذا قال يا رب قال الله تعالى لبيك
عبدي وسعديك ولا تدعوني بشي الا استجبت لك ولا تسالني
شيا الا اعطيتك اما ان اعجل لك ما سالت او ادخر لك
عندي افضل منه واما ان ادفع عنك به من البلايا ما هو اعظم
من ذلك لا تطالب ربك بتاخر مطلبك ولكن طالب نفسك بتاخر ادبك
اذا دعوت ربك وسالت منه مطلبا من المطالب ولم تظهر لك
الاجابة فحسن به ظنك ولا تطالبه بالوفا بذلك لك فانه يفعل ما
يشا لا يسال عما يفعل ولكن طالب نفسك بتاخر ادبك فانها
اهل للمطالبة وسو ادبها من وجوه احدها انك دعوت لتجاب
في دعايك فيحصل لك بذلك غرض وهذا مما يقدح في كمال عبوديتك
وسياتي هذا المعنى عند قوله لا يكن طلبك تسببا الى العطا منه
فيقل فهمك عنه وليكن طلبك لاظهار العبودية وقياما باحكام الربوبية

والثاني اعتقادك انه لم يستجب لك اذ ظهر لك عدم الاجابة
منه وليس من شرط الاجابة ان تظهر لك بل له ان يخفيها عنك
لما في ذلك من المصالح والاجابة اليه امرها يجعلها ما يشاء مما
تعلمه او تجهله وقد تقدم هذا المعنى عند قوله لا يكن تاخر امد العطا
مع الالحاح في الدعا موجبا ليأسك الى اخره والثالث وهو اشدها
اعتراضك على ربك في حكمه ومطالبتك له اذ تأخرت اجابة دعاك
ما الشان وجود الطلب انما الشان ان ترزق حسن الادب
اذا التزم العبد طلب حوايجه وحظوظه من مولاه ولم يطلب
ذلك من غيره فلا يظن انه وفاه بما يجب عليه من حقوق الربوبية
فليس ذلك بالشان المعتبر عند المحققين وانما الشان ان
يتادب العبد بين يدي مولاه ادبا حسنا بان يفوض امره
اليه ويرضى بما قسم له ولا يطلب منه ما ليس له كما سيقوله
المولف بعد هذا ويطلب منه عبودية تمحضه له لا بقصد نيل
حظه في هذين الوجهين يحسن ادبه ويصح سواله وطلبه
وذلك هو الوفا على التحقيق **ما طلب لك شي مثل الاضطرار ولا
اسرع بالمواهب لك مثل الذلة والافتقار** اضطرار العبد هو اخص
اوصاف عبوديته ولذلك لم يطلب من العبد شي اجل منه قال
ابو محمد عبد الله بن المبارك رضي الله عنه العبودية الرجوع
الى الله تعالى في كل شي على حد الاضطرار وفيه ايضا ضمان
اجابة الدعا لقوله تعالى امن يجيب المضطر اذا دعاه والاضطرار
المطلوب منه الا يتوهم العبد من نفسه شيا من الحول والقوة
ولا يرى لنفسه شيا من الاسباب يعتمد عليه ويستند اليه ويكون
بمنزلة الغريق في البحر والضال في التيه القفر لا يرى لغياثه
الا مولاه ولا يرجو النجاة من هلكته احدا سواه وقد كان بعض
العارفين المضطر الذي يقف بين يدي مولاه فيرفع يديه اليه

بالمسئلة

91

بالمسئلة فلا يرى بينه وبين الله حسنة يستحق بها شيا فيقول
يا مولاي هب لي بلا شي والذلة والافتقار امران لا زمان له
وهما موجبان لاسراع مواهب الحق تعالى الى العبد المتصف بهما
واليه الاشارة بقوله عز من قايل ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة
فذلتهم اوجبت لهم عزتهم ونصرهم كما قيل

وإذا تذللت الرقاب تقربا ۔ منها اليك فعزها في ذلها

وقيل ايضا ۔ حين اسلمتني الى الذل واللام ۔ تلقيتني بعين وراي

قلت في لطايف المنن والجالب للتوفيق وعلامة صدق الرجوع
الى الله تعالى في اول كل فعل وترك تحقيق الفقر والفاقة اليه
والانطراح في بحار الذلة والمسكنة بين يديه واستصحاب ذلك الى
الفراغ من ذلك ابدا وقد قال سبحانه وتعالى ولقد نصركم الله ببدر
وانتم اذلة وقال تعالى انما الصدقات للفقراء والمساكين فلا تدخل
جنته علمك وعملك وما اعطيت من نور وفتح وتقول كما قال من
خذل واخبر الله تعالى عنه بقوله ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال
ما اظن ان تبيد هذه ابدا ولكن ادخلها كما بين لك وقيل لك ما رضي
لك ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شا الله لا قوة الا بالله وافهم
هاهنا قوله صلى الله عليه وسلم لا حول ولا قوة الا بالله كنز من كنوز
الجنة وفي رواية اخرى كنز من كنوز تحت العرش فالترجمة ظاهر الكنز
والمكنوز فيها صدق التبري من الحول والقوة والرجوع الى حول الله
وقوته تعالى **ربما دلهم الادب على ترك الطلب اعتمادا على قسمته
واشتغالا بذكره عن مسئلته** قد يكون من الادب ترك السوال والطلب
لمن هو مستغرق في الاذكار راض بما يجري عليه من تصاريف الاقدار وهو
احد مذاهب القوم قال الامام ابو القاسم القشيري رضي الله
عنه واختلف الناس في اي شي افضل الدعا ام السكوت والرضا فمنهم
من قال الدعا في نفسه عبادة وقال صلى الله عليه وسلم الدعا مخ العبادة فالا

تبيان

بما هو عبادة اولى من تركها ثم هو حق الحق سبحانه وتعالى فان لم يستجب
للعبد ولم يصل الى حظ نفسه فلقد قام بحق ربه لان الدعا
اظهار فاقة العبودية وقد قال ابو حازم الاعرج رحمه الله
تعالى عليه لان احرم الدعا اشد الي من ان احرم الاجابة وطايفة
قالوا السكوت والخمود تحت جريان الحكم اتم والرضا بما سبق
من اختيار الحق اولى ولهذا قال الواسطي رضي الله عنه اختيار
ما جرى لك في الازل خير من معارضة الوقت وقد قال صلى الله
عليه وسلم خبرا عن الله تعالى من شغله ذكري عن مسالتي اعطيته
افضل ما اعطي السايلين وقال قوم يجب ان يكون العبد
صاحب دعا بلسانه صاحب رضا بقلبه ليأتي بالامرين جميعا
قال الامام ابو القاسم القشيري رضي الله عنه والاولى ان يقال
ان الاوقات مختلفة ففي بعض الاحوال الدعا افضل من السكوت
وهو الادب وفي بعض الاحوال السكوت افضل من الدعا وهو
الادب وانما يعرف ذلك في الوقت لان علم الوقت يحصل في الوقت
فاذا وجد بقلبه اشارة الى الدعا فالدعا به اولى واذا وجد
اشارة الى السكوت فالسكوت له اولى ويصح ان يقال ينبغي للعبد
ان لا يكون ساهيا عن شهود ربه تعالى في حال دعايه ثم يجب ان
يراعي حاله فان وجد من الدعا زيادة بسط في وقته فالدعا
له اولى وان عاد الى قلبه في وقت الدعا شبه زجر ومثل القبض
فالاولى ترك الدعا في هذا الوقت وان لم يجد في قلبه لا زيادة بسط
ولا حصول زجر فالدعا وتركه ههنا سيان وان كان الغالب عليه
في هذا الوقت العلم فالدعا اولى لكونه عبادة وان كان الغالب في
هذا الوقت المعرفة والحال فالسكوت والسكون اولى ويصح ان
يقال ما كان للمسلمين فيه نصيب او للحق سبحانه وتعالى فيه حق
فالدعا اولى وما كان لنفسك فيه حظ فالسكوت اتم وفي الخبر

المروي ان العبد يدعو الله تعالى يحبه فيقول يا جبريل اخر حاجة عبدي
فاني احب ان اسمع صوته وان العبد ليدعو وهو يبغضه فيقول يا جبريل
اقض لعبدك حاجته فاني اكره ان اسمع صوته انتهى كلام الامام ابو القسم
رضي الله عنه وهو حسن بديع وهو اوفى مما ذكره المولف رحمه الله انما يذكر
من يجوز عليه الاغفال وانما ينبه من يمكن منه الاهمال اورد هذا كالدليل
على ما ذكره من ان ترك الطلب قد يكون من الادب وذلك لان في الطلب
اشعارا بتجويز الاغفال عليه فيقع بذلك التذكير له وتلويحا باحتمال
وجود الاهمال منه فيكون بذلك تنبيها له وجميع ذلك محال على الحق
تعالى عن ذلك علوا كبيرا فلاجل هذه العلل كان ترك الطلب عند هولا
ادبا وقد سيل الواسطي رضي الله عنه ان يدعو فقال اخشى ان
دعوت ان يقال لي ان سالتنا ما لك عندنا فقد اتهمتنا وان سالتنا
ما ليس لك عندنا فقد اسات الثنا علينا وان رضيت اجرينا لك من
الامور ما قضينا لك في الدهور وروي عن عبد الله بن منازل رضي
الله عنه انه قال ما دعوت منذ خمسين سنة وما اريد ان يدعو لي
احد لانه ماض على ما سبق ربما استحيا العارف ان يرفع حاجته الى
مولاه اكتفا بمشيته فكيف لا يستحي ان يرفعها الى خليقته تقدم ان من الادب ترك
الطلب والسوال من الله تعالى اكتفاء بمشيته ورضا بسابق قسمته
وان العارفين المحققين يستحيون من الله تعالى في ذلك فكيف لا
يستحيون من مولاهم عز وجل عند سوالهم للمخلوقين وهل ادبهم في ذلك
واستحياوهم من ربهم الا واجب عليهم فلا يسالونه منه شيا ولا يرفعون
اليهم حاجة لانهم فقراء محتاجون ومولاهم هو الغني الحميد وقد
تقدم هذا المعنى عند قوله لا تتعدين نية همتك الى غيره فالكريم
لا تتخطاه الامال قال سهل بن عبد الله رضي الله عنه ما من
قلب ولا نفس الا والله تعالى مطلع عليه في ساعات الليل والنهار
فايما نفس او قلب راي فيه حاجة الى سواه سلط عليه ابليس وقال

الاستاذ ابو علي الدقاق رضي الله عنه من علامات المعرفة ان لا تسال
حوايجك قلت او كثرت الا من الله سبحانه وتعالى مثل موسى عليه
الصلاة والسلام اشتاق للي الروية فقال رب ارني انظر اليك
واحتاج مرة الى رغيف فقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير وذكر
الامام ابو القاسم القشيري رضي الله عنه ان بعض الفقرا كان
ياتي كل يوم ويقف حذا الكعبة بعدما يطوف ماشا الله تعالى ويخرج
من جيبه رقعة ينظر فيها فلما كان بعد ايام فعل مثل ذلك ثم تباعد
ومات رحمه الله فجا بعض من يرمقه ونظر في الرقعة فاذا فيها مكتوب
واصبر لحكم ربك فانك باعيننا قال فكان الرجل اصابته الفاقة فصبر
ولم يظهر حاله للخلوق حتى مات وقال ابو بكر الجوهري رضي الله عنه
كنت بعسقلان على برج احرس فمر بي رجل عليه جبة صوف مخاقة فقمت
اليه مسلما فعانقته واجلسته وجاريت معه في فنون من العلم وكان
قدماه حافيتين فقلت له لم لا تسال اصحابنا في نعل تقيك الحفا فقال
يا اخي لنقل الجبال وحبس عين الشمس بالعقال ونقل ما البحر
بالغربال اهون من موقف السوال وان تحاجي من المخلوقين النوال
ثم اخرجني من باب المدينة فانتهى بي الى صخرة منقور فاذا عليها
مكتوب كل من كد يمينك وعرق جبينك فان ضعف يقينك فاسال
المولى يعينك قال في التنوير واعلم رحمك الله ان رفع الهمة لسالكي
طريق الاخرة عن الخلق وعدم التعرض لهم ازين لهم من الحلي للعروس
وهم احوج اليه من الماء لحياة النفوس ومن خلعت عليه خلعة الملك
فحفظها وصانها حري بان تدام له ولا تسلب عنه والمدنس بخلع
المواهب حري ان لا تترك له فلا تدنس ايها الاخ ايمانك بطمعك في
المخلوقين ولا تجعلن اعتمادك الا على رب العالمين وكن ايها الاخ
ابراهيميا فقد قال ابوك ابرهيم عليه الصلاة والسلام لا احب
الافلين وما سوى الله تعالى افل اما وجودا واما امكانا وقد

قال

٩٢

قال سبحانه وتعالى ملة ابيكم ابرهيم اي اتبعوا ملته فواجب على
المومن ان يتبع ملة ابرهيم ومن ملته رفع الهمة عن الخلق فانه يوم
زج به في المنجنيق تعرض له جبريل عليه الصلاة والسلام فقال
الك الي حاجة قال اما اليك فلا واما الى الله فبلى قال فاساله قال
حسبي من سوالي علمه بحالي فانظر كيف رفع همته عن الخلق ووجهها
الى الملك الحق فلم يستغث بجبريل ولا احتال على السوال من الله
تعالى بل راي ربه اقرب اليه من جبريل ومن سواله فلذلك سلمه
من نمرود ومن نكاله وانعم عليه بنواله وافضاله وخصه بوجود
اقباله ومن ملة ابرهيم معادات كلما شغل عن الله تعالى وصرف
الهمة بالرد الى الله تعالى لقوله عز وجل فانهم عدو لي الا رب
العالمين والغنى ان اردت الدلاله عليه فهو في الياس من الناس
ولقد قال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه ايست من نفع
نفسي لنفسي فكيف لا ايس من نفع غيري لنفسي ورجوت الله تعالى
لغيري فكيف لا ارجوه لنفسي فهذا هو الكيميا والاكسير الذي
من حصل له حصل له غنا لا فاقة فيه وعز لا ذل معه وانفاق لا
نفاد له وهو كيميا اهل الفهم عن الله تعالى قال الشيخ ابو الحسن
رضي الله عنه صحبني انسان وكان ثقيلا علي فبسطته يوما فانبسط
وقلت له يا ولدي ما حاجتك ولم صحبتني قال يا سيدي قيل لي انك
تعلم الكيميا فصحبتك لا تعلم منك ذلك فقلت له صدقت وصدق من
حدثك ولكن اخالك لا تقبل قال بل اقبل فقلت له نظرت الى الخلق
فوجدتهم على قسمين اعداء واحباء فنظرت الى الاعداء فعلمت انهم لا يستطيعون
ان يشوكوني بشوكة لم يردني الله بها فقطعت نظري عنهم ثم تعلقت بالاحبا
فوجدتهم لا يستطيعون ان ينفعوني بشي لم يردني الله تعالى به فقطعت
ياسي منهم وتعلقت بالله تعالى فقيل لي انك لا تصل الى حقيقة هذا
الامر حتى تقطع ياسك منا كما قطعته من غيرنا ان نعطيك غير ما قسمناه لك

في الازل وقال مرة اخرى لما سيل عن الكيميا فقال اخرج الخلق من قلبك
واقطع ياسك من ربك يعطيك غير ما قسم لك قال وليس يدل على
فهم العبد كثرة عمله ولا مداومته على ورده انما يدل على نوره
فهمه غناه بربه وانحياشه اليه بقلبه وتحرره من رق الطمع وتحليه
بحلية الورع وبذلك تحسن الاعمال وتزكو الاحوال قال الله تعالى انا
جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا فحسن الاعمال انما هو بالفهم
عن الله تعالى والفهم هو ما ذكرناه من الاستغناء بالله عز وجل والاعتماد عليه
ورفع الحوائج اليه والدوام بين يديه وكل ذلك من ثمرة الفهم عن الله تعالى
انتهى ما يتعلق بغرضنا من كلام صاحب كتاب التنوير وهو من الكلام النفيس
الخطير وانت رحمك الله تعالى اذا تاملته بعين بصيرتك ما حال ربك في علانيتك
وسريرتك علمت منه ان ما تضمنه عظيم الموقع وانه مستحسن هنا ايراده في هذا
الموضع اذ هو منوط بالايمان والتوحيد محتاج اليه كل سالك ومريد فمن راعاه
حق رعايته وصرف الى العمل بمقتضاه عنان عنايته فقد تحقق بحقايق
الايمان وكان من ولاية الله تعالى بمكان ومن اهمله وضيعه وجهل قدره
وموقعه خيف عليه من الوقوع في الشرك الخفي والجلي واستحق ان يطرد
من باب مولاه العلي فيقوى طمعه في الخلق ويضيق عليه متسعات
ابواب الرزق كما قال بعض العارفين المكاشفين رضي الله عنهم
قيل لي في نوم كاليقظة او يقظة كالنوم لا تبدين فاقة الى غيري
فاضاعفها عليك مكافاة بسوء ادبك وخروجك الى حدك في عبوديتك
انما ابتليتك بالفاقة لتفزع الي منها وتتضرع بها لدي وتتوكل فيها علي
فسبكتك بالفاقة لتصير ذهبا خالصا فلا تزيفن بعد السبك وسمتك بالفاقة
وحكمت لنفسي بالغنا فان وصلتها بي وصلتك بالغنا وان وصلتها بغيري
قطعت عنك مواد معونتي وحسمت اسبابك من اسبابي طردا لك عن
بابي فمن وكلته الي ملك ومن وكلته اليه هلك انتهى ومنهم من يانف
من قبول الرفق على ايدي الخلق وترتفع همته عن ذلك وان لم يكن سوال

ولا

ولا طلب يحكى عن حماد بن سلمة رضي الله عنه انه قال كان في جواري
امراة ارملة لها ايتام وكانت ليلة ذات مطر فسمعت صوتها تقول
يا رفيق ارفق بي قال فخطر بالي انها اصابتها فاقة فصبرت حتى احتبس
المطر فحملت معي عشرة دنانير ودققت عليها الباب فقالت حماد بن سلمة
فقلت نعم فقلت كيف الحال فقالت بخير وعافية احتبس المطر ودفي
الصبيان فقلت خذي هذه الدنانير فاصلحي بها بعض شانك قال
فصاحت بنية لها خماسية اتريد يا حماد ان تكون بيننا وبين معبودنا
واسطة ثم قالت لامها لما رفعت صوتك علمت ان الله يود بنا باظهار
الرفق على يد مخلوق وذكر الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي رضي الله
عنه عن عباد بن دهقان رحمه الله قال كنت يوما عند بشر رضي الله
عنه وهو يتكلم في الرضا والتسليم فاذا هو برجل من المتصوفة
فقال له يا ابا نصر انقبضت عن اخذ البر من ايدي الخلق
لاقامة الجاه ان كنت متحققا بالزهد منصرفا عن الدنيا فخذ من
ايديهم ليمتحي جاهك من عندهم واخرج بما يعطونك الى الفقراء
وكن بعقد التوكل تاخذ قوتك من الغيب فاشتد ذلك على
اصحاب بشر فقال بشر اسمع ايها الرجل الجواب الفقرا ثلثة فقير
لا يسال وان اعطي لا ياخذ فذلك من اوسط الخلق عقد التوكل
والسكون الى الله تعالى وهو ممن توضع له الموايد في حضرة القدس
وفقير اعتقد الصبر ومدافعة الوقت فاذا طرقته الحاجة خرج الى
عبيد الله وقلبه الى الله تعالى بالسوال وكفارة سواله الصدقة
فقال الرجل رضيت رضي الله عنك لا تستنبط منه النوال ولكن
استنبط من نفسك وجود الاقبال تقدم التنبيه على هذا المعنى عند قوله رحمه
الله لا تطالب ربك بتاخر مطلبك ولكن طالب نفسك بتاخر ادبك
والعبارتان متفقتان معنى وان اختلفتا لفظا خير ما تطلبه منه ما
هو طالبه منك ان كان لا بد من الطلب فاطلب منه ما هو طالبه منك من

تكن

لاستقامه على سبيل العبودية له فذلك خير لك من طلبك لحظوظك ومرادا
لانك حينيذ تكون به وله ويسعفك بمطلوبك عاجلا من غير تاخير
واما ان طلبت منه حظ نفسك ونيل مرادك فقد يحصل في ذلك تاخير
ومنع مع ما يفوتك حينيذ من حسن الادب في الطلب يحكى عن ابي
الحسين الديلمي رضي الله عنه قال وصف لي بانطاكية انسان اسود يتكلم
على القلوب قال فقصدته فلما رايته رايت معه شيا من المباحات
يريد ان يبيعه فساومته وقلت له بكم تبيع هذا فنظر الي فقال
اقعد فانك جايع منذ يومين حتى اذا بعنا هذا نعطيك شيا قال فمضيت
الى غيره وتغافلت كاني لم اسمع ما قال وساومت غيره ما كان بين
يديه ثم رجعت اليه وقلت كم بكم تبيع هذا فنظر الي وقال اقعد
فانك جايع منذ يومين حتى اذا بعنا هذا نعطيك شيا من ثمنه
قال فوقع على قلبي منه هيبه فلما باع ذلك اعطاني شيا ومضى
قال فمضيت خلفه لعلي استفيد منه شيا قال فالتفت الي وقال
اذا عرضت لك حاجة فانزلها بالله الا ان يكون لك فيها حظ
فتحجب عن الله ومن دعا ابي القسم الجنيد رضي الله عنه اللهم
وكل سوال سالتك فعن امرك لي بالسوال فاجعل سوالي اليك سوال
محابك ولا تجعلني ممن يعتمد بسواله مواضع الحظوظ بل سوال القيام بوا
حقك ومن دعايه ايضا اللهم اني اسالك منك ما هو لك واستعيذ
بك من كل امر يسخطك اللهم ولا تشغلني بشغل من شغله عنك ما
اردته الا ان يكون لك اللهم اجعلني ممن يذكرك ذكر من لا يريد
بذكره منك الا ما هو لك اللهم اجعل غاية قصدي اليك ما هو لك
ولا تجعل قصدي اليك ما اطلبه منك لا يكن طلبك تسببا الى العطا
منه فيقل فهمك عنه وليكن طلبك لاظهار العبودية وقياما بحقوق الربوبية
لم يامر الله تعالى عباده بالطلب له والسوال منه الا ليظهر افتقارهم
اليه ومتولهم بالتضرع والخضوع بين يديه ليكون ذلك اظهار العبوديتهم

وقيا ما

وقيا ما بحقوق ربوبيته ربهم لا لان يتسببوا به الى حصول ما
طلبوه ونيل ما رغبوه مما لهم فيه منفعة وحظ هذا هو فهم العارفين
عن الله تعالى ويدل على هذا المعنى ما يذكره المولف الان قال
ابو نصر السراج رضي الله عنه سالت بعض المشايخ عن الدعا لاهل التسليم
ما وجهه فقال لما يدعو الله تعالى على وجهين احدهما يريد بذلك
تزيين الجوارح الظاهرة بالدعا لان الدعا ضرب من الخدمة يريد
ان يزين جوارحه بهذه الخدمه والوجه الثاني ان يدعوا ايتمارا
لما امر الله تعالى به من الدعا انتهى وقد قيل فايدة الدعا اظهار الفاقة
بين يديه والا فالرب يفعل ما يشا ويقتضي هذا الا ينقطع سواله
ولا رغبته وان اعطاه كل مطلب واتى له كل سوال ومارب
وان لا يفرق بين العدم والوجود والمنع والعطا فيما يرجع الى اظهار
الفاقة والفاقة فيكون عبد الله في الاحوال كلها كما انه ربه
في الاحوال كلها وقبيح بالعبد ان يصرف وجهه عن باب مولاه
بما يلبله من شهوته وهواه قال سيدي ابو الحسن رضي الله
عنه لا يكن همك في دعايك الظفر بقضا حوايجك فتكون محجوبا
وليكن همك المناجاه لمولاك قال الامام القشيري رضي الله عنه
شر الناس من يبتهل الى الله تعالى عند البلا بخلوص الدعا وشدة
التضرع والبكا فاذا زالت شكايته ورفعت عنه افته ضيع الوفا
ونسي البلا وقابل الرفد بنقض العهد وابدل الفقد برفض
الود اوليك الذين ابعدهم الله في سابق الحكم وحطهم في سلك
اهل الرد وقيل بلاء يلجيك الى الانتصاب بين يدي معبودك خير
لك من عطا يشغلك اياه ويقصيك عنه كيف يكون طلبك اللاحق
سببا في عطايه السابق هذا دليل على التسبيب المذكور لان
ما طلبه العبد امر سابق في الازل تقديره وطلبه امر لاحق فيما
لا يزال وكيف يكون اللاحق سببا في وجود السابق هل السبب ابدا

الا مستقدم على السبب **جل حكم الازل ان ينضاف الى العلل**
هذا دليل اخر على ما ذكره وهو ان حصول ما طلبه الداعي حكم من الله تعالى في
الازل فلا يكون سببه الدعا والسوال لان احكام الله تعالى تجل من ان
تضاف الى علة او سبب من قبل ان له الارادة المطلقة والمشيئة
النافذة وقضيته علة لكل شي ولا علة لصنعه كما قاله العارفون المحققون

باب التسليم لامر الله تعالى وترك الاختيار ارادتك التجريد
مع اقامة الله اياك في الاسباب من الشهوة الخفيه وارادتك الاسباب
مع اقامة الله اياك في التجريد انحطاط عن الهمة العليه الاسباب
ههنا عبارة عما يتوصل به الى غرض ما ينال في الدنيا والتجريد عبارة
عن عدم اشتغاله بتلك الاسباب لاجل ذلك فمن اقامه الحق تعالى في
الاسباب واراد هو الخروج منها فذلك من شهوته الخفية وانما
كانت من الشهوه لعدم وقوفه مع مراد الله تعالى به وارادته هو
خلاف ذلك وانما كانت خفية لانه لم يقصد بذلك نيل حظ عاجل
وانما قصد بذلك التقرب من الله تعالى بكونه على حال هو اعلى
بزعمه لكنه فاته الادب بعدم وقوفه مع مراد الله تعالى من
اقامته اياه فيما اقامه فيه وتطلعه الى مقام رفيع لا يليق به
في الوقت وعلامة اقامته اياه في الاسباب ان يديم له ذلك
وان يحصل له ثمرته ونتيجته وذلك بان يجد عند اشتغاله بالاسباب
سلامة في دينه وقطعا لطمعه من غيره وحسن نيته في صلة
رحم او اعانة فقير معدم الى غير ذلك من فوايد المال المتعلقه
بالدين ومن اقامه الحق تعالى في التجريد واراد الخروج منه
الى الاسباب فذلك من انحطاط همته وسوء ادبه وكان ذلك
مع شهوته الجليه لان التجريد مقام رفيع اقام الحق تعالى فيه
خواص عباده من الموحدين العارفين فاذا اقامه الحق تعالى
مقام الخواص فلم ينحط عن رتبته الى منازل اهل الانتقاص قال

الشيخ

الشيخ ابو عبد الله القرشي رضي الله عنه من لم يانف من مشاركة
الاضداد في الاسباب فهو خسيس الهمه وعلامة اقامته اياه
في التجريد ما ذكرناه من الدوام ووجدان الثمرة ومن ثمرات
ذلك طيب وقت المتجرد وصفاء قلبه ووجدان راحته من ملابسة
الخلق ومخالطتهم والهمة حالة للقلب وهي قوة ارادة وغلبة
انبعاث الى نيل مقصوده وتكون عالية ان تعلقت بمعالي الامور
وسافلة ان تعلقت بادانيها قال الشاعر

وقايلة لم علتك الهموم ٭ وامرك ممتثل في الامم
فقلت ذريني على حالتي ٭ فان الهموم بقدر الهمم

وقال اخر
اذا اعطشتك اكف اللئام ٭ كفتك القناعة شبعا وريا
فكن رجلا رجله في الثرى ٭ وهامة همته في الثريا

وما ذكرته من معاني الاقامة في نوعي الاسباب والتجريد
هو شي فهمته مما سيجي في قول المولف في باب الفراسه من علامة
اقامة الحق لك في الشي ادامته اياك فيه مع حصول النتايج والله
اعلم وقد ذكر في التنوير هذه المسيله بنصها حاكيا عن هذا الكتاب
وقال بانه وافهم رحمك الله ان من شان العدو ان ياتيك فيما
انت فيه مما اقامك الله فيه ليحقر عندك ما اقامك
الله فيه فيشوش عليك قلبك ويكدر رونقك وذلك انه ياتي المتسببين
فيقول لهم لو تركتم الاسباب وتجردتم لاشرقت لكم الانوار ولصفت
منكم القلوب والاسرار وكذلك صنع فلان وفلان ويكون
هذا العبد ليس مقصودا بالتجريد ولا طاقة له به انما صلاحه في
الاسباب فيتركها فيتزلزل ايمانه ويذهب ايقانه ويتوجه
الى الطلب من الخلق والى الاهتمام بامر الرزق فيرميه في بحر
القطيعة وذلك قصدا لعدو منه لانه انما ياتيك في صورة ناصح
كما اتى ابويك فيما اخبر الله عنه وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة

إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين
كما تقدم بيانه وكذلك يأتي المتجردين ويقول لهم إلى متى تتركون
الأسباب ألم تعلموا أن ترك الأسباب تتطلع معه القلوب إلى ما
في أيدي الناس ويفتح باب الطمع ولا يمكنه الإسعاف ولا الإيثار ولا
القيام بالحقوق وعوض ما تكون منتظرا ما يفتح به عليك من الخلق
فلو دخلت في الأسباب بقي غيرك منتظرا ما يفتح به عليه منك إلى غير
ذلك ويكون هذا العبد قد طاب وقته وانبسط نوره ووجد
الراحة بالانقطاع عن الخلق فلا يزال به حتى يعود إلى الأسباب
فتصيبه كدرتها وتغشاه ظلمتها ويعود الدائم في حبسه أحسن حالا
منه لأن ذلك ما سلك طريقا ثم رجع عنه ولا قصد مقصدا
ثم رجع عنه فافهم واعتصم بالله منه ومن يعتصم بالله فقد
هدي إلى صراط مستقيم وإنما قصد الشيطان بذلك أن يمنع
العباد الرضى عن الله عز وجل فيما هم فيه وأن يخرجهم عما اختار
الله تعالى لهم إلى مختارهم لأنفسهم وما أدخلك الله تعالى فيه
تولى إعانتك عليه وما دخلت فيه بنفسك وكلك إليك وقل
رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من
لدنك سلطانا نصيرا فالمدخل الصدق أن تدخل فيه بربك
لا بنفسك والمخرج الصدق أيضا كذلك فافهم والذي يقتضيه
الحق منك أن تمكث حيث أقامك حتى يكون الحق سبحانه هو الذي
يتولى إخراجك كما تولى إدخالك وليس الشأن أن تترك السبب بل
الشأن أن يتركك السبب وقال بعضهم تركت السبب كذا كذا
مرة فعدت إليه ثم تركني السبب فلم أعد إليه ودخلت على الشيخ رضي
الله عنه وفي نفسي العزم على التجريد بلا في نفسي أن الوصول إلى الله
تعالى في هذه الحالة من الاشتغال بالعلم الظاهر ووجود المخالطة
للناس ممتنع فقال لي من غير أن أسأله صحبني إنسان مشتغل بالعلوم

الظاهرة ومتصدر فيها فذاق من هذه الطريق شيئا فجاء إلي فقال يا سيدي
نخرج عما نحن فيه ونتفرغ لصحبتك فقلت له ليس الشأن ذا ولكن امكث
فيما أنت فيه وما قسم الله تعالى لكم على أيدينا فهو إليكم واصل ثم قال
الشيخ ونظر إلي وهكذا يكون شأن الصديقين لا يخرجون من شيء حتى
يكون الحق سبحانه هو الذي يتولى إخراجهم فخرجت من عنده وقد
غسل الله تعالى تلك الخواطر من قلبي ووجدت الراحة بالتسليم
إلى الله تعالى ولكنهم كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القوم
لا يشقى بهم جليسهم انتهى كلامه في التنوير في هذا المعنى وهو
كلام حسن وإنما أتينا به ههنا على طوله لأنه تولى فيه بيان المسئلة
التي ذكرها في هذا الكتاب بنفسه بيانا شافيا فنقلته بلفظه ووددنا
لو أن جميع مسائله تكون هكذا لا تطلب منه أن يخرجك من حالة ليستعملك
فيما سواها فلو أرادك لاستعملك من غير إخراج كما أنه
إذا كان المرء على حالة لا توافق غرضه كانت متعلقة بالدين أو بالدنيا
لا ينبغي له أن يروم الخروج منها بنفسه ويعارض حكم وقته فيحدث
فيه غير ما أظهره الله تعالى فيه كما سيجيء في قوله ما ترك من الجهل شيئا
من أراد أن يحدث في الوقت شيئا غير ما أظهره الله فيه مع الشرط المتقدم
وهو أن لا يكون في ذلك مخالفة أمر وارتكاب نهي فينبغي أيضا له أن
لا يعارض حكم الوقت ويطلب ويطلب من مولاه أن يخرجه منها
ويستعمله فيما سواها لأن هذا من التخيير على الله تعالى ولا خير له في
ذلك بل ينبغي له حسن الأدب معه وإيثار مراده به على اختياره
هو وحينئذ يتحقق بحال يعرف منها محبة الله تعالى وإرادته له
فيستعمله استعمال المحبوب بإعلامه مع بقائه على حالته التي هو عليها
فيكون إذ ذاك بمراد الله تعالى له لا بمراده لنفسه وهو خير له
مما اختاره قال في التنوير يحكى عن بعضهم أنه كان يقول وددت
لو أني تركت الأسباب وأعطيت كل يوم رغيفين يريد بذلك أن يستريح

من تعب الاسباب قال فسجنت ثم كنت في السجن يوتى كل يوم برغيفين
فطال ذلك علي حتى ضجرت ففكرت يوما في امري فقيل لي انك طلبت منا
كل يوم رغيفين ولم تطلب منا العافية فاعطيناك ما طلبت فاستغفرت
الله من ذلك الذنب ورجعت الى الله تعالى فاذا بباب السجن يفتح فتخلصت
وخرجت قال فيه فتادب بهذا ايها المومن ولا تطلب ان يخرجك
من امر ويدخلك فيما سواه اذا كان ما انت فيه مما يوافق لسان العلم
فان ذلك من سوء الادب مع الله تعالى فاصبر لئلا تطلب الخروج
لنفسك فتعطى ما طلبت وتمنع الراحة فيه فرب تارك شيا وداخل
في غيره ليجد الترويح والراحة فتعب وقوبل بوجود التعسير عقوبة
لوجود الاختيار انتهى كلامه في التنوير وهو كالتفسير لما ذكره
ههنا فلذلك اوردته **سوابق الهمم لا تخرق اسوار الاقدار** الهمم
السوابق هي قوى النفس التي ينفعل عنها بعض الموجودات باذن
الله تعالى وتسميها الصوفية همة فيقولون احال فلان همته على
امر ما فانفعل له ذلك وهذه الهمم السابقة لا تنفعل الاشيا
عنها الا بالقضا والقدر وهو معنى قولنا بان الله تعالى فمتى
على حال سبقيتها ونفوذها لا تخرق اسوار الاقدار ولا ينفذها
وهذه الهمم قد تكون للاوليا كرامات وتكون لغيرهم استدراجا
ومكرا كما يكون للعاين والساحر وقد ثبت ان العين حق والسحر
حق ومعناه ما ذكرناه وحاصل ذلك انه يجب ان يعتقد انها
اسباب لا تاثير لها ولا فاعلية وان الفاعل هو الله تعالى وحده
عندها لا بها وكان المولف رحمه الله انما اورد هذه المسيلة
بين يدي كلامه في التدبير ليعرفك بذلك ان وجود التدبير
لا جدوى له ولا فايدة لان الهمة الفعالة اذا لم تنفذ في خرق
اسوار الاقدار شيا فكيف يفيد في ذلك التدبير وما لا فايدة
فيه فضول لا ينبغي ان يتشاغل به ويتعب فيه ذووا العقول ولذلك

قال

قال **ارح نفسك من التدبير فما قام به غيرك عنك لا تقم به لنفسك**
تدبير الخلق لدنياهم على الوجه الذي نقوله مذموم لان الله
تعالى تكفل لهم بذلك وقام به عنهم وطلب منهم ان يفرغوا
قلوبهم منه ويقوموا بحق عبوديته ووظايف تكليفاته فقط وهو [ان]
يقدر العبد لنفسه سوى ما يكون عليها من امر دنياه على ما تقتضيه
شهوته وهواه ويريد لها ما يليق بها من احوال واعمال ويستعد
لذلك ويهتم لاجله وهذا تعب عظيم استعجله لنفسه ولعل اكثر ما
يقدره لا يقع فيخيب ظنه ويبطل سعيه ثم فيه من ترك العبودية
ومضادة احكام الربوبية ومنازعة القدر واضاعة العمر
ما يحمل العاقل على تركه واجتنابه وقطع مواده واسبابه قال
سهل بن عبد الله رضي الله عنه ذروا التدبير والاختيار فانهما يكدران
على الناس عيشهم وقال سيدي ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه
ان كان ولا بد من التدبير فدبروا ان لا تدبروا وهذه المسيلة
اساس طريق القوم بل هي جملته وكليته والكلام فيها طويل عريض
وانما اقتصرنا فيها على هذا القدر اليسير من التنبيه لان المولف رحمه
الله تعالى افرد في هذا المعنى كتابا سماه التنوير في اسقاط التدبير
احسن فيه غاية الاحسان وقرب الامر فيه بحيث يستغنى به عما
صنف في هذه الطريقة من ديوان فتحصيله متعين على كل مريد نجيب
**اجتهادك فيما ضمن لك وتقصيرك فيما طلب منك دليل على انطماس
البصيرة منك** الشي المضمون للعبد هو رزقه الذي يحصل له به قوام
وجوده في دنياه ومعنى كونه مضمونا ان الله سبحانه وتعالى تكفل بذلك
وفرغ العباد عنه ولم يطلب منهم الاجتهاد في السعي فيه ولا الاهتمام له
والشي المطلوب من العبد هو العمل الذي يتوصل به الى سعادة
الاخرة والقرب من الله تعالى من عبادات وطاعات ومعنى كونه
مطلوبا انه موكول الى اكتساب العبد له واجتهاده فيه ومراعاته

شروطه واسبابه واوقاته بهذا جرت سنة الله تعالى في عباده قال الله
عز وجل في المعنى الاول الذي ضمنه للعبد وكاين من دابة لا تحمل
رزقها الله يرزقها واياكم وقال سبحانه وتعالى في المعنى الثاني
الذي طلب منه وان ليس للانسان الا ما سعى وقد ورد في بعض
الاثار عن الله عز وجل انه قال عبدي اطعني فيما امرتك ولا
تعلمني ما يصلحك وذكر في بعض الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال ما بال اقوام يشرفون المترفين ويستخفون بالعابدين ويعملون
بالقران ما وافق اهواهم وما خالف اهواهم تركوه فعند ذلك يومنون
ببعض ويكفرون ببعض يسعون فيما يدرك بغير سعي من القدر المقدور
والاجل المكتوب والرزق المقسوم الا يسعون فيما لا يدرك
الا بالسعي من الجزاء الموفور والسعي المشكور والتجارة التي لا تبور
قال ابرهيم الخواص رضي الله عنه العلم كله في كلمتين لا تتكلف
ما كفيت ولا تضيع ما استكفيت فمن قام بهذا الامر على ما ينبغي
له من الوجه الذي ذكرناه من الاجتهاد في الامر المطلوب منه
وتفريغ القلب من الامر المضمون له فقد انفتحت بصيرته واشرق
نور الحق في قلبه وحصل على غاية المقصود ومن عكس هذا
الامر فهو مطموس البصيرة اعمى القلب وفعله دليل على ذلك والبصيرة
ناظر القلب كما ان البصر ناظر العين وناظر القلب انما ينظر الى
العاقبة والعاقبة للمتقين فالتقوى هي التي يجب على العبد الاجتهاد
فيها لا غير وتعبير المولف رحمه الله تعالى بالاجتهاد اشعار بان
طلب الرزق من غير اجتهاد فيه غير مقصود بالكلام وهو كذلك
لانه مباح وما ذون فيه فلا يدل ذلك على انطماس بصيرة صاحبه الا
ان اقترن به تقصير فيما امر به قال في التنوير في قوله عز
وجل وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسالك رزقا نحن نرزقك
اي قم بخدمتنا ونحن نقوم لك بقسمتنا وهما شيان شي ضمنه الله تعالى

لك

لك فلا تتهمه وشي طلبه منك فلا تهمله فمن اشتغل بما ضمن له عما
طلب منه فقد عظم جهله واتسعت غفلته وقل ما ينتبه من يوقظه
بل حقيق على العبد ان يشتغل بما طلب منه عما ضمن له اذا كان الله سبحانه
قد رزق اهل الجحود فكيف لا يرزق اهل الشهود اذا كان الله
سبحانه اجرى رزقه على اهل الكفران كيف لا يجري رزقه على
اهل الايمان فقد علمت ايها العبد ان الدنيا مضمونة لك اي
مضمون لك منها ما يقوم باودك والاخرة مطلوبة منك اي العمل
لها لقوله سبحانه وتعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى فكيف
ثبت لك عقل او بصيرة واهتمامك فيما ضمن لك اقتطعك عن
اهتمامك بما طلب منك من امر الاخرة حتى قال بعضهم ان الله
تعالى ضمن لنا الدنيا وطلب منا الاخرة فليته ضمن لنا الاخرة
وطلب منا الدنيا **ما ترك من الجهل شيا من اراد ان يحدث في
الوقت غير ما اظهره الله تعالى فيه** اذا اقام الله تعالى العبد في
حال من الاحوال التي لا بد منها الشرع فليلتزم حسن الادب في
اختيار بقايه عليها ورضاه بها وليراقب الله تعالى في مراعات
ادابها وليوافق مراد الله تعالى في ذلك حتى يكون هو الذي
ينقله عنها قال ابو عثمان رضي الله عنه منذ اربعين سنة
ما اقامني الله تعالى في حال فكرهته ولا نقلني عنه فسخطته وقد
تقدم حكاية المولف رحمه الله مع شيخه ابي العباس رضي الله
حين عزم على التجريد وترك ما كان عليه من الاشتغال بالعلم الظاهر
وما اجابه به الشيخ رضي الله عنه وهذا من نتايج العلم بالله تعالى
ومعرفة ربوبيته فان تسخط تلك الحال وتشوف الى الانتقال
عنها بنفسه واراد ان يحدث غير ما اظهره الله تعالى فقد بلغ غاية
الجهل بربه واساء الادب في حضرة مولاه عز وجل وهذا من
معارضة حكم الوقت الذي تشير اليه الصوفية وهو عندهم من اعظم

ذنوب الخاصه فالواجب على العبد الاستسلام لحكم الله تعالى في ذلك
الوقت فهو ادب العبودية ومقتضى العلم بالله تعالى وهذا هو احد
معاني لفظ الوقت في اصطلاحهم قال الامام ابو القاسم القشيري
رضي الله عنه وقد يريدون بالوقت ما يصادفهم من تصريف الحق
لهم دون ما يختارون لانفسهم ويقولون فلان بحكم الوقت اي انه
مستسلم لما يبدو من الغيب من غير اختيار وهذا فيما ليس لله عز وجل
عليهم فيه امر واقتضاء بحق شرع اذ التضييع لما امرت به واحالة
الامر فيه على التقدير وترك المبالاة بما يحصل منك من التقصير خروج
عن الدين ومن كلامهم الوقت سيف اي كما ان السيف قاطع فالوقت
بما يمضيه الحق ويجريه غالب وقيل السيف لين مسه قاطع حده
فمن لاينه سلم ومن خاشنه اصطلم كذلك الوقت من استسلم لحكمه نجى
ومن عارضه بترك الرضى انتكس وتردى وانشدوا
وكالسيف ان لاينته لان مسه ° وحداه ان خاشنته خشنان
ومن ساعده الوقت فالوقت له وقت ومن ناكره الوقت فالوقت عليه
مقت هذا الكلام للامام ابي القاسم القشيري وهو موافق لما ذكره
صاحب الكتاب والله اعلم ما توقف مطلب انت طالبه بربك ولا
تيسر مطلب انت طالبه بنفسك من انزل حوائجه بالله تعالى
والتجى اليه وتوكل في امره كله عليه كفاه كل مؤنة وقرب عليه كل
بعيد ويسر عليه كل عسير ومن سكن الى علمه وعقله واعتمد
على قوته وحوله وكله الله تعالى الى نفسه وخذله واحرمه توفيقه
واهمله فلم ينجح مطالبه ولم تيسر مآربه وهذا معلوم على القطع من
نصوص الشريعة وانواع التجارب الى المشيئة يستند كل شي
ووقوع ما لم يشا الله تعالى محال ولا تستند هي الى شي لاستحالة وجود
النقص فيما يجب لها الكمال وفي هذه العبارة اشارة الى احكام ادراك
وفقد الاسباب والعلل فيجب على العبد ان يبني عليها اعماله واحواله كلها

العبودية بقوله لافتقار وبديع التدبير والاختيار لمن بيده ذلك وهذا
هو ادب التوحيد جعلنا الله من اهله بمنه وفضله قال ابو بكر
محمد بن موسى الواسطي رضي الله عنه ان الله تعالى لا يقرب فقيرا
لاجل فقره ولا يبعد غنيا لاجل غناه وليس للاعراض عنده خطر
حتى بها يصل وبها يقطع ولو بذلت له الدنيا والاخرة ما وصلت اليه
بها ولو اخذت كلها ما قطعك بها قرب من قرب من غير علة وقطع
من قطع من غير علة كما قال تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فما له
من نور وقال ايضا رضي الله تعالى عنه ما خالفه احد ولا وافقه كلهم
مستعملون بمشيته وقدرته الى يكون الوفاق والخلاف وهو يقلب
الليل والنهار بما فيهما وهو قايم على الاشيا وبالاشيا في بقايها
وفنايها لا يونسه وجد ولا يوحشه فقد بل لا فقد ولا وجد انما
هي رسوم تحت الرسوم الغافل اذا اصبح نظر فيما ذا يفعل والعاقل
ينظر ماذا يفعل الله به اول خاطر يرد على العبد هو ميزان توحيده فالغافل
اذا اصبح اول خاطر يرد عليه نسبة الفعل الى نفسه فيقول ماذا افعل
اليوم فهو مشتغل بتدبير نفسه مصروف عن النظر الى مولاه وذلك
لوجود غفلته عنه فهو حقيق بان يكله الله تعالى الى نفسه فيتشتت
عليه قلبه ويتنغص عليه مراده والعاقل اول خاطر يرد عليه نسبة
الفعل الى الله تعالى فيقول ماذا يفعل الله تعالى بي فهو ناظر الى الله
تعالى والى ما يرد عليه منه وذلك لوجود عقله ودوام يقظته فلا
جرم يكفيه الله تعالى تعلقات الامال ويفرغه من جميع الاشغال
ويرضيه ويقر عينه بما يقيمه فيه من اعمال او يورده عليه من
احوال وهذه سعادة عظيمة ومنة من الله تعالى لمن وليه من
عباده جسيمة قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه اصبحت
وما لي سرور الا في مواقع القدر وقال ابو عثمان رضي الله عنه
منذ اربعين سنة ما اقامني الله في حال فكرهته ولا نقلني الى غيره

فسخطته ومن اصلح ما رايته في هذا المعنى الذي ذكره المولف وما يجب ان يحذو
على مثاله كل عاقل متصوف ما ذكره الشيخ ابو القاسم عبد الرحمن الصقلي
رضي الله عنه في كتاب صفة الاولياء ومراتب احوال الاصفياء باسناده
الى يوسف بن بشر الطالقاني قال حدثنا رجل من اصحابنا قال رايت
رجلا في مرج الديباج ليس معه شي فدنوت منه فسلمت عليه فرد علي
السلام فقلت يرحمك الله اين تريد فقال لا ادري قلت هل رايت
احدا يريد مكانا لا يدري اين يذهب فقال انا واحد قلت فاين تنوي
قال الى مكة قلت تنوي مكة ولا تدري اين تذهب قال نعم وذلك
اني كم مرة اردت ان اذهب الى مكة فيردني الى طرطوس وكم مرة
اردت طرطوس فيردني الى عبادان فيبقيني الى مكة ولا ادري قلت
ممن ابن المعاش قال لا ادري قلت اخبرني باسباب ذلك قال
من حيث يريد يجيعني مرة ويشبعني مرة ويكرمني مرة ويهينني مرة
ومرة يقول لي ما على الارض ازهد منك ومرة يقول لي انت لص
ومرة ينيمني على النواشر ويطعمني الطيب ويدهن راسي ويكحل عيني
ومرة يطردني الطرد العنيف ولا ينيمني الا عند النواويس قلت
يرحمك الله من يفعل ذلك بك قال الله عز وجل فالقاني في بحر
قلت فسر لي رحمك الله كيف هذا قال انا رجل اسير نهاري فاذا
جنني الليل بت فربما ياويني الليل الى قريتي فاذا نظر الي اهلها
قال بعضهم لبعض هذا لص لا تدعون هذا ياوي الليلة الى هذه القرية
فاذا صلينا العشاء الاخرة يدخل المسجد رجل فيقول يا نايم فاقول لبيك
فيقول لي بالعنف قم من ها هنا ليس لك ها هنا موضع فاقول له نعم وكرامة
فاين ابيت الليلة فيقول خارج النواويس فاقول نعم وكرامة فلا يكون لي
ماوى الا عند النواويس تلك الليلة فاذا اصبحت سرت فاواني الليل
الى قرية فاذا راني اهلها قال بعضهم لبعض قد ورد علينا الليلة رجل
صالح زاهد خير فاضل فيقول هذا عندي يبيت ويقول هذا عندي يبيت

فاذا صليت العشاء الاخيرة فيقول رجل منهم قم بنا الى البيت فاقول
حبا وكرامة فامضي معه الى المنزل فياتيني بالطعام الطيب ويدهن
راسي ويكحل عيني وياتيني بالفراش اللين فينيمني عليه ولا يدع
شيا من البر الا فعله بي حتى اصبح فهذا حالي مع سيدي قلت يرحمك
الله متى قدرت انك تدخل بغداد فان منزلي في موضع كذا وكذا
قال فانا يوم قاعد فاذا انسان يدق الباب فخرجت فاذا انا بصاحبي
فسلمت عليه وادخلته البيت وقلت له ايش صنع معك مولاك
فقال اخر ما فعل بي ضربني ضربا شديدا وقال لي يا لص ثم اراني
ظهره فاذا اثر الضرب عليه فقلت له ايش القصة قال كان اجاعني
جوعا شديدا فلما بلغت الانبار جيت الى مقثاة قد نبذ فيها المدود
والمر فقعدت اكل منه فنظر الي صاحب المقثاة فاقبل الي بعصاة
فجعل يضرب ظهري ويقول يا لص ما اخرب مقثاتي غيرك منذ كم ارصدك
حتى وقعت علينا فاذا بفارس قد اقبل مسرعا اليه فقلب السوط
في راسه وقال تعمد الى رجل زاهد تضربه وتقول له يا لص
قال فما كان بي ان كنت عنده لصا اذ صرت عنده زاهدا الا كما
حدثتك قال فاخذ بيدي صاحب المقثاة فذهب بي الى منزله
فما ابقى من الكرامة شيا الا واستحلني فخرجت من عنده وجيت اليك
وقد يكون من معنى نظره الى ما يفعل الله به ان ينظر الى ما
يرد على قلبه من الاشارة من قلبه فيكون اقدامه واحجامه
بوجود بصيرة وحسن توفيق وهذا ميراث شريف اقتضاه
دوام التجاية وصدق افتقاره قال سيدي ابو مدين رضي
الله عنه احرص ان تمسي وتصبح مفوضا مستسلما لله ينظر اليك
فيرحمك وقال بعضهم من اهتدى الى الحق لم يهتد الى نفسه
ومن اهتدى الى نفسه لم يهتد الى الله تعالى فانظر اذا استقبلك
شغل فان عاد قلبك في اول وهلة الى حولك وقوتك فانت المنقطع

عنه وان عاد قلبك الى الله تعالى فانت الواصل الى الله وكل العالم
في قبضته وتخصص اهل الوصلة بانهم في كنف اوليائه ولا يكلهم
الى غيره فاعتبر هذا المعنى بعمرة الحديبية وذلك ان النبي صلى
الله عليه وسلم لما صده المشركون فيها عن مكة ومنعوه من ان يتم
بين اظهرهم نسكه رجع في الحال عن تلك العمرة ولم يتعرض لهم بما يحصل
له به في الظاهر عزة او نصرة بعد ما كان دعا اليه من بيعة الرضوان
تحت الشجرة وما عزم عليه من مناجزة من حاده من اهل الكفر
وعمل في ذلك على ما اظهره الله له من اياته العظام عند بروك
ناقته لما اراد توجيهها الى البيت الحرام وقال حينئذ نظرا
لما قصده ومقررا لما اعتمده انما حبسها حابس الفيل لا تدعوني اليوم
قريش الى خطة فيها صلة الرحم الا اجبتهم اليها فكان كما قال
صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم صالحهم على وضع الحرب فيما بينهم عشر
سنين ليتقلبوا في الارض امنين فلما استحكمت بينهم الصلح وانزل
الله تعالى سورة الفتح ظهرت الفوائد التي تضمنها ذلك التدبير
الحسن وقرت اعين الصحابة رضي الله عنهم بما ابرزه اليهم
من الطاف ومنن وقد صح بجمعني جميع ما قلنا الخبر ونقله الينا
علماء الحديث والسير وليكن من دعاء صاحب هذا المقام ومناجاته
ليتوافق عقده وقوله في جميع تصرفاته اللهم اني اصبحت لا املك
لنفسي ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ولا استطيع ان
اخذ الا ما اعطيتني ولا ان اتقي الا ما وقيتني اللهم وفقني لما
تحبه وترضاه من القول والعمل في عافية انك ذو الفضل العظيم
ولنقل ايضا ما رايته لسيدي ابي الحسن الشاذلي رضي الله
عنه اللهم ان الامر عندك وهو محجوب عني ولا اعلم امرا اختاره
لنفسي فكن انت المختار لي واحملني في اجمل الامور عندك واحمدها
عاقبة في الدين والدنيا والاخرة انك على كل شيء قدير باب

الصبر

الصبر على البلايا والشدايد اذا فتح لك وجهة من التعرف فلا تبال
معها ان قل عملك فانه ما فتحها لك الا وهو يريد ان يتعرف اليك الم
تعلم ان التعرف هو مورده عليك والاعمال انت مهديها اليه واين
ما تهديه اليه مما هو مورده عليك معرفة الله تعالى هي غاية المطالب
ونهاية الامال والمارب فاذا واجه الله تعالى عبده ببعض اسبابها
وفتح له باب التعرف له منها واوجد سكينة وطمانينة فيها فذلك
من النعم الجزيلة عليه فينبغي ان لا يكترث بما يفوته بسبب ذلك
من اعمال البر وما يترتب عليها من جزيل الاجر وليعلم انه سلك
به مسلك الخاصة المقربين المودي الى حقايق التوحيد واليقين
من غير اكتساب من العبد ولا تعمل والاعمال التي من شانه
ان يتلبس بها هي باكتسابه وبعمله فلا تسلم من دخول الافات
عليها والمطالبة بوجود الاخلاص فيها وقد لا يحصل له ما
امله من الثواب عند مناقشة الحساب واين احدهما من الاخر
ومثال ذلك ما يصاب به الانسان من البلايا والشدايد التي تنغص
عليه لذات الدنيا وتمنعه من تكثير اعمال البر فان مراد الانسان
ان يستمر بقاوه في دنياه طيب العيش ناعم البال ويكون حاله في
طلب سعادة الاخرة حال المترفهين المتودعين فلا تسخو نفسه
الا بالاعمال الظاهرة التي لا كبير مونة عليه فيها ولا مشقة
ولا يقطع عليه لذة ولا تفوته شهوة ومراد الله عز وجل منه ان
يطهره من اخلاقه اللئيمة ويحول بينه وبين صفاته الذميمة
ويخرجه عن اسر وجوده الى متسع شهوده ولا سبيل له الى الوصول
الى هذا المقام على غاية الكمال والتمام الا بما يضاد مراده ويشوش
عليه معتاده ويكون حاله حينئذ المعاملة بالباطن ولا مناسبة
بين هذا وبين الاعمال الظاهرة فاذا فهم هذا علم ان اختيار
الله تعالى له ومراده خير له من اختياره لنفسه ومراده لها

وقد روي ان الله تعالى اوحى الى بعض انبيائه عليهم السلام انزلت
بعبدي بلائي فدعاني فماطلته بالاجابة فشكاني فقلت عبدي كيف ارحمك
من شيء به ارحمك وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى اذا ابتليت عبدي المومن فلم يشكني
الى عواده انشطته من عقالي وابدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه
ويستانف العمل وروى عن سعيد المقبري قال سمعت ابا هريرة رضي
الله عنه يقول قال الله تبارك وتعالى اني ابتليت عبدي المومن فاذا لم
يشكني الى عواده حللت عنه عقدي وبدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا
من دمه ثم قلت له ايتنف العمل وقال ابو عبد الله محمد بن علي الترمذي
رضي الله عنه ولقد مرضت في سالف ايامي مرضة فلما شفاني الله تعالى
منها تمثلت في نفسي ما دبر الله لي من هذه العلة في مقدار هذه المدة
وبين عبادة الثقلين في قدر ايام علتي فقلت لو خيرت بين هذه
العلة وبين ان يكون لي عبادة الثقلين في مقدار مدتها الى ايهما اميل
اختيارا فصح عزمي ودام يقيني ووقفت بصيرتي ان مختار الله تعالى لي
اكثر شرفا واعظم اجرا وانفع عاقبة وهي العلة التي دبرها لي ولا
شوب فيه اذ كان فعله فشتان ما بين فعل ربك لتتجوبه وبين فعلك
لتتجوبه فلما رايت هذا دق في عيني عبادة الثقلين في مقدار هذه
المدة في جنب ما اتاني فصارت العلة عندي نعمة وصارت النقمة
منة وصارت المحنة املا وصار الامر عطفا فقلت في نفسي بهذا
كانوا يستمرون في البلاء على طيب النفوس مع الحق فهذا الذي انكشف
كانوا يفرحون بالبلايا انتهى فهذه وجهة التعرف التي فتحها الله
تعالى له وحصلت له الغبطة بها واثرها على عبادة الثقلين والله
اعلم فاذا اورد الله تعالى على العبد شيئا من البلايا فليستشعر
ما ذكرناه وليجعله نصب عينيه وليجدد تذكاره على نفسه حتى
يحصل له من السكون والطمانينة ما يحمل عنه اثقال ذلك ويزيل عنه

مرارته

مرارته ويوجد حلاوته وعند ذلك يكون حاله في بلائه حال
الشاكرين من الفرح والاغتباط به فيرى من حق شكره ان ياتي بما يمكنه
من اعمال البر واعتبر جميع ما قلناه في هذه المسالة بالحكاية التي ذكرها
ابو العباس بن العريف رحمه الله تعالى في كتابه مفتاح السعادة ومنهاج طريق
الارادة قال فيه كان بالمغرب عمره الله بالاسلام رجل يدعى ابا
الخير رحمه الله ونفعنا بذكره اصله من صقلية وموطنه بغداد وجاوز سنه
التسعين وهو في الرق لم يعتقه مولاه وذلك منه عن قصد واختيار وهو
مبتلى بالجذام ورائحة المسك توجد منه على مسافة بعيدة قال الذي
حدثني رايته يصلي على المايم لقيته بجامع محمد الاسعي فاذا هو ابرص فقلت
له يا سيدي كان الله تعالى لم يجد للبلاء محلا من اعدائه حتى انزله بكم
وانتم خاصة اوليائه قال فقال لي اسكت لا تقل كذلك انه لما اشرفنا
على خزائن العطا لم نجد عنده شيئا اشرف ولا اقرب اليه من البلا فسالناه
اياه فكيف بك لو رايت سيد الزهاد وقطب العباد وامام الاولياء
والاوتاد في غار بارض طرسوس وجاهلحمه يتناثر وجسده يسيل قيحا
وصديدا وقد احاط به الذباب والنمل فاذا كان الليل لم يقنع بذكر
الله وشكره على ما اعطاه من الرحمة واسكن جسده من العافية حتى
يشد نفسه بالحديد ويستقبل القبلة عامة ليله حتى يطلع الفجر انتهى
وسياتي شيء من كلام المولف رحمه الله تعالى في هذا المعنى والتنبيه عليه
والله سبحانه ولي التوفيق **لا تستغرب وقوع الاكدار ما دمت فيها
في هذه الدار فانها ابرزت ما هو مستحق وصفها وواجب نعتها**
جعل الله تعالى الدنيا دار فتنة وابتلاء ليعمل كل واحد فيها على مقتضى ما
سبق له ويوفى جزاءه في الدار الآخرة قال الله تعالى ونبلوكم بالشر
والخير فتنة وعمل كل احد فيها انما هو مخالفة شهوات نفسه او موافقتها
وذلك لا محالة يستدعي وجود محبوب او مكروه يفعل او يترك من
ضروريات الدنيا وجدان المكاره والمشاق فيها فتقع الاكدار بسبب

سلوك صح

ذلك وايضا فحاصل الدنيا امور وهمية انقادت طباع الناس اليها وهي لا
تفي بجميع مطالبهم لضيقها وقلتها وسرعة تقضيها وتقلبها وتجاذبها بينهم
فتكدر عيشهم ولم يحصلوا على كلية اغراضهم كما قيل

اري اشقياء الناس لا يسامونها ٭ على انهم فيها عراة وجوع
اراها وان كانت قليلا كانها ٭ سحابة صيف عن قليل تقشع

فلا تستغرب وقوع امثال هذا فانه ما ظهر منها الا ما هو مستحق وصفها
وواجب نعتها من وجدان المكاره التي هي ذاتيتها قال بعض الحكما
لولا ان الدنيا مبنية على المكاره لجعلت منفعة الاهليلج في اللوزينج
وقد مر التنبيه على الحكمة في هذا عند قوله انما جعلها محلا للاغيار ومعدنا
لوجود الاكدار تزهيدا لك فيها وفي بعض الحكايات المنقولة عن جعفر
الصادق رضي الله عنه انه قال من طلب ما لم يخلق اتعب نفسه ولم يرزق
فقيل له وما ذاك قال الراحة في الدنيا وفي معناه انشدوا

تطلب الراحة في دار الفنى ٭ خاب من يطلب شيا لا يكون

وقال بعض البلغا ملتمس السلامة في دار المتالف والمعاطب كالمتبرع
على مزاحف الحيات ومداب العقارب وقال ابن مسعود رضي
الله عنه الدنيا كلها غموم فمن كان منها في سرور فهو ربح وقال
الجنيد رضي الله عنه لست استبشع ما يرد علي من العالم لاني قد اصلت
اصلا وهو ان الدار دار هم وغم وبلاء وفتنة وان العالم كله شر
ومن حكمه ان يتلقاني بكل ما اكره فان تلقاني بكل ما احب فهو فضل
والا فالاصل هو الاول وقال ابو تراب رضي الله عنه يا ايها الناس
انتم تحبون ثلثة اشياء ليس هي لكم تحبون النفس وهي لله وتحبون
الروح والروح لله وتحبون المال والمال للورثة وتطلبون اثنين
ولا تجدونهما الراحة والفرح وهما في الجنة فالواجب على العبد ان لا
يوطن على الراحة في الدنيا نفسا ولا يركن منها الى ما يقتضي فرحا وانسا
ويعمل على قول النبي صلى الله عليه وسلم ما روى عنه ابو هريرة رضي الله عنه

الدنيا سجن المومن فيتوطن العبد على المحن في الدنيا يهون عليه ما
يلقاه ويجد السلوان عند فقدان ما يهواه كما قيل

يمثل ذو اللب في لبه ٭ شدايده قبل ان تنزلا
فان نزلت بغتة لم ترعه ٭ لما كان في نفسه مثلا
راى الامر يفضي الى اخر ٭ فصير اخره اولا
وذو الجهل يامن ايامه ٭ وينسى مصارع ما قد خلا
فان دهمته صروف الزمان ٭ لبعض مصايبه اعولا
ولو قدم الحزم في نفسه ٭ لعلمه الصبر عند البلا

فليلتق المريد ما يرد عليه من ذلك بالصبر والرضا والهنا
والاستسلام عند جريان القضا ومن قريب ان شا الله ينجلي الامر
ويستوجب من الله جزيل الاجر والله تعالى ولي التوفيق قال
احمد بن ابي الحواري رضي الله عنه قال لي ابو سليمان الداراني جوع
قليل وعري قليل وذل قليل وصبر قليل وقد انقضت عنك ايام
الدنيا واعلم ان ما ذكرناه من الصبر هو جماع كل فضيلة وملاك كل
فايدة جزيلة ومكرمة نبيلة قال الله عز وجل وتمت كلمة ربك
الحسنى على بني اسرايل بما صبروا وقال تعالى وجعلنا منهم ايمة
يهدون بامرنا لما صبروا وقال عز من قايل انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب وفي وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن
عباس رضي الله عنهما ان استطعت ان تعمل لله بالرضا في اليقين فافعل
فان لم تستطع فاصبر فان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا واعلم ان النصر
مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان اليسر مع العسر وقال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه لرجل ان صبرت مضى امر الله وكنت ماجورا وان جزعت
مضى امر الله وكنت مازورا قال علي رضي الله عنه الصبر مطية لا
تكبو وسيف لا ينبو وقال ابن عباس رضي الله عنهما افضل العمل
الصبر عند الشدة وفي بعض الاخبار انتظار الفرج بالصبر عبادة وقد

قال الشاعر

ان الامور اذا اشتدت مسالكها ، فالصبر يفتح منها كلما ارتتجا
اخلق بذا الصبر ان تحضى بحاجته ، ومدمن القرع للابواب ان يلجا
لا تيايس وان طالت مطالبة ، اذا استعنت بصبر ان ترى فرجا

فمن جعل الصبر معتمده في نوازله واعتد منه اعظم عدده ووسايله فهو
مصيب في رايه منجح لسعيه ومن جزع من المصايب واضطرب عند
وقوع النوايب كان عاملا فيما يزيده حزنا ويكسبه وزرا ويفوته
اجرا وناهيك به خسرا كما قيل

واذا تصبك مصيبة فاصبر لها ، عظمت مصيبة مبتلا لا يصبر

وكما قيل ايضا

وعوضت اجرا من فقيد فلا تكن ، فقيدك لا ياتي واجرك يذهب

**ليخفف الم البلا عنك علمك بانه سبحانه هو المبتلي لك فالذي
واجهتك منه الاقدار هو الذي عودك حسن الاختيار** اذا علم
العبد ان الله تعالى رحيم به ومتعطف عليه وناظر له فكل ما يورده
عليه من انواع البلايا والرزايا ينبغي له ان لا يكترث بذلك ولا
يباليه فانه لم يتعود منه الا خيرا فليحسن به ظنه وليعتقد ان ذلك
اختيارا وان له في ذلك مصالح خفيه لا يعلمها هو كما قال تعالى وعسى
ان تكرهوا شيا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيا وهو شر لكم قال
ابو طالب المكي رضي الله عنه في هذه الايه فالعبد يكره العيلة والخمول والفقر
والضر وهو خير له في الاخرة ويحب الغنا والعوافي والشهرة وهو شر
له عند الله تعالى واسوء عاقبة وفي معنى قوله عز وجل اسبغ عليكم نعمه
ظاهرة وباطنة قيل الظاهرة العوافي والباطنة البلايا لانها نعمة الاخرة
فاذا كل ما يصيب المومن فهو نعمة كاين ما كان فله الحمد على نعمه قال
في التنوير انما يقويهم على حمل اقداره شهود حسن اختياره وانشد في النفس

وخفف عني ما الاقي من العنا ، لانك انت المبتلي والمقدر

وما لامرئ عما قضى الله معدل ، وليس له منه الذي يتخير

وكان الاستاذ ابو علي رضي الله عنه يقول جربت مرة وكنت في
صورة وحيشة من ذلك فدخلت الحمام ففتح على قلبي بشي من الرضا
فكنت التم كل واحد من تلك القروح فخرجت ولم يبق منها اثر وقال
الاستاذ ابو القسم القشيري رضي الله عنه سمعت الاستاذ سمعت
ابا علي الدقاق رضي الله عنه يقول في اخر عمره وقد اشتدت به
العلة من امارات التاييد حفظ التوحيد في اوقات الحكم ثم قال
كالمفسر لقوله مشيرا الى ما كان فيه من حاله هو ان يقرضك بمقاريض
القدر في امضاء الاحكام قطعة قطعة وانت ساكن خامد قال
الجنيد رضي الله عنه كنت نايما عند السري السقطي رضي الله
عنه فانبهني وقال لي يا جنيد رايت كاني وقفت بين يديه
فقال لي يا سري خلقت الخلق فكلهم ادعوا محبتي وخلقت الدنيا
فهرب مني تسعة اعشارهم وبقي معي العشر وخلقت الجنة فهرب
مني تسعة اعشار العشر وبقي معي عشر العشر وخلقت النار فهرب
مني تسعة اعشار عشر العشر فسلطت عليهم ذرة من البلا فهرب
مني تسعة اعشار عشر العشر فقلت للباقين معي لا الدنيا اردتم
ولا الجنة اخذتم ولا من النار هربتم ولا من البلاء فررتم فما ذا
تريدون قالوا انك لتعلم ما نريد فقلت لهم اني مسلط عليكم من
البلاء بعدد انفاسكم ما لا تقوم له الجبال الرواسي اتصبرون قالوا
اذا كنت انت المبتلي فافعل ما شيت فهولاء عبادي حقا **من ظن
انفكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره** قصور النظر في عدم
روية اللطف في القدر من ضعف اليقين وقلة حسن الظن
بالمقدر الحكيم اذ لو كمل نظر العبد وقوي بصره لراى في ذلك
من الفوايد والمصالح ما لا يحصى وما غاب عنه اكثر ولكان
كما روي عن بعض الصالحين العارفين انه قال لقد مرضت مرضة

فاحببت ان لا تزول وكان عمران بن الحصين رضي الله عنه قد
استسقى بطنه فلبث ملقى على ظهره سطيحا ثلاثين سنة لا يقوم
ولا يقعد قد نقب له على سرير من جريد وكان تحته نقب لغايطه وبوله
فدخل عليه مطرف او اخوه العلا بن الشخير فجعل يبكي لما راى من حاله
فقال لم تبكي قال لاني رايتك على هذه الحالة العظيمة قال لا تبك فان
احبه الي احبه الى الله تعالى ثم قال احدثك بشي لعل الله ينفعك
به واكتم علي حتى اموت ان الملايكة تزورني فانس بها وتسلم علي فاسمع
تسليمها وقال بعضهم دخلنا على سويد بن شعبة نعوده فراينا
ثوبا ملقى فما ظننا ان تحته شيا حتى كشف لنا فقالت له امراته اهلي
فداوك ما نطعمك ما نسقيك فقال طالت الضجعة ودبرت الحراقيف
واصبحت نضوا ما اطعم طعاما ولا اسيغ شرابا منذ كذا فذكر اياما ثم قال
ما يسرني اني نقصت من هذا قلامة ظفر فهولاء شاهدوا في بلاياه
عطاياه وفي محنه منحه وفي عنفه لطفه فاوجب لهم ذلك من الرضا
بما هم فيه والتنعم به والتلذذ ما حملهم على ان لا يحبوا زوال ذلك
عنهم ولا انتقاصه ووجوه الالطاف والمنن في البلايا لا تحصى
ولكننا نذكر منها هاهنا ما يزداد المريد به قوة وحسن ظن بربه
عز وجل ويحمله ذلك على القيام بواجبها فنقول البلايا التي يبتلي
الله تعالى بها عباده مناقضة لارادتهم منغصة لشهواتهم وكلما
ازعج النفس ونغصها والمها فهو محمود العاقبة من قبل ان ذلك راد
له الى الله تعالى وملازمة بابه بصدق اللجا والافتقار وهذا
هو اعظم فوايد البلايا ويجد ذلك من نفسه كل من نزلت به بلية
او اصابته رزية وفيها ايضا ضعف النفس وذهاب قوتها و
بطلان صفاتها اذ بوجود ذلك يقع العبد في الذنوب والمعاصي
ويتاكد منه الرغبة في الدنيا والحرص على اتباع الهوى وقد قيل
لا يخلو المومن من علة او عيلة او قلة او ذلة وفي الخبر عن الله
تعالى

تعالى الفقر سجني والمرض قيدي احبس بذلك من احببت من عبادي وفيها
ايضا يحصل له طاعة القلوب واعمالها وذرة منها خير من امثال الجبال
من اعمال الجوارح وذلك مثل الصبر والرضا والزهد والتوكل وحب الله
تعالى قيل لعبد الواحد بن زيد رضي الله عنه هاهنا رجل قد تعبد خمسين سنة
فقصده فقال له حبيبي اخبرني عنك هل قنعت به قال لا قال فهل
انست به قال لا قال فهل رضيت عنه قال لا قال فانما مزيدك منه الصلاة
والصيام قال نعم قال لولا اني استحيي منك لاخبرتك ان معاملتك خمسين
سنة مدخولة وقال ابو طالب المكي رضي الله عنه اراد بذلك انه لم
يرفعك باعمالك الى مقامات المقربين فيوجدك مواجيد العارفين فيكون
مزيدك منه اعمال القلوب التي يستعمل بها كل محبوب مطلوب لان
القناعة به حال الموقن والانس به مقام المحبة والرضا وصف المتوكل
اي انما انت عنده في طبقة اصحاب اليمين فمزيدك منه مزيد العموم
من اعمال الجوارح وهذا اشارة الى ما قلناه من فضلية اعمال
القلوب على اعمال الجوارح فمن وفقه الله تعالى الى منازل هذه
المقامات وتوفية حقوقها في البلايا النازلة به فقد حصل على كل
كنوز البر ذكر ابو ابرهيم اسحق بن ابرهيم التجيبي القرطبي المالكي
رحمه الله في كتاب النصايح له ان عروة بن الزبير رضي الله عنه اصيب
بقرحة في ساقه بلغت به الى نشر عظم ساقه في الموضع الصحيح منها
فقال له الاطبا الا نسقيك مرقدا فلا تحس ما يصنع بك فقال لا ولكنكم
شانكم بها فنشرت الساق ثم حسموها بالنار فما حرك عضوا ولا انكروا منه
حتى مسته النار فما زاد على ان قال حس واصيب حينيذ بابنه محمد
وكان من احب ولده اليه فلما راى القدم بيد بعضهم قال اما ان الله
يعلم اني لم امش بها الى معصية قط ثم قال يا غلام اغسلها وكفنها وادفنها
في مقابر المسلمين ثم جعل يقول اللهم لين اخذت لقد ابقيت
ولين ابتليت لقد عافيت ولين اخذت لطالما اعطيت وذكر ابن قتيبة

في عيون الاخبار له عن المدايني قال قدم رجل من عبس ضرير محطوم
الوجه على الوليد فساله عن سبب ضرره فقال بت ليلة في بطن واد
ولا اعلم على وجه الارض عبسيا يزيد ماله على مالي فطرقنا سيل اذهب
ما كان لي من مال واهل وولد الا صبيا رضيعا وبعيرا صعبا فند
البعير والصبي معي فوضعته واتبعت البعير لاحبسه فما جاوزت
الا وراس الذيب في بطنه قد اكله فتركته واتبعت البعير فاستدار
فرمحني رمحة حطم بها وجهي واذهب عيني فاصبحت لا ذا مال
ولا ذا اهل ولا ذا ولد ولا ذا بدن فقال الوليد اذهبوا به
الى عروة ليعلم ان في الناس من هو اعظم بلاء منه وروى عبد الواحد
ابن زيد رضي الله عنه انه خرج مع بعض اخوانه الى ناحية من نواحي
البصرة فاواهم السيل الى كهف جبل فاذا فيه عبد مقطع بالجذام
يسيل جسده قيحا وصديدا فقالوا له يا هذا لو دخلت البصرة
فعالجت من هذا الذي بك فرفع طرفه الى السماء وقال يا سيدي
باي ذنب سلطت علي هولاء يسخطوني عليك ويكرهوك الي
سيدي لك العتبى من ذلك الذنب واستغفرك لا اعود فيه ابدا
قال ثم اعرض عنا بوجهه فانصرفنا وتركناه وروى عن بشر
ابن الحارث الحافي رضي الله عنه انه قال رايت ببغداد رجلا
قد قطعه البلا وقد سالت حدقتاه على خديه وهو في ذلك
كثير الذكر عظيم الشكر لله تعالى قال واذ هو قد صرع من جنة
به قال فوضعت راسه في حجري وجعلت اسال الله تعالى ان
يكشف ما به وادعو فافاق وسمع دعاي وقال من هذا الفضولي
الذي يدخل بيني وبين ربي ويعترض عليه في نعمته على ونحى راسه
من حجري قال بشر فاعتقدت ان لا اعترض على عبد في نعمة
اراها عليه من البلا وقد روي في بعض الاخبار ان يونس
وجبريل عليهما السلام التقيا فقال يونس لجبريل دلني على اعبد اهل الارض

فاتى

فاتى به على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه قال واذا هو يقول
متعتني بهما حيث شيت وسلبتني بهما حيث شيت وابقيت لي فيك
الامل يا بر يا وصول فقال يونس يا جبريل اني انما سالتك ان تريني
صواما قواما قال انه هذا قبل البلا هكذا وقد امرت ان اسلبه بصره
فاشار الى عينيه فسالتا فقال متعتني بهما حيث شيت وسلبتنيهما
حيث شيت وابقيت لي فيك الامل يا بر يا وصول فقال جبريل هلم
تدعو وندعو معك ان يرد الله عليك يديك ورجليك وبصرك فتعود
الى العبادة التي كنت فيها فقال ما احب ذلك قال ولم قال اذا كانت
محبته في هذا فمحبته احب الي من ذلك قال يونس يا جبريل ما رايت
احدا اعبد من هذا فقال جبريل عليه السلام يا يونس ان هذا طريق
ليس يوصل الى رضاه بشي افضل منه وفي الخبر اذا احب الله تعالى
عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضي اصطفاه وفيه ايضا
يحصل له كفارة الذنوب والخطايا ويستوجب من الله تعالى
جزيل الهبات والعطايا ولا سبيل له الى ذلك الا بما يرد عليه من
انواع البلايا لان العبد قد يعجز عن القيام بوظايف الطاعات
ويتكاسل عن المواظبة عن نوافل الخيرات فيكون العبد حينئذ
محروما من ثوابها غير حاصل له تكفير سياته بها وان قدر عليها ولم
يتكاسل عنها من له بتخليصها عن الشوايب وتسليمها من الافات والمعا
وحينيذ يبطل عمله ويخيب من انتفاعه به امله فليحبس العبد ظنه
بمولاه وليعلم ان ما اختاره له خير مما يختاره لنفسه بشهوته وهواه
فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال للرجل الذي
قال له اوصني لا تتهم الله في شي قضاه عليك وذكر مسلم رحمه الله
من حديث صهيب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عجبا لامر المومن ان امره كله له خير وليس ذلك لاحد الذي هو صحيح
الوصي الا للمومن ان اصابته سراء شكر فكان خيرا له وان اصابته

صبر واحتسب فكان خيرا له وذكر البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث
ابي هريرة وابي سعيد الخدري رضي الله عنهما انهما سمعا رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ما يصيب المومن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن
حتى الهم يهمه الا كفر به من سياته وذكر ايضا من حديث عبد الله
ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما من مسلم يصيبه اذى من مرض فما سواه الا حط عنه به سياته كما
تحط الشجرة ورقها وذكر البخاري ومسلم ايضا من حديث عايشة
رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يشاك
بشوكة فما فوقها الا كتبت له درجة ومحيت عنه بها خطيئة وذكر البخاري
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من يرد الله به خيرا يصب منه وفي حديث انس بن مالك رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المريض اذا برى وصح
من مرضه كمثل البردة تقع من السماء في صفائها ولونها وروى عن
عيسى عليه السلام انه قال لا يكون عالما من لم يفرح بدخول المصايب
والامراض على جسده وماله لما يرجو بذلك من كفارة خطاياه وروي
عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اخبار كثيرة في الحمى والعما وغير ذلك
ذكر البزار من حديث ابي سعيد الخدري رضي الله عنه انه دخل على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه وعليه حمى فوجد حرها
من فوق اللحاف فقال ما اشدها عليك يا رسول الله قال انا كذلك
كذلك يشدد علينا البلا ويضاعف لنا الاجر قال يا رسول الله
اي الناس اشد بلاء قال الانبياء ثم الصالحون ان كان احدهم ليبتلى
بالفقر حتى ما يجد الا عباءة يجوبها وان كان احدهم ليبتلى بالقمل حتى يقتله
وان كان احدهم ليفرح بالبلا كما يفرح احدكم بالرخا وقيل في معنى
قوله تعالى رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين اي من الاثام
والذنوب بالحمى والامراض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروي

عنه الحمى اذهبي الى اهل قبا وقد روي في بعض الاخبار بدلا
من اهل قبا الانصار ففيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى
يوما شخصا اسود فقال من انت فقالت ام ملدم صورة الحمى فقال عليه
الصلاة والسلام اذهبي الى الانصار فان لهم علينا حقوقا فاصبح
النبي صلى الله عليه وسلم فلم ير احدا من الانصار حضر الصلاة فطلبهم
فقيل اخذتهم الحمى قال قوموا بنا نعدهم وقد سلط الحمى طهارة وكفارة
فقالوا يا رسول الله ادع الله حتى يزيلها منا وذكر مسلم رحمه الله
تعالى من حديث جابر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل
على ام السايب او ام المسيب فقال ما لك يا ام السايب او يا ام المسيب
تزفزفين قالت الحمى لا بارك الله فيها قال لا تسبي الحمى فانها تذهب
خطايا بني ادم كما تذهب الكير خبث الحديد وذكر البخاري من
حديث انس بن مالك رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل اذا ابتليت عبدي المومن
بحبيبتيه ثم صبر عوضته منهما الجنة يريد عينيه كذا قال اخر
الحديث من قول احد الرواة والحبيبتان هما العينان وهما الكريمتان
ايضا وروي ان انس بن مالك وابا ظلال رضي الله عنهما كانا في بيت
ثابت البناني فقال انس يا ابا ظلال متى فقدت بصرك فقال وانا صبي لا اعقل
قال الا احدثك حديثا حدثنيه حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم
يرويه عن جبريل ويرويه جبريل عن ربه عز وجل قال يا جبريل ما
جزاء من سلبت كريمتاه قال سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا قال جزاؤه
الخلود في داري والنظر الى وجهي ومن طريق هلال بن سويد وهو
ابو ظلال المذكور انه سمع انسا رضي الله عنه قال مر بنا ابن ام مكتوم
فسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا احدثكم بما حدثني به جبريل
عن هذا وضرب اية الذين ذهبت ابصارهم ان الله عز وجل يقول حق على
من اخذت كريمتاه ليس له جزاء الا الجنة وفي حديث بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم

قال ما اصيب عبد بعد ذهاب دينه باشد من ذهاب بصره وما
ذهب بصر عبد فصبر الا لقي الله ولا حساب عليه وذكر البخاري
ومسلم رضي الله عنهما رحمهما الله تعالى من حديث ابن عباس رضي الله عنهما
ان امراة سودا اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت اني اصرع واني
انكشف فادع الله لي قال ان شيت صبرت ولك الجنة وان شيت
دعوت الله تعالى لك ان يعافيك قالت اصبر قالت فاني انكشف
فادع الله ان لا انكشف فدعا لها الى غير ذلك مما روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم في هذا الباب مما لا يحصى كثرة ومنها ايضا يحصل
له تجديد التوبة واداء الحقوق والتبعات والظلامات وكثرة
الاستغفار وحسن الادكار وكثرة ذكر الموت اذ ذاك ابلغ ما
يذكر به فقد قيل الحمى بريد الموت وقيل في قوله تعالى اولا يرون
انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون اي يختبرون بها
وفي حديث عايشة وانس رضي الله عنهما قيل يا رسول الله
هل يكون مع الشهداء غيرهم يوم القيمة قال نعم من ذكر الموت في كل
يوم عشرين مرة وفي لفظ الحديث الاخر من تذكر ذنوبه فتحزنه
وقد كان السلف رضي الله عنهم يستوحشون اذا خرج عنهم
عام لم يصابوا فيه بنقص من نفس او مال ويقال لا يخلو المومن في كل
اربعين يوما ان يروع بروعة او يصاب بنكبة وكانوا يكرهون فقد
ذلك في هذا العدد من غير ان يصابوا فيه بشي ومنها ايضا يقع
له خلف ما يفوته من الطاعات ونوافل العبادات فيكتب له
في مرضه مثل ما كان يعمل من ذلك في صحته وذلك ابلغ له في الوصول
الى غرضه لانه من اختيار الله له وهو خير له من اختياره لنفسه
وفي الخبر يقول الله عز وجل لملايكته اكتبوا لعبدي الصالح
ما كان يعمله في صحته فانه في وثاقي ان اطلقته ابدلته لحما خيرا
من لحمه ودما خيرا من دمه وان توفيته توفيته الى رحمتي وفي

الحديث الصحيح من حديث ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مرض العبد او سافر كتب له مثل
ما كان يعمل مقيما صحيحا الى غير ذلك من الالطاف التي لا يعلمها
وانما ذكرنا هذه المعاني ههنا لانها لايقة بكلام المولف رحمه
الله وكانها مفسرة لقوله وايضا فان العبد محتاج اليها غاية الا
لانه في حال نزول البلايا به يتسخط ويجزع ويضطرب ايمانه
ويتزلزل ايقانه فيحتاج الى مذكر يذكره بامثال هذه المعاني ليحصل
له بذلك الرضا وحسن الظن بالله تعالى والمحبة له ما يرجى
له بذلك ان مات من فوزه بحسن الخاتمة وحب بقاء الله تعالى
والاعمال بخواتيمها وهذا الغرض هو الذي اوجب لنا في هذا الفصل
الاكثار من الحكايات واظهار نسبة اكثر الاحاديث فيه الى
رواتها الثقات لتطهير قلوب اهل البلا بذلك وتسلك الى
الله تعالى واصحاب تلك المسالك والله ولي التوفيق

باب ذكر خفايا الطافه تعالى ومنه على العباد
انما جعل الدار الاخرة محلا لجزا عباده المومنين لان هذه الدار لا تسع
ما يريد ان يعطيهم ولانه اجل اقدارهم عن ان يجازيهم في دار لا
بقاء لها انما جعل ثواب المومنين في الدار الاخرة فيما ظهر لنا لوجهين
احدهما ان الدنيا لا تسع ما يريد ان يعطيهم من انواع النعيم حسا ولا
معنى اما الحس فلان الدنيا متدانية المسافات ضيقة الاقطار
ويعطي الله تعالى في الدار الاخرة لاحد المومنين في ملك واحد منهم
كما ورد في الخبر مسيرة سبعماية عام فما ظنك بخواصهم فتضيق لا محالة
مسافة الدنيا عن كلية جزايهم واما المعنى فلان الدنيا موسومة
بالدناءة وهو النقص والخساسة والحقارة والاشيا التي يتنعم بها اهل
الجنة امور شريفة رفيعة كما جاء في الخبر ان موضع سوط في الجنة
خير من الدنيا وما فيها وان نور سوار حور يطمس نور الشمس وما اشبه هذا

ويمكن في هذا قوله عز من قائل فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين
وقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل اعددت
لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر والثاني ان الله تعالى اجل قدار المومنين
فلم يجعل لهم الجزاء على طاعاتهم في دار فانية منقضية منصرمة لان
كل ما يفنى وان طالت مدته كلا شي بل اعطاهم الخلود في النعيم والبقا
الدايم في الملك المقيم وناهيك به شرفا تسميته اياه باسم الكريم
وهو الحي الذي لا يموت جا في التفسير في قوله عز وجل وملكا كبيرا انه
يرسل الله تعالى الملك الى وليه ويقول له استاذن على عبدي فان اذن
لك فادخل والا فارجع فيستاذن عليه من سبعين حجابا ثم يدخل
عليه ومعه كتاب من الله عز وجل مكتوب على عنوانه من الحي الذي
لا يموت الى الحي الذي يموت فاذا فتح الكتاب وجد مكتوبا فيه عبدي
اشتقت اليك فزرني فيقول هل جيت بالبراق فيقول نعم فيركب
البراق فيغلب الشوق على قلبه فيحمله شوقه فيسبق البراق الى
ان يصل الى بساط اللقا **ربما اعطاك فمنعك وربما منعك فاعطاك**
منع الله تعالى عبده من نيل شهواته ولذاته والكون مع شي من عاداته
عطا جزيل منه لانه ابقا معه واقطعه عن حظوظه واغراضه
وحرصها وعكس هذا هو المنع على التحقيق وان كان عطاء في الظاهر
قال الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله عنه اذا منعت فذلك
عطاء واذا اعطيت فذلك منعه فاختر الترك على الاخذ فالواجب
على العبد ان يترك التدبير والاختيار لمن بيده ذلك فلن يعدم منه
خيرا **متى فتح لك باب الفهم في المنع عاد المنع هو عين العطا** سياتي
بيان هذا في الحكمة الاتية وهي قوله رضي الله عنه **متى اعطاك اشهدك**
بره ومتى منعك اشهدك قهره وهو في كل ذلك متعرف اليك ومقبل بوجود
لطفه عليك المطلوب من العباد ان يعرفوا مولاهم بما هو عليه من الصفات

العلية والاسما الحسنى ولا سبيل لهم الى معرفته الا بتعرفه لهم وتعرفه
لهم انما يكون بما ينزله بهم من النوازل ويورده عليهم من الاحكام
ثم هي على قسمين ما وافق الهوى والطبع ويسمى ذلك عطا وما خالفهما
ويسمى ذلك منعا فبوجود العطا يشهد صفاته البرية من الجود والكرم
والاحسان واللطف والعطف وغير ذلك وبوجود المنع يشهد
صفاته القهرية من الجبرية والكبرياء والعز والاستغناء فينبغي
لك ايها العبد ان لا تفرق بينهما ان اردت معرفة ربك وما يستر قدرك
حب حظك اذا منعه لك عطاء على التحقيق فهو في كلتا الحالتين
منعم عليك ومقبل بوجود لطفه اليك وهذا هو بيان ما تقدم من قوله
متى فتح لك باب الفهم في المنع عاد المنع هو عين العطا والله اعلم
قال سفيان الثوري رضي الله عنه اتيت ابا حبيب البدوي
اسلم عليه ولم اكن رايته فقال انت سفيان الثوري الذي يقال قلت
نعم نسال الله عز وجل بركة ما يقال قال فقال لي يا سفيان ما رايت خيرا
قط الا من ربنا قلت اجل قال فما لنا نكره لقاء من لم نر خيرا قط الا منه
ثم قال لي يا سفيان منع الله تعالى اياك عطاء منه لك وذلك انه
لم يمنعك من بخل ولا عدم وانما منعك نظرا منه لك واختيارا يا سفيان
ان فيك لانسا ومعك شغل قال ثم اقبل على غنيمته وتركني **انما يولمك**
المنع لعدم فهمك عن الله فيه اذا كان منع الله وعطاوه نعمتين عظيمتين
كما ذكرناه الان فينبغي ان يكون في كليهما قرة عين المريد فان تالم
بالمنع ولذ العطاء فذلك لعدم فهمه وقصور علمه بل الاكمل والافضل
له ان يتالم بالعطا ويلتذ بالمنع كما قال ابرهيم الخواص رضي الله عنه
لا يصح الفقر للفقير حتى يكون فيه خصلتان احدهما الثقة بالله والاخرى
الشكر لله فيما زوى عنه مما ابتلى به غيره من الدنيا ولا يكمل الفقير حتى
يرى نظر الله تعالى له في المنع افضل من نظره له في العطا وعلامة صدقه
في ذلك ان يجد للمنع من الحلاوة ما لا يجد للعطا لا يعرفه غير باريه الذي

خصه بمعرفته وايا دبه فهو لا يرى سوى مليكه ولا يملك الا ما كان من تمليكه
وكل شي له تابع وكل شي له خاضع انتهى العطا من الخلق حرمان والمنع
من الله احسان عطية الخلق لك حرمان على التحقيق لما فيه من رويتك
لغير الله ووقوفك مع حظوظك وشهواتك ومنع الله لك احسان لانه
الزمك الوقوف ببابه وعافاك من وجود حجابه وان شيت قلت
العطا من الخلق حرمان لما فيه من وجود محبتك لهم على ذلك وتعلق منتهم
في احد عطيتهم والمنع من الله احسان لانه حببك وكل ما يفعل المحبوب
محبوب ولله در من قال

فلا البس النعما وغيرك ملبسي ❁ ولا اقبل الدنيا وغيرك واهب ❁

وفي وصية علي بن ابي طالب رضي الله عنه لا تجعل بينك وبين الله
منعما واعدد نعمة غيره عليك مغرما وقال بعض الحكما احتمال المن اثقل
من الصبر على العدم وقال اخر عز النزاهة اشرف من سرور الفايدة
متى كنت اذا اعطيت بسطك العطا واذا منعت قبضك المنع فاستدل
بذلك على وجود طفوليتك وعدم صدقك في عبوديتك القبض عند المنع
والبسط عند العطا من علامات بقاء الحظ والعمل على نيله وهو منافي
للعبوديه عند العارفين فمن وجد ذلك فليعرف به عدم صدقه في
عبوديه وانه طفيلي بين اهل الله تعالى في ادعايه مقاماتهم وهو لم
يؤهل لها والطفيلي هو الذي ياتي الى الولايم والضيافات فيدخل
مع اهلها من غير دعوة وهو منسوب الى رجل من اهل الكوفه من بني
عبد الله بن عطفان كان يقال له طفيل الاعراس وطفيل العرايس وكان
ياتي الولايم من غير ان يدعى اليها فنسب اليه صاحب الكتاب هذا به قال
الشيخ ابو عبد الله السلمي رضي الله عنه اكثر الخلق مع الله تعالى في
احوالهم واراداتهم على الظنون ما المحقق منهم له الا قليل الا تراه
تعالى يقول وما يتبع اكثرهم الا ظنا فمن تحقق في حاله مع الله تعالى
غاب عن كل ما منه وله من الافعال والاحوال نظرا الى ما اليه من رعاية

الحق

الحق وحياطته وتوليه وكان للحق من حيث الحق له لا من حيث هو للحق
ولكن اكثر العبيد يشيرون اليه بالمعرفه ويظهرون حالة المحبة فاذا
ورد عليهم وارد بلاء او خلاف مرادهم رجعت انفسهم الى حد الاشفاق
عليها والاهتمام بها ونسوا ما ادعوا به واشاروا اليه ولو كانوا للحق من
حيث الاستحقاق لنسوا في جنب ما اشاروا اليه جميع الموارد سا ام سر
لان من حصل في ميدان الوصول لا تعترض عليه عارضة تخالف واذ هله
حاله عما سواه ربما فتح لك باب الطاعه وما فتح لك باب القبول وقضى
عليك بالذنب فكان سببا في الوصول فالحب ينبغي للعبد ان لا ينظر الى صور الاشيا
ولينظر الى حقايقها فصور الطاعات لا تقتضي وجود القبول لها لما قد تضمنته
من الافات القادحه في الاخلاص فيها وذلك مانع من وجود القبول لها
ووجود صورة الذنب لا يقتضي الابعاد والطرد بل ربما يكون ذلك سببا
في وصوله الى ربه وحصوله في حضرة قربه كما قيل رب ذنب ادخل
صاحبه الجنه وقد جاء في الحديث الصحيح عن ابي هريرة رضي الله
عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال والذي نفسي
بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله
فيغفر لهم وذلك انه يصحبه عند عمله بالطاعه ان يعجب بها ويعتمد عليها
ويتكبر بفعلها ويستصغر من لم يفعلها ويصحبه عند وقوعه في الذنب الالتجا
الى الله تعالى فيه والاعتذار اليه منه واستصغار نفسه وتعظيم
من لم يفعله قال ابو حازم رضي الله عنه ان العبد ليعمل الحسنة تسره
حين يعملها وما خلق الله تعالى له من سيئة اضر له منها وان العبد
ليعمل السيئة تسوءه حين يعملها وما خلق الله تعالى له من حسنة انفع له منها
وذلك ان العبد حين يعمل الحسنه تسره فيتنجح فيها ويرى ان له فضلا
على غيره ولعل الله تعالى يحبطها ويحبط معها عملا كثيرا وان العبد ليعمل
السيئة تسوءه حين يعملها ولعل الله تعالى ان يحدث له بها وجلا حتى يلقا
الله تعالى وان خوفها في جوفه لباق نعمتان ما خرج موجود عنهما ولا بد

الايجاد ونعمة

لكل مكنون منها نعمة الايجاد ونعمة الامداد نعمة الامداد نعمتان لا زمتان
لكل مكنون موجود باق لانه في ذاته معدوم متلاشي فنعمة الايجاد
ازالة العدم السابق ولولا ذلك لم يزل معدوما ونعمة الامداد ازالة
العدم اللاحق ولولا ذلك لتلاشي وفني قال سيدي ابو مدين
رضي الله عنه الحق تعالى مستمد والوجود مستمد فالمادة من عين
الوجود فلو انقطعت المادة انهدّ الوجود **انعم عليك اولا بالايجاد
وثانيا بتوالي الامداد** هذا اجزيات الكلية المتقدمة وهو
وجودك ودوام وجودك ومما لا ينبغي ان تتغافل عنه من انواع
هذا الجنس نعمة ايجاد الايمان ومحبة الطاعة في قلبك وامدادها
وكذلك كراهية الكفر والمعصية فان ذلك من النعم العظيمة التي
لا مدخل للعبد فيها ولا له وسيلة اليها ولولا تولي الله تعالى
له بتبيينك النعمة في الفسيح لتاه في ظلمات الضلالات وغرق في
بحر الجهالات وقد نبه الله عز وجل في كتابه الكريم على هذا المعنى فقال
عز من قايل ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم
الكفر والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون ثم قال فضلا
من الله ونعمة قال الامام ابو القسم القشيري رضي الله عنه وان
من افكر في صنوف الضلال وكثرة طريق المحال وشدة اغاليط
الناس في البدع والاهواء وما يتشعب بكل قوم من مختلفي النحل
والاراء ثم افكر في ضعفه ونقصان عقله وكثرة تحيره في الامور
وشدة جهله وتناقض تدبيره في احواله وشدة حاجته الى الاستعانة
باشكاله في اعماله ثم الى رايي خالص يقينه وقوة استبصاره في
دينه وبقاء وجه توحيده من غبرة الشرك وصفاء عين عرفانه
عن وجه الشك علم ان ذلك ليس من طاقته ولا بجهده وكده ووسعه
وجده بل بفضل ربه وسابغ طوله قال الله تعالى واسبغ عليكم
نعمه ظاهرة وباطنة فهو الظاهر بنعمايه واثار نعمه عليك

متظاهرة والباطن بالايه وزوايد كرمه لديك متواترة فعسى
العبد ان يعرف قدر هذه النعمة ويتوكل على مولاه في بقايه وحفظها
عليه ولا يعتمد في ذلك على عقله وعلمه قال بعض العارفين
من نظر في توحيده الى عقله لم ينجه توحيده من النار وعن ذي
النون المصري رضي الله عنه ما هو قريب من هذا من كان
في توحيده ناظرا الى نفسه لم ينجه توحيده من النار حتى يكون
نظره اليه في توحيده اياه عز وجل فهذا هو شكر هذه النعمة
العظيمة قال ابو طالب المكي رضي الله عنه بعد ان ذكر
ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله احبوا
الله تعالى لما اسدى اليكم من نعمة ولما يغذوكم به ايضا فمن
افضل ما غذانا به نعمة الايمان به والمعرفة له وغذاؤه لنا
منه دوام ذلك ومدده بروح منه وتثبيتا عليه في تصريف
الاحوال اذ هو اصل الاعمال التي هي مكان النوال فلو قلب قلوبنا
عن التوحيد كما يقلب جوارحنا في الذنوب ولو قلب قلوبنا في الشك
والضلال كما يقلب بنياتنا في الاعمال اي شي كنا نصنع وعلى اي شي
كنا نقول وباي شي كنا نطمين ونرجوا فهذه من كباير النعم ومعرفته
فهو شكر النعمة الايمان والجهل بها غفلة عن نعمة الايمان والجهل بهذا اغلظ
توجب العقوبة وادعاء الايمان انه عن كسب معقول او استطاعة
بقوة وحول هي كفر نعمة الايمان واخاف على من توهم ذلك ان يسلب
الايمان لانه بدل شكر نعمة الله كفرا انتهى كلام ابي طالب رضي الله
عنه وهو حسن في هذا المعنى **متى اوحشك من خلقه فاعلم انه يريد
ان يفتح لك باب الانس به** فتح باب الانس بالله تعالى هو الاستيحاش
من الناس ولذلك قيل الاستيناس بالناس من علامات الافلاس
فاذا فتح لك هذا الباب استوحشت من الاغيار كلها وحققت
في انسك بربك ومعنى الوحشة منها ان تشمير منها بقلبك وتنقبض

عنها بسرك ولا يكون للاشيا وقع عندك ولا تجد فيها مقنعا لك كما جا
عن ابي يزيد رضي الله عنه حين اطلع على انواع من العجايب ووجد شيا
من الغرايب وكشف له من الملكوت الاعلى فقيل له هل استحسنت شيا منها
فقال لم ار شيا استحسنه فقيل له انت عبد الله حقا واذا كان العبد
على هذا الوصف كان ذلك علامة تحققه بمقام الانس فتراه ونزوله
في حضرة القدس وسياتي هذا المعنى في قوله في مناجات ربه انت المو
لهم حيث اوحشتهم العوالم **اذا اراد ان يظهر فضله عليك خلق ونسب**
اليك فضل الله تعالى عليك عظيم فاذا اراد ان يظهر عليك خلق لك
الطاعه وحلاك بها ونسبها اليك وقال لك يا عبدي انت مطيع ومتقي
ومجتهد وعامل وساثيبك على ذلك فاذا اشهد العبد هذا الفضل
العظيم واستولى عليه الخجل والحيا من سيده الكريم وانطلق لسانه في
هذا الحال بالدعا والسوال وقال يا رب كما تفضلت على بخلق الطاعة
لي وحليتني بها ووصفتني بصفات حميدة انا خلي عنها في الحقيقه ووعدتني
مع ذلك جزيل الثواب والنجاه من العقاب فتقبل مني عملي وانجز لي ما
وعدتني كان في ذلك مصيبا والا فلا فحق العبد ان لا ينسب الى نفسه
شيا من محامد الصفات والاعمال اذ لا اهلية فيه لذلك واما ضد
هذه الصفات والاعمال ومساويها فمقتضي الادب ان يضيف ذلك الى
نفسه وان يعترف بان ذلك من ظلمه وجهله قال سهل بن عبد الله رضي
الله عنه اذا عمل العبد حسنة وقال يا رب انت بفضلك استعملت
وانت اعنت وانت سهلت شكر الله له ذلك وقال له يا عبدي بل انت
اطعت وانت تقربت واذا نظر الى نفسه وقال انا عملت وانا اطعت وانا
تقربت اعرض الله تعالى عنه وقال يا عبدي بل انا وفقت وانا اعنت
انا وفقت وانا اعنت وانا سهلت واذا عمل سيية قال يا رب انت قدرت
وانت قضيت وانت حكمت غضب المولى جلت قدرته عليه وقال يا عبدي
بل انت اسات وانت جهلت وانت عصيت واذا قال العبد يا رب انا ظلمت
وانا

وانا اسات وانا جهلت اقبل المولى جلت قدرته عليه وقال يا عبدي انا
قضيت وانا قدرت وقد غفرت لك وقد حلمت وقد سترت **من اكرمك**
فانما اكرم فيك جميل ستره فالحمد لمن سترك ليس الحمد لمن اكرمك وشكرك
العبد محل الافات والعيوب وستر الله الجميل هو الذي يحبب الناس
الى الناس فاذا اكرمك احد فلا يذهبن ذلك بك الى ان ترى لنفسك
وصفا محمودا تستحق به الاكرام فتكون جاهلا بنفسك ولا يحملك ايضا
رويتك الاكرام الخلق لك لوجود جهلهم بحالك على ان تحمدهم عليه دون
ربك الذي اضطرهم الى اكرامك وستر عنهم عيوبك واظهر لهم محاسنك
فتكون بذلك كافرا لنعمة ربك ظالما بوضع الحمد في غير موضعه **لولا جميل**
ستره لم يكن عمل اهلا للقبول العبد مبتلى بنظره الى نفسه وفرحه بعمله
من حيث نسبته اليه وشهود حوله وقوته عليه وهذا لا يخلص له
عنه الا ما شاء ربه وقد يكشف حجابه فيرائي به ويطلب حمد
الناس فيه وهذا كله من الشرك الخفي القادح في الاخلاص الحقيقي
والاخلاص شرط في قبول الاعمال كما تقدم في باب الاخلاص
قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه مسكين ابن ادم جسم معيب
وقلب معيب يريد ان يخرج من معيبين عملا بلا عيب فهل العبد لما كان
بهذه المثابة لم يكن فيه اهلية لوجود القبول لولا جميل ستر الله تعالى
وعظيم حلمه وبره فليعتمد المريد على فضل الله تعالى وكرمه لا على
اجتهاده وعمله قال ابو عبد الله القرشي رضي الله عنه اذا طالبهم
بالاخلاص تلاشت اعمالهم واذا تلاشت اعمالهم زاد فقرهم وفاقتهم
فتبروا من كل شي ومن كل شي لهم ومنهم **اشهدك من قبل ان استشهدك**
فنطقت بالهيته الظواهر وتحققت باحديته القلوب والسراير
كاشف الله القلوب والاسرار في غيب الغيب بحقايق وحدانيته واحا
ديته وقيوميته فلما اشهدها ذلك اضمحلت وتدكدكت وتلاشت فتحققت
بذلك الاحدية فلما اظهرها في عالم الشهادة متلبسة بالاجسام والهياكل

طلب منها الشهادة له بالالهيه فشهدت بلسان حالها ومقالها فكانت
الشهادة منها لما استشهدت تبعا لشهودها لما اشهدت فالعبد من حيث
سره وقلبه بوصف الجمع ومن حيث ظاهره وجسمه بنعت الفرق ولا
بد في هذا الطريق من وجود الجمع والفرق وقد قالوا كل جمع بلا تفرقة
فهو زندقه وكل تفرقة بلا جمع تعطيل وقال الجنيد رضي الله
عنه في معنى الجمع والتفرقه

وتحققتك في سري فناجاك لساني ، فاجتمعنا لمعان وافترقنا لمعاني
ان يكن غيبك التعظيم عن لحظ عياني ، فقد صيرك الوجد من الاحشاء داني

ذهب الجنيد رضي الله عنه الى قربه بالوجد جمع وغيبه في البشريه
تفرقة **ربما اطلعك على غيب ملكوته وحجب عنك الاستشراف على اسرار
العباد** من لطف الله تعالى اخفاء اسرار الناس بعضهم عن بعض
لا سيما سر يقتضي وجود عيب وهو ظاهر ما ذكره المولف
رحمه الله هنا بدليل الكلام الذي عقبه به وقد يظهر لبعض الناس
ما سوى ذلك من الاسرار الملكوتيه ووجه الفرق بينهما ما
يذكره المولف الان ويحتمل ان يريد ما هو اعم مما ذكرناه ويدخل
في ذلك اسرار الولاية اذا اختص الحق تعالى بها بعض عباده
ويكون في ذلك تنبيه على العلة الموجبة لخفاء الولي حسب ما
ذكرناه في المسيلة التي فرغنا منها عند قوله سبحان من لم يجعل الدليل
على اوليايه الا من حيث الدليل عليه حتى تمنع الوصول اليه بطلب
او بسبب واخفاء ذلك ايضا عن عامة المومنين من النعم العظيمة
اذ لو ظهرت اسرار الولاية على احد لا وجبت على من ظهرت له حقوقا
لا يقدر على القيام بها فان فرط في ذلك وترك القيام بتلك الحقوق
راسا وقع بسبب ذلك في محذورات لا يقوم لها بشي ومن كلام
سهل بن عبد الله رضي الله عنه وقد ساله بعض تلامذته كيف تعرف
اولياء الله تعالى فقال ان الله لا يعرفهم الا لاشكالهم ومن اراد

ان ينفعه بهم ولو اظهرهم حتى يعرفهم الناس لكانوا حجة عليهم ومن خالفهم
بعد علمه بهم كفر ومن قعد عنهم خرج ولكن الله جعل اختيار تغطية
امورهم رحمة منه لخلقه ورافة ولكن الله تعالى قد اخبر بكرامتهم
فقال عز وجل الله ولي الذين امنوا والله ولي المومنين فافردهم
به ولو اظهرهم حتى يبرزهم لكان في النظر اليهم حجة وكان الاستماع لحديثهم
فرضا انتهى والمعنى الذي ذكرته في هذه المسيلة فهمته من الكلام
الذي ذكره الشيخ ابو طالب رحمه الله في كتاب الشكر ولفظه
ثم بعد ذلك من لطايف النعم شمول ستره لهم بعضهم من بعض وستره
عند العلماء والصالحين منهم لولا ذاك لما نظروا اليهم ثم حجب الصالحين
عنهم ولو اظهر عليهم ايات يعرفون بها حتى يكون الجاهلون على يقين
من ولاية الله تعالى لهم وقربه منهم لبطل ثواب المحسنين اليهم
ولحرم قبول احسانهم عليهم ولحبطت اعمال المسيين اليهم ففي
حجب ذلك وستره ما يحمل العاملين لهم في الخير والشر على الرجا وحسن
الظن ومن وراء حجاب اليقين وتاخرت عقوبات الموذين لهم عن
العاجلة لما ستر عليهم من عظيم شانهم عند الله عز وجل وجليل
قدرهم ففي ستر هذا نعم عظيمة على الصالحين في نفوسهم من سلامة
دينهم وقلة فتنتهم ونعم جليلة على المنتهكين لحرمتهم المصغرين
لشعاير الله تعالى من عظيم شانهم عند الله عز وجل وجليل قدرهم
ففي ستر هذا نعم عظيمه على اجلهم اذا كانوا اساوا اليهم من وراء
الحجاب فهذا هو لطف خفي من لطف المنعم الوهاب كما جاء في الخبر من اذى
لي وليا فقد بارزني بالمحاربه ثم انا الثاير لولي فقد يكون مثل ذلك
من اذى نبيا وهو لا يعلم بنبوته قبل ان يخبرا نه رسول الله وان الله
عز وجل نباه فلا يكون وزره ووزر من انتهك حرمة من كان اعلمه انه
نبي الله عز وجل لعظيم حرمة النبوة انتهى ما ذكره الشيخ ابو طالب المكي
رضي الله عنه والوجه الاول اولى بتقرير معنى ما ذكره المولف رحمه الله

والله تعالى اعلم من اطلع على اسرار العباد ولم يتخلق بالرحمة الالهية كان
اطلاعه فتنة عليه وسببا لجر الوبال اليه المطلع على الاسرار التي تقتضي
وجود العيب اذا لم يتخلق صاحبه بالرحمة الالهية فيرحم المذنبين ويصفح
عن الجاهلين ويحسن للمسيئين ويحلم على الظالمين ويراف بعباد الله
اجمعين فانه يكون ذلك الاطلاع فتنة عليه لان ذلك يوديه الى
روية نفسه واستعظام امرها والعجب بحاله والتكبر على غيره وهذا هو اعظم
الفتن ويكون ايضا سببا الى جر الوبال عليه من دعاية بصفات ربه
ومنازعته لكبريايه وعظمته وهذا هو اعظم الوبال وغاية الخزي
والنكال وفي بعض الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما نزعت الرحمة الا من قلب شقي وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الراحمون يرحمهم
الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء وفي الاشارات
عن الله سبحانه انه قال عبدي ان استخلفتك شفقت لك من
الرحمانية شقا فكنت ارحم بالمومن من نفسه وقد ادب الله سبحانه
خليله ابرهيم عليه السلام في بعض مواضعه العظيمة المقدار وعلمه
كيف يتخلق بهذا الخلق الكريم عند اطلاعه على الاسرار روي
عن قسامة بن زهير رضي الله عنه انه قال بلغني ان ابرهيم عليه
السلام حدث نفسه انه ارحم الخلق قال فرفعه الله تعالى حتى
اشرف على اهل الارض فابصر اعمالهم وما يفعلون فقال يا رب
دمر عليهم فقال الله تعالى انا ارحم بعبادي منك يا ابرهيم اهبط
فلعلهم يتوبون ويرجعون وعن علي رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال لما ارى الله تعالى ابرهيم عليه الصلاة والسلام
ملكوت السموات والارض اشرف على رجل بمعصية من معاصي
الله عز وجل فدعا عليه فهلك وكذلك على آخر وآخر فهلكوا
فاوحى الله تعالى اليه ان يا ابرهيم انك رجل مستجاب الدعوة فلا

تدعون

المروية صح

تدعون على عبادي فانهم مني على ثلاث خصال اما ان يتوبوا الي
فاتوب عليه واما ان يخرج منه نسمة تسبح لي واما ان يبعث الي فان
شيت عفوت عنه وان شيت عاقبته وقيل ان سبب امر الله
تعالى له بذبح ولده هو لهذا المعنى الذي ظهر منه لغلظته على العصاة
وقلة رحمته عليهم وذكر في بعض التفاسير انه عليه الصلاة
والسلام كان يعرج به كل ليلة الى السما وهو قوله تعالى وكذلك نري
ابرهيم ملكوت السموات والارض فعرج به ذات ليلة فاطلع على
مذنب على فاحشة فقال اللهم اهلكه ياكل رزقك ويمشي على
ارضك ويخالف امرك فاهلكه الله تعالى فاطلع على آخر فقال اللهم
اهلكه فنودي كف عن عبادي رويدا رويدا فاني طالما رايتهم
عاصين فلما اهبط ارى في المنام ما ذكر الله تعالى عنه حيث يقول
اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى فلما استسلم لذلك
واخذ السكين بيده قال اللهم هذا ولدي وثمرة فوادي واحب
الناس الي فسمع قايلا يقول اما تذكر ليلة التي سالت اهلاك
عبادي او ما تعلم اني رحيم بعبادي كما انت شفيق بولدك فاذا
سالتني اهلاك عبدي اسالك ذبح ولدك واحد بواحد والبادي
اظلم علم ان العباد يتشوفون الى ظهور سر العنايه فقال يختص
برحمته من يشاء علم انه لو خلاهم وذلك لتركوا العمل اعتمادا على
الازل فقال ان رحمة الله قريب من المحسنين ظهور سر العنايه التي
مقتضاها الرحمه هو تخصيص المشية في قوله عز من قايل يختص برحمته
من يشاء ولا علة من العبد والاحسان المنسوب اليه في قوله تعالى
ان رحمة الله قريب من المحسنين امارة وعلامة على تلك العنايه وليس
بعلة موجبه وانما اسند الرحمة اليه وعلقها به لئلا يتكلوا العباد على السابق
ويتركوا العمل الذي هو مقتضى العبودية الواجبة لله تعالى عنايته
فيك لا لشي منك واين كنت حين واجهتك عنايته وقابلتك رعايته

لم يكن في ازله اخلاص اعمال ولا وجود احوال بل لم يكن هناك الا محض
الافضال وعظيم النوال عناية الله بك في الازل حين لم يكن حين لا حين
غير معللة بشي كاين منك من اخلاص اعمال او وجود احوال تتوسل بجميع ذلك
اليه واين كنت اذ ذاك وانت عدم محض بل لم يكن هناك الا محض كرمه
وافضاله وعظيم احسانه ونواله لا غير قال الواسطي رضي الله عنه
اقسام قسمت ونعوت اجريت كيف تستجلب بحركات او تنال بسعايات
لا تنفعه طاعتك ولا تضره معصيتك فانما امرك بهذه ونهاك عن هذه
لما يعود عليك الحق سبحانه وتعالى غني عن اعمال العالمين لانه تعالى
منزه عن الاعواض والاغراض فلا تنفعه طاعتك ولا تضره معصيتك
وانما امرك ونهاك لما يعود عليك من المصالح والمنافع في الدارين لا
غير وذلك على سبيل التفضل منه من غير ايجاب عليه وقد تقدم
التنبيه على هذا المعنى عند قوله عجب ربك من قوم يقادون الى الجنة
بالسلاسل قال في لطايف المنن اعلم رحمك الله ان الله عز وجل
لم يامر العباد بشي وجوبا او يقتضيه منهم ندبا الا والمصلحة لهم في فعل
ذلك الامر ولم يقتض منهم ترك شي تحريما او كراهة الا والمصلحة لهم
في تركه امرهم بتركه وجوبا او ندبا ولسنا نقول كما قال من عدل به
عن طريق الهدى انه يجب على الله تعالى رعاية مصالح عباده بل انما نقول ذلك
على عادة الحق وشرعته المستمرة فعلها مع عباده على سبيل التفضل فليت
شعري اذ قالوا يجب على الله تعالى من رعاية مصالح عباده فمن هو الموجب
عليه ثم اذا نظرنا فراينا كلما هو مامور به او مندوب اليه يستلزم الجمع على
الله وكل منهي عنه او مكروه يستلزم التفرقة عنه فاذا مطلوب الله
سبحانه من عباده وجود الجمع عليه لكن الطاعات هي اسباب الجمع ووسايله
ولذلك امر بها والمعصية هي اسباب التفرقة ووسايلها فلذلك نهى
عنها لا يزيد في عزه اقبال من اقبل عليه ولا ينقص من عزه ادبار من
ادبر عنه عزة الله تعالى صفة من صفات ذاته وصفاته في غاية الكمال

والتمام

والتمام فهي منزهة عن الزيادة والنقصان وسبقية العلل انما اجرى
الاذى عليهم كي لا تكون ساكنا اليهم اراد ان يزعجك عن كل شي حتى لا
يشغلك عنه شي وجود اذاية الناس للعبد نعمة عظيمة عليه لا سيما من
اعتاد منهم الملاطفة والاكرام والبر والاحترام لان ذلك يفيده عدم السكون
اليه وترك الاعتماد عليه وفقد الانس بهم فتحقق بذلك عبوديته لربه
عز وجل قال سيدي ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه اذاني انسان
مرة فضقت ذرعا بذلك فنمت فرايت انسانا يقول لي من علامة الصديقية
كثرة اعدايها ثم لا يبالي بهم وقال بعض العارفين الصحيح من الورد
سوط الله تعالى يضرب بها القلوب اذا ساكنت غيره لولا ذلك لرقد
القلب في ظل العز والجاه وهو حجاب عن الله عظيم وقال سيدي
ابو محمد عبد السلام شيخ سيدي ابو الحسن رضي الله عنهما في دعايه اللهم
ان قوما سالوك ان تسخر لهم خلقك فسخرت لهم خلقك فرضوا منك بذلك
اللهم اني اسالك اعوجاج الخلق علي حتى لا يكون لي ملجا الا اليك وقال
ابو الحسن الوراق النيسابوري رضي الله عنه الانس بالخلق وحشة
والطمانينة اليهم حمق والسكون اليهم عجز والاعتماد عليهم وهن
والثقة بهم ضياع واذا اراد الله بعبد خيرا جعل انسه به وبذكره
وتوكله عليه وصان سره عن النظر اليهم وظاهره عن الاعتماد عليهم
وقد قالوا الزهاد يخرجون المال من الكيس تقربا الى الله تعالى واهل
الصفا يخرجون الخلق والمعارف من القلب تحققا بالله تعالى قال في
لطايف المنن اعلم ان اولياء الله تعالى حظهم في بدايتهم ان يسلط الخلق
عليهم ليطهروا من البقايا وتتكمل فيهم المزايا وكي لا يساكنوا هذا الخلق
باعتماد او يميلوا اليهم باستناد ومن اذاك فقد اعتقك من رق احسانه
ومن احسن اليك فقد استرقك بوجود امتنانه ولذلك قال صلى
الله عليه وسلم من اسدى اليكم معروفا فكافيوه فان لم تقدروا فادعوا له
كل ذلك ليتخلص القلب من رق احسان الخلق وليتعلق بالملك الحق وقال

الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه اهرب من خير الناس اكثر مما تهرب
من شرهم فان خيرهم يصيبك في قلبك وشرهم يصيبك في بدنك
ولان تصاب في بدنك خير من ان تصاب في قلبك ولعدو تصل به
الى الله خير من حبيب يقطعك عن الله تعالى وعد اقبالهم عليك
ليلا وادبارهم عنك نهارا الا تراهم اذا اقبلوا فتنوا قال وتسلط
الخلق على اولياء الله تعالى في مبادى طرقهم سنة الله تعالى واحبابه
واصفيايه قال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه اللهم ان القوم
قد حكمت عليهم بالذل حتى عزوا وحكمت عليهم بالفقد حتى وجدوا فكل
عز يمنع دونك فنسالك بدله ذلا يصحبه لطايف رحمتك وكل وجد يحجب
عنك فنسالك عوضه فقدا تصحبه انوار معرفتك قال وما يدلك
ان هذه سنة الله تعالى واحبابه واصفيايه قوله تعالى وزلزلوا
الاية وقوله تعالى حتى اذا استياس الرسل الاية وقوله عز وجل
ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض الايتين وقوله
عز من قايل اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا الى غير ذلك من الايات
الداله على هذا المعنى انتهى وكذلك من استحلى حالا وساكن
مقاما حمى سنة الله تعالى مع اوليايه تشويش ذلك عليهم وهو من
غيرته على قلوبهم ليلا تتالف بغيره وليلا تتقيد بسواه قال
الامام ابو القسم القشيري رضي الله عنه ومن المقاطع المشكلة السكون
الى استحلاء ما يلاقيك به من فنون تقريبك وكانه في خلال ما يناجيك
يناغيك فانه بكل لطيفة يصيبك ويطريك وعنها خلع خفيه ومن
ادركته السعاده كاشفه بشهود جلاله وجماله لا بابتاته في لطيف
احواله وما يخصه به من افضاله واقباله وادا الطاعات على وجه
الاستحلا محو وعندهم من الشهوة الخفيه ومن هذا المعنى ما ذكره
ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه لما دخل على شيخه ابي محمد عبد
السلام في اول ما لقيه وساله عن حاله فقال له اشكو الى الله تعالى من
برد

برد الرضا والتسليم كما تشكو انت من حر التدبير والاختيار فقال له
الشيخ ابو الحسن اما شكواي من حر التدبير والاختيار فقد ذقته وانا
الان فيه واما شكواك من برد الرضا والتسليم فلم افهمه فقال اخاف
ان تشغلني حلاوتهما عن الله عز وجل وقال سيدي ابو العباس
المرسي رضي الله عنه اللطف حجاب عن اللطيف يعني السكون اليه
والوقوف عنده وشدة الفرح به ولذلك قال سري السقطي رضي
الله عنه لو ان رجلا دخل الى بستان فيه من جميع ما خلق الله تعالى
من الاشجار وعليها من جميع ما خلق الله تعالى من الاطيار فخاطبه
كل طاير منها بلغته وقال السلام عليك يا ولي الله فسكنت نفسه الى
ذلك كان في يديها اسيرا وقال بعضهم لا يكون الصوفي صوفيا حتى
لا تقله ارض ولا تظله سماء ولا يكون له قبول عند الخلق ويكون
مرجعه في جميع احواله الى الحق وقيل الفقير من لا دنيا له ولا اخرة فاني
عرض على مالك قال ليس من رجالي وان سكن الى رضوان قال لا انظر
اليه فليس من رجالي وان قلت ممن هو وما الذي يدعيه قال ليس
ممن يدعي بشي وقال محمد بن حسان رضي الله عنه انا ادور
في جبل لبنان اذ خرج رجل شاب قد احرقته السموم والرياح فلما
نظر الي ولى هاربا فتبعته وقلت له تعظني بكلمة فقال احذر فانه
غيور لا يحب ان يرى في قلب عبده سواه وكتب الجنيد رضي الله
عنه الى بعض اخوانه من اشار الى الله وسكن الى غيره ابتلاه الله
وحجب ذكره عن قلبه واجراه على لسانه فان انتبه وانقطع عمن سكن
اليه ورجع الى ما اشار اليه كشف الله ما به من المحن والبلوى وان
دام على سكونه نزع الله تعالى من قلوب الرحمة عليه والبس لباس
الطمع فتزداد رغبته منهم مع فقدان الرحمة من قلوبهم فتصير
حياته عجزا وموته كمدا ومعاده اسفا ونحن نعوذ بالله من السكون
لغيره اذا علمت ان الشيطان لا يغفل عنك فلا تغفل انت عمن ناصيته بيده

الشيطان عدو مسلط على الانسان ومقتضى ذلك لا توجد منه غفلة
ولا فترة عن التزيين والاغواء والاضلال قيل لبعضهم اينام
ابليس فقال لو نام لوجدنا راحة فاذا علمت انه لا يغفل عنك فلا تغفل
انت عمن ناصيتك بيده وهو الله عز وجل وذلك بتحقيق عبوديتك
له وتوكلك عليه وافتقارك في كل احوالك اليه واستعاذتك به
من شر عدوك وعدوه فبذلك تخرج من سلطنته وتامن من
غايلته قال الله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى
بربك وكيلا وقال عز وجل انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى
ربهم يتوكلون فمن تحقق بهذه الصفات العلية من الايمان بالله تعالى والعبو
له والتوكل عليه والالتجاء والافتقار اليه والاستعاذة والاستجارة
به كيف يكون لعدو الله عليه سلطان والله تعالى حسيبه ووليه وحافظه
وناصره ولولا ما امرهم الله تعالى بالاستعاذة منه لما استعاذوا منه
ومن هو حتى يستعاذ بالله تعالى منه قال سيدي ابو العباس رضي
الله عنه في قوله تعالى ان الشيطان لكم عدو فقوم فهموا من هذا الخطاب
انهم امروا بعداوة الشيطان فشغلهم ذلك عن محبة الحبيب وقوم
فهموا عن ذلك ان الشيطان لكم عدو وانا لكم حبيب فاشتغلوا
بمحبته فكفاهم من دونه وقال ابو حازم رضي الله عنه ومن
الشيطان حتى يهاب لقد اطيع فما نفع ولقد عصي فما ضر قال
بعضهم الشيطان منديل هذه الدار يعني يمسح به اقذار النسب وهي
نسبة الشرور وانواع الفساد والمعاصي اليه ادبا مع الله عز وجل
وهذا سر ايجاده كما قال تعالى وما انسانيه الا الشيطان وقوله
تعالى هذا من عمل الشيطان واما ان له حولا او قوة يضر بها او ينفع فلا
قال ابو سليمان الداراني رضي الله عنه ما خلق الله تعالى خلقا
اهون علي من ابليس لولا ان الله عز وجل امرني ان اتعوذ منه
ما تعوذت منه ابدا وقيل لبعض العارفين كيف مجاهدتك مع الشيطان

فقال وما الشيطان نحن قوم صرفنا هممنا الى الله فكفانا من دونه
وسئل بعضهم بما ندفع ابليس فقال لا ادفع من لا اعرفه فاما ان
اهملت ذلك وغفلت عنه ولم تعبا به غلبك لا محالة لثبوت سلطنته
عليك ووصوله بالوسوسة اليك قال اهل العلم ان لكل واحد من
الناس وسواسا موكلا به مستبطنا قلبه واضعا راسه او قال
خرطومه عليه فاذا غفل العبد وسوس واذا ذكر الله تعالى خنس
اي تاخر واستتر قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه الشيطان
قديم وانت حديث والشيطان كيس وانت سليم الناحية والشيطان
لا ينساك وانت لا تزال تنساه وله من نفسك عليك عون وقيل
صدر ابن ادم مسكن له ومجراه من ابن ادم مجرى الدم وانت لا
تقاومه الا باذن الله تعالى وقال مالك بن دينار رضي الله
عنه ان عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤنة الا من عصمه الله وفيه
يقول القايل ... ولا اراه حيث ما يراني
وعندما انساه لا ينساني ... فسيدي ان لم تغث سباني
قال ذو النون المصري رضي الله عنه ان كان هو يراك من حيث
لا تراه فان الله يراه من حيث لا يرى الله فاستعن بالله عليه وعن
ابي سعيد الخدري رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول قال ابليس لربه عز وجل بعزتك وجلالك لا ابرح اغوي بني
ادم ما دامت الارواح فيهم قال له ربه بعزتي وجلالي لا ابرح
اغفر لهم ما استغفروني **جعله لك عدوا ليحوشك به اليه ويحرك عليك
النفس ليديم اقبالك عليه** عداوة الشيطان لك نعمة عظيمة من الله تعالى
عليك اذ من مقتضاها ان لا يغفل عنك وان يبذل جهده في محاربتك
ومقاتلتك بنفسه وبجنده وبخيله وبرجله ولا طاقة لك على مقاتلته
بنفسك لانك في غاية الضعف والعجز فيضطرك الحال لا محالة الى
الاستعانة عليه بمولاك القوي المتين فيوجد منك حينئذ الالتجاء

الله والانتصار به والتوكل عليه في دفعه عنك فعداوة الشيطان
هي التي ردتك للحق تعالى بها اليه وجمعتك بها عليه وهذا هو غاية المقصود
وكذلك حركة النفس عليك بالحمل على متابعة الهوى والشهوة بما جبلت
فيها من الطبع والجبلة ايضا نعمة عظيمة وان كانت اعدا الاعدا
لك اذ بواسطتها يتوصلون اليك وبامرها يعملون فيما يعود بالضرر
عليك من قبل انك لا تقدر على مجاهدتها وقمع هواك الممتزج بلحمك
ودمك الا بمن هو اقوى منك وليس ذلك الا مولاك فقد دعاك
بهذا الى دوام الاقبال اليه والعكوف بالهم عليه وكان المولف
رحمه الله قصد في هذه الكلمات الى ذكر الاعداء الاربعة المذكورين
في قول الشاعر

اني بليت باربع يرمينني • بالنبل عن قوس لها توتير
ابليس والدنيا ونفسي والهوى • يا رب انت على الخلاص قدير

وبين في كلامه وجود عداوتهم ووجوه الاحتراز منها وتمم ذلك
ببيان ان تلك العداوة وان عظمت من اعظم الوسائل الى اسني المقاصد
لمن اريد بذلك ووفق له واتى بجميع ذلك في الفاظ بديعة مختصرة
وجيزة محررة فاعرف قدر هذا الفضل واعترف لواضعه بكمال
النبل والفضل **جعلك في العالم المتوسط بين ملكه وملكوته ليعلمك
جلالة قدرك بين مخلوقاته وانك جوهرة تنطوي عليها اصداف
مكوناته** خلق الله تعالى الانسان في احسن تقويم واتم تسوية وتعديل
وجعل بنيته متضمنة اسرار جميع الموجودات علويها وسفليها لطيفها
وكثيفها فصار لذلك روحانيا جسمانيا ارضيا سماويا ولذلك يقال
له العالم الاصغر وهذا هو الذي يظهر لي في معنى جعله في العالم المتوسط
بين عالم الملك وعالم الملكوت وعالم الملك هو عالم الشهادة وعالم الملكوت
هو عالم الغيب فلاجرم لما كان الانسان بهذه المثابة من كونه نسخة جميع
الموجودات الجسمانيات والروحانيات كانت الاكوان كلها له باعتبار

احاطتها

احاطتها به وحفظها له بمنزلة القشر والصوان الذي يحفظ الشيء ويصونه
وكان هو بمنزلة الجوهرة النفيسة التي تحويها الصدفة والمقصود من هذا
ان يعرف الانسان جلالة قدره وفخامة امره فيعلو بهمته الى المراتب
السامية اللايقة به وذلك باخلاص العبودية لربه عز وجل وقطع النظر
عن كل ما سواه وينظر في هذا المعنى الى ما قال الشاعر

اذا كنت كرسيا وعرشا وجنة • ونارا وافلاكا تدور واملاكا
وكنت من السر المصون سريرة • وادركت هذا بالحقيقة ادراكا
فهمتك التي في الحضيض تثبطا • معيبا مع الاسرا اما حان اسراكا

كان الشيخ ابو العباس المرسي رضي الله عنه يقول الاكوان كلها عبيد
مسخرة وانت عبد الحضرة وقد ورد في بعض الكتب المنزلة يا ابن ادم
انا بدك اللازم فالزم بدك وفي بعض الاثار المروية عن الله
عز وجل يا ابن ادم خلقت الاشيا كلها لاجلك وخلقتك من اجلي فلا
تشتغل بما هو لك عما انت له وقال الواسطي رضي الله عنه في معنى
قوله ولقد كرمنا بني ادم قال بان سخرنا لهم الكون وما فيه لئلا يكونوا
في تسخير شي ويتفرغوا الى عبادة ربهم

باب الصحبة

لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله تكلم هاهنا
في الصحبة وهي اصل كبير من اصول القوم وفيها منافع وفوائد ولذلك
استمر عليها قديما وحديثا وقد نبه المولف رحمه الله تعالى على فايدتها
في قوله لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله فانهاض
الحال ودلالة المقال على الله تعالى هو فايدة الصحبة ومعنى الحال
المنهضة هاهنا هو ان تكون همته متعلقة بالله تعالى مرتفعة عن الخلق
لا يلجا في حوايجه الا الى الله تعالى ولا يتوكل في اموره الا على الله
تعالى قد سقط الناس من عينه فلا يرى منهم ضرا ولا نفعا وسقطت
نفسه من عينه فلا يشاهد لها فعلا ولا يقتضي لها حظا ويكون في اعماله
كلها جاريا على مقتضى الشرع من غير افراط ولا تفريط وهذه صفة العارفين

والموحدين فصحبة من هذه حاله وان قلت عبادته ونوافله ثم انه بهذه الخصايله
محمودة العاقبة جالبة لكل فايدة دينية ودنياوية لان الطبع يسرق
من الطبع والنفس مجبولة على حب الاقتداء بمن تستحسن حاله ولا يشترط في
في المصحوب الصاف بتلك الصفات على غاية الكمال والتمام فان ذلك يتعذر
وانما يشترط فيه ان يتصف منها بما يفوق صاحبه به فقط بحيث يكون اعلا
منه حالا واصوب منه مقالا ومن لم يكن على هذا الوصف وكان شانه
المعامله بالظاهر لا غير فليس له فايدة في صحبته بل ربما زادته شرا لان
خلطته تدعو الى التصنع له والتزين ويوديه ذلك الى كباير معاصي
القلوب وهي اشد عليه من معاصي الجوارح بكثير قال يوسف بن الحسين
رحمه الله لان القى الله عز وجل بجميع المعاصي احب الي من ان القاه بذرة
من التصنع فيدخل عليه بذلك النقص في حاله من حيث رجا الزيادة
ومنها قال بعض الصوفية لا تعاشر من الناس الا من لا تزيد عنده
ببر ولا تنقص عنده باثم يكون ذلك لك وعليك وانت عنده سوا وقال
بعضهم كن مع ابنا الدنيا بالادب ومع ابناء الاخرة بالعلم ومع العارفين
كيف شيت وقيل لبعض الصالحين ان فلانا يحبك ويكثر ذكرك فقال
انه لحبيب الي واجله واعرف قدره ولكن يهون علي ان القى الشيطان
مائة مرة ولا القاه مرة واحدة قيل له كيف ذلك قال اخشى ان
اتزين له او يتزين لي قال الشيخ ابو طالب المكي رضي الله عنه وكان
هذه الطايفة من الصوفية لا يصطحبون الا على استوا اربعة معان
لا يترجح بعضها على بعض ولا يكون فيها اعتراض من بعض على بعض
ان اكل صاحبهم النهار كله لم يقل له صاحبه صم وان صام صاحبه
الدهر كله لم يقل له صاحبه افطر وان نام ليله كله لم يقل له صاحبه
قم وان صلى الليل كله لم يقل له صاحبه نم بعضه ويستوي احواله عنده
فلا مزيد لاجل صيامه وقيامه ولا نقص لاجل افطاره ونومه قالوا
واذا كان يزيد عنده بالعمل وينقص بترك العمل فالفرقة اسلم للدين

وابعد

وابعد من المراياة من قبل ان النفس مجبولة على حب المدح وكراهة
الذم ومبتلاه بان تزين حالها التي عرفت به وان تظهر احسن ما يحسن
عند الناس منها وان تجتلب ما يوجب المدح منهم والى تجتنب ما يوجب
الذم لهم فاذا صعب من يعمل هذا فليس ذلك طريق الصالحين ولا بغية
المخلصين فمجانبة هولاء الناس اصلح للقلوب واسلم للدين وفي معاشرة
امثالهم فساد القلب ونقصان الايمان وضعف اليقين لان هذه
اسباب الريا وفي الريا حبط الاعمال وخسران راس المال والسقوط
من عين ذي الجلال وكان الثوري رضي الله عنه يقول من
عاشر الناس داراهم ومن داراهم راياهم ومن راياهم وقع فيما وقعوا
فيه فهلك كما هلكوا وكان بعض الحكما يقول لا تواخ من الناس من
يتغير عليك في اربع عند غضبه ورضاه وعند طمعه وهواه لان هذه
المعاني تتغير لها الطباع لدخول الضرر منها على النفس وفقد الانتفاع
وقال في موضع اخر ومن كان ناظرا في اخوة اخيه او في صحبته لكثرة
اعماله او وافقا مع اكمال حاله دل على جهله بهذه الطريق التي تفد الى
التحقيق لانها تحول وانما العمل على حقايق القلوب لانها ثابتة في الاصول
فان اقترن الى جهله نقص معرفة الاخوة دخل عليه التزين له والتصنع
عنده لعلو منزلته وحسن عنده اثره فيدخل ذلك في الشرك
ويخرجه الشرك عن حقيقة التوحيد فتزل قدم بعد ثبوتها ويسقط
من عين مولاه فلا يتولاه لان النفس مبتلاه بحب الثناء والمدح واثبات
المنزلة باظهار الوصف فيكون هذا الصاحب حينيذ من اشام الناس
عليه واضرهم له ويصير احدهما بلاء على صاحبه فليفارقه حينيذ
لانه جاهل فلا يصحبه لانه يجد النقصان بصحبته وتدخل عليه الافات
بمقاربته وليتفرد بنفسه وليصدق في حاله عالية كانت او دنية وضيعة
كانت او رفيعة من غير مقاربة احد ولا مباينته فهو خير له واحمد عاقبة
انتهى ويدل على ارادة صاحب هذا الكتاب لهذا المعنى الذي ذكرنا

في التنبيه على قوله لا تصحب من لا ينهضك حاله ما عقبته به من قوله
ولا يدلك على الله مقاله فيكون الحال والمقال متناسبين في كون كل
واحد منهما متعلقا بالله تعالى عبودية ودلالة قال سهل بن
عبد الله رضي الله عنه احذر صحبة ثلاثة من اصناف الناس الجبابرة
الغافلين والقراء المداهنين والمتصوفة الجاهلين وقال
يوسف بن حسين رحمه الله قلت لذي النون المصري رضي الله
عنه من اصحب قال من لا تكتمه شيئا يعلمه الله منك وقال حمدون
القصار رضي الله عنه اصحب الصوفية فان للقبيح عندهم وجوها
من المعاذير وليس للحسن عندهم كبير موضع يعظمونك به اشارة الى ان
العجب بالعمل منتفي في صحبتهم وقال الجنيد رضي الله عنه اذا اراد
الله بالمريد خيرا اوقعه الى الصوفية ومنعه صحبة القراء وقال علي
رضي الله عنه شر الاصدقاء من احوجك الى المداراة والجاك الى الاعتذار
وقال هو شر الاصدقاء من تتكلف له وانشد ابو يوسف بن حسين الرازي

احب من الاخوان كل مواتي ، وفي غضيض الطرف عن عثراتي ،
يوافقني في كل امر احبه ، ويحفظني حيا وبعد مماتي ،
فمن لي بهذا ليتني قد وجدته ، فقاسمته مالي من الحسنات ،

والحاصل من هذا ان صحبة الصوفية هي التي يحصل بها كمال الانتفاع
للصاحب دون من عداهم من المنتسبين الى العلم والدين لانهم خصوا من
حقائق التوحيد والمعرفة بخصائص لم يشاركهم فيها احد وسريان
ذلك من الصاحب الى المصحوب هو غاية الامل والمطلوب فقد
قيل من تحقق بحالة لم يخل حاضروه منها فمن جلس على دكان العطار لم يفقد
الرائحة الطيبة هذا في الحضور والمجالسة فما ظنك في الصحبة والمؤانسة
وقد وصفهم بعض العلماء فقال الصوفي من لا يعرف في الدارين غير الله ولا
يشهد مع الله سوى الله فقد سخر له كل شيء ولم يسخر هو لشيء وسلط على كل شيء
ولم يسلط عليه شيء ياخذ النصيب من كل شيء ولا ياخذ منه النصيب شيء يصفو له

كدر كل

كدر كل شيء ولا يكدر صفوه شيء قد شغله واحد عن كل شيء فانظر رحمك
الله هذه الصفات ما اعظمها واجلها وما اشرف حال من اتصف بها وما اعزه
في هذا الوجود نفعنا الله بهم ورزقنا من بركاتهم وفي صحبة امثال هؤلاء
يحصل للمريد من المزيد ما لا يحصل له بغيرها من فنون المجاهدات وانواع
المكابدات حتى يبلغ من ذلك الى امر لا يسعه عقل عاقل ولا يحيط به
علم عالم نافذ قال سيدي ابو العباس المرسي رضي الله عنه ماذا
اصنع بالكيميا والله لقد صحبت اقواما يعبر احدهم على الشجرة اليابسة
فيشير اليها فتثمر رمانا في الوقت فمن صحب هؤلاء الرجال فماذا يصنع
بالكيميا وقال ايضا رضي الله عنه ما سار الاولياء والابدال من قاف
الى قاف الا حتى يلقوا واحدا مثلنا فاذا لقوه كان بغيتهم وقال
ايضا رضي الله عنه الولي اذا اراد اغنى وقال ايضا والله ما بيني
وبين الرجل الا ان انظر اليه نظرة وقد اغنيته وقال فيه
شيخه ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه ابو العباس هو الرجل الكامل
والله انه لياتي اليه البدوي يبول على ساقيه فلا يمسي عليه المساء الا
وقد وصله الى الله تعالى وسياتي في باب الوعظ طرف من ذكر حال المؤلف
رحمه الله في صحبته وما وصل اليه ببركة رؤيته عند قوله كل كلام
يبرز وعليه كسوة القلب الذي منه برز ما كنت محسنا فاراك الاحسان
منك صحبتك الى من هو اسوا حالا منك هذه اعظم آفة تدخل على من خالف
ما ذكر وصحب من هو دونه في الحال وهو استحسانه لما هو عليه فيؤديه
ذلك الى رضاه عن نفسه ورؤيته لاحسانها وهو اصل كل شر ما صحبك
الا من صحبك وهو بعيبك عليم وليس ذلك الا مولاك الكريم خير من تصحب
من يطلبك لا لشيء يعود منك اليه الصاحب على الحقيقة هو من بذل
احسانه لك واسبغ نعمه عليك ولم يمنعه من ذلك ما يعلمه من عيوبك
التي يكرهها منك وليس ذلك الا مولاك الكريم وخير صاحب لك من اعتنى بك
وآثرك واراد لك من غير منفعة ينالها منك وليس ذلك ايضا الا مولاك

فاتخذ صاحبا ودع الناس جانبا **باب الطمع** ما بسقت
اغصان ذل الا على بذر الطمع البسوق الطول يقال بسقت النخلة بسوقا
اذا طالت قال الله تعالى والنخل باسقات والاغصان جمع غصن وهو ما تشعب
عن بسوق الشجر ويجمع ايضا على غصون والبذر الحب الذي يزرع وهذه
كلها استعارات مليحة والطمع من اعظم افات النفوس وعيوبها القادحة
في عبوديتها بل هو اصل جميع الافات لانه محض تعلق بالناس والتجاء
اليهم واعتماد عليهم وعبودية لهم وفي ذلك من الذلة والاهانة ما لا يخفى
من يكل عليه ولا يحل للمومن ان يذل نفسه والطمع مضاد لحقيقة الايمان
الذي يقتضي وجود العزة والعزة التي تتصف بها المومنون انما تكون برفع
هممهم الى مولاهم وطمانينة قلوبهم اليه وثقتهم به دون من سواه
فهذه هي العزة التي منحها الله تعالى عبده المومن من حيث قال تعالى
ولله العزة ولرسوله وللمومنين وكما ان العزة من صفات المومنين
كذلك الذلة من اخلاق الكفرين والمنافقين قال الله تعالى ان الذين
يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين قال ابو بكر الوراق الحكيم
رضي الله عنه لو قيل للطمع من ابوك قال الشك في المقدور ولو
قيل له ما غايتك قال الحرمان وقال ابو الحسن الوراق النيسابوري
رضي الله عنه من اشعر في نفسه محبة شيء من الدنيا فقد قتلها بسيف
الطمع ومن طمع في شيء منها ذل وبذلة هلك وقد قيل

اتطمع في ليلى وتعلم انها ... تقطع اعناق الرجال المطامع

والطامع لا محالة فاسد الدين مفلس من انوار اليقين قال في التنوير
وتفقد وجود الورع من نفسك اكثر ما تتفقد ما سواه وتطهر من الطمع
في الخلق فلو تطهر الطامع فيهم بسبعة ابحر ما طهره الا الياس منهم ورفع
الهمة عنهم قال ودخل علي بن ابي طالب البصرة فدخل جامعها فوجد
القصاص يقصون فاقامهم حتى جا الى الحسن البصري رضي الله عنه فقال
يا فتى اني سائلك عن امر فان اجبتني عنه ابقيتك والا اقمتك كما اقمت اصحابك

وكان

ولو قيل له ما حرفتك لقال اكتساب الذل صح

وكان قد رأى عليه سمتا وهديا فقال الحسن سل عما شئت فقال ما ملاك
الدين قال الورع قال فما فساد الدين قال الطمع قال اجلس فمثلك من يتكلم
على الناس قال وسمعت شيخنا رضي الله عنه يقول كنت في ابتدا
امري بثغر الاسكندرية جئت الى بعض من يعرفني فاشتريت منه حاجة
بنصف درهم قلت في نفسي فلعله لا ياخذ مني فهتف بي هاتف السلامة
في الدين بترك الطمع في المخلوقين قال وسمعته يقول صاحب
الطمع لا يشبع ابدا الا ترى ان حروفه كلها مجوفة الطا والميم والعين
ثم قال بعد هذا فعليك ايها المريد برفع همتك عن الخلق ولا تذل لهم
فقد سبقت قسمته وجودك وتقدم ثبوته ظهورك واسمع ما قال بعض المشايخ
ايها الرجل ما قدر لماضغيك ان يمضغاه فلا بد ان يمضغاه فكله ويحك
بعز ولا تاكله بذل قلت تقدم الان في التنوير من كلامه ذكر الورع في
مقابلة الطمع وكذا في جواب الحسن لعلي رضي الله عنهما ولا شك ان الورع
الظاهر لعامة الناس وهو ترك المشتبهات والتحرج عن اقتحام المشكلات
لا يقابل الطمع كل المقابلة وقد ذكرنا ان الطمع ما هو وانما يقابله ورع الخاصة
وهو عندهم على صحة اليقين وكمال التعلق برب العالمين ووجود السكون
اليه وعكوف الهمم عليه وطمانينة القلب به ولا يكون له ركون الى غير
ولا انتساب الى خلق ولا كون فهذا هو الورع الذي يقابل الطمع المفسد وبه
يصلح كل عمل مقرب وحال مسعد كما نبه عليه الحسن رضي الله عنه في جوابه المذكور
قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه الورع على وجهين ورع في الظاهر
ان لا تتحرك الا لله وورع في الباطن وهو ان لا يدخل قلبك الا الله ذكر
ان بعضهم كان حريصا على ان يرى احدا من هذه صفته فجعل يجتهد في طلبه
ويحتال على التوصل اليه بان ياخذ الشي بعد الشي من ماله ويقصد
به الفقراء والمساكين ويقول لمن يعطيه منهم حين المناولة خذ لاكل فكانوا
ياخذون ولا يسمع لاحد منهم جوابا مطابقا لما اراده بكلامه الى ان ظفر
ذات يوم ببغيته وحصل على مقصوده ومنيته وذلك انه قال لاحدهم خذ

صح

لا لك فقال له اخرج لا املك فان كان للعبد استشراف الى الخلق او سبقية
نظر اليهم قبل مجي الرزق او بعده فمقتضى هذا الورع والواجب في
حق الادب ان لا ينيل نفسه شيا مما ياتيه على هذا الحال عقوبة لنفسه
في نظره الى ابناء جنسه كقصة ايوب الجمال مع احمد بن حنبل رضي الله عنه
وهي معروفة وكما روي عن الشيخ ابي مدين رضي الله عنه انه اتاه جمال
بقمح فنازعته نفسه وقالت له اترى من اين هذا فقال لها انا اعرف
من اين هو يا عدوة الله وامر بعض اصحابه ان يدفعه الى بعض الفقرا
عقوبة لها وكونها رات الخلق قبل روية الحق تعالى وقد قيل احل
الحلال ما لم يخطر لك على بال ولا سالت فيه احدا من النساء والرجال
وقد صرح بهذا المعنى الذي ذكرناه واوضح الغرض الذي قصدناه
شيخ الطريقة وامام اهل الحقيقة من المتاخرين ابو محمد عبد العزيز
المهدوي رضي الله عنه فانه قال اعلم ان الورع ان لا يكون
بينك وبين الخلق نسبة في اخذ او عطا او قبول او رد وان يكون
التسبب له تعالى وهو ان تاتي طاهرا من جميع الاشيا والعلم والعمل
كما قال تعالى ولقد جيتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وقال
ايضا الورع ان لا يخطر الرزق بالبال ولا يكون بينه وبينه
نسبة لا في التحصيل ولا عند المباشرة لانه لا يدري اياكله ام لا وقال
رضي الله عنه الورع ان لا تتحرك ولا تسكن الا وترى الله عز
وجل في الحركة والسكون فاذا راى الله ذهب الحركة والسكون
وبقي مع الله فالحركة ظرف لما فيها كما قال ما رايت شيا الا رايت
الله فيه فاذا راى الله عز وجل ذهبت الاشيا وقال ايضا
اجمع العلما ان الحلال المطلق ما اخذ من يد الله بسقوط الوسايط
هذا مقام التوكل ولهذا قال بعضهم الحلال هو الذي لا ينسى الله فيه
الى غير هذا من العبارات التي عبر بها في هذا المعنى وقال بعض اهل
هذه الطايفة العبيد كلهم ياكلون ارزاقهم ثم يتفرقون في المشاهدات

فمنهم

فمنهم من ياكل رزقه بذل ومنهم من ياكل رزقه بامتهان ومنهم من
ياكل رزقه بانتظار ومنهم من ياكل رزقه بعز بلا انتظار ولا مهنة
ولا ذل فاما الذين ياكلون ارزاقهم بذل فالسوال يشهدون ايدي
الخلق فيبذلون لهم واما الذين ياكلون ارزاقهم بامتهان فالصناع ياكل
احدهم رزقه بمهنة وكد واما الذين ياكلون ارزاقهم بانتظار كالتجار
ينتظر احدهم نفاد سلعته فهو متعوب القلب معذب بانتظاره واما
الذين ياكلون ارزاقهم بعز من غير مهنة ولا انتظار ولا ذل
فالصوفية يشهدون العزيز فياخذون قسمتهم من يده بعزة وقال
سهل بن عبد الله رضي الله عنه ليس مع الايمان اسباب انما الاسباب
في الاسلام قال الشيخ ابو طالب رضي الله عنه معناه ليس في
حقيقة الايمان روية الاسباب والسكون اليها انما رويتها والطمع
في الخلق يوجد في مقام الاسلام وقد عقد المولف رضي الله عنه
في لطايف المنن فصلا في هذا المعنى وجعل الجميع وظايف الاداب
الدينية اصلا ومنشا فراينا نقله في هذا الموضع من صواب العمل
المتكمل ان شا الله تعالى بنجاح الامل قال رضي الله عنه واعلم
رحمك الله تعالى ان الورع للخصوص لا يفهمه الا القليل فان من جملة
ورعهم تورعهم عن ان يسكنوا لغيره او يميلوا بالحب لغيره او تمتد مطامعهم
في الطمع في غير فضله وخيره ومن ورعهم ورعهم عن الوقوف
مع الوسايط وخلع الانداد والارباب ومن ورعهم ورعهم عن الوقوف
مع العادات والاعتماد على الطاعات والسكون الى انوار التجليات
ومن ورعهم ورعهم ان تفتنهم الدنيا او توقفهم الاخرة
تورعوا عن الدنيا وفا وعن الوقوف مع الاخرة صفا قال
الشيخ عثمان بن عاشور رضي الله عنه خرجت من بغداد اريد الموصل
فبينما انا اسير فاذا بالدنيا قد عرضت علي بعزها وجاهها ورفعتها
ومراكبها وملابسها ومزيناتها ومستلذاتها فاعرضت عنها فعرضت

على الجنة بحورها وقصورها وانهارها واثمارها ولم اشتغل بها فقيل لي يا عثمان
لو وقفت مع الاولى لحجبناك عن الثانيه ولو وقفت مع الثانيه لحجبناك
عنا فها نحن لك وقسطك من الدارين يأتيك وقال الشيخ عبد الرحمن
المغربي وكان مقيما بثغر الاسكندريه حججت سنة من السنين فلما قضيت
الحج عزمت على الرجوع الي الاسكندريه فاذا على بقايل لي انك العام القابل
عندنا فقلت في نفسي اذا كنت العام القابل ههنا فلا اعود الى
الاسكندريه فخطر لي الذهاب الي اليمن فاتيت على عدن فانا يوما على
ساحلها اذا بالتجار قد اخرجوا بضايعهم ومتاجرهم ثم نظرت فاذا
رجل فرش سجادة على البحر ومشى على الما فقلت في نفسي لم اصلح للدنيا
ولا للاخرة فاذا على بقايل لي من لم يصلح للدنيا ولا للاخرة يصلح لنا
قال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه الورع نعم الطريق لمن
عجل ميراثه واجل ثوابه فقد انتهى بهم الورع الى الاخذ من الله
وعن الله والقول بالله والعمل لله وبالله على البينة الواضحه والبصيرة
الفايقه فهم في عموم اوقاتهم وساير احوالهم لا يدبرون ولا يختارون
ولا يريدون ولا يتفكرون ولا ينظرون ولا ينطقون ولا يبطشون ولا
يمشون ولا يتحركون الا بالله ولله من حيث يعلمون هجم بهم العلم على حقيقة
الامر فهم مجموعون في عين الجمع لا يفترقون فيما هو اعلى ولا فيما هو ادنى
واما ادنى الادنى فالله يورعهم عنه ثوابا لورعهم مع الحفظ للمنازلات
الشرع عليهم ومن لم يكن لعلمه وعمله ميراثا فهو محجوب بدنياه ومصرود(?)
بدعواه وميراثه التعدي لخلقه والاستكبار على مثله والدلالة على الله بعمله
فهذا هو الخسران المبين والعياذ بالله العظيم من ذلك والاكياس يتورعون
عن هذا الورع ويستعيذون بالله منه ومن لم يزدد بعلمه وعمله احتقارا
لنفسه وافتقارا لربه وتواضعا لخلقه فهو هالك فسبحان من قطع كثيرا
من الصالحين بصلاحهم عن مصلحهم كما قطع كثيرا من المفسدين بفسادهم
عن موجدهم فاستعذ بالله انه هو السميع العليم قال فانظر فهمك الله سبيل

اوليايه

اوليايه ومن عليك بمتابعة احبابه هذا الورع الذي ذكره الشيخ
رضي الله عنه هل كان يصل فهمك الى مثل هذا النوع من الورع
الا ترى قوله فقد انتهى بهم الورع الى الاخذ من الله وعن الله والقول
بالله والعمل لله وبالله وهي البينة الواضحه والبصيرة الفايقه فهذا
هو ورع الابدال والصديقين لا ورع المتنطعين الذي ينشا من
سوء الظن وغلبة الوهم انتهى وانما اوردنا هذه المعاني ههنا
تتميما للفايدة المتعلقه بكلام صاحب كتاب التنوير من كون الورع مناقضا(?)
للطمع وقد تقدم في باب الفقر مزيد بيان فيه عند قوله لا تمدن يديك
الى الاخذ من الخلايق الى اخره فانظر فيه **ما قادك شي مثل الوهم** الوهم امر
عدمي وهو ضد للحقيقه الوجوديه والنفس الناقصه انقيادها الي
الامور الوهمية الباطله اشد من انقيادها الحقايق الثابته لوجود
المناسبة بينهما ولا الطمع في الناس انقيادا الي الاوهام الباطله
لان الطمع تصديق الظن الكاذب والطمع فيهم طمع في غير مطمع
وارباب الحقايق بمعزل عن هذا لا تتعلق هممهم الا بالله ولا يثقون
الا به قد سقط اعتبار الاوهام والخيالات التي هي متعلقة بالاغيار
عن قلوبهم فزال عنهم الطمع واتصفوا بصفة القناعة والورع
فكانت لهم الحياة الطيبه والعيشة الراضيه والقناعة مقام عظيم من
مقامات اليقين وهي من بداية احوال الراضين وقال بعض العارفين
لا يكون العبد قانعا حتى لو جا الى باب منزله جميع ما يرغب اليه اهل
الدنيا من الاتساع والنعمة فعرض عليه لم ينظر الى ذلك ولم يفتح بابه
قناعة منه بحاله وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في معنى قوله تعالى
فلنحيينه حياة طيبة قال هي القناعة **انت حر ما انت منه آيس وعبد لما انت
فيه طامع** الطمع في الشي دليل على الحب له وفرط الاحتياج الى نيله وذلك عبودية
له كما ان الياس من الشي دليل على فراغ القلب منه وغنا عنه وذلك حرية
منه فالطامع عبد واليايس حر ولهذا قيل العبد حر ما قنع والحر عبد ما طمع وقيل

لولا الاطماع الكاذبة لما استعبد الاحرار بكل شي لا حظ له وقيل ان العقاب
يطير في فضاء عنه بحيث لا يرتقي طرف الى مطاره ولا شهوة الى الوصول
اليه فيرى قطعة لحم معلقة على شبكة فينزله الطمع من مطاره فيتعلق بالشبكة جناحه
فيصيده صبي يلعب به وقيل ان فتحا الموصلي رضي الله عنه كان قاعدا
فسئل عمن تابع الشهوات كيف صفته وكان بقربه صبيان مع احدهما
خبز بلا ادام ومع الاخر خبز مع كامخ فقال له الذي لم يكن معه كامخ لصاحبه اطعمني
من الكامخ قال له بشرط ان تكون كلبي فقال له صاحبه نعم فجعل خيطا في فيه
وجعل يجره كما يقاد الكلب فقال فتح للسائل اما انه لو رضي بخبزه ولم يطمع
في كامخه لم يصر كلبا لصاحبه وحكي عن بعضهم انه دخل على تلميذ له
فقدم التلميذ اليه خبزا فقال الم يكن له ادام فاخذ يتمنى بقلبه ان ليت
كان له ادام يقدم الى استاذه فقام الاستاذ فقال له تعال حتى نحمله الى
باب الحبس فراى الناس يضرب واحد ويقطع اخر ويعذب بكل واحد بانواع
العذاب فقال الاستاذ للتلميذ ترى هولاء الذين لم يصبروا على الخبز القفار
وقيل ان رجلا اخرج من السجن وفي رجليه قيد وهو يسال الناس فقال
لانسان اعطني كسرة فقال له لو قنعت بالكسرة ما وضع القيد في رجلك
وراى رجل رجلا من الحكما ياكل ما تساقط من البقل على راس ماء فقال
له لو خدمت السلطان لم تحتج الى اكل هذا وقال الحكيم وانت لو قنعت
بهذا لم تحتج الى خدمة السلطان وقد اردت ان اذكر هاهنا حكاية مناسبة
لما نحن فيه ليعرف بها كيف تكون الهمة السنية والاداب المرضية
في اخذ البلغ من الدنيا والقناعة باليسير من الاشيا ورؤية منة
الله تعالى في تيسير القليل والشكر له على ذلك قال بعضهم خرجنا
من المدينة حجاجا فلما كنا بالرواية نزلنا فوقف بنا رجل عليه ثياب
رثة وله منظر وهيبة ومروة فقال من يبغي خادما من يبغي ساقيا
فقلت دونك هذه القربة فاخذها وانطلق فلم يلبث الا يسيرا حتى
اقبل وقد امتلات اثوابه طينا واثرت العصم في كتفيه فوضعها وهو كالمسرور

الضاحك

الضاحك ثم قال الكم غيرها فكنا الا واطعمناه قرصا باردا فاخذه وحمد الله
سبحانه وشكره كثيرا ثم اعتزل وجعل ياكله اكل جائع فادركتني عليه
الشفقة فقمت اليه بطعام طيب كان معنا واكثرت له منه فقلت له
قد علمت انه لم يقع القرص منك بموقع فدونك هذا الطعام فنظر في وجهي
وتبسم وقال يا عبد الله انما هي فورة جوع فما ابالي باي شي رددتها عني
فرجعت عنه فقال لي رجل الى جنبي اتعرفه قلت لا قال انه رجل من بني
هاشم من ولد العباس بن عبد المطلب هذا من ولد سليمان بن ابي جعفر
المنصور كان يسكن البصرة فتاب فخرج منها ففقد فما علم له اثر قال
فاعجبني قوله ثم تجمعت به وانسته وقلت له يا فتى انا رجل من اخوانك
وقد بلغني موضعك فاحببت الاتصال بك فهل لك ان تعادلني
فان معي فضلة من راحلتي فجزاني خيرا وقال لو اردت هذا لكان لي
معدا ثم انس بي وجعل يحدثني فقال انا رجل من ولد العباس كنت
اسكن البصرة وكنت ذا كبر شديد وتجبر وبذخ واني امرت خادما لي
ان يحشو لي فراشا من حرير ومخدة بورد نثير فبينما انا نايم اذا بقمع
وردة قد اغفلته الخادم فقمت اليها فاوجعتها ضربا ثم عدت الى
مضجعي بعد اخراج القمع من المخدة فاتاني آت في منامي في صورة
فظيعة فهزني وقال افق من غشيتك وابصر من حيرتك ثم انشا يقول
يا خد انك ان توسد لينا ۞ وسدت بعد الموت صم الجندل
فامهد لنفسك صالحا تسعد به ۞ فلتندمن غدا اذا لم تفعل
فانتبهت فزعا فخرجت من ساعتي الى ربي هاربا فهذا خبري قال
الراوي فلما قضى حديثه هذا انخنس عني ومضى **باب التواضع**
من اثبت لنفسه تواضعا فهو المتكبر حقا اذ التواضع لا عن رفعة فمتى اثبت
لنفسك تواضعا فانت المتكبر اثبات التواضع يقتضي وجود الرفعة لا محالة
اذ لو كانت معدومة لكان ضدها وهو الضعة ثابتا موجودا ولا ينتفي عن
العبد التكبر الا بوجود الضعة ووجود الضعة لا يحتاج الى اثبات من العبد

ثابت صح
لانه في نفسه فالتواضع الذي اثبت العبد لنفسه لا ينفي عنه وجود
التكبر بالضرورة وايضا فان لفظة التواضع تؤذن بذلك فان التواضع
تفاعل من الضعف واكثر باب التفاعل موضوع لاظهار الصفة وليست
كذلك كالتناوم والتساكر والتفالج والتمارت وغير ذلك فصيغة التواضع
لا تقتضي حقيقة الصيغة وعدم الرفعة ولا يلزم من وجودها ذلك
والمطلوب من العبد انما هو ان يتصف العبد بذلك حقيقة لا اظهار
فقط بل ينتفي عنه وجود الرفعة بالكلية وحينئذ يبرا العبد من
الكبر ولا يكون له وجود البتة ليس المتواضع الذي اذا تواضع راي
انه فوق ما صنع ولكن المتواضع الذي اذا تواضع راي انه دون ما
صنع هذا بيان اخر لما ذكره من ان العبد المتواضع حقيقة لا يثبت
التواضع لنفسه لانه يشاهد من ضعة قدره وخمول ذكره وذلته ومهانته
ما يمنعه من ذلك وهذا هو التواضع الحقيقي وهو شهوده لذلك ووروده
به وظهور اثاره عليه على ظاهره بل شهوده لذلك ووجوده به مما يقدح
في حقيقة تواضعه كما قال الشيخ ابو عبد الله القرشي رضي الله عنه
من وجد ذوق ذلة في ذلة فهو متعزز وفيه بقية فهذا العبد المتصف
بهذه الصفة لو فعل افعال المتواضعين ما شا لم يثبت بذلك لنفسه
تواضعا لانه يرى نفسه دون ما صنع من ذلك لغلبة ذلك الشهود
والوجد عليه فان اثبته لنفسه وراى نفسه فوق ما صنع مما يقتضي
وجود صفة التواضع له بزعمه فهو متكبر حقيقة ولذلك قال الشبلي
رضي الله عنه يوما في بعض كلامه ذلي عطل ذل اليهود وقال
من راي لنفسه قيمة فليس له من التواضع نصيب وقال ابو
سليمان رضي الله عنه لا يتواضع العبد حتى يعرف نفسه قال ابو يزيد
رضي الله عنه ما دام العبد يظن ان في الخلق من هو شر منه فهو متكبر
قيل فمتى يكون متواضعا قال اذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا وتواضع كل
احد على قدر معرفته بنفسه وبربه وقال ابو سليمان رضي الله عنه

لو

بلغ

لو اجتمع الخلق على ان يضعوني كاتضاعي عند نفسي ما قدروا عليه وقال
يونس بن عبيد رضي الله عنه وقد انصرف من عرفات لم اشك في الرحمة
لولا اني كنت فيهم وقيل لمحمد بن مقاتل رضي الله عنه ادع الله لنا فبكى
وقال ليتني لم اكن انا سبب هلاككم ومن علامات التحقيق
بهذا الخلق ان لا يغضب اذا عيب او نقص ولا يكره ان يذم ويقذف
بالكبائر ومن علامات تحققه به ايضا ان يشتد حرصه على ان لا
يكون له جاه وقدر عند الناس ويلتزم الصدق في حاله لئلا
يرى لنفسه موضعا في قلوبهم وقد تقدم هذا المعنى عند قوله
في باب العزلة ادفن نفسك في ارض الخمول فما نبت مما لم يدفن لا يتم
نتاجه ويحكى عن ابي الحسن بن الكريني رضي الله عنه استاذ الجنيد
رضي الله عنه ان رجلا دعاه ثلاث مرات الى طعامه ثم يرده فيرجع
عليه بعد ذلك حتى ادخله داره في المرة الرابعة فساله عن ذلك
فقال قد رضت نفسي على الذل عشرين سنة حتى صارت بمنزلة الكلب
يطرد فينطرد ثم يدعى فيعود ويرمى له عظم فيجيب ولو رددتني خمسين
مرة ثم دعوتني بعد ذلك لاجبت قال ابو طالب المكي رضي الله
عنه وحدثت عن بعض الصوفية انه وقف على رجل وهو ياكل
فمد يده فقال ان كان شي لله فقال اجلس فكل فقال اعطني في كفي
فاعطاه في كفه فقعد في مكانه ياكل فساله عن الامتناع من الجلوس
معه فقال ان حالي مع الله الذل فكرهت ان افارق حالي وكان هذا
ربما مد يده الى الهراس فيجعل في يده هريسة ومن اغرب ما رايت في
التواضع ما ذكره صاحب كتاب عوارف المعارف قال رايت شيخنا
ضياء الدين ابا النجيب وكنت معه في سفره الى الشام وقد بعث بعض
ابناء الدنيا له طعاما على رؤوس الاسارى من الافرنج وهم في قيودهم
فلما مدت السفرة والاسارى ينتظرون الاواني حتى تفرغ فقال
للخادم احضر الاسارى حتى يقعدوا على السفرة مع الفقرا فجاء بهم واقعدهم

على السفرة صفا واحدا وقام الشيخ من سجادته ومشى اليهم وقعد بينهم كالواحد
منهم واكل واكلوا وظهر لنا على وجهه ما نازل باطنه من التواضع لله
والانكسار في نفسه وانسلاخه من الكبر عليهم بايمانه وعلمه وعمله
واغرب من هذا ما ذكر صاحب كتاب بغية الطالب ومنية الراغب
ابو الحسن علي بن عتيق بن مومن القرطبي عن ابيه رحمهم الله قال
رايت الشيخ الفقيه ابا محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن عبيد رحمهم الله
تعالى وكان من الفقهاء العلماء وهو يمشي في يوم شتاء كثير الطين
فاستقبله كلب يمشي على الطريق التي كان عليها قال فرايته قد لصق
بالحايط وجعل للكلب طريقا ووقف ينتظر ليجوز وحينئذ يمشي هو
فلما قرب منه الكلب قال رايته قد ترك مكانه الذي كان فيه
ونزل اسفل وترك الكلب يمشي فوق قال فلما جاوز الكلب
وصلت اليه فوجدته وعليه كابة فقلت له يا سيدي اني رايتك
الان صنعت شيا استغربته منك كيف رميت بنفسك في الطريق
وتركت الكلب يمشي في الموضع النقي فقال لي بعد ان عملت له طريقا
حتى تفكرت وقلت ترتفع على الكلب وجعلت نفسي ارفع منه بل
هو والله ارفع مني واولى بالكرامة لاني عصيت الله تعالى وانا
كثير الذنوب والكلب لا ذنوب له فنزلت له عن موضعي وتركته
يمشي عليه وانا الان اخاف المقت من الله تعالى الا ان يعفو عني
لاني رفعت نفسي على من هو خير مني **التواضع الحقيقي هو ما كان ناشيا
عن شهود عظمته وتجلي صفته** شهود عظمة الله تعالى وتجلي صفته
هو الذي يوجب للعبد وجود التواضع الذي ذكرناه لان ذلك هو
الذي يخمد النفس ويذيبها ويبطل انيتها فما تجلى الله عز وجل
لشي الا خضع له فلا تنقلع من القلب شجرة الكبر والرياسة الا به
لا بما يتكلفه العبد ويتعاطاه بنفسه من اعمال واحوال قال
الجنيد رحمه الله التواضع عند اهل التوحيد تكبر قال ابو حامد رضي
الله

الله عنه ولعل مراده ان المتواضع يثبت نفسه ثم يضعها والموحد
لا يثبت نفسه ولا يراها شيا حتى يضعها او يرفعها وقال
ذو النون المصري رضي الله عنه من اراد التواضع فليوجه نفسه الى
عظمة الله تعالى فانها تذوب وتصغر ومن نظر الى سلطان الله تعالى
ذهب سلطان نفسه لان النفوس كلها حقيرة عند هيبته
ومن اشرف التواضع ان لا ينظر الى نفسه دون الله وفي كتاب
عوارف المعارف واعلم ان العبد لا يبلغ حقيقة التواضع الا عند لمعان
نور المشاهدة في قلبه فعند ذلك تذوب النفس وفي ذوبانها
صفاها من غش الكبر والعجب فتلين وتنطبع للحق وللخلق
لمحو اثارها وسكون وهجها وغبارها **معصية اورثت ذلا وافتقارا
خير من طاعة اورثت عزا واستكبارا** الذل والافتقار من اوصاف
العبودية والعز والاستكبار مناقضان لهما لانهما من صفات
الربوبية ولا خير في الطاعة اذا لزم عنها شي مما يناقض صفات
العبودية لانها تحبطها وتبطلها كالاعمال بالمعصية اذا
لازمتها صفات العبودية لانها ايضا تمحيها وتزيلها قال
سيدي ابو مدين رضي الله عنه انكسار العاصي خير من صولة
المطيع وكان سيدي ابو العباس المرسي رضي الله عنه كثير
الرجا لعباد الله تعالى الغالب عليه شهود وسع الرحمة وكان
يكرم الناس على نحو رتبتهم عند الله تعالى حتى انه ربما دخل عليه مطيع
فلا يحتفل به وربما دخل عليه عاص فاكرمه لان ذلك الطايع اتى
وهو متكبر بعمله ناظر الى فعله وذلك العاصي دخل عليه بكسر معاصيه
وذلة مخالفته وقد تقدم مثل هذا عند قوله لا يعظم الذنب عندك
عظمة يصدك عن حسن الظن بالله فمن هذا المعنى ما روي عن
ابان بن ابي عياش انه قال خرجت يوما من عند انس بن مالك رضي
الله عنه بالبصرة فرايت جنازة يحملها اربعة من الزنج ولم يكن معهم

كونن

رجل اخر فقلت سبحان الله سوق البصرة وجنازة مسلم لا يتبعها احد فلا
خامسهم فصليت معهم فلما وضعوها بالمصلى قالوا لو انتقدم فقلت انتم اولى
به فقالوا لو كلنا سوا فتقدمت فصليت عليه وقلت لهم ما القصة فقالوا
اكترتنا تلك المراة قال فقعدت حتى دفنوه فلما كان بعد ساعة انصرفت
تلك المراة وهي تضحك فدخل في قلبي شي وقلت لا ينجيك الا الصدق
فاخبريني ايش القصة فقالت لي ان هذا ابني ما ترك من المعاصي شيا
الا فعله فمرض ثلثة ايام فقال لي يا اماه اذا مت فلا تخبري بوفاتي
جيراني فانهم لا يحضرون جنازتي ويشمتون بموتي واكتبي على خاتمي
هذا لا اله الا الله محمد رسول الله واجعليه على كفني فلعل الله عز وجل
يرحمني وضعي رجلك على خدي وقولي هذا جزا من عصى الله فاذا
دفنتيني فارفعي يديك الى الله تعالى وقولي اني رضيت عنه فارض
عنه فلما مات فعلت جميع ما اوصاني به فلما رفعت يدي الى السما
سمعت صوته بلسان فصيح انصرفي يا اماه فقد قدمت على رب كريم
رحيم غير غضبان علي فانما ضحكت من هذا ومن المعنى الاخر
ما روي ان رجلا من بني اسرايل اتى عابدا من بني اسرايل فوطى
على رقبته وهو ساجد فقال له العابد ارفع فوالله لا يغفر الله لك
فاوحى الله تعالى اليه ايها المتالي علي تتجرا بل انت لا يغفر الله لك
قال الحارث المحاسبي رضي الله عنه لانه انما تالى على الله ان
لا يغفر له لعظيم قدر نفسه عنده وان الاساءة اليه عند الله عز
وجل عظيمة لا يغفرها الله لعباده وسجوده عنده لانه صو لنفسه عظيم القدر
عند الله تعالى فجمع بين العجب والكبر واغتر بالله تعالى ومن المعنيين
جميعا ما روي ان عيسى عليه الصلاة والسلام خرج ومعه صالح من
صالحي بني اسرايل فتبعهما رجل خاطي مشهور بالفسق فقعد منتبذا
عنهما منكسرا فدعا الله وقال اللهم اغفر لي ودعا هذا الصالح اللهم
لا تجمع بيني وبين ذلك العاصي فاوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام قد

استجبت

استجبت دعاهما جميعا رددت ذلك الصالح وغفرت لذلك المجرم
وروي ايضا عن خالد بن ايوب ان رجلا كان في بني اسرايل يقال له
خليع بني اسرايل لكثرة فساده مر برجل اخر من بني اسرايل يقال له
عابد بني اسرايل وعلى راس العابد غمامة تظله فقال الخليع في نفسه
انا خليع بني اسرايل وهذا عابد بني اسرايل فلو جلست اليه لعل
الله تعالى ان يرحمني به فجلس اليه فقال العابد في نفسه انا عابد
بني اسرايل وهذا خليع بني اسرايل يجلس الي فانف منه وقال
قم عني فاوحى الله عز وجل الى نبي ذلك الزمان مرهما فليستانفا
العمل فقد عفوت عن الخليع واحبطت عمل العابد وفي حديث اخر
فتحولت الغمامة على راس الخليع قال الحارث المحاسبي رضي
الله وانما اراد الله عز وجل من عباده قلوبهم فتكون جوارحهم
تبعا لقلوبهم فاذا تكبر العالم او العابد وانف وتواضع الجاهل
والعاصي وذل هيبة لله عز وجل وفرقا منه فهو اطوع لله عز وجل
من العابد والعالم بقلبه **باب الاستدراج** خف
من وجوه احسانه اليك ودوام اساتك معه ان يكون ذلك
استدراجا لك سنستدرجهم من حيث لا يعلمون الخوف
من الاستدراج بالنعم من صفات المومنين وعدم الخوف منه مع الدوام
على الاساءة من صفات الكافرين يقال من علامات الاستدراج
ركوب السيئة والاغترار بزمن المهلة وحمل تاخير العقوبة على
استحقاق الوصلة وهذا من المكر الخفي قال الله تعالى سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون اي لا يشعرون بذلك وهو ان يلقي في اوهامهم
انهم على شي وليسوا كذلك يستدرجهم في ذلك شيا شيا حتى
ياخذهم بغتة كما قال تعالى فلما نسوا ما ذكروا به اشارة الى مخالفتهم
وعصيانهم فتحنا عليهم ابواب كل شي اي فتحنا عليهم اسباب العوافي
وابواب الرفاهية حتى اذا فرحوا بما اوتوا من الحظوظ الدنيوية ولم

يشكروا عليها برجوعهم منها الينا اخلناهم بغتة اي فجاة فاذاهم مبلسون اي
ايسون قانطون من الرحمة قال سهل بن عبد الله رضي الله عنه في قوله
تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون نمدهم بالنعمة وننسيهم الشكر
عليها فاذا ركنوا الى النعمة وحجبوا عن المنعم اخذوا وقال ابن عطا كلما
احدثوا خطيئة جددنا لهم نعمة وانسيناهم الاستغفار من تلك الخطيئة
من جهل المريد ان يسي الادب فتوخر العقوبة عنه فيقول لو كان هذا
سوء ادب لقطع الامداد واوجب البعاد فقد يقطع المدد عنه من حيث
لا يشعر ولو لم يكن الا منع المزيد وقد يقام مقام البعد من حيث لا يدري
ولو لم يكن الا ان يخليك وما تريد هذا نوع من الاستدراج الذي تقدم
ذكره وسوء ادب المريد موجب لعقوبته ولكن العقوبات مختلفة فمنها
معجلة ومنها جلية ومنها خفية والعقوبة الجلية العقوبة
بالعذاب والعقوبة الخفية العقوبة بوجود الحجاب فالعقوبة
بالعذاب لاهل الخطايا والذنوب والعقوبة بالحجاب لاهل سوء
الادب بين يدي علام الغيوب وقد تكون العقوبة الخفية والمؤجلة
اشد على المريد من العقوبة الجليه ومثال العقوبة الخفية ما ذكر من
قطع المدد عنه واقامته مقام البعد منه وهذا هو مبدا وقوع الحجاب
الذي ذكرناه فاذا ابتلي به المريد ولم تدركه رحمة الله تعالى
في الحال فالعبد كان ذلك موجبا لسقوطه من عين الله تعالى
ووقوع الحجاب على قلبه وتبدل الانس بالوحشة وانتساخ الضيا
بالظلمة ولم يمكنه بعد ذلك معاودة الحالة الاولى لانه اذ ذاك تنقطع
عنه الامداد المتصلة والواردات المتحصلة فتنكسف عنده حينيذ
شمس العرفان وتستتر عنه الكشوفات والبيان وهن جنود الله
تعالى في قلب العبد فاذا فقد النصر من الله تعالى بذلك وقع
في الخذلان واستحوذ عليه الشيطان فانساه الذكر وحاق به سيء
المكر ودرج الي متابعة هوى نفسه الامارة وخرج عن دايرة صفوة

المختار

المختار ونعوذ بالله من سوء المقدور وعدم التوفيق الى مراعاة اوايل
الامور وما احتج به المريد لنفسه من الكلام الذي ذكره المولف يقتضي
توجه هذه العقوبة اليه ضرورة لا ريب لان قوله لو كان هذا سوء ادب
الى الخ دليل على رضاه بحاله واستحسانه لاعماله وهذا هو الموجب له
عدم المزيد الذي اقتضاه قطع المدد عنه ولو كان المدد متواصلا
اليه لازداد عند ما يقع منه سوء الادب تواضعا لربه وافتقارا اليه وخوفا
من مكره ولم يستحسن حال نفسه ولم يرضها قال سيدي ابو العباس
المرسي رضي الله عنه كل سوء ادب يثمر لك ادبا فهو ادب وهو الذي
اوجب له ايضا التخلية بينه وبين ما يريد الذي اقتضاه اقامته مقام
البعد اذ لو كان مقيما في القرب لبعد عن روية نفسه وكان متهما لها
في ارادتها وكان واقفا مع مراد الله تعالى فان اقدم على امر بارادته
وشهوته تداركه الله تعالى بالعصمه وعوق عليه ما اراده وسد
عليه مسالكه ولم يخله وما اراد من ذلك ويقال من علامة التوفيق
ثلاثة دخول اعمال البر عليك من غير قصد منك اليها وصرف
المعاصي عنك مع السعي فيها وفتح باب اللجا والافتقار الى الله تعالى
وترك الدعا في الاحوال والادب له موقع عظيم في التصوف
ولذلك قال ابو حفص رضي الله عنه التصوف كله اداب لكل وقت
ادب ولكل حال ادب ولكل مقام ادب فمن لزم اداب الاوقات
بلغ مبلغ الرجال ومن ضيع الاداب فهو بعيد من حيث يظن القرب
ومردود من حيث يظن القبول وقال ابو عبد الله بن خفيف
قال لي رويم يا بني اجعل عملك ملحا وادبك دقيقا وقال بعضهم
الزم الادب ظاهرا وباطنا فما اساء احد الادب في الظاهر الا عوقب
ظاهرا وما اساء احد الادب باطنا الا عوقب باطنا وقال ذو النون
المصري رضي الله عنه اذا خرج المريد عن حد الادب فانه يرجع من
حيث جا وقال الثوري رضي الله عنه من لم يتادب للوقت

فوقته مقت وقال ابن المبارك رضي الله عنه نحن الى قليل من
الادب احوج منا الى كثير من العلم قيل لبعضهم يا سيئ الادب
فقال لست بسيئ الادب قيل له ومن ادبك قال الصوفية والاداب
اللازمة للمريد عامة في ظاهره وباطنه واداب الظاهر تبع لاداب
الباطن واداب الباطن هي التحلي بمحاسن الاخلاق كلها وفي
الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
ادبني ربي فاحسن ادبي ثم امرني بمكارم الاخلاق فقال خذ
العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين ولا يحصل لك ذلك
بعد توفيق الله وتاييده الا بالرياضة والمجاهدة قال ابن
عطا رضي الله عنه النفس مجبولة على سوء الادب والعبد مامور
بملازمة الادب فالنفس تجري بطبعها في ميدان المخالفه والعبد
يردها بجهده عن سوء المطالبه فمن اطلق عنانها فهو شريكها في فسادها
ويختلف ما ذكرناه من المجاهدة والرياضة باختلاف الاشخاص
فرب شخص زكي الفطرة كريم السجيه سهل المقاده لا يحتاج في ذلك
الى كثير معاناه ولا تعب ورب شخص يكون حاله على عكس هذا
فلا جرم يحتاج الى زيادة تعب وقوة ممارسه وشدة مجاهده
لرداءة فطرته ونقصان غريزته وبين هذين درجات لا تحصى
ولهذا كله يحتاج المريد الى صحبة المشايخ والتادب بادابهم واتباع
اوامرهم ونواهيهم لانه ان لم يجر افعاله على مراد غيره لا يصح له
الانتقال عن الهوى ولو بلغ في الرياضة والمجاهدة كل مبلغ
وذلك لكثافة حجاب نفسه وقد سيل الدقاق رضي الله عنه
باذا يقوم الرجل اعوجاجه فقال بالتادب بامام فمن لم يتادب
بامام بقي بطالا فاذا دام العبد على ذلك تزكت نفسه وتطهر قلبه
وتهذبت اخلاقه وظهر على ظاهره انوار ذلك فتكون حركة ظاهره
وباطنه مزمومة بزمام الادب حتى ينتهي بها الى المحافظة على تجنب

امور

امور غير مستقبحة في ظاهر العلم ويكون ترك محافظته عليها ادبا ممن
مثله وقد يعاتب عليه ويعاقب من اجله قال سري رضي الله عنه
صليت وردي ليلة من الليالي وقد مددت رجلي في المحراب
فنوديت يا سري كذا تجالس الملوك فضممت رجلي ثم قلت وعزتك
لا مددت رجلي ابدا قال الجنيد رضي الله عنه فبقي ستين سنة
ما مد رجله ليلا ولا نهارا قال ابو القاسم القشيري رضي الله عنه
كان الاستاذ ابو علي لا يستند الى شي فكان يوما في مجمع فاردت
ان اضع وسادة خلف ظهره لاني رايته غير مستند فتنحى عن الوسادة
قليلا فتوهمت انه توقى الوسادة لانه لم يكن عليها خرقة ولا سجادة فقال
لا اريد الاستناد فتاملت بعد ذلك فعلمت انه لا يستند الى شي ابدا
وقال ابو القاسم الجنيد رضي الله عنه كنت جالسا في مسجد الشونيزيه
انتظر جنازة اصلي عليها واهل بغداد على طبقاتهم جلوس ينتظرون
الجنازة فرايت فقيرا عليه اثر النسك يسال الناس فقلت في نفسي
لو عمل هذا عملا يصون به نفسه لكان اجمل به فلما انصرفت الى منزلي
وكان لي شي من الورد بالليل حتى البكا والصلاه وغير ذلك فثقل علي
جميع اورادي فسهرت وانا قاعد فغلبتني عيني فرايت ذلك الفقير
جاوا به على خوان ممدود ثم قالوا لي كل لحمه فقد اغتبته وكشف لي
عن الحال فقلت ما اغتبته ولكن قلت في نفسي شيا فقيل ما انت ممن
يرضى منك بمثله اذهب فاستحله فاصبحت ولم ازل اتردد حتى رايته
في موضع يلتقط من الماء عند تردد الماء اوراقا من البقل مما تساقط من غسل
البقل فسلمت عليه فقال تعود يا ابا القاسم فقلت لا فقال غفر الله لنا ولك
الى غير ذلك من ادابهم رضي الله عنهم والظاهر ان مراد المولف رضي
الله عنه باساءة الادب ما كان فيه نوع من الرعونة واظهار الدعوى
واتصاف العبد بصفة المولى والانبساط والادلال في موقف الهيبة
والحيا وما اشبه هذا مما يخاف على صاحبه وقوع الاستدراج والمكر به

وان ينبغي للمريد ان لا يتهاون بشي من الاداب ولا يستحقرها فان التهاون
بها بذلك والاستحقار له من مخامرة الجهل وعدم المعرفة بالله تعالى
وهذا اقبح انواع سوء الادب فان وقعت منه اساءة ادب فليكن
خائفا من ذلك مستيقظا للامر فيه وليبادر الى التوبة والاعتذار
والتنصل منها خشية ان تتوجه اليه العقوبة من حيث لا يشعر
واكد ما ينبغي ان يجتنبه المريد من مقتضيات هذه الجملة التي ظهر
لنا انها مراد المولف رحمه الله تعالى من انواع سوء الادب
ان يوطن بخاطره على شي من الاعتراض على الله ويتعاطى التدبير
معه والتبرم باحكامه المولمة في نفسه او غيره وان يطرح
لسانه بالشكوى عن الخلق والعيب لما لا يوافق هواه او نقص في
نظره مما دراه الحق فان خطر بباله او جرى على لسانه شي من ذلك
فليبادر الى الاستغفار منه والتوضي عنه وليعلم ان تشاغله بذلك
من احسن الحسنات وافضل القربات وذلك يدخله في مقام
الرضا ويوصله الى غاية النعيم والوطا كما ان توطينه عليه وتهاونه
به من اعظم خطاياه واكبر ذنوبه ويوديه ذلك الى سخط الاقدار
والوقوع في الدركات والنار نعوذ بالله من ذلك ضاع لبعض
الصوفية ولد له صغير فلم يعرف له خبر ثلثة ايام فقيل له لو
سالت الله تعالى ان يرده عليك فقال اعتراضي عليه فيما قضى اشد من
ذهاب ولدي وقال بعض السادة اذنبت ذنبا فانا ابكي عليه
منذ ستين سنة وكان قد اجتهد في العبادة لاجل التوبة من ذلك
الذنب فقيل له وما هو قال قلت مرة لشي ليته كان وقال بعض السلف
لو قرض جسمي بالمقاريض كان احب الي من ان اقول لشي قضاه الله ليته لم يقضه
وقال بعضهم مرض الجنيد رضي الله عنه فقال اللهم عافني فسمع هاتفا
يقول مالك والدخول بيني وبين ملكي ومن مقتضياتها ايضا ان يتعلق
القلب بشي من الاعتراض على المشايخ والاوليا وان يترك تعظيمهم واحترامهم

وان

وان لا يقبل اشارتهم فيما يشيرون به عليه فقد قالوا عقوق الاستاذين
لا توبة لها وقالوا ايضا من قال لاستاذه لم لا يفلح قال ابو القاسم
القشيري رضي الله عنه من صحب شيخا من الشيوخ ثم اعترض عليه
بقلبه فقد نقض عهد الصحبة ووجبت عليه التوبة وان بقي من اهل
السلوك قاصدا لم يصل الى مقصوده وليعلم ان موجب حجبه اعتراض
خاطر قلبه على بعض شيوخه في بعض اوقاته فان الشيوخ بمنزلة
السفراء للمريدين قال وفي الخبر ان الشيخ في اهله كالنبي في امته
وكذلك من سوء ادبه ان يتصدر للتعليم والهداية وان يتصدا
للامرة والولاية ومحبته للاستتباع والرياسة وتربيته للجاه والحشمة
والقبول بين الناس واستدعاوه بسر ان يكرم ويعظم ويتبرك
به ويقبل يده ويسارع في قضاء حوايجه وذلك من اضر الاشيا
به وهو نتيجة استحسانه لما هو عليه وعدم تفقده لعيوبه
واهتمام نفسه في كل حال من احواله وذلك مذموم منه قال
ابو عثمان رضي الله عنه لا يرى احد عيب نفسه وهو يستحسن من
نفسه شيا وانما يرى عيوب نفسه من يتهمها في جميع الاحوال وقال
ابو عبد الله السجزي رضي الله عنه من استحسن شيا من احواله في حال
ارادته فسدت عليه ارادته الا ان يرجع الى ابتدايه فيروض نفسه
ثانيا وقال ابو عبد الرحمن السلمي رضي الله عنه سمعت جدي يقول
افة العبد رضاه عن نفسه بما هو فيه فان استشعر المريد من نفسه شيا
مما ذكرناه فليبادر الى قطع مواده واستيصال عروقه من قبل ان يستحكم
ذلك فيه ويترسخ فبدايات الامور التي هي من المريد ينبغي ان تراعى كثيرا
ومن انواع سوء الادب المفضي الى عطب المريدين نزوله عن
مقتضيات الحقيقة الى رخص الشريعة فقد عدوا هذا من الجنايات
العظيمة الموجبة لانحطاط المرتبة والبعد عن محل القربة ولهذا قالوا
اذا رايت المريد انحط عن رتبة الحقيقة الى رخص الشريعة فاعلم انه

انه قد نقض عهده مع الله وفسخ عقده بينه وبين الله قال ابن خفيف
رضي الله عنه الارادة استدامة الكد وترك الراحة وليس شي اضر على المريد
من مسامحة النفس في قبول الرخص والتاويلات وقال يوسف بن الحسين
رضي الله عنه اذا رايت المريد يشتغل بالرخص فاعلم انه لا يجي منه شي
وقال ابو اسحق ابرهيم بن شيبان رضي الله عنه من اراد ان يتعطل ويتبطل
فليلزم الرخص ونعني بالرخصة ههنا ما كان مضادا لحال المريد من
تناول الشهوات واللذات والميل الى المالوفات والمعتادات والركون
الى الدعة والراحات وارتكاب الشبهات والتاويلات فان حال
المريد يقتضي مباينته لهذا كله وان كان بعض ذلك مباحا في رخصة
الشرع لعامة الناس كان ابرهيم الخواص رضي الله عنه يقول الا
ان هذه الشهوات التي اظلمت قلوب المتعبدين بعد صفاو دها وفترت
ابدانهم بعد اجتهادها وحجبت قلوبهم بعد قربها واطالت اماهم
بعد قصرها وانسوا بالمخلوقين بعد الهرب منهم وتوطوا الفرش بعد
الترك لها فسقتهم الدنيا بكاس سمها فنظروا الى ظاهرها بعد باطنها
فناموا بعد السهر وشبعوا بعد الجوع واكتسوا بعد العري وقال ابو
سليمان الداراني رضي الله عنه اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام
اني انما خلقت الشهوات لضعفا خلقي فاياك ان تعلق قلبك بشي منها
فايسر ما اعاقبك به ان انزع حلاوة حبي من قلبك وفي اخبار
داود عليه السلام يا داود تمسك بكلامي وخذ من نفسك لنفسك لا
تويين منها فاحجب عنك حبي اقطع شهوتك الي فانما يجب الشهوات لضعفا
خلقي ما بال الاقويا ان ينالوا الشهوات فانها تنقص حلاوة مناجاتي فاني
لم ارض الدنيا لحبيبي ونزهته عنها يا داود لا تجعل بيني وبينك عالما
سكرانا فيحجبك بسكره عن محبتي اوليك قطاع الطريق على عبادي
المريدين استعن على ترك الشهوات بادمان الصوم يا داود تحبب
الى بمعادات نفسك امنعها الشهوات انظر اليك وترى الحجب بيني وبينك

مرفوعة وقال ابرهيم بن ادهم رضي الله عنه لن ينال الرجل درجة الصالحين
حتى يجوز ست عقاب اولها ان يغلق باب النعمة ويفتح باب الشدة والثاني
ان يغلق باب الراحة ويفتح باب الجهد والرابع ان يغلق باب النوم ويفتح
باب السهر والخامس ان يغلق باب الغنا ويفتح باب الفقر والسادس ان يغلق
باب الامل ويفتح باب استعداد الموت وقال ابرهيم الخواص رضي الله
عنه كنت في جبل اللكام فرايت رمانا واشتهيته فدنوت منه فاخذت
منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت فتركت الرمان فرايت
رجلا مطروحا قد اجتمعت عليه الزنابير فقلت السلام عليك فقال
وعليك السلام يا ابرهيم فقلت كيف عرفتني فقال من عرف الله لا يخفى
عليه شي فقلت ارى لك حالا مع الله فلو سالته ان يحميك ويكفيك
من هذه الزنابير فقال وارى لك حالا مع الله فلو سالته ان يكفيك شهوة
الرمان فان لدغ الرمان يجد الانسان المه في الاخرة ولدغ الزنابير يجد
المه في الدنيا وقال السري رضي الله عنه ان نفسي تطالبني منذ
ثلثين سنة او اربعين سنة ان اغمس جزرة في دبس فما اطعمتها فلما كان ترك
الشهوات والتنعمات من شان المريد ومن مقتضى حاله لزمه الوفاء
به وكان عمله على خلافه نقضا وفسخا كما تقدم وقال جعفر بن نصير
رضي الله عنه دفع الي الجنيد درهما وقال اشتر به التين الوزيري
فاشتريته فلما افطر اخذ واحدة فوضعها في فيه ثم القاها وبكى وقال
احمله فقلت له في ذلك فقال هتف بي في قلبي هاتف اما تستحيي شهوة
تركتها من اجله ثم تعود اليها وعن شقيق بن ابرهيم رضي الله عنه
قال لقيت ابرهيم بن ادهم رضي الله عنه بمكة في سوق الليل عند مولد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس ناحية من الطريق يبكي فعدلت
اليه وجلست عنده وقلت له اي شي هذا البكا يا ابا اسحق فقال خير
فعاودته مرة واثنتين وثلاثا فلما اكثرت عليه قال يا شقيق استر
علي فقلت يا اخي قل ما شيت قال اشتهت نفسي سكباجا فمنعتها جهدي

فلما كان البارحة كنت جالسا وقد غلبني النعاس فاذا انا بفتى شاب بيده
قدح اخضر يعلو منه بخار ورائحة سكباج قال فاجمعت بهمتي عليه فقرب
مني وقال يا ابرهيم كل فقلت ما اكل شيا قد تركته لله تعالى فقال فاذا
اطعمك الله تاكل فما كان لي جواب الا ان بكيت فقال لي يرحمك الله كل
فقلت له ابرهيم قد امرنا ان لا نطرح في وعاينا الا من حيث نعلم
فقال لي كل يرحمك الله تعالى كل فانما اعطيته وقيل لي يا خضر اذهب
بهذا واطعم نفس ابرهيم بن ادهم فقد رحمها الله من طول صبرها على
ما يحملها من منعها اعلم يا ابرهيم اني سمعت الملايكة يقولون من اعطي فلم
ياخذ طلب فلم يعط فقلت ان كان كذلك فها انا بين يديك لم
احل العقد مع الله تعالى ثم التفت فاذا انا بفتى اخر ناوله شي وقال
يا خضر لقمه انت فلم يزل يلقمني حتى شبعت فانتبهت وحلاوته في
فمي قال شقيق رضي الله عنه فقلت اربني كفك فاخذت كفه
بكفي فقبلتها وقلت يا من يطعم الجياع الشهوات اذا صححوا المنع يا من
يقدح في الضمير اليقين يا من يشفي قلوبهم من محبته اترى لشقيق
عندك حالا ثم رفعت يد ابرهيم الى السما بقدر هذا الكف وبقدر
صاحبها وبقدر الجود الذي وجد منك جد على عبدك الفقير على
فضلك واحسانك ورحمتك وان لم يستحق ذلك قال فقام
ابرهيم رضي الله عنه ومشى حتى دخل المسجد الحرام وقال
عتبة الغلام لعبد الواحد بن زيد رضي الله عنهما ان فلانا يصف
من قلبه منزلة ما اعرفها قال لانك تاكل مع خبزك تمرا وهو لا
يزيد على الخبز شيا فقال ان تركت اكل التمر عرفت تلك المنزلة قال
نعم وغيرها واخذ يبكي فقال له بعض اصحابه ابكى الله عينك اعلى
التمر تبكي فقال عبد الواحد دعه فان نفسه قد عرفت صدق عزمه في
الترك فهو اذا ترك شيا لم يعاوده ابدا وقال احمد بن الحواري
اشتهى ابو سليمان الداراني رضي الله عنه رغيفا حارا بملح فجيت

به اليه فعض منه عضة ثم طرح بالرغيف وقال عجلت لي شهوتي بعد
اطالة جهدي وشقوتي وقد عزمت على التوبة فاقلني قال احمد فما رايته
اكل الملح حتى لقي الله تعالى وقال ابو بكر الجلا رضي الله عنه اعرف
انسانا تقول له نفسه انا اصبر لك على طي عشرة ايام واطعمني
بعد ذلك شهوة اشتهيها فيقول لها لا اريد ان اطوي عشرة
ايام ولكن اتركي هذه الشهوة وقال ابو سليمان رضي الله عنه
ترك شهوة من شهوات النفس انفع للقلب من صيام سنة وقيامها
وقال ابو حامد الغزالي رضي الله عنه وقد اشتد خوف السلف
رضي الله عنهم من تناول لذايذ الاطعمة وتمرين النفس عليها وراوا
ان ذلك علامة الشقاوة وراوا ان منع الله تعالى منه غاية
السعادة حتى روي عن وهب بن منبه رضي الله عنه قال التقا
ملكان في السماء الرابعة قال احدهما للاخر من اين قال امرت
بسوق حوت من البحر اشتهاه فلان اليهودي وقال الاخر
امرت باهراق زيت اشتراه فلان العابد قال فهذا تنبيه على
ان تيسير الشهوات ليس من علامات الخير قال رضي الله عنه
والاصل المهم في المجاهدة الوفا بالعزم فاذا عزم على ترك شهوة
فقد تيسر اسباب ذلك ويكون ذلك من الله ابتلاء واختيارا
فينبغي ان يصبر ويستمر فانه ان عود نفسه كسر العزم الفت
ذلك وفسدت واذا اتفق منه كسر عزم فينبغي ان يلزم نفسه
عقوبة عليه كما ذكرنا في معاقبة النفس من كتاب المراقبة فاذا لم يخوف
النفس بعقوبة غلبته وحسنت عنده تناول الشهوة وتفسد به الرياضة
عليه بالكلية هذا كلام الامام ابي حامد وهو حسن ومعناه صحيح مجرب
فليعمل عليه المريد وقد يعجل الله تعالى لبعض هولاء العقوبة رحمة له ومنة
عليه قال ابو تراب النخشبي رضي الله عنه ما تمنت نفسي شهوة من الشهوات
الا مرة واحدة تمنت خبزا وبيضا وانا في سفر فعدلت الى قرية فقام واحد

وتعلق بي وقال هذا كان مع اللصوص فضربوني سبعين درة ثم عرفني
رجل منهم وقال هذا ابو تراب النخشبي فاعتذروا الي فحملني رجل منهم
الى منزله وقدم الي خبزا وبيضا فقلت في نفسي كل بعد سبعين درة
وقال بعضهم اشتهى ابو الخير العسقلاني رضي الله عنه السمك
سنين ثم ظهر له ذلك من موضع حلال فلما مد يده اليها ليأكل اخذت شوكة
من عظام اصبعه فذهبت في ذلك يده فقال يا رب هذا لمن مد
يده بشهوة الى حلال فكيف بمن مد يده بشهوة الى حرام وقال
ابرهيم الخواص رضي الله عنه كنت جائعا في الطريق فوافيت
الري فخطر لي بها معارف فاذا دخلتها اضافوني واطعموني فلما
دخلت البلد رأيت فيه منكرا احتجت ان آمر فيه بالمعروف فاخذوني
وضربوني فقلت في نفسي من اين اصابني هذا الضرب على جوعي
فنوديت في سري انما اصابك ذلك لانك سكنت الي معارفك
بقلبك وقلت انهم يطعموني اذا دخلت البلد وحكي عن ابرهيم
ابن شيبان رضي الله عنه انه قال كنت بحلب واشتهيت شبعة
من الخبز والعدس فاتفق ذلك فاكلت حتى شبعت فرأيت على باب
المسجد قوارير معلقة شبه نموذجات فتوهمتها خلا فقال لي
قائل اما تنظر اليها انما هي خمر فقلت لزمني فرض فدخلت الحانوت
ولم ازل اصب دنا دنا حتى اتيت على الجميع فاخذوني وضربوني
مائتي خشبة وطرحوني في السجن اربعة اشهر حتى دخل استاذي
ابو عبد الله المغربي البلد فسمع بحالي فشفع لي فلما وقع بصره علي
قال ما شانك قلت شبعة خبز وعدس وضرب مائتي خشبة وسجن
اربعة اشهر فقال لي نجوت مجانا اي وردت عقوبة هذه الاكلة
على ظاهرك ولم تقدح فيما كنت فيه من سر امرك فكان ذلك رفقا
من الله بك قال الامام ابو القاسم القشيري رضي الله عنه وما
اصدق ما قال فان من ادب في دنيا بما يتعاطاه من متابعة هواه فقد

خفف

فقد خفف عنه في عقباه بل طهر بالتادب جوهره ومعناه وحكاية
خير النساج رضي الله عنه المشهورة من معنى ما ذكرنا فانظرها ففيها
عبرة للمعتبرين قال الحافظ ابو نعيم رضي الله عنه حدثني جعفر
ابن نصير في كتابه قال سألت خير النساج اكان النسج حرفتك قال لا
قلت فمن اين سميت به قال عاهدت الله واعتقدت اني لا آكل الرطب
ابدا فغلبتني نفسي يوما فاخذت نصف رطل فلما اكلت واحدة
فاذا برجل نظر الي وقال يا خير اين هربت مني وكان له غلام
اسمه خير فوقع علي شبهه وصورته فخنقني فاجتمع الناس فقالوا
هذا والله غلامك خير فبقيت متحيرا وعلمت بما ذا اخذت وعرفت
جنايتي فحملني الى حانوته الذي كان فيه ينسج غلمانه وقالوا يا عبد
السوء اتهرب من مولاك ادخل واعمل عملك الذي كنت تعمل وامرني بعمل
الكرباس فدليت رجلي على ان اعمل فاخذ بيدي آلته فكاني كنت اعمل من
سنين فبقيت معه اشهرا انسج له فقمت ليلة وتمسحت وقمت الى الصلاة
الغداة فسجدت وقلت في سجودي الهي لا اعود الى ما فعلت فاصبحت
فاذا الشبه قد ذهب عني وعدت الى صورتي التي كنت عليها فاطلقت
فثبت علي هذا الاسم فكان سبب النسج اتباعي شهوة عاهدت الله
ان لا آكلها فعاقبني بما سمعت وفي بعض الاخبار عن الله تعالى
ان ادنى ما اصنع بالعالم اذا آثر شهوته على محبتي ان احرمه لذيذ
مناجاتي وقد تقدم في باب الرياضة كيفية مجاهدة النفس عند
قوله لولا ميادين النفوس ما تحقق سير السائرين ولهذا المعنى كرهوا
التزويج من غير ضرورة محققة لانه انما يقصد بذلك قضاء شهوته وبلوغ
نهمته وذلك في الصدر بمنزلة سم القاتل وقد قالوا من وافق شهوته
عدم صفوته وقال بعضهم من اهتم بشيء مما ابيح له العلم تلذذا عوقب
بتضييع العمر وقسوة القلب وتعب الهم بالدنيا وقال ابو سليمان الداراني
رضي الله عنه ثلاثة بليته من طلبهن فقد ركن الى الدنيا من طلب معاشا

اوتزوج امراة اوكتب الحديث وقال ما رايت احدا من اصحابنا تزوج
فثبت على مرتبته وكان ابرهيم بن ادهم رضي الله عنه يقول من
تعود افخاذ النسا لا يفلح وقيل لبعضهم لم لا تتزوج فقال المراه
لا تصلح الا للرجال وانا ما بلغت مبلغ الرجل يعني فيه مكابدة امر
عنه ومراعات توفيه حقوقه ومعاناة اخلاقه واتباع مرضاته
ما يشوش على المريد حاله ويكدر عليه وقته وقد كان له في
معاناة امر نفسه اعظم شاغل عن ان يضاف الى نفسه نفس
اخرى مع ما يتسلط على باطنه من خوف الفقر ومحنة الجمع
والمنع وما يرتكبه بسبب ذلك من التاويلات والرخص
وذلك كله مضاد لحال المريد وقد قالوا اذا تزوج
الصوفي فقد ركب السفينة واذا ولد له فقد غرقت السفينة
وكان بشر الحافي رضي الله عنه يقول لو كنت اعول دجاجة
خفت ان اكون جلوازا على الجسر وفي الخبر في فتن احد
الزمان قال وفي ذلك الوقت حلت العزوبية فقيل وكيف قال
يعيرونه بالفقر فيتكلف ما لا يطيق فيورده موارد
الهلكة وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خيركم بعد
المائتين رجل خفيف الحاذ قيل يا رسول الله وما خفيف الحاذ
قال الذي لا اهل له ولا ولد وقال سهل بن عبد الله رضي
الله عنه اياكم والاستماع الى النسا والميل اليهن فان النسا
مبعدات من الحكمة قريبات من الشيطان وهن مصايده وحظه
من بني ادم فمن عطف اليها بكليته فقد عطف الى حظ الشيطان
ومن حاد عنها يئس منه وما مال الشيطان الى احد كميله الى من
استرق بالنسا وان الشر معهن حيث كن فاذا رايتم في وقتكم
من قد ركن اليهن فايئسوا منه قيل له فحديث النبي صلى الله عليه وسلم
حبب الي من دنياكم ثلث فذكر النسا فقال النبي صلى الله عليه وسلم

معصوم

معصوم وقد لحقكم ما كان فيه معهن هي عدوة الرجل ظاهرا وباطنا
ان اظهرت له المحبة اهلكته وان اضمرت مقالة اغوته وان الله عز
وجل جعلهن فتنة فنعوذ بالله من فتنتهن انتهى كلام سهل بن عبد الله
وقال حذيفة المرعشي رضي الله عنه كان ينبغي للرجل ان لو خير
بين ان يضرب عنقه وبين ان يتزوج في الفتنة فاختار ضرب العنق
على تزويج امراة في الفتنة وانما قال ذلك لما يؤل اليه امر المتزوج
من اكتساب الحرام وارتكاب الاثام في زمن الفتنة وضرب العنق
احسن حالا واحمد عاقبة من التعرض لارتكاب شي من معاصي الله
عز وجل فان قارف المريد شيا من ذلك فهو في حقه داء عضال فقد
قالوا زلة بعد الارادة اقبح من سبعين زلة قبل الارادة وفي
المثل من عرف بالخيانة لا يعتمد عليه في الامانة وقال بعض
الانبيا في مناجاته لربه عز وجل لو عفوت عن فلان هفوته بعد
عظيم نعمك فاوحى الله تعالى اليه ليس الذنب في التوبة كالذنب في
البعد وسيل بعضهم هل يجد العاصي حلاوة الطاعة فقال لا
ولا من هم بالمعصية ومن عظيم سو ادب المريد ان يميل الى اهل الدنيا
وان يتقرب منهم او ان يصحبهم قال الامام ابو القاسم القشيري
رضي الله عنه ومن شان المريد التباعد عن ابناء الدنيا فان صحبتهم
سم مجرب لانهم ينتفعون به وهو ينتقص بهم قال الله تعالى ولا
تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا وقد
تقدم من كلام المولف لا تصحب من لا ينهضك حاله ومن ذلك معاشرة
الاحداث والشبان وقبول ارفاق النسوان فان تعرض لاستجلاب
ذلك منهن فهو اشد قال يوسف بن الحسين الرازي رضي الله عنه
رايت افات الصوفيه في صحبة الاحداث ومعاشرة الاضداد ورفق
النسوان قال الامام ابو القاسم القشيري ومن اصعب الافات في
هذه الطريقة صحبة الاحداث ومن ابتلاه الله تعالى بشي من ذلك فباجماع

من الشيوخ ان ذلك عبدا اهانه الله تعالى عز وجل وخذله بل عن
نفسه شغله ولولا الف الف كرامة اهله ثم قال بعد كلام كثير فليحذر
المريد من مجالسة الاحداث ومخالطتهم فان اليسير منه فتح باب
الخذلان وبدو حال الهجران ونعوذ بالله من قضاء السوء وادب
المريد كثير وانما نبهنا هاهنا على بعض ما يعظم فيه الخطر والضرر
ما حذر عنه ائمتنا رضي الله عنهم وبالغوا في التوصية به والنهي
عنه وجميع ذلك محتمل لان يكون ذلك مراد المولف رحمه الله في قوله
من جهل المريد ان يسيء الادب فراينا ان لا نخلي منه هذا الموضع من هذا
التنبيه لان ذلك يقع للمريدين كثيرا والله ولي المتقين **باب**
الورد والوارد لا يحتقر الورد الا جهول الوارد يوجد في الدار
الآخرة والورد ينطوي بانطواء هذه الدار واولى ما يعتنى به ما لا
يخلف وجوده الورد هو طالبه منك والوارد انت تطلبه منه واين
ما هو طالبه منك مما هو مطلبك منه الورد هو عبارة عما يقع بكسب من
عبادة ظاهرة او باطنة والوارد هو الذي يرد على باطن العبد من لطائف
وانوار ينشرح بها صدره ويستنير بها قلبه وسره فالورد ما من العبد
للحق تعالى من معاملة وعبودية والوارد ما من الحق سبحانه للعبد من لطف
وكرامة والورد احق ما يعتني به العبد ويراعيه من الوارد لوجهين
احدهما ان الورد مختص بهذه الدار لا يقع في الآخرة فهو منقطع بانقطاعها
وفان بفنائها فينبغي للعبد ان يستكثر من الاوراد قبل فواتها اذ لا
يمكنه خلف ما فات منها والثاني ان الورد هو حق الحق منك والوارد
هو حظك منه وقيامك بحقوقه عليك اولى واليق بالعبودية من
طلب حظوظك ووقوفك معها فاذا ثبتت مزية الورد على الوارد
باعتبار العبد كان احتقاره من نهاية الجهل وكان محتقره جهولا كما
قال في لطائف المنن واعلموا ان الله تعالى اودع انوار الملكوت
في اصناف الطاعات فاي من فاته من الطاعات صنف او اعوزه من

الموافقة جنس فقد من النور بمقدار ذلك فلا تهملوا شيئا من الطاعات
ولا تستغنوا عن الاوراد بالواردات ولا ترضوا لانفسكم بما رضي به المدعون
جري الحقائق على السنتهم وخلو انوارها من قلوبهم فان الحق تعالى
بحكمته جعل الطاعة الجارية على العباد مستقرعة لباب الغيب فمن قام بالطاعة
والمعاملة بشرط الادب لم يحجب الغيب عنه والتطهر من العيب يفتح
لك باب الغيب ولا تكن ممن يطلب الله لنفسه ولا يطلب نفسه
لله فذلك حال الجاهلين الذين لم يفهموا عن الله ولا واجههم المدد
من الله والمومن ليس كذلك بل المومن من يطلب نفسه لربه
ولا يطالب ربه لنفسه فان توقف الوقت عليه استبطا ادبه ولا
يستبطي مطلبه ثم ذكر كلاما كثيرا وفي كلامه رحمه الله تنبيه على
تاكد امر الاوراد وعظم موقعها من الدين وان مراعاتها من احسن
سمات العارفين وقد رئي الجنيد رضي الله عنه في يده سبحة
فقيل له انت مع شرفك تاخذ بيدك سبحة فقال نعم سبب وصلنا
الى ما وصلنا لا نتركه ابدا وكان يدخل كل يوم حانوته
ويسبل الستر ويصلي اربعمائة ركعة ثم يعود الى بيته ورؤي
الجنيد رضي الله عنه بعد وفاته في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال
طاحت تلك الاشارات وفنيت تلك العبارات وابيدت تلك الرسوم
وغابت تلك العلوم وما نفعنا الا ركعات كنا نركعها في السحر وحكى
ابو محمد رضي الله عنه قال كنت عند الجنيد رضي الله عنه في حال نزعه
وكان يوم جمعة ويوم نيروز وهو يقرا القران فختم فقلت في هذه الحالة
يا ابا القاسم فقال ومن اولى مني بذلك وهو ذا تطوى صحيفتي وقال
ابو الحسين الدراج رضي الله عنه ذكر الجنيد اهل المعرفة بالله وما يراعونه
من الاوراد والعبادات بعد ما الطفهم الله به من الكرامات فقال الجنيد
رضي الله عنه العبادة على العارفين احسن من التيجان على روس الملوك
وقال ابو بكر العطار حضرت الجنيد عند الموت في جماعة من اصحابنا قال

فكان قاعدا يصلي ويثني رجله اذا اراد ان يسجد فلم يزل كذلك حتى
خرجت الروح من رجله فثقل عليه حركتها فمد رجليه فراءه بعض اصدقايه
ممن حضره ذلك الوقت وكانت رجلا ابي القاسم تورمتا فقال له ما هذا يا ابا
القاسم فقال هذه نعم الله تعالى الله اكبر فلما فرغ من صلاته قال له ابو محمد
الجريري رضي الله عنه يا ابا القاسم لو اضطجعت فقال يا ابا محمد هذا وقت
منة الله تعالى الله اكبر فلم يزل ذلك حاله حتى مات رحمه الله عليه ورضوانه
وقال الحصري رضي الله عنه يقولون الناس الحصري لا يقول بالنوافل
وعلي اوراد من حال الشباب لو تركت منها ركعة لعوتبت قال محمد بن ثابت
البناني رضي الله عنه لما حضرت ابي الوفاة جعلت القنه الشهادة فقال يا
بني دعني فاني في وردي السابع قال ابو طالب المكي رضي الله عنه
ومداومة الاوراد من اخلاق المومنين وطريق العابدين وهي تزيد
الايمان وعلامة الايقان وفي خبر ان عايشة رضي الله عنها
سيلت عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان عمله دبمة وفي
لفظ اخر كان اذا عمل عملا اتقنه واثبته وفي الخبر المشهور احب
الاعمال الى الله تعالى ادومها وان قل وجاء في الاثر كلام تادة
يروى عن الحسن بن علي وتارة عن الحسن البصري ومرة عن عايشة
رضي الله عنها وبعضهم يحكيه عن النبي صلى الله عليه وسلم في المنام من
استوى يوماه فهو مغبون ومن كان يومه شرا من امس فهو محروم ومن
لم يكن في مزيد فهو في نقصان ومن كان في نقصان فالموت خير له وقد
يكون استثقال الورد من المكر والاستدراج للعبد ويكون مبدا ذلك
ان تلوح له خيالات وتظهر له صورة كرامات توجب له استحسان حالته
واختيار بطالته وفي ذلك رفض العبودية بالكلية وهي امارة لوجود
الطرد والبعد والعياذ بالله وصاحب هذا عظيم الجهالة وشديد العماية
والضلالة وقد قال الجنيد رضي الله عنه لرجل ذكر المعرفة فقال
الرجل [اهل] المعرفة بالله يصلون الى ان يرون ترك الحركات من باب البر والتقرب

الى الله تعالى فقال الجنيد ان هذا قول قوم تكلموا باسقاط الاعمال وهو
عندي عظيمة والذي يسرق ويزني احسن حالا من الذي يقول هذا
وان العارفين بالله اخذوا الاعمال عن الله تعالى واليه رجعوا
فيها ولو بقيت الف عام لم انقص من اعمال البر ذرة الا ان يحال بي
دونها وانه لاوكد في معرفتي واقوى في حالي قال السهروردي
رضي الله عنه في كتاب عوارف المعارف فاما من تعوق بخيال ووقع
بمحال ولم يحكم اساس خلوته بالاخلاص فيدخل الخلوة بالزور
ويخرج بالغرور فيرفض العبادات ويستحقرها ويسال الله تعالى لذة
المعاملة ويذهب عن قلبه هيبة الشريعة ويفتضح في الدنيا والاخرة
فيعلم الصادق ان المقصود من الخلوة التقرب الى الله بعمارة الاوقات
وكف الجوارح عن المكروهات فيصلح لقوم من ارباب الخلوة
مداومة الاوراد وتوزيعها على الاوقات ويصلح لقوم ملازمة ذكر
واحد ويصلح لقوم دوام المراقبة ويصلح لقوم الانتقال من الذكر
الى الاوراد ولقوم الانتقال من الاوراد الى الذكر انتهى ما
يتعلق بغرضنا من كلام السهروردي رضي الله عنه وهو مناسب لما ذكره
المولف رحمه الله تعالى وليس من هذا المعنى ما روي عن ابي سليمان
الداراني واحمد بن عاصم الانطاكي رضي الله عنهما انهما قالا اذا صارت
المعاملة الى القلوب استراحت الجوارح وان كان ظاهرهما له فان
ابا نصر السراج رضي الله عنه فسره بعد ان حكاه عن ابي سليمان رضي
الله عنه فقال وهذا الذي قال ابو سليمان يحتمل معنيين احدهما انه
اراد بذلك استراحة الجوارح من المجاهدات والمكابدات من الاعمال
اذا اشتغل بحفظ قلبه ومراعاة سره من الخواطر المشتغلة والعوارض
المذمومة التي تشغل عن ذكر الله قلبه ويحتمل ايضا انه اراد بذلك ان
يتمكن من المجاهدات والاعمال والعبادة وتصير وطنه ويستلذ بها بقلبه
ويجد حلاوتها ويسقط عنه التعب ووجود الالام التي كان يجدها قبل

ذلك انتهى كلام ابي نصر ومعناه صحيح والله حكيم وبه التوفيق **اذا رايت عبدا اقامه الله بوجود الاوراد وادامه الله عليها مع طول الامداد فلا تستحقرن مامنحه مولاه لانك لم ترعليه سيما العارفين ولا بهجة المحبين فلولا وارد ماكان ورد** عباد الله المخصوصون ينقسمون الى قسمين مقربين وابرار فالمقربون هم الذين اخذوا عن حظوظهم وارادتهم واستعملوا في القيام بحقوق ربهم عبودية له وطلبا لمرضاته وهولاء هم العارفون المحبون والابرار هم الذين بقيت معهم حظوظهم وارادتهم واقيموا في الطاعات ليجزون عليها برفيع الدرجات في الجنات وهولاء هم الزاهدون والعابدون وكل واحد منهم ممد في مقامه الذي هو فيه بمدد الهي اقتضاه منهم القيام بحقوق مقاماتهم على اختلافها فاذا رايت عبدا اقامه الله تعالى في اعمال البر الظاهرة ومواصلة الاوراد المتواترة وامده في ذلك بالمعونة والتيسير فذلك من اختيار الله تعالى فلا يستحقرن ذلك لاجل انك لم ترعليه سيما العارفين من ترك الاختيار والبراءة من الحظوظ والارادات بين يدي المريد المختار ولا بهجة المحبين من الشغف بمرضاة محبوبهم والانبساط والادلال بين يدي جليلهم فلولا الوارد الالهي الذي اورده الله تعالى عليه ما استقام على عمله ووروده فهو لم يخرج عن دايرة عنايته وحيطة رعايته فلم تستحقر خطير مامنحه وتستقل كثير ما ربحه وهل ذلك الا من وجود جهلك ونقصان عقلك كما تقدم من كلام المولف رحمه الله لا يستحقر الوارد الا جهول **ورود الامداد بحسب الاستعداد وشروق الانوار على حسب صفاء الاسرار** ورود الموارد الامدادية من الله تعالى على عبده بحسب القوة الاستعدادية المجعولة فيه وشروق الانوار اليقينية على حسب صفاء سره من كدر التعلق بالاثار والركون الى الاغيار **تنوعت اجناس الاعمال لتنوع واردات الاحوال** واردات الاحوال هي ما ترد على القلوب من المعارف الربانية والاسرار

الروحانيه وهي توجب لها احوالا جليلة فمنها وارد يوجب هيبة ومنها وارد يوجب انسا ومنها وارد يوجب قبضا ومنها وارد يوجب بسطا الى غير ذلك من مختلفات الاحوال ولما كانت هذه الواردات متنوعة كانت اجناس الاعمال التي تقتضيها هذه الواردات ايضا متنوعة والاعمال الظاهرة ابدا تبع لاحوال القلب الباطنة كما سيقوله المولف رحمه الله تعالى بعد هذا في قوله **حسن الاعمال نتايج حسن الاحوال وحسن الاحوال من التحقق في مقامات الانزال** حسن الاعمال توفيتها بما يجب لها من شروط واداب عبودية لله تعالى لا لطلب حظ عاجل ولا لثواب آجل وحسن الاحوال ان تكون سالمة من العلل والدعاوي موسومة بسمة الصدق والتحقق في مقامات الانزال هو ارتواء القلب بما ينزله الحق فيه من مقامات العلوم والمعارف بحيث ينتفي عنك كل شك وريب وهذه الثلاثة المذكورة مرتب بعضها على بعض وهو معنى ما يقوله الامام ابو حامد الغزالي رضي الله عنه لا بد في كل مقام من مقامات اليقين من علم وحال وعمل فالعلم ينتج الحال والحال ينتج العمل **انما اورد عليك الوارد لتكون به عليه واردا** الوارد عبارة عما يرد على القلب من المعارف الربانية واللطايف الروحانية ليطهره بذلك ويزكيه حتى يصلح بذلك للورود عليه والدخول الى حضرته لان الحضرة منزهة عن كل قلب متكدر بالاثار متلوث باقذار الاغيار فاذا انما اورده عليك لتكون به عليه واردا **اورد عليك الوارد ليستلمك من يد الاغيار وليحررك من رق الاثار** لان الاثار والاغيار غاصبة ومسترقة لك وذلك لوجود محبتك لها وسكونك اليها واعتمادك عليها فانما اورد عليك الوارد ليستلمك من يد غصبك ويحررك عن ملكية من استرقك والاشارة الى هذا المعنى بما ضرب الله تعالى من المثل للكفار في قوله جل وعلا ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل

هل يستويان مثلا فمن تسلم من يد الاغيار وحرر من رق الاثار لا يكون لمخلوق فيه نصيب ولا شركة وكان سالما لله عز وجل **اورد عليك الوارد ليخرجك من سجن وجودك الى فضا شهودك** سجن وجوده هو شهوده لنفسه ومراعاته لحظه وفضا شهوده ان يغيب من ذلك بشهود عظمة الله تعالى وجلاله ورويته قيام حركاته وسكناته به قال ابو القسم النصراباذي رضي الله عنه سجنك نفسك اذا خرجت منها وقعت في راحة الابد وسياتي من كلام المولف في معنى قوله سجن وجودك في باب القرب الكاين في الكون ولم تفتح له ميادين الغيوب مسجون بمحيطاته ومحصور في هيكل ذاته **قل ما تكون الواردات الالهيه الا بغتة صيانة لها ان يدعيها العباد بوجود الاستعداد** الواردات الالهية هدايا من الله تعالى وتحف وكرامات يكرم بها عباده فلا تكون في الغالب الا بغتة اي فجاة لئلا يدعوها ويرون انفسهم اهلا لها بوجود استعدادهم وتهيئهم وتحف الله تعالى وهداياه مقدسة عن ان تعلل بامر ومنزهة عن ان تقابل باعمال بر بل هي محض كرم وفضل من الكريم المتفضل **لا ينبغي للسالك ان يعبر عن وارداته فان ذلك يقل عملها في قلبه ويمنعه وجود الصدق مع ربه** الواردات الالهية لا ينبغي للسالك ان يعبر عنها اختيارا منه بل يخفيها ويصونها ولا يطلع احدا عليها الا شيخا مرشدا لان نفسه تجد في ذلك لذة وانشراحا تتقوى به صفاتها فيقل بسبب ذلك عمل الواردات في قلبه من التاثير المحمود ولاجل غلبة احكام نفسه وايثار حظه يمنعه ذلك من وجود صدقه مع ربه وقد تقدم هذا المعنى في باب الاخلاص عند قوله استشرافك ان يعلم الخلق بخصوصيتك الى اخره **الحقايق ترد في حال التجلي مجملة وبعد الوعي يكون البيان فاذا قراناه فاتبع قرانه ثم ان علينا بيانه** حقايق العلوم اللدنية التي تقذفها الحق تعالى في اسرار العارفين عند براتهم من الدعوى وتحررهم

من

من رق الاشيا وتعرضهم بالالتجا والافتقار لما يفتح عليهم المولى يكرمهم الحق تعالى بها تحقيقا لوعده لهم من غير تعلم ولا دراسة وعند ورودها عليهم وتجليها لهم تكون مجملة لا تتبين لهم معانيها ولا يدركون جهة حقيقتها فاذا وعوها وتصرفت فيها اذهانهم بالاعتبار والتامل تبين لهم معناها وظهر لهم موافقتها لما بايديهم من العلوم العقلية والنقلية من غير مخالفة حتى ان بعضهم ربما جرى على لسانه وبيانه كلام كثير من غير ان يلقي له بالا فاذا فرغ من ذكره او رسمه تصفحه وتامله فيجده صحيحا مستقيما وقد اخبرني بنحو من ذلك من له قدم صدق في هذه الطريق عن نفسه قال الامام ابو القاسم القشيري رضي الله عنه واصحاب الحقايق يجري بحكم التصريف على شي لا علم لهم به على التفصيل وبعد ذلك يكشف لهم وجهه فربما يجري على لسانهم شي لا يدرون وجهه ثم بعد فراغهم عن النطق به يظهر لقلوبهم برهان ما قالوه من شواهد العلم اذ تحقيق ذلك يجريان الحال في ثاني الوقت انتهى كلام الامام ابي القاسم وهو موافق لما ذكره المولف والله اعلم وكانهما اشارا بذلك الى المسالة المتعارفة بينهم من موافقة الحقيقة للشريعة وقد عبروا عن ذلك بعبارات فقد سيل عبد الله بن طاهر الابهري رضي الله عنه عن الحقيقة فقال الحقيقة كلها علم فسيل عن العلم فقال العلم كله حقيقه وقال الشبلي رضي الله عنه الالسنة ثلاثة لسان علم ولسان حقيقة ولسان حق فلسان العلم ما كان تادى الينا بالوسايط ولسان الحقيقة ما اوصله الله تعالى الى الاسرار بلا واسطه ولسان الحق ليس له طريق وقال رويم رضي الله عنه اصح الحقايق ما قارنه العلم وقال ابو بكر الدقاق رضي الله عنه كنت في تيه بني اسرايل فوقع في قلبي ان علم الحقيقة بخلاف علم الشريعه فاذا شخص تحت شجرة ام غيلان صاح بي وقال يا ابا بكر كل حقيقة تخالف الشريعه فهي كفر واشارة المولف رحمه الله بالاية التي ذكرها الى هذا

المعنى بينه متى وردت الواردات الالهيه هدمت العوايد عليك ان
الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها الواردات الالهيه على العبد تمحو عنه
جميع رعوناته وتهدم عليه مستمر عاداته ولها سلطنة عظيمة على ذلك فاذا
وردت على قلب مشحون بانواع الخبايث والرذايل ازالت ذلك بمرة واثبتت
عوضا من ذلك احوالا علية واوصافا رضيه وانشد سيدي ابو المهاجر
المرسي رضي الله عنه في هذا المعنى

لو عاينت عيناك يوم تزلزلت • ارض النفوس ودكت الاجبال •
لرايت شمس الحق يسطع نورها • حين التزلزل والرجال رجال •

الارض ارض النفس والجبال جبال العقل والشمس شمس المعرفة والاشارة
بالاية الكريمه الى هذا المعنى بينه الوارد ياتي من حضرة قهار لاجل
ذلك لا يصادمه شي الا دمغه بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه
فاذا هو زاهق الوارد موسوم بسمة القهر والغلبه لوروده من حضرة القهار
الغالب على امره لاجل ذلك لا يصادمه شي من رعونات البشرية الا
دمغه وازاله وهو ايضا حق ورد على باطل والباطل لا ثبات له مع
الحق والاشارة بالاية الكريمه الى هذا المعنى بينه لا تزكين
واردا لا تعلم ثمرته فليس المراد من السحابة الامطار وانما المراد منها
وجود الاثمار الوارد يراد لثمرته لا لوجدان حظ نفسك فيه
كما ان السحابة مرادة لوجدان الاثمار الذي اقتضاه وجود امطارها
لا بمجرد وجود امطارها وثمرة الوارد انما هي تاثر القلب به وتبدل
صفاته المذمومة بصفات محموده كما تقدم فان لم تعلم وجود هذا
فيك فلا تركن الى الوارد ولا تفرح به لان في ذلك نوعا من الاغترار
والانخداع بلبسه الاظهار فكن على حذر منه لا تطلبن بقاء الوارد
بعد ان بسطت انوارها واودعت اسرارها فلك في الله غنى
عن كل شي وليس يغنيك عنه شي انوار الواردات المنبسطة على
العبد هي تكييف ظاهره وباطنه بكيفيات العبوديه واسرارها الودوعة

فيه

فيه بما لاح له من عظمة الربوبيه فاذا افادك الوارد هذه الفوايد فلا
تطلبن بقاوه في حال كونه ولا تاس على فقده اذا فقدته فان لك في
الله غنى عنه وعن غيره وليس لك غنى عن الله تعالى في شي من الاشيا
كما قال الشاعر •

• لكل شي اذا فارقته عوض • وليس لله ان فارقت من عوض •

قال ابو العباس بن عطاء الله رضي الله عنه اياك ان تلاحظ مخلوقا
وانت تجد الى ملاحظة الحق سبيلا ويدخل في هذا المعنى الذي
ذكره بن عطا الله رضي الله عنه جميع الاغيار والانوار والمقامات
والاحوال والدنيا والاخرة والنعم الباطنة والظاهره فلا تلاحظ
شيا من ذلك ولا تركنن اليه ولا تعتمد عليه بقي او ذهب فان
ذلك قادح في اخلاص التوحيد قال في التنوير واعلم ان الباري
سبحانه وتعالى انما يدخلك في الحال لتاخذ منها لا لتاخذ منك وانما
جات تحمل هدية التعريف من الله تعالى اليك فيها فتوجه اليها باسمه
المبدي فابداها وابقاها حتى اذا وصلت اليك ما كان لك فيها فلما ادت
الامانه توجه اليها باسمه المعيد فارجعها وتوفاها فلا تطلبن بقا
رسول بعد ان بلغ رسالته ولا امين بعد ان بلغ امانته وانما يفتضح المدعو
بزوال الاحوال وبعزهم عن مراتب الانزال هنالك يبد والعوار وتنهتك
الاستار فكم من ملبوس الغنا باسروانما غناه بطاعته او بنوره او بفتحه
وكم من ملبوس العز بالله وانما اعتزازه بمنزلته وصوله على الخلق معتمدا
على ما ثبت عندهم من معرفته فكن عبد الله لا عبد العلل وكما كان الله
تعالى لك ربا ولا علة فكن عبدا له ولا علة لتكون له كما كان لك انتهى
وقال الشيخ ابو العباس رضي الله عنه عبد هو في الحال بالحال وعبد
في الحال بالمحول فالذي هو في الحال بالحال عبد الحال والذي هو في
الحال بالمحول عبد المحول وامارة من هو في الحال بالحال ان ياسى
عليها اذا فقدها ويفرح بها اذا وجدها والذي هو في الحال بالمحول لا يفرح بها

اذا وجدت ولا تحزن عليها اذا فقدت وفي الاشارات عن الله سبحانه وتعالى
لا تركنن الى شي دوننا فانه وبال عليك وقاتل لك فان ركنت الى العلم تتبعناه
عليك وان اويت الى العمل رددناه عليك وان وقفت بالحال اوقفناك
معه وان انست بالوجد استدرجناك فيه وان لحظت الى الخلق وكلناك
اليهم وان اغتررت بالمعرفة نكرناها عليك فاي حيلة لك واي قوة
معك فارضنا لك ربا حتى نرضاك لنا عبدا **باب تفاوت مراتب**
السالكين مبتدءا ومنتهيا قوم اقامهم الحق لخدمته وقوم اختصهم بمحبته
ومعرفته كلا نمد هولاء وهولاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك
محظورا الحق تعالى له الاختيار التام والمشية النافذة لا يسال عما يفعل
وهم يسالون وطايفة اقامهم الحق لخدمته حتى صلحوا الجنة وهم الزاهدون
والعابدون كما تقدم في باب الورد والوارد عند قوله اذا رايت
عبدا اقامه الله بوجود الاوراد وطايفة اختصهم بمحبته حتى صلحوا
لقربه والدخول الى حضرته وهم العارفون والعلما قال يحيى
ابن معاذ رضي الله عنه الزاهد صيد الحق من الدنيا والعارف
صيد الحق من الجنة فاذا شهد العبد انفراد الله تعالى بهذه الاقامة
والتخصيص منعه ذلك من الاستحقار كما ذكرناه عند قوله اذا رايت
عبدا اقامه الله بوجود الاوراد وسلم الامر لمن بيده التدبير
والاختيار قال ابو يزيد رضي الله عنه اطلع الله تعالى على قلوب اوليايه
فمنهم من لم يكن يصلح لحمل المعرفة صرفا فشغلهم بالعبادة وذكر الحافظ
ابو نعيم في كتاب حلية الاوليا عن سهل بن عبد الله رضي الله عنه
انه قال ان الله تعالى يطلع على اهل قريه او بلده فيريد ان يقسم
لهم من نفسه قسما فلا يجد قلوب العباد ولا قلوب الزهاد موطنا لتلك
القسمة من نفسه فيمن عليهم ان يشغلهم بالتعبد عن نفسه فقال ابو
العباس الدينوري رضي الله عنه عبادا لم يستصلحهم لمعرفته فشغلهم بخدمته
وله عبادا لم يستصلحهم لخدمته فاهلهم لمعرفته والاشارة بالاية الكريمه

التي

التي ذكرها المولف رحمه الله بعينه في هذا المعنى **ليس كل من ثبت**
تخصيصه كمل تخليصه التخصيص هاهنا هو ان يظهر الحق سبحانه على
بعض عباده اثرته وعنايته وتوليه لطفه ورعايته فمنهم من يستمر
له ذلك حتى يتحقق بالعرفان ويتخلص عن روية الاغيار والاكوان
وهولاء هم خواص المقربين اهل العلم بالله والحب له ومنهم من يوقفه
عن بلوغ ذروة الكمال ويربيه في حاله بما يليق به من علوم واعمال
وهولاء عامة المقربين وخاصة اصحاب اليمين العباد والزهاد واهل
المجاهدة والاوراد وهولاء وان شاركوا الاولين فيما يتحفهم
الحق سبحانه من لطايف الكرامات وفيما يمنحهم اياهم اياه من القيام
بوظايف الطاعات والعبادات فلم يتخلصوا من روية نفوسهم ولم
ينفكوا من مراعات حظوظهم بل هم ساكنون الى اسباب مغتبطون
بوجود الحجاب وقد يختص الحق تعالى هولا باظهار الكرامات على ايديهم
وبسببهم تسكينا لنفوسهم وتثبيتا لليقين في قلوبهم ويمنعها الاولين
لانهم لا يحتاجون اليها لما هم فيه من الرسوخ في اليقين والقوة والتمكين
كما قال صاحب كتاب عوارف المعارف وقد يكون من لا يكاشف
بشي من معاني القدر افضل ممن يكاشف بها اذا كاشفه الله تعالى
بصرف المعرفه فالقدرة اثر من القادر ومن اهل القرب القادر لا يستغرب
ولا يستكثر شيا من القدرة والتجلي له من سجف اجر اعالم الحكمة وسيل
الشبلي رضي الله عنه وقيل له ان ابا تراب ذكر انه جاع في البادية
فراى البادية كلها طعاما فقال عبد رفق به ولو بلغ الى محل التحقيق
لكان كمن قال اني اظل عند ربي يطعمني ويسقيني هاذه لطايف
المنن واعلم ان الكرامة تارة تظهر من ولي في نفسه وتارة تظهر منه لغيره
فان ظهرت للولي في نفسه فالمراد تعريفه بقدرة الله تعالى وفردانيته وا
وان قدرته لا تتوقف على الاسباب وان العوايد هو الحاكم عليها ليست
هي حاكمة عليه وانما جعل العوايد والوسايل والاسباب حجب قدرته

ب

حريته

وسحب شمس احديته فوقف عندها مخذولا ونادته منها الانية هو بالغاية
موصول قال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه فايدة الكرامة
فايدة اليقين من الله تعالى بالعلم والقدرة والارادة والصفات الازلية
بجمع لا تفترق وامر لا ينفقد كانها صفة واحدة قايمة بذات الواحد
ايستوي من عرف الله اليه بنوره كمن تعرف الى الله بعقله ولاجل
انها تثبت لمن ظهرت له ربما وجدها اهل البدايات في بداياتهم
وفقدها اهل النهايات في نهاياتهم اذ ما عليه اهل النهايات
من الرسوخ في اليقين والقوة والتمكين لا يحتاجون معه الى مثبت
وهكذا كان السلف رضي الله عنهم لم يحوجهم الحق سبحانه الى وجود الكرامات
الحسية لما اعطاهم من المعارف الغيبية والعلوم اللدنية ولا
يحتاج جبل الى مرساة فالكرامة رافعة لزلزلة الشك في المنة
ومعرفة بفضل الله تعالى لمن ظهرت عليه وشاهدة له مع الله سبحانه
بالاستقامة والناس في الكرامات على ثلثة اقسام قوم جعلوها
غاية الامر وان وجدوها عظموا من ظهرت عليه وان فقدوها
لم يتوجهوا بالتعظيم اليه وقسم قالوا وما هي الكرامات
انما هي خدع يخدع بها اهل الارادة ليقفوا على حدودهم حتى
لا يجوزوا مقاما ليس هو لهم حق قال ابو تراب النخشبي لابي
العباس الرقي ما يقول اصحابك في هذه الامور التي تكرم الله
بها على عباده فقلت ما رايت احدا الا وهو مومن بها فقال ابو تراب
من لم يومن بها فقد كفر انما سالتك عن طريق الاحوال فقلت
ما اعرف لهم قولا فقال ابو تراب بل قد زعم اصحابك انها خدعة
من الحق سبحانه وليس الامر كذلك انما الخدع في حال السكون اليها
فاما من لم يقترح بها ولم يساكن اليها فتلك مرتبة الربانيين وكان
هذا من ابي تراب بعد ان عطش القوم وهم اصحابه فضرب بيده الارض
فنبع الماء فقال فتى اريد ان اشربه في قدح فضرب بيده الارض فناوله
قدحا

قدحا من زجاج ابيض فشرب وسقانا قال ابو العباس الرقي وما زال
القدح معنا الى مكة قال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه والقول الفصل
في ذلك انه لا ينبغي ان يطلب اد مامع الله تعالى ومن اظهرت عليه عظم
لانها شاهدة له بالاستقامة مع الله تعالى قال والقسم الثاني وهو
ان تظهر الكرامة في الولي لغيره فالمراد بذلك تعريف ذلك العبد الذي
يشهدها بصحة طريق هذا الولي الذي اظهرت عليه الكرامات اما
ان يكون جاحدا فيرجع الى الاعتراف او كافرا فيعود الى الايمان او
شاكا في خصوصية هذا العبد فاظهرت عليه ليعرفك الله بما فيه من ودايع
الاحسان انتهى كلامه وقال ابو النصر السراج سالت ابا الحسن
بن سالم فقلت له ما معنى الكرامات وهم قد اكرموا حتى تركوا الدنيا
اختيارا وكيف اكرموا بان يجعل لهم الحجارة ذهبا فما وجه ذلك .
فقال لا يعطيهم ذلك بقدرها ولكن يعطيهم ذلك حتى يحتجوا بكون
ذلك على نفوسهم عند اضطرابها وجزعها من فوت الرزق
الذي ضمنه الله تعالى لهم فيقولون الذي يقدر على ان يصير
لك الحجارة ذهبا كما هو ذا تنظر اليه اليس بقادر ان يسوق
اليك رزقك من حيث لا تحتسب فيحتجوا بذلك على نفوسهم
عند فوت الرزق ويقطعوا بذلك حجج نفوسهم فيكون ذلك سببا
لرياضة نفوسهم وتاديبا لها قال ابو نصر رضي الله عنه وقد
حكى لنا ابن سالم في معنى ذلك حكاية عن سهل بن عبد الله رضي الله
عنه انه قال كان رجل بالبصرة يقال له اسحق بن احمد وكان من
ابناء الدنيا فخرج من الدنيا يعني من جميع ماله وتاب وصحب سهلا فقال
يوما لسهل يا ابا محمد ان نفسي هذه ليست تترك الضجيج والصراخ
من خوف فوت القوت والقوام فقال له سهل خذ ذلك الحجر وسل
ربك ان يصيره لك طعاما تاكله فقال له ومن امامي في ذلك حتى
افعل فقال سهل امامك ابرهيم عليه السلام حيث قال رب ارني كيف

تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي المعنى في ذلك ان
النفس لا تطمئن الا برؤية العين لان من جبلتها الشك فقال ابرهيم رب
ارني كيف تطمئن نفسي فاني مؤمن بذلك والنفس لا تطمئن الا برؤية العين
قال فكذلك الاوليا لما نظر من الله تعالى لهم الكرامات تاييدا لنفوسهم وتهذيبا
لها وزيادة لهم انتهى كلام ابي نصر رضي الله عنه وقال بعض العلما ما رايت هذه
الكرامات الا على الجاهل البله من الصادقين وكان رجل صحب سهل بن
عبد الله رضي الله عنه فقال له يوما ربما اتوضا للصلاة فيسيل الما من بين
يدي قضبان ذهب وقضبان فضة فقال سهل اما علمت ان الصبيان اذا
بكوا اعطوا خشخاشة ليشتغلوا بها وفي حكاية جعفر الخلدي عن الجنيد
رضي الله عنه رضي الله عنه قال جانا ابو حفص النيسابوري
مرة ومعه جماعة وكان فيهم رجل اصلح قليل الكلام فقال يوما لابي
حفص قد كان فيمن مضى لهم الايات الظاهرة يعني به الكرامات وليس
شي من ذلك فقال له ابو حفص رضي الله عنه فجاء به الى سوق الحدادين
الى كير عظيم محمي فيه حديدة عظيمة فادخل يده في الكير فاخذ الحديدة
المحماة فاخرجها فبردت في يده فقال له يجزيك هذا فسيل بعضهم عن
اظهار ذلك من نفسه من فقال كان مشرفا على حالة يخشى على حاله
ان تتغير عليه ان لم يظهر له ذلك فخصه به لذلك شفقة عليه وصيانة
لحاله وزيادة لايمانه بل ربما يفزع منها العارفون ويخاف منها المحققون
فقال بعض السلف الطف ما يخادع به الاوليا الكرامات والمعونات و
ذكر عن ابي حفص او غيره انه كان جالسا وحوله اصحابه قال فنزل ظبي من
الجبل فبرك عنده قال فبكى ابو حفص فسيل عن بكايه قال كنتم حولي
فوقع في قلبي ان لو كان لي شاة لذبحتها لكم فلما برك هذا الظبي عندنا
شبهت نفسي بفرعون حين سال الله تعالى ان يجري معه النيل فاجراه معه
فبكيت وسالته الا قاله ما تمنيت وسيبت الظبي ويحكى عن بعض الابدال
انه قال لتلميذ من تلامذة الشيخ ابي مدين رضي الله عنه ما بال [illegible]

شي

١٤٢

شي وهو يعتاص عليه اقل شي من الامور وانا نتمنى مقامه فهو لا يتمنى مقامنا
فبلغ ذلك الشيخ ابا مدين فقال قل له تركنا مرادنا لمراده وعن
بعضهم انه كان يسير في البادية فانتهى الى بير فاذا الما ارتفع الى راس
البير فقال انا اعلم انك قادر على هذا ولكني لا اطيقه فلو قيضت لي
بعض الاعراب ليصفعني صفعات ويسقيني شربة ما كان اسلم لي ثم
اني اعلم ان ذلك الرفق ليس من جهته وقال يحيى بن معاذ رضي
الله عنه اذا رايت الرجل يشير الى الايات والكرامات فطريقه طريق
الابدال واذا رايته يشير الى الالا والنعما فطريقه طريق المحبة وهو
اعلى من الذي قبله واذا رايته يشير الى الذكر وقلبه متعلق بالذكر
الذي يذكر فطريقه طريق العارفين وهو على درجة من جميع الاحوال وقال
ابو يزيد رضي الله عنه كنت في بدايتي يريني الحق الايات والكرامات ولا
التفت اليها فلما راى ذلك جعل لي الى معرفته سبيلا ربما رزق الكرامة
من لم يكمل له الاستقامة الكرامة الحقيقية انما هي حصول الاستقامة والوصول
الى كمالها ومرجعها الى امرين صحة الايمان بالله عز وجل واتباع ما جاء به رسول
الله صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا فالواجب على العبد ان لا يحرص الا
عليها ولا يكون له همة الا في الوصول اليها واما الكرامة بمعنى خرق
العادة فلا عبرة بها عند المحققين اذ قد يرزق ذلك من لم تكمل له
الاستقامة قال سيدي ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه انما هما
كرامتان محيطتان جامعتان كرامة الايمان بمزيد الايقان وشهود العيان
وكرامة العمل على الاقتدا والمتابعة ومجانبة الدعاوي والمخادعة فمن
اعطيهما ثم جعل يشتاق الى غيرهما فهو عبد مفتر كذاب وذو خطا في
العلم والعمل بالصواب كمن اكرم بشهود الملك على نعت الرضا فجعل
يشتاق الى سياسة الدواب وخلع الرضا وكل كرامة لا يصحبها الرضا
عن الله تعالى ومن الله عز وجل فصاحبها مستدرج مغرور او ناقص
او هالك مثبور وقال سيدي ابو العباس المرسي رضي الله عنه ليس

بلغ

الشان من تطوى له الارض فاذا هو بمكة وغيرها من البلدان انما الشان من
تطوى عنه اوصاف نفسه فاذا هو عند ربه وذكر عن سهل بن عبد
الله رضي الله عنه الكرامات فقال وما الايات وما الكرامات هي شي
تنقضي لوقتها ولكن اكبر الكرامات ان تبدل خلقا مذموما بخلق محمود
وقال بعض المشايخ لا تعجبوا ممن لم يضع في جيبه شيا فيدخل
يده في جيبه فيخرج منه ما يريد ولكن تعجبوا ممن يضع في جيبه شيا
فيدخل يده في جيبه فلا يجده فلا يتغير وقيل لابي محمد المرتعش
رضي الله عنه ان فلانا يمشي على الما فقال عندي ان من مكنه الله تعالى
في مخالفة هواه فهو اعظم من المشي على الما وفي الهوا وقال ابو
يزيد رضي الله عنه لو ان رجلا بسط مصلاه على الما وتربع في الهوى
فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه في الامر والنهي وقيل له ان فلانا
يقال انه يمر في ليلة الي مكة فقال الشيطان يمر في لحظة من المشرق
الى المغرب وهو في لعنة الله وقيل له ان فلانا يمشي على الما فقال
الحيتان في الما والطير في الهوى اعجب من ذلك وقال الجنيد رضي
الله عنه حجاب قلوب الخاصة المختصة به روية النعم والتلذذ بها والوطا
والسكون الي الكرامات وقد تقدم مثل هذا في الحكمة المتقدمة الستر
على قسمين ستر عن المعصية وستر فيها فالعامة يطلبون الستر من الله
فيها خشية سقوط رتبتهم عن الخلق والخاصة يطلبون الستر عنها
خشية سقوطهم من نظر الملك الحق العامة يغلب عليهم شهود الخلق
والتصنع لهم والتزين ومحبة حمدهم وكراهة ذمهم فهم يعملون
المعصية ويستخفون بها ويطلبون الستر من الله عليهم فيها اي في
حال كونهم عاملين بها لئلا يراهم الخلق فيسقطون من اعينهم وفي
امثالهم قال الله عز وجل يستخفون من الناس ولا يستخفون
من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول قال سيدي
الامام ابو القاسم القشيري رضي الله عنه في هذه الاية الغالب على

قلوبهم

قلوبهم روية الخلق ولا يشهدون ان الحق مطلع عليهم اولئك الذين
وسم الله قلوبهم بوسم الفرقة روى عدي بن حاتم رضي الله
عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يومر يوم
القيمة بناس الى الجنة حتى اذا دنوا منها ونظروا اليها واستنشقوا
رايحتها وما اعد الله لاهلها نودوا ان اصرفوهم فلا نصيب لهم
فيها قال فيرجعون بحسرة ما رجع الاولون بمثلها فيقولون يا ربنا
لو ادخلتنا النار قبل ان ترينا ما اريتنا من ثوابك وما اعددت
فيها لاوليايك كان اهون علينا قال ذلك اردت بكم كنتم اذا
خلوتم بارزتموني بالعظايم واذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراون
الناس بخلاف ما تعطوني من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابوني
واجللتم الناس ولم تجلوني وتركتم للناس ولم تتركوا لي فاليوم
اذيقكم العذاب الاليم مع ما حرمتم من الثواب وفي بعض الكتب
ان لم تعلموا اني اراكم فالخلل في ايمانكم وان علمتم اني اراكم فلم جعلتموني
اهون الناظرين اليكم قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى
يعلم خاينة الاعين وما تخفي الصدور هو الرجل تمر به المراة في القوم
فيري القوم انه يغض بصره عنها فاذا غفلوا نظر اليها ويريهم انه
انه يغض بصره عنها ويود لو انه يطلع على عورتها ويقدر عليها وقال في
رواية اخرى هو الرجل يكون في القوم فتمر بهم المراة فيريهم انه
يغض بصره عنها فاذا راي من القوم غفلة لحظ اليها ونظر فاذا خاف
ان يفطنوا اغض بصره فقد اطلع الله عز وجل من قلبه انه لو نظر الي
عورتها وهذا كله شان المرايين الذين يستخفون نظر الجبار ويهابون
الناس ان يطلعوا عليهم فيما يرتكبونه من الاوزار والخاصة
من اهل الايمان واليقين بريون من هذا الوصف الذميم لا التفات لهم
الى الخلق مدحا ولا ذما وهمتهم مصروفة عن النظر اليهم والاعتماد
عليهم في نفع او دفع او ضر وحالهم انما هو القناعة بعلم الله تعالى ونظره

نظرهم فهم يطلبون الستر من الله تعالى عنها في ان يغيبها عن نظرهم
ولا يخطرها بقلوبهم فتميل اليها انفسهم فيعملون بها فيقعوا في
مخالفة ربهم والتعرض لسخطه والسقوط من عينه وشتان ما بين
الحالين والى هذا المعنى اشار سيدنا ابو الحسن رضي الله عنه في
دعايه بقوله اللهم انا نسالك التوبة ودوامها ونعوذ بك من المعصية
واسبابها وذكرنا بالخوف منك قبل هجوم خطراتها واحملنا على النجاة
منها ومن التفكر في طرايقها وامح من قلوبنا حلاوة ما اجتنيناه منها
واستبدلها بالكراهة لها والطعم لما هو بضدها ربما عبر عن المقام
من استشرف عليه وربما عبر عنه من وصل اليه وذلك ملتبس
الا على صاحب بصيرة كما ان الواصل الى مقام من مقامات اليقين
يعبر عنه كذلك يعبر عنه من استشرف عليه ولم يتحقق فيه بالمنازل
والوصول والتباس ذلك على من ليس له بصيرة ظاهرة واما ذو
البصيرة فلا يخفى عليه ذلك لانه يدرك في الكلام صورة المتكلم
الباطنة وما هو عليه من كمال ونقص وقد قيل تكلموا تعرفوا
قوم تسبق انوارهم اذكارهم وقوم تسبق اذكارهم انوارهم ذاكر ذكر
ليستنير قلبه وذاكر استنار قلبه فكان ذاكرا سبقية الاذكار للانوار
هو حال المريدين السالكين وذلك لان شانهم المجاهدة والمكابدة
وهم ياتون بالاذكار في حال تكلف منهم وتعمل ليحصل لهم بذلك
زوايد الانوار والى هذا المعنى الاشارة بقوله تعالى والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وسبقية الانوار للاذكار هو حال
المرادين المجذوبين لانهم معاملون في السهولة والخفة فهم لما وجهوا
بالانوار حصلت لهم الاذكار بلا تكلف ولا تعمل قال في لطايف
المنن حاكيا عن شيخه ابي العباس المرسي رضي الله عنه قال الناس
على قسمين قوم وصلوا بكرامة الله الى طاعة الله وقوم وصلوا بطاعة
الله الى كرامة الله قال الله تعالى الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب

قال ومعنى كلام الشيخ هذا ان من الناس من حركت الله همته لطلب
الوصول اليه فصار يطوي مهامه نفسه وبيداء طبعه الى ان
وصل الى حضرة ربه يصدق على هذا قوله سبحانه وتعالى والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ومن الناس من فاجاته عناية الله
تعالى له من غير طلب ولا استعداد ويشهد لذلك قوله تعالى
يختص برحمته من يشاء فالاول حال السالكين والثاني حال المجذوبين
فمن كان مبداه المعاملة فنهايته المواصلة ومن كان مبداه المواصلة
رد الى وجود المعاملة ولا تظنن ان المجذوب لا طريق له بل له طريق
طوتها عناية الله تعالى له فسلكها مسرعا الى الله تعالى عاجلا وكثيرا
ما يسمع عند مراجعات المنتسبين للطريق ان السالك اتم من المجذوب
لان السالك عرف طريقا بها يتصل اليه والمجذوب ليس كذلك وهذا
بناء على ان المجذوب لا طريق له وليس الامر كما زعموا لان المجذوب
طويت الطريق له ولم تطو عنه ومن طويت له الطريق لم تفته ولم
تغب عنه وانما فاتته متاعبها وطول امدها والمجذوب كمن طويت له
الطريق الى مكة والسالك كالسائر اليها على اكوار المطايا انتهى ما ذكره
في حال الجذب والسلوك وهو حسن قل ان يوجد لغيره فلذلك
اوردته ههنا بكماله دل بوجود اثاره على وجود اسمايه وبوجود اسمايه
على ثبوت اوصافه وبوجود اوصافه على وجود ذاته اذ محال ان يقوم
الوصف بنفسه فارباب الجذب يكشف لهم عن كمال ذاته ثم يردهم
الى شهود صفاته ثم يرجعهم الى التعلق باسمايه ثم يردهم الى شهود اثاره
والسالكون على العكس من هذا فنهاية السالكين بداية المجذوبين وبداية
السالكين نهاية المجذوبين لكن لا بمعنى واحد فربما التقيا في الطريق هذا
في ترقيه وهذا في تدليه عباد الله المخصوصون بالقرب منه والوصول اليه
ينقسمون الى قسمين سالكين ومجذوبين فشان السالكين الاستدلال
بالاشيا عليه وهم الذين يقولون ما راينا شيا الا ورأينا الله بعده

وشان المجذوبين الاستدلال به على الاشيا وهم الذين يقولون ما راينا شيا
الا ورانيا الله قبله ولاشك ان الدليل ابدا اظهر من المدلول فاول ما ظهر
للسالكين الاثار وهي الافعال فاستدلوا بها على الاسما والاسما على الصفات
وبالصفات على وجود الذات فكان حالهم الترقي والصعود من اسفل الى
اعلى وان ما ظهر للمجذوبين حقيقة كمال الذات المقدسه ثم ردوا منها
الى مشاهدة الصفات ثم رجعوا الى التعلق بالاسما ثم انزلوا الى شهود
الاثار وكان حالهم التدلي والتنزل من اعلى الى اسفل فما بدي به
السالكون من شهود الاثار اليه انتهى المجذوبين وما ابتدي به المجذوبون
من كشف حقيقة الذات اليه انتهى السالكون لكن لا بمعنى واحد فان
مراد السالكين شهود الاشيا لله ومراد المجذوبين شهود الاشيا بالله
فالسالكون عاملون على تحقيق الفنا والمحو والمجذوبون مسلوك بهم طريق
البقا والصحو ولما كان شان الفريقين النزول في تلك المنازل المذكورة
لزم التقاهما في سيرهما السالك مترق والمجذوب متنزل شتان بين
من يستدل له وبين يستدل عليه المستدل به عرف الحق لاهله واثبت
الامر من وجود اصله والاستدلال عليه عدم الوصول اليه والا فمتى
غاب حتى يستدل عليه ومتى بعد حتى تكون الاثار هي التي توصل اليه
بنو ادم في اول نشاتهم ومبدا خلقتهم وخروجهم من بطون امهاتهم
موسومون بالجهل وعدم العلم قال الله تعالى والله اخرجكم من بطون
امهاتكم لا تعلمون شيا ان الله تعالى لما اختص بعضهم بخصوص عنايته
واختارهم من اهله لولايته وما ذاك الا لحصول العلم الذي يتضمنه
قوله عز وجل وجعل لكم السمع والابصار والافيدة التي تحقق لهم النسبه
وتوجب لهم الزلفه والقربه المشار الى ذلك بقوله لعلكم تشكرون
جعلهم على قسمين مرادين ومريدين وان شيت قلت مجذوبين وسالكين
وكلاهما مراد ومجذوب على التحقيق قال الله عز وجل الله يجتبي اليه
من يشا ويهدي اليه من ينيب فالمريدون السالكون الى الله تعالى في

حال سلوكهم محجوبون عن ربهم برؤية الاغيار فالاثار والاكوان
ظاهرة لهم وموجودة لديهم والحق غيب عنهم فلم يروه فهم يستدلون
بها عليه في حال ترقيهم والمرادون المجذوبون واجههم الحق تعالى بوجهه
الاكرام وتعرف اليهم فعرفوه به فلما عرفوه على هذا الوجه انحجبت الاغيار
عنهم فلم يروها فهم يستدلون به عليها في حال تدليهم فهذا هو حال
الفريقين وشتان ما بينهما وذلك ان المستدل به على غيره عرف الحق
الذي هو الوجود الواجب لاهله وهو المختص بوصف القدم واثبت
الامر المشار به الى الاثار العدميه من وجود اصله المشار به الى
المؤثر المتحقق وجوده والمستدل بغيره عليه على عكس ما ذكرناه لانه
استدل بالمجهول على المعلوم وبالمعدوم على الموجود وبالامر الخفي على الظاهر
الجلي وذلك لوجود الحجاب ووقوفه مع الاسباب وعدم احتظائه
بالوصول والاقتراب والا فمتى غاب حتى يستدل عليه بالاشيا الحاضره
ومتى بعد حتى يكون الاثار القريبه هي التي توصل اليه او فقد حتى يكون
الاثار الموجوده هي التي تدل عليه وانشدوا

عجبت لمن يبغي عليك شهادة • وانت الذي اشهدته كل شاهد

قال في لطايف المنن واعلم ان الادلة انما نصبت لمن يطلب الحق
لا لمن يشهده فان الشاهد غني بوضوح الشهود عن ان يحتاج الى دليل
فتكون المعرفة باعتبار توصيل الوسايل اليها كسبيه ثم تعود الى
نهايتها ضروريه واذا كان من الكاينات ما هو غني بوضوحه عن اقامة
دليل فالمكون اولى بغناه عن الدليل منها ثم قال من العجب العجب ان تكون
الكاينات موصلة اليه فليت شعري هل لها وجود حتى توصل اليه او هل
لها من الوضوح ما ليس له حتى تكون هي المظهرة له وان كانت الكاينات
موصلة اليه فليس لها ذلك من حيث ذاتها لكن هو الذي ولاها رتبة
التوصيل فوصلت فما وصل اليه غير الالهيه ولكن الحكيم هو واضع الاسباب
وهي لمن وقف عندها ولم ينفذ الى قدرته عن الحجاب لينفق ذو سعة

من سعته الواصلون اليه ومن قدر عليه رزقه السايرون اليه هذه اشارة
مليحة الي حال الفريقين فالواصلون الى الله تعالى لما خرجوا من سجن
روية الاغيار الى فضا التوحيد وكمال الاستبصار اتسعت مسافة
نظرهم فانفقوا من سعتهم وتصرفوا في عوالمهم كيف شاوا والسالكون
اليه مقدور عليهم في ارزاق العلوم والفهوم محبوسون في مضيق
الخيالات والرسوم ينفقون ما اتاهم الله من الرزق المضيق
المقدر المعلوم **اهتدى الراحلون اليه بانوار التوجه والواصلون
لهم انوار المواجهة فالاولون للانوار وهولا الانوار لهم لانهم لله لا لشي دونه**
انوار التوجه هو ما منهم الي الله من عبادات ومعاملات ومجاهدات
ومكابدات وانوار المواجهة هو ما من الله تعالى اليهم من توجههم
وتقرب وتودد وتحبب فالاولون عبيد الانوار لوجود حاجتهم
اليها في الوصول الى المقصود والاخرون الانوار لهم لوجود غناهم
عنها بربهم فهم لله لا لشي دونه وسياتي هذا المعنى عند قوله
مع الاكوان ما لم تشهد المكون فاذا شهدته كانت الاكوان معك
قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون افرادا التوحيد
بعدم ملاحظة الاغيار هو حق اليقين ورويه ما سوى الله تعالى
خوض ولعب وهما من صفات الكافرين والمنافقين قال الله
عز وجل اخبارا عنهم وكنا نخوض مع الخايضين قال تعالى بل هم
في خوض يلعبون **قطع السايرين له والواصلين اليه عن روية اعمالهم
وشهود احوالهم اما السايرون فلانهم لم يتحققوا الصدق مع الله فيها واما
الواصلون فلانه غيبهم بشهوده عنها** لقد اسبغ
الله تعالى نعمته على الفريقين حيث فعل معهم ذلك لانه ابقاهم معه
ولم يدعهم لسواه فالواصلون فعل ذلك بهم طوعا منهم والسالكون
فعل ذلك بهم كرها ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها فالواصلون
قطعهم عن ذلك لشهودهم في حضرة قربه ومن شاهده لم يشهد معه غيره اذ

محال ان يراه ويشهد معه سواه والسالكون قطعهم عن ذلك عدم تحققهم
بالصدق والبراة من الدعوى فهم ابدا متهمون لانفسهم في توفية اعمالهم
وتصفية احوالهم قال النهرجوري رضي الله عنه من علامة من تولاه
الله في احواله ان يشهد التقصير في اخلاصه والغفلة في اذكاره و
النقصان في صدقه والفتور في مجاهدته وقلة المراعاة في فقره
فتكون احواله عنده غير مرضيه ويزداد فقرا الى الله تعالى في قصده
وسيره حتى يفنى عن كل من دونه وقال ابو عمر اسمعيل بن نجيد
رضي الله عنه لا يصفو لاحد قدم في العبودية حتى يكون افعاله عنده
كلها ريا واحواله كلها عنده دعاوي وقال ابو يزيد رضي الله عنه لو
صفت لي تهليلة ما باليت بعدها بشي والى هذين المقامين تشير الحكايه
التي تروى عن الواسطي رضه وذلك انه لما دخل نيسابور سال اصحاب
ابي عثمان رضه بماذا كان يامركم شيخكم قالوا كان يامرنا بالتزام الطاعة
وروية التقصير فيها فقال امركم بالمجوسية المحضة هلا امركم
بالغيبة عنها بشهود مجريها ومنشيها قال الاستاذ ابو القاسم
القشيري رضه وانما اراد الواسطي بهذا صيانتهم عن محل الاعجاب
لا تعريجا في اوطان التقصير او تجويزا للاخلال بادب الاداب
رب عمر اتسعت اماده وقلت امداده ورب عمر قليلة اماده كثيرة امداده
الامداد الالهيه التي يمد الحق تعالى بها عباده المومنين زيادة
في ايمانهم وتقوية في ايقانهم لا اثر فيها لطول العمر ولا قصره فلا ينقص
بذلك ولا يزيد ولا يقل ولا يكثر وانما تَرِد عليهم خزاين الفضل والكرم
بحسب قوة استعدادهم وكمال قابليتهم ويختلف ذلك باختلاف
تركيب خلقهم وجبول فطرهم ولا مدخل للزمان في هذا الا بالعرض وبهذا
فضلت هذه الامة على ساير الامم على قصر اعمارها وطول اعمارهم
قال احمد بن ابي الحواري رضه قلت لابي سليمان الداراني رضه قد
غبطت بني اسرائيل قال باي شي قلت بثمان مائة سنة حتى يصيروا كالشنان

البالية وكالحنايا وكالاوتار قال ما ظننت الا وقد جئت بشيء لا
والله لا يريد الله منا ان نلبس جلودنا على عظامنا وما يريد منا الا صدق
النية فيما عنده هذا اذا صدق في عشرة ايام نال ما نال ذلك في عمره
من بورك له في عمره ادرك في يسير من الزمان من منن الله تعالى
ما لا يدخل تحت دائرة العبارة ولا تلحقه الاشارة البركة في العمر ان يرزق
العبد من الفطنة واليقظة ما يحمله على اغتنام اوقاته وانتهاز فرصة
امكانه خشية فواته فيبادر الى الاعمال القلبية والبدنية ويستفرغ
في ذلك مجهوده بالكلية وفي اثناء ذلك يصل اليك من المنح الالهية
وتشرق عليه من الانوار الربانية ما تعجز العبارة عنه ولا تنتهي الاشارة
اليه وكل ذلك في زمن يسير وعمر قصير فيقع له في شهر مثل ما لا يقع
لغيره في الف شهر بمنزلة ليلة القدر العمل فيها لمن صادفها خير من العمل في
الف شهر قال بعض العلماء رضي الله عنه كل ليلة للعارف بمنزلة
ليلة القدر وكان سيدي ابو العباس رض يقول اوقاتنا كلها والحمد
لله كلها ليلة القدر وهذا هو البركة في العمر لا تطويله وزيادة مدته وقيل
هذا المعنى في تاويل ما روي في الخبر البر يزيد في العمر مراسله في ذكر
حال السالك من اول ابتدا سفره الى انتهائه اما بعد فان البدايات
مجلاة النهايات المجلاة محل التجلي والظهور فالسالك في ابتدا سلوكه
يتجلى له امر نهايته ان من كانت بالله بدايته كانت اليه نهايته
هذا بيان ما ذكره ومعنى كون بدايته بالله ان تكون مجاهداته ومكابدته
وانواع رياضته مصحوبة بالاستعانة بالله تعالى والاعتماد عليه
والانقطاع اليه فبذلك تصح له وتنفذ في توجهه وسلوكه كما تقدم
في باب التسليم عند قوله ما توقف مطلب انت طالبه بربك ومعنى
كون نهايته اليه ان ينكشف له انفراد الله تعالى بالقيومية وتوحده
بالديمومية وانه هو الاول والاخر والظاهر والباطن انكشافا فانظر
له به عدمية ذاته وتلاشيه وتدككه واضمحلاله فالله تعالى
نقذف

نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق فاذا صحت للمريد تلك
البداية بما ذكرناه وصل الى هذه النهاية وقد يجي هذا المعنى في باب الفراسة
عند قوله من علامات النجح في النهايات الرجوع الى الله في البدايات
المشتغل به هو الذي احببته وسارعت اليه والمشتغل عنه هو المؤثر عليه
المشتغل به لك ايها المريد السالك انما هو عملك على التقرب من ربك والتوسل
اليه بالطاعة والعبودية له وهو الذي احببته وسارعت الى اجابة
دعواته فيحق عليك ان لا تستثقل ذلك الشغل بل تكون به قرير
عين والمشتغل عنه انما هو متابعة حظوظك العاجلة ومرادتك الزائلة
وهو الذي يستحق الايثار عليه اذ هو فان مضمحل لا حقيقة له فا
فلتطب عنه نفسا ولا تعمل فيه عقلا ولا حسا وهذا الكلام تهييج
للسالك وانعاش لقوته وانهاض لهمته قال الشيخ ابو القسم
ابن عبد الرحمن الصقلي رضه سمعت عبد الله بن اسحق الغافقي
يقول ما انتفعت الا بدعاء رجل بمكة مررت الى المسجد الحرام بالسحر
فاذا رجل يسف التراب فقلت مجهودا او مجنونا ثم قلت يا هذا
تسف التراب قال فقال لي او تراب هو ثم رنا ولي قال فما شككت
انه سويق او قند انا شاك ايها قال فقلت ولي لله وجثوت
على ركبتي وقلت ادع الله لي فقال لي عرفك الله قدر ما تطلب
حتى يهون عليك ما تترك وان من ايقن ان الله يطلبه صدق الطلب اليه
من علم ان الامور بيد الله انجمع بالتوكل عليه العبد مطلوب لربه عز وجل باقامة
وظائف العبودية له وذلك بما اختصه به من العقل والفهم وما
رزقه من المعرفة والعلم وثمرة ذلك الطلب عائدة الى العبد فلم لا
يصدق العبد في طلبه واجتهاده اذا ايقن بذلك والامور كلها
بيد الله تعالى ومن ذلك سعيه وكدحه فلم لا يتوكل عليه في ذلك
فيجمع فيه همه وتيسر امره اذا علم ذلك فالقسم الاول قيام
بمقتضى الشريعة والقسم الثاني وفاء بحق الحقيقة وانه لا بد لبنا هذا الوجود

ان ينهدم دعايمه وان تسلب كرايمه ذكر هذا المعنى تسلية للعبد عما
يفوته في حال سلوكه من حظوظه وشهواته لانه اذا علم ان هذه الاشيا
ولا بد ان تزال عنه او يزال عنها ولو بعد حين وكلما هو ات قريب لم
يغتبط بما يكون مآل امره الى ذلك ويكون طيب النفس بتركه وتسليم
الدعايم وسلب الكرايم من الاستعارات البديعة فاما قال من كان بما هو
فرح العبد بالاشيا الفانيه هو موجب للزيادة في همه وغمه اذا فقدها
قال سهل بن عبد الله رض من فرح بغير مفروح به استجلب
حزنا لا انقضاء له وقد تقدم في باب الزهد هذا المعنى عند قوله
ليقل ما تفرح به يقل ما تحزن عليه فالعاقل لا يفرح بذلك ولا يحبه
بل يكرهه ويبغضه وانما يكون فرحه بالامور الباقيه التي لا تفنى
قد اشرق نور ذلك في قلبه وظهرت تباشير على وجهه واشراق
النور وظهور التباشير نتايج حقيقته في مقام الزهد فصدف
عن هذه الدار مغضيا واعرض عنها موليا فلم يتخذها وطنا ولا جعلها سكنا
فلما كان هذا العبد على هذا الوصف صدف عن هذه الدار الدنياويه
اي مال عنها مغضيا جفنه عن اقذايها من غير مبالاة بذلك
معرضا عنها بوجه قلبه فكل ولاها دبره من غير التفات اليها
وهذا مبالغة في نبذها واطراحها فلم يوطنها بظاهره على سبيل
التمتع بها والاستيثار ولم يساكنها بباطنه على جهة المحبة
لها والايثار بل نزلها منزلة السجن والضيق ووطن نفسه
فيها على تحمل ما يطيق وما لا يطيق وهذه علامات على تحققه بالزهد
في الامور الفانيه التي هي نقيضه له فلما وصل الى ذلك حصل
له من طهارة قلبه وصفا لبه ما حمله على التعلق بمولاه الباقي الدايم
فجعل الدنيا جسرا يعبر بها اليه كما سبق له المولف رحمه الله الان
بل انهض الهمة فيها الى الله تعالى وصار فيها مستعينا به في القدوم اليه
هذا ابتدا سفره بقلبه الى الحضرة العليه وبدا بانهاض الهمة الى ربه

والاستعانة

والاستعانة به في القدوم عليه وهو اساس امره كما تقدم وقد قال الشاعر
اذا لم يعنك الله فيما تريده ۝ فليس لمخلوق اليه سبيل
وان هو لم يرشدك في كل مسلك ۝ ضللت ولو ان السماك دليل
قال ابو محمد الجريري رض من توهم ان عملا من اعماله يوصله الى
مأموله الاعلى والادنى فقد ضل عن طريقه لان النبي صلى الله
عليه وسلم قال لن ينجي احدا منكم عمله فما لا ينجي من المخوف كيف
يوصل الى المأمول ومن صح اعتماده على فضل الله فكذلك الذي
يرجى له الوصول فما زالت مطية عزمه لا يقر قرارها دايما تسيارها
الى ان اناخت بحضرة القدس وبساط الانس محل المفاتحة والمواجهة والمجالسة
والمحادثة والمشاهدة والمطالعة فصارت الحضرة معشش قلوبهم اليها ياوون وفيها (يسكنون صح)
هذه استعارات مليحة استعملها في سفر القلب الى حضرة الرب وقد
تقدم في باب الرياضة معنى ذلك عند قوله لولا ميادين النفوس
ما تحقق سير السايرين وحضرة القدس وبساط الانس هما موضع
حط الرحال وبلوغ الاوطار والامال من قبل ان السالك تمحى
عنه رسوم بشريته وتبطل احكام انيته وينكشف له اذ ذاك
اوصاف معروفه العليه كراي العين ويكون سره مع الله تعالى بلا
اين فلما وصل الى هذه الحضرة العليه ونال هذه المنقبة السنيه
قوبل بانواع من الكرامات والالطاف وفنون من تحف السادات والا(شراف)
وهي معاني هذه الالفاظ السنية التي ذكرها المولف رحمه الله ولا تعرف
الا بالذوق وكذلك التفرقة بين معانيها فالقى السايرون عصا
سيرهم وحمدوا عاقبة امرهم وصارت حضرة محبوبهم معشش
قلوبهم ومستوطنهم في ذهابهم وايابهم الى ظلها ياوون اذا صلي
غيرهم بنيران هواه وفي دار المقامة منها يسكنون حين يزعج سواهم
عن متعة دنياه وههنا حصل لهم التحقق بمقام الفنا والمحو وهذا هو
انتها سفرهم بمعنى الصعود والترقي فان نزلوا الى سما الحقوق او ارض

الحظوظ فبالاذن والتمكين والرسوخ في اليقين فلم ينزلوا الى الحقوق
بسوء الادب والغفلة ولا الى الحظوظ بالشهوة والمتعة بل دخلوا في
ذلك بالله ولله ومن الله والى الله هذا هو السفر التدلي والنزول
وبه يتحققون بمقام البقا والصحو فاذا نزلوا من سدرة منتهاهم الى
سماء الحقوق وهي حقوق الله تعالى عليهم مما امرهم به او نهاهم عنه
ليقوموا بذلك فعلا وتركا او الى ارض الحظوظ وهي حظوظ انفسهم
الى تلابسهم ويحصل لهم الارتفاق بها فانما يكون نزولهم الى ذلك
بالاذن والتمكين والرسوخ في اليقين ومعنى ذلك انهم دخلوا في
الاشيا بمراد الله تعالى لا بمراد انفسهم ويجدون الاذن من الله
تعالى لهم بما تشرق في قلوبهم من النور الذي جعله علما على ذلك وقد
ذكر سيدنا ابو الحسن رض في بعض كلامه قال رض ومعنى الاذن
في حق الولي نور ينبسط على القلب يخلق الله تعالى فيه وعليه فيشهد ذلك
النور على الشي الذي يريد فيدركه نورا مع نور او ظلمة تحت ذلك النور
الذي يليك اذ تاخذ ان شيت او تترك او تختار او تدبر او تعطي او
تمنع او تجلس او تقوم او تسافر او تقيم هذا باب المباح فيه بالتخيير فاذا المادون صح
قارنه القول تاكد الفعل المباح بمراد الله تعالى فان قارنته نية
صحيحة كالفعل بر زال عنه حكم المباح وصار مندوبا وان ظهرت الظلمة
تحت النور الممتد من القلب فلا يخلو ان يلوح عليه لايح الغضب والقبض
القلب فاحذر ذلك وتجنبه فانه المحذور او يكاد ولا ينقطع ذلك الا
لبينة من كتاب الله تعالى او سنة او اجماع او خلاف لمقلد قلدته
كمالك والشافعي وغيرهما من العلماء الراسخين في العلم فاحكم اذا اعلم اصل
صحيح وان تلك الظلمة على شبهة غيم لا ينصدع معه القلب ولا ينفرج به
الذهن فتباعد عنه فانه يكاد ان يكون مكروها ولا تحكم بعقلك دون ذلك
فقد ضل من ها هنا خلق كثير ولا تفت احدا وان استفتاك واعط
الورع حقه ولا تقف ما ليس لك به علم فان تادبت ههنا ففي قريب تاتينك

البينة من ربك والشاهد يتلوها منه انتهى كلام سيدي ابي الحسن
فهو مناسب لما ذكره المولف رحمه الله الا ان ما فيه من التفصيل
لم يتعرض اليه المولف رض بل ابقى الامر في ذلك مجملا كما تراه وتقرير
ما ذكره انهم اذا نزلوا اهل الحقوق استعملوا فيها لم ينزلوا اليها بسوء ادب ولا غفلة
وهو ان يشهدوا قيامهم عن انفسهم او يطلبوا ثوابا عليها من ربهم
وان نزلوا الى الحظوظ لم ينزلوا اليها بشهوة غالبة قاهرة لهم
ولا متعة يقصدون نيلها في دنياهم بل دخلوا في ذلك بالله
مستعينين ولله عابدين ومن الله اخذين والى الله متوسلين
قد تولى الله تعالى ادخالهم في الاشيا واخراجهم منها واوجدهم ذلك
وعزل عنهم ملكية نفوسهم لهم وصاروا احرارا كراما وقل رب ادخلني
مدخل صدق واخرجني مخرج صدق ليكون نظري الى حولك وقوتك
اذا ادخلتني واستسلامي وانقيادي اليك اذا اخرجتني
المدخل والمخرج الادخال والاخراج وقد عبر بهاتين العبارتين عن
السفرين المذكورين فالمدخل هو سفر الترقي لانه دخول على الله عز
وجل في حال فنايه عن رويته غيره والمخرج هو سفر التدلي لانه
خروج الى الخليقة لفايدة الارشاد والهداية في حال بقايه بربه
وتحققه في هذين المقامين اعني مقام الفناء والبقاء هو معنى صدق
فيه
مدخله ومخرجه وانما طلب هذا ليحصل له بعدها به عن رويته
نفسه في النسبة والوقوف مع الحظ ففي المدخل شاهد حول
الله تعالى وقوته فتنتفي عنه بذلك النسبة الى نفسه وفي المخرج
يستسلم لربه وينقاد اليه فينتفي عنه بذلك مراعاة حظه واجعل
لي من لدنك سلطانا نصيرا ينصرني ويبصرني ولا ينصر علي بنصرتي
على شهود نفسي ويغيبني عن دايرة حسي طلب من الله تعالى النصر
له ليستقيم امره وطلب منه النصرة به ليكمل حاله فالنصرة له هي
ملاك ارباب البدايات من السالكين اذ بذلك يتيسر عليهم قطع

عقبات النفس ومحو دواعي الهوى والحس والتصرف به هي مقتضى
حال ارباب النهايات من المحققين لانه بذلك يحصل لهم مرتبة
الامامة ومقام الارشاد والهداية وكل واحد من القسمين يصح
على شهود النفس وفناء عن داير الحس واحتياج التصرف عليه من السوال
والطلب لان ذلك من الخذلان وعدم التوفيق وهو غلبة احكام
نفسه وبقاؤه مع داير حسه **باب القبض والبسط**
بسطك كي لا يبقيك مع القبض وقبضك كي لا يتركك مع البسط
واخرجك عنهما حتى لا تكون لشي دونه القبض والبسط من الحالات
التي لا يبتلون فيها العارفون وهما بمنزلة الخوف والرجا للمريدين
المبتدئين وشبههما الواردات التي ترد على باطن العبد وقوتها
وضعفها بحسب قوة الواردات وضعفها والمقصود ههنا انهما
وصفان ناقصان بالنسبة الى ما فوقهما فانهما يقتضيان بقا العبد
له ووجوده فمن لطف الله تعالى بعبده تلوينه فيهما ثم اخراجه
عنهما بفنائه عن نفسه وبقائه بربه قال فارس رض القبض
اولا ثم البسط ثم لا قبض ولا بسط يقعان في الوجود واما مع الفنا
والبقا فلا وكان الجنيد رض يقول الخوف يقبضني والرجا يبسطني
والحقيقة تجمعني والحق يفرقني فاذا قبضني بالخوف افناني عني
واذا بسطني بالرجا ردني علي واذا جمعني بالحقيقة احضرني
واذا فرقني بالحق اشهدني غيري فغطاني عنه فهو في ذلك كله
محركي غير مسكني وموحشي غير مونسي بحضوري لذوق
طعم وجودي فليته افناني عني فمتعني او غيبني عني فروحني
وقد تكلم صاحب كتاب عوارف المعارف في القبض والبسط بكلام بديع
طويل تركت نقله ههنا اختصارا فمن اراده فلينظر هناك **العارفون**
اذا انبسطوا اخوف منهم اذا انقبضوا ولا يقف على حدود الادب
في البسط الا قليل انما اشتد خوف العارفين في البسط ما لم يشتد
في

في القبض لملايمته لهوى النفس بخلاف القبض كما سيقول المولف
الان فانما خوفهم حينئذ من رجوعهم اليهم وذوقهم لطعم نفوسهم
وفي ذلك الطرد والبعد وقد كتب يوسف بن الحسين الرازي الى
الجنيد رضي الله عنهما لا اذاقك الله طعم نفسك فانك ان ذقتها
لا تذوق بعدها خيرا ابدا ومن ثم تاكد عليهم في ذلك ملازمة الادب
ودوام الانقباض والانكسار وذلك امر عسير في هذا الحال
ولذلك لا يقف على حدود الادب في البسط الا قليل كما قال المولف
رحمه الله وقد قيل قف على البساط واياك والانبساط وقد قال
رجل لابي محمد الجريري رض كنت على بساط الانس وفتح علي طريق البسط
فزللت زلة فحجبت عن مقامي فكيف السبيل اليه ودلني على الوصول الى
ما كنت عليه فبكى ابو محمد وقال يا اخي الكل في قهر هذه الخطة لكني
انشدك ابياتا لبعضهم وانشا يقول

قف بالديار فهذه اثارهم ... تبكي الاحبة حسرة وتشوقا
كم قد وقفت بربعها مستخبرا ... عن اهلها او سايلا او مشفقا
فاجابني داعي الهوى في رسمها ... فارقت من تهوى فعز الملتقا

وسيل بعض المشايخ عن تلك الزلة فقال انبساط مع الحق بغير ادب
قال الاستاذ ابو القسم القشيري رضي الله عنه ومن هذا اخشى
الاكابر والسادات قال في لطايف المنن البسط مزلة اقدام
الرجال فهو موجب لمزيد حذرهم وكثرة لجايهم والقبض اقرب الى
وجود السلامة لانه وطن العبد اذ هو في اسر قبضة الله تعالى واحاطة
الحق محيطة به ومن اين يكون للعبد البسط وهذا شانه والبسط
خروج عن حكم وقته والقبض هو اللايق بهذه الدار اذ هي وطن التكليف
وابهام الخاتمة وعدم العلم بالسابقة والمطالبة بحقوق الله تعالى قال
واخبرني بعض الصوفية قال راى شيخنا شيخه في المنام بعد موته
مقبوضا فقلت له يا استاذ ما لك مقبوضا فقال لي يا بني القبض والبسط

بلغ

مقامات من لم يوفهما في الدنيا وفاهما في الاخرة قال وكان هذا الشيخ
الغالب عليه في حياته البسط انتهى البسط تاخذ النفس منه حظها
بوجود الفرح والقبض لاحظ للنفس فيه في هذا اشارة الى ما تقدم
من ان مراعاة الادب في البسط امر عسير وذلك ان في البسط وجود
حظ النفس فيستولي عليها الفرح بذلك فلا يتمالك حتى يقع في سوء
الادب والقبض ليس فيه حظ للنفس فلذلك كان اسلم وكان الاستاذ
ابو علي الدقاق رضه يقول القبض حق الحق منك والبسط حظ العبد
منه ولان تكون بحقه منك اتم من ان تكون بحظك منه واما اداب
القبض والبسط فلا اعلم الان من استوفى الكلام فيهما من علماء الصوفية
ومصنفيهم وانما وجدنا لهم من ذلك اشارات الى امور جملية كقول
الامام ابي القاسم القشيري رضه بعد ان تكلم على لفظتي القبض و
البسط وتبيين معانيهما الى ان قال وقد يكون قبض يشكل على
صاحبه سببه يجد في قلبه قبضا لا يدري ما موجبه وما سببه
وسبيل صاحب هذا القبض التسليم حتى يمضي ذلك الوقت لانه
لو تكلف نفيه او استقبل الوقت قبل هجومه عليه باختياره
زاد في قبضه ولعله يعد ذلك سوء ادب منه واذا استسلم لحكم
الوقت فعن قريب يزول القبض فان الحق سبحانه قال والله يقبض
ويبسط وقد يكون بسط يرد بغتة ويصادف صاحبه فلتة لا
يعرف لها سببا يهز صاحبه ويستفزه فسبيل صاحبه السكون ومراعاة
الادب فان في هذا الوقت له خطر عظيم فليحذر صاحبه مكرا خفيا
كما قال بعضهم فتح علي باب من البسط فزللت زلة فحجبت عن مقامي
انتهى كلام الامام ابي القسم القشيري وقد رايت كلاما مبسوطا
مستوفى في اداب القبض والبسط لسيدي ابي الحسن الشاذلي
رضي الله عنه فاحببت ان اذكره ههنا لتتم به الفايدة التي تعرض
لها المولف رحمه الله وان كان كلام الشيخ ابي الحسن في ذلك اتم مما هو

عند

عند غيره من ايمة الصوفية قال رحمه الله تعالى القبض والبسط
قل ما يخلو العبد منهما وهما يتعاقبان كتعاقب الليل والنهار
والحق يقتضي منك العبودية فيهما فمن كان وقته القبض فلا يخلو
ان يعلم سببه او لا يعلمه واسباب القبض ثلثة ذنب
احدثته او دنيا ذهبت عنك او نقصت لك او ظالم يوذيك في
نفسك او في عرضك او ينسبك لغير دين وغير ذلك فاذا ورد
عليك القبض من احد هذه الاسباب فالعبودية ان ترجع الى
العلم مستعملا له كما امرك اما في الذنب فالتوبة والانابة وطلب
الاقالة واما فيما ذهب عنك من الدنيا او نقص فالتسليم والرضا
والاحتساب واما فيما يوذيك به ظالم فالصبر والاحتساب واحذر
ان تظلم نفسك فيجتمع عليك ظلمان ظلم غيرك لك وظلمك لنفسك
فان فعلت ما الزمت به من الصبر والاحتمال اتاك سعة الصدر
حتى تعفو او تصفح وربما اتاك من نور الرضا ما ترحم به من ظلمك
فتدعو له فتجاب فيه دعوتك وما احسن ذلك اذا رحم الله بك من
ظلمك فتلك درجات الصديقين والرحماء وتوكل على الله ان
الله يحب المتوكلين واما اذا ورد عليك القبض ولم تعلم له سببا
فالوقت وقتان ليل ونهار فالقبض اشبه شي بالليل والبسط
اشبه شي بالنهار فاذا ورد القبض بغير سبب تعلمه فالواجب عليك
السكون والسكون على ثلثة اشيا عن الاقوال والحركات والارادات
فان فعلت ذلك فعن قريب يذهب عنك الليل بطلوع نهارك او يبدو
نجم تهتدي به او قمر تستضي به او شمس تبصر بها والنجوم نجوم العلم والقمر
قمر التوحيد والشمس شمس المعرفة وان تحركت في ظلمة ليلك فقل ما تسلم
من الهلاك واعتبر بقوله تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار
لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون فهذا حكم العبودية في
القبضتين جميعا واما من كان وقته البسط فلا يخلو من ان يعلم له سببا او

يعلم له سببا فالاسباب ثلاثة زيادة في الطاعة او نوال من المطاع كالعلم
والمعرفة والسبب الثاني زيادة من دنيا بكسب او كرامة او هبة
او صلة والسبب الثالث بالمدح والثناء من الناس واقبالهم
عليك وطلب الدعاء منك وتقبيل يدك فاذا ورد عليك البسط من
احد هذه الاسباب فالعبودية تقتضي ان ترى اثر النعمة والمنة من
الله عليك واحذر ان ترى من ذلك شيئا لنفسك وحصتها ان
يلازمها الخوف من السلب مما انعم به عليك فتكون ممقوتا هذا في
جانب الطاعة والنوال من الله تعالى واما الزيادة من الدنيا فهي
نعمة ايضا كالاولى وخف مما بطن من آفاتها واما مدح الناس لك
وثناؤهم عليك فالعبودية تقتضي شكر النعمة بما ستر عليك وخف
من الله تعالى ان يظهر ذرة مما بطن منك فيمقتك اقرب الناس اليك
واما البسط الذي لا تعلم له سببا فحق العبودية فيه ترك السؤال
والادلال والصولة على النساء والرجال اللهم الا ان تقول سلم سلم
الى الممات فهذه اداب القبض والبسط في العبودية جميعا ان عقلت
والسلام انتهى ما ذكره الشيخ ابو الحسن وكلامه في ذلك حسن
والحمد لله الذي يبدي سوابغ النعم والمنن **ربما افادك في ليل القبض
ما لم تستفده في اشراق نهار البسط لا تدرون ايهم اقرب لكم
نفعا** تقدم ان القبض يؤثره العارفون على البسط لما فيه من عدم
حظ النفس ووجود قدرتهم على الوفاء باداب دون البسط
وقد ينفتح لهم فيه من ابواب المعارف ما لا ينفتح لهم في البسط فينبغي
للعبد ان يعرف نعمة الله عليه في ليل القبض كما يعرفها في اشراق
نهار البسط كما علم ان في الليل من المنافع ما ليس في النهار فليكل
علم ذلك الى ربه ولا يحسن ظنه به فانه لا يدري ايهما اقرب له نفعا
كما اشار اليه بالآية الكريمة وتشبيه القبض بالليل والبسط بالنهار
مجاز بديع وقد تقدم نحوه في كلام سيدي ابي الحسن رضي الله عنه **باب**

الانوار

الانوار واردات الانوار مطايا القلوب والاسرار انوار الايمان
واليقين مطايا حاملة للاسرار والقلوب الى حضرة علام الغيوب
وتلك هي الواردات **النور جند القلب كما ان الظلمة جند النفس فاذا اراد
الله تعالى ان ينصر عبده امده بجنود الانوار وقطع عنه مدد الظلم
والاغيار** نور التوحيد واليقين وظلمة الشرك والشك جندان للقلب
والنفس والحرب بينهما سجال فاذا اراد الله عز وجل نصر عبده
امد قلبه بجنوده وقطع عن نفسه مدد جنودها واذا اراد خذلان
عبده فعل العكس فاذا مال القلب الى العمل بامر محمود مؤلم في الحال
ملتذ في المآل ومالت النفس الى العمل بامر مذموم ملتذ به في الحال
مؤلم في المآل وتنازعا وتقاتلا سارع النور الذي هو من امر الله
تعالى ورحمته الى نصرة القلب وبادرت الظلمات التي هي
من وساوس الشيطان ولمته الى نصرة النفس وقام صف القتال
بينهما فان سبقت للعبد من الله تعالى سابقة السعادة اهتدى
القلب بنور الله تعالى واستهان بالعاجلة ورغب في الآجلة
وعمل القلب بما مال اليه وان آلمه في الحال لما يرجو من النعم
في المآل وان سبقت له من الله الشقاوة والعياذ بالله ذهل
القلب عن النور وامدته الظلمة عن منفعة الآجل واغتر بلذة
العاجل وعمل بما مالت اليه نفسه وان آلمه في المآل لما يحصل
له من لذة الحال وعند التقاء الصفين والتحام القتال بين الجندين
لا سبيل للعبد الا فزعه الى الله تعالى ولياذه به وكثرة ذكره
له وصدق توكله عليه واستعاذته به من الشيطان الرجيم
**النور له الكشف والبصيرة لها الحكم والقلب له الاقبال
والادبار** هذه الالفاظ مختلفة لمعان متغايرة فالنور يفيد كشف
المعاني المغيبات حتى تتضح وتتشاهد والبصيرة التي هي ناظر
القلب تفيد الحكم وهو حكمة ما شاهدته والقلب له الاقبال على العمل

بمقتضى ما شاهدته البصيرة وله ايضا الادبار تركا للعمل بمقتضى ما
شاهدته البصيرة انار الظواهر بانوار اثاره وانار السرائر بانوار
اوصافه لاجل ذلك افلت انوار الظواهر ولم تافل انوار القلوب
والسرائر ولذلك قيل ان شمس النهار تغرب بالليل وشمس القلوب
ليس تغيب انوار الظواهر التي بها انارها الحق تعالى هي الادراكات
والاحساسات والحركات التي اتصف بها ظاهر العبد وانوار السرائر
التي بها انارها الحق تعالى هي المعارف والعلوم ولطايف الادراكات
والفهوم التي اشتمل عليها باطنه وسره فانوار الظواهر متعلقة
بانوار الاثار والحادثات وانوارها معانيها ولطايفها المستكنة
فيها وانوار السرائر متعلقة بانوار الصفات الازليات ولاجل
اختلاف المتعلقين في الحدوث والقدم والفناء والبقاء كان ما ذكره
المولف رحمه الله تعالى من افول انوار ما تعلق بالحادث الفاني وعدم
افول انوار ما تعلق بالقديم الباقي ثم انشد المولف البيت المذكور
مستشهدا به على ما ذكره ومعناه بين وقبله •

طلعت شمس من احب بليل • فاستضات فما لها من غروب •

وفي هذا تنبيه على ان الامور الباقية هي التي ينبغي ان يغتبط
بها ويفرح بحصولها ويعتنى بتربيتها ومراعاة حالها بخلاف
الامور الفانية الافلة وح يكون العبد على ملة ابرهيم عليه
السلام حيث قال لا احب الافلين يروى ان رجلا سال
سهل بن عبد الله رضي الله عنه عن القوت فقال هو الحي الذي لا
يموت فقال انما سالناك عن القوام فقال القوام هو العلم قيل سالناك
عن الغذا فقال هو الذكر قيل انما سالناك عن طعم الجسد فقال وما لك
وللجسد دع من تولاه اولا يتولاه اخرا اذا دخلت عليه علة
فردها الى صانعه اما رايت الصنعة اذا عيبت ردوها الى صانعها
حتى يصلحها وفي معناه انشدوا •

كمل حقيقتك التي لم تكمل • والجسم دعه في الحضيض الاسفل •
اتكمل فانيا وتترك باقيا • هملا وانت بامره لم تحفل •
فالجسم للنفس النفيسة آلة • ما لم تحصله بها لم تحصل •
تفنى وتبقى دائما في غبطة • او شقوة وندامة لا تنجلي •
اعطيت نفسك خادما فخدمته • اتملك المفضول رق الافضل •
شرك كثيف انت في جلاته • ما دام يمكنك الخلاص فعجل •
من يستطيع بلوغ اعلا منزل • ما باله يرضى بادنى منزل •
وقيل في معناه ايضا •

يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته • وتطلب الربح فيما فيه خسران •
عليك بالنفس فاستكمل فضيلتها • فانت بالنفس لا بالجسم انسان •

مطالع الانوار القلوب والاسرار نجوم العلم واقمار المعرفة وشموس
التوحيد مطالعها وموضع شروقها قلوب العارفين واسرارهم
وهذه هي الانوار الحقيقية من المطالع الروحانية بخلاف الانوار
المحسوسة قال في لطايف المنن واعلم ان الله سبحانه وتعالى
اذا تولى وليا صان قلبه من الاغيار وحرسه بدوام الانوار
حتى لقد قال بعض العارفين اذا كان الله تعالى قد حرس السما
بالكواكب والشهب كي لا يسترق السمع منها فقلب المومن اولى
بذلك يقول الله تعالى فيما يحكيه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم
لم تسعني ارضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المومن فانظر
رحمك الله هذا الامر الاكبر الذي اعطاه هذا القلب حتى
صار لهذه الرتبة اهلا ولهذا قال الشيخ ابو الحسن رض لو كشف
عن نور المومن العاصي لطبق ما بين السماء والارض فما ظنك
بنور المومن المطيع قال ولقد سمعت شيخنا ابا العباس رض
يقول لو كشف عن حقيقة الولي لعبد لان اوصافه من وصفه
ونعوته من نعوته قال ولقد اخبرني بعض المريدين قال صليت خلف

شيخي صلاة فشهدت ما ابهر عقلي وذلك اني شهدت بدن الشيخ
والانوار قد ملاته وانبثت الانوار من وجوده حتى اني لم استطع النظر
اليه قال فلو كشف الحق سبحانه عن مشرقات انوار قلوب اوليايه
لانطوى نور الشمس والقمر من مشرقات انوار قلوبهم واين نور
الشمس والقمر من انوارهم الشمس يطرا عليها الكسوف والغروب
وانوار القلوب اولياء الله لا كسوف لها ولا غروب كذلك
قايلهم • ان شمس النهار تغرب بالليل • وشمس القلوب ليس تغيب •

نور مستودع في القلب مدده النور الوارد من خزاين الغيوب

نور اليقين المستودع في القلوب يستمد ويترايد صفيا ومن
النور الوارد من خزاين الغيوب وهو نور الاوصاف الازليه
كما ذكرناه عن الشيخ ابي العباس المرسي رض قبل هذا وقد
تقدم من كلام المولف رحمه الله انار الظواهر بانوار اثاره
وانار السراير بانوار اوصافه نور يكشف لك به عن اثاره
ونور يكشف لك به عن اوصافه النور المدرك بالحواس
يكشف لك به عن اثاره وهي الاكوان المحدثه وليس لك الي
ذلك كثير حاجة الا من حيث تستدل بها على الموثر والنور المستودع
في القلوب يكشف لك به عن اوصافه الازلية حتى تراها
عيانا وفي هذا غاية بغيتك وبه شرف قدرك ومنزلتك اذ بذلك
تتحقق في المعرفه وترتفع في المشاهدة ولا تحتاج الى دليل بذلك
وهذا فرق بين النورين قال في لطايف المنن نور الشمس تشهد به
الاثار ونور اليقين تشهد به الموثر قال ولنا في هذا المعنى •
•هذه الشمس قابلتنا بنور • ولشمس اليقين ابهر نورا •
•فرانا بهذه النور لكن بها تيك قد راينا المنيرا •

ربما وقفت القلوب مع الانوار كما حجبت النفوس بكثايف الاغيار

القلوب نورانيه فتحجب بوقوفها مع لطايف الاغيار النورانيه من العلوم

والمعارف

والمعارف والنفوس ظلمانية فتحجب بحجبها الكثايف الاغيار الظلمانية
من العادات والشهوات فالقلوب محجوبة بالانوار كما ان النفوس
محجوبة بالظلمات والحق وراء ذلك كله قال ابو الحسن الششتري
في قصيدته النونيه •

تقيدت بالاوهام لما تداخلت • عليك ونور العقل اورثك السجنا •
وهمت بانوار فهمنا اصولها • ومنبعها من اين كان فما همنا •
وقد تحجب الانوار للعبد مثلما • بتعد من اوصاف نفس حوت ضغنا •

انوار اذن لها في الوصول وانوار اذن لها في الدخول

الانوار الواردة على القلوب من خزاين الغيوب تنقسم الى قسمين
انوار اذن لها في الوصول الى ظاهر القلب فقط وانوار اذن لها في
الدخول الى صميم القلب وسويداه فالانوار الواصلة الى ظاهر
القلب يشاهد العبد معها نفسه وربه ودنياه واخرته ويكون
تارة مع نفسه وتارة مع ربه وطورا يسعى في العمل لاخرته وطورا
يعمل في امور دنياه والانوار الداخلة الى صميم القلب وسويداه لا
يظهر فيها الا وجود الله تعالى فلذلك لا يحب سواه ولا يعبد الا اياه قال
بعض العارفين اذا كان الايمان في ظاهر القلب كان العبد محبا للدنيا
والاخرة وكان امره مع الله تعالى وامره مع نفسه واذا دخل
الايمان باطن القلب ابغض العبد دنياه وهجر هواه وفي لفظ اخر
اذا كان الايمان في ظاهر القلب يعني على الفواد كان المومن
يحب الله تعالى حبا متوسطا فاذا دخل الايمان باطن القلب وكان
في سويداه احب الحب البالغ قال ابو طالب المكي رض وامتحان
ذلك ان ينظر فان كان هو يوثر الله تعالى على جميع هواه ويغلب محبته
على هواه حتى تصير محبة الله تعالى هي محبة العبد من كل شي فهو محب لله
تعالى حقا كما هو مومن به حقا وان رايت قلبك دون ذلك فلك في

المحبة قدر ذلك قال بعض العلما رضي الله عنهم ظاهر القلب
محل الاسلام وباطن القلب مكان الايمان فمن ههنا تفاوت المحبون
في المحبة لفضل الايمان على الاسلام وفضل الباطن على الظاهر
ربما وردت عليك الانوار فوجدت القلب محشوا بصور الاثار
فارتحلت من حيث نزلت فرغ قلبك من الاغيار تملاه
بالمعارف والاسرار الانوار الالهية قد ترد على قلبك فلا تجد فيه
موضعا لاستقرارها لما غلب عليه من رعونات البشرية واستحكم فيه
من صور الاثار الكونية فيرتحل من حيث تنزل لانها مقدسة مطهرة
فاذا اردت حلول الانوار فيه وتجلي المعارف والاسرار له فرغه
من الاغيار وامح عنه صور الاثار قال الله تعالى والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين وقد تقدم من كلام
المولف رحمه الله كيف يشرق القلب وصور الاكوان منطبعة في مراته
لا يعلم قدر انوار القلوب والاسرار الا في غيب الملكوت
كما لا تظهر انوار السماء الا في شهادة الملك انوار
القلوب والاسرار المشرقة عليها من سماء التوحيد والمعرفة لا يعرف
قدرها الا من غيب الملكوت وهو عالم الاخرة وهناك يحصل لهم
تمام هذه الانوار فمن آمن بالغيب كان له من ذلك الحظ الاوفر
كما ان انوار السماء المشرقة على ظواهر الاجرام لا تظهر الا في شهادة
الملك وهو عالم الدنيا وذلك لحصول المناسبة بين هذه الاشيا
قرب العبد من الله تعالى تخلقا وتعلقا وصولك الى الله تعالى
وصولك الى العلم به والا فجل ربنا ان يتصل به شي
او يتصل بشي الوصل الى الله تعالى الذي يشير اليه اهل
هذه الطريقة هو الوصول الى العلم الحقيقي بالله تعالى وهذا هو غاية العارفين
ومنتهى السايرين واما الوصول الى المفهوم بين الذوات فهو متعال عنه

قال

قال الجنيد رضي الله عنه متى يتصل من لا شبيه له ولا نظير له بما له شبيه
ونظير هيهات هذا ظن عجيب الا بما لطف اللطيف من حيث لا درك
ولا وهم ولا احاطة الا اشارة اليقين وتحقيق الايمان قال الشيخ
ابو حفص عمر بن محمد بن عبد الله السهروردي صاحب كتاب عوارف
المعارف رحمه الله واعلم ان الاتصال والمواصلة اشار اليها
الشيوخ وكل من وصل الى صفو اليقين بطريق الذوق والوجدان
فهو رتبة في الوصول ثم يتفاوتون فمنهم من يجد الله تعالى بطريق
الافعال وهو رتبة في التجلي فيفنى فعله وفعل غيره لوقوفه مع الله
تعالى ويخرج في هذه الحالة من التدبير والاختيار وهذه رتبة
في الوصول ومنهم من يوقف في مقام الهيبة والانس بما يكاشف
قلبه من مطالعة الجلال والجمال وهذا التجلي بطريق الصفات وهو
رتبة في الوصول ومنهم من يرقى في مقام الفنا مشتملا على باطنه انوار اليقين
والمشاهدة يغنى في شهوده عن وجوده وهذا ضرب من تجلي الذات لخواص
المقربين وهذا رتبة في الوصول وفوق هذا رتبة حق اليقين ويكون
من ذلك في الدنيا لمح وهو سريان نور المشاهدة في كلية العبد حتى يحظى
بها روحه وقلبه ونفسه حتى قالبه وهذا من اعلى رتب الوصول فاذا
تحققت الحقايق يعلم العبد مع هذه الاحوال الشريفة انه في اول المنزل
فاين الوصول هيهات منازل طريق الوصول لا تنقطع ابد الاباد في عمر
الاخرة الابدي فكيف في العمر القصير الدنياوي لولا انك لا تصل اليه
الا بعد فناء مساويك ومحو دعاويك لم تصل اليه ابدا
ولكن اذا اراد ان يوصلك اليه ستر وصفك بوصفه وغطا
نعتك بنعته فوصلك اليه بما منه اليك لا بما منك اليه
الوصول الى الله لا يكون الا بمحو صفات النفس وقطع علاقات القلب
وشي من ذلك لا يتصور من العبد من حيث هو هو لان ذلك طبعه وجبلته

ولو لم يكن الا ارادته وعمله في تحصيل هذا الغرض بنفسه وهما من
جملة المساوي والدعاوي المحتاج الى محوهما قال سيدي الشيخ ابو العباس
المرسي رضي الله عنه لن يصل الولي الى الله تعالى حتى تنقطع عنه شهوة
الوصول الى الله عز وجل يعني انقطاع الادب لا انقطاع ملل وقال
سيدي ابو الحسن رض لن يصل الولي الى الله تعالى ومعه شهوة من
شهواته او تدبير من تدبيراته او اختيار من اختياراته فلو خلي الله تعالى
عبده وذلك لم يصل اليه ابدا ولكن اذا اراد الله تعالى ان يوصل عبده
اليه تولى ذلك له بان يظهر له من صفاته العليه ونعوته القدسيه
ما تغيب به تلك صفات عبده ونعوته عنه ويكون ذلك علامة على محبته
له كما اشار اليه بقوله تعالى في ذلك لما بين ظهر له الحديث الصحيح فاذا
احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش
بها ورجله التي يمشي عليها وعند ذلك لا يكون له ارادة ولا اختيار
الا ما اختاره مولاه واراده فيكون ح واصل الى الله تعالى بما من الله عز
وجل اليه من الفضل والكرم الا بما من العبد اليه من الحاجة دلي لعمل
فسبحان المتفضل على من يشاء بما يشاء **قربك منه ان تكون شاهدا
لقربه والا فمن اين انت ووجود قربه** القرب الحقيقي قرب
الله تعالى منك قال الله تعالى واذا سالك عبادي عني فاني قريب
وقال عز من قايل ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون وقال عز وجل
ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وحظك من ذلك انما شاهدتك لقربه
فقط فتستفيد بهذه المشاهدة شدة المراقبة وغلبة الهيبة والتادب
باداب الحضرة واما انت فلا يليق بك الا الوصف البعد وشهوده من
نفسك كما يقوله المولف رحمه الله في المناجاه بقوله الهي ما اقربك مني
وما ابعدني عنك **كن باوصاف ربوبيته متعلقا وباوصاف
عبوديتك متحققا** التعلق باوصاف الربوبيه ان تشهد وجودك

ولوازم

ولوازم وجودك لا شي من جميع ذلك لك ولا منك وانما هو عوار عندك فلا ترى وجود ذلك
الا بوجوده ولا بقائك الا بابقايه ولا عزك الا بعزته ولا غناك الا بغناه الى غير ذلك
من الاوصاف ولا يتم ذلك الا بان تتحقق باوصاف عبوديتك من عدمك وفقرك وذلك
وعجزك والتعلق والتحقق المذكوران متلازمان بل هما شي واحد لا تعدد فيها
على التحقيق **منعك ان تدعي ما ليس لك مما للمخلوقين افيبيح لك ان
تدعي وصفه وهو رب العالمين** . . . .
اورد هذا كالدليل على ما ذكر انفا من انه لا حظ للعبد من صفات مولاه
الا التعلق بها فقط وان ادعاه شيا منها من كباير معاصي القلب ومن
مشاركة المربوب للرب ومن مقتضى الغيرة التي اتصف بها واعلمنا بشانها
على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم حيث قال ما احد اغير من الله تعالى
ومن غيرته انه حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن فظهر بذلك تحريم هذا
على العبد والتسجيل عليه باستحقاق الطرد والبعد ومن افحش الفواحش
عند العارفين وجود الشركة في قلب العبد بادعا شي من اوصاف الربوبية
لنفسه عقدا وقولا لان ذلك منازعة له وتكبر عليه وفي حديث ابن عباس
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل
الكبرياء ردايي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما القيته في النار ويعني
المنازعة الدعوى قولا وعبارة والاضمار فعلا واشارة ومعنى الغيرة في حقه
تعالى انه لا يرضى بمشاركة غيره له فيما اختص به من صفات الربوبيه وفيما هو
حق له من الاعمال الدينيه ولما كان الحق تعالى منعك وحرم عليك
ان تدعي ما ليس لك مما اعطى المخلوقين من الاموال وسمى ذلك ظلما
وعدوانا فكيف يبيح لك ان تدعي وصفه وهو رب العالمين لا شريك له
لا انت ولا غيرك فهو اذا من اعظم الظلم واشد العدوان عافانا الله من ذلك
قلت وهذا المعنى الذي ضمنه المولف رحمه الله هذه المسيله
هو الغرض الاقصى الذي هو مرمى نظر الصوفيه وكلما صنفوه ودونوه وامروا به

وتهوا عنه من افعال واقوال واحوال انما هي وسايل الى هذا المقصد
الشريف والمقام المنيف فشانهم ابدا انما هو العمل على موت نفوسهم واسقاط حظوظها
بالكليه كما قيل الصوفي دمه هدر وملكه مباح وليس ذلك هو المقصود لهم بالذات
وانما غرضهم من ذلك ما يلزم عنه من انفراد الله تعالي عندهم بالوجود ولوازم الوجود.
انفرادا لا يشاركونه في شي منها البته كما ذكرناه آنفا وهذا هو كيميا السعاده الذي
اعوز اكثر الناس ولم يحظوا منه الا بالافلاس اذ بذلك يستحق المرء عبوديته الله عز وجل
الذي لا مقام للعبد اشرف منه كما قال الشاعر • الست لي خلفا مني كفي شرفا
فاوراك لي قصد ومطلوب • ولهذا المعنى كانت همهم دقايق خطرات الحظوظ
وخفيات هواجس الهوا وكلها يقتضي بقاء حظ النفس وثبوتها من محبة المقامات وايثار
الالطاف والكرامات ذنوبا عظيمه واخلاقا ليمه قادحة في صدق العبودية والاخلاص
للربوبيه يتوبون من جميع ذلك اليه ويتعوذون به من شرهم ويخافون من مساكنته
وملاحظته غاية البعد ونهاية المكر والطرد كما قيل •
اذا قلت ما اذنبت قالت مجيبة • وجودك ذنب لا يقاس به ذنب • ذكر انه كان
لبعض الملوك عبد يقدمه على اشكاله واقرانه فشكا اهل اقليم عاملهم الي الملك فقال
تخيروا من شيتم اوليه عليكم فاختاروا ذلك العبد لما راوا من ميل الملك اليه فقال الملك
راجعوه فان اختار الولايه وليته عليكم فرغب الغلام في الولايه فامر بكتابة المنشور فامر
باستقبال اداوا فاعل ولايته والمبالغة في الطافه بانواع الكرامات والمبارة ودس من
يرش عليه ماورد فيه سم ثم امر من يقول اذا اشرف على الموت هذا جزاء من اختار الولاية
علي خدمة مولاه ففي هذا عبرة لاولي الابصار وتبصرة لارباب الاعتبار والى هذا المعنى
الجليل المودي الى سوا السبيل تشير الحكاية المرويه عن ابي يزيد رضي الله عنه حدث يحيي
ابن معاذ رضي الله عنه انه راه في بعض مشاهداته من بعد صلاة العشا الي طلوع الفجر
مستوفزا على صدور قدميه رافعا اخمصيهما مع عقبيه عن الارض ضاربا بذقنه على
صدره شاخصا بعينيه لا يطرف قال ثم سجد عند السحر فاطال ثم قعد فقال اللهم ان
قوما طلبوك فاعطيتهم كنوز الارض فانقلبت لهم الاعيان فرضوا بذلك واني اعوذ بك

من ذلك

من ذلك وان قوما طلبوك فاعطيتهم عبدك الخضر فرضوا بذلك واني اعوذ بك
من ذلك حتي عد نيفا وعشرين مقاما من كرامات الاوليا ثم التفت فراني فقال
يحيى فقلت نعم يا سيدي فقال مذ متى انت ههنا قلت منذ حين فسكت فقلت يا سيدي
حدثني بشي قال احدثك بشي يصلح قال ادخلني في الفلك الاسفل فدورني في الملكوت
السفلي فاراني الارضين وما تحتها الي الثرى ثم ادخلني في الفلك العلوي فطوف بي
السموات واراني ما فيها من الجنان الى العرش ثم اوقفني بين يديه فقال سلني اي شي
رايت حتي اهبه لك فقلت يا سيدي ما رايت شيا استحسنه فاسالك اياه فقال
انت عبدي حقا تعبدني لاجلي صدقا لافعلن بك ولافعلن وذكر اشيا فقال
يحيى بن معاذ فهالني ذلك وامتلات به وعجبت منه فقلت يا سيدي لم لا
سالته المعرفة به اذ قال لك ملك الملوك سلني ما شيت قال فصاح
بي صيحة وقال اسكت ويلك غرت عليه مني لا احب ان يعرفه سواه قال
الشيخ ابو طالب المكي رض بعد ان ذكر هذه الحكاية فهذا حال عبد عن نفسه
ماخوذ اذ كان ربه عز وجل له موجودا لا لمقامه في المقامات ففصل
عن وصفه الصفات وحق له اذ نظر الى الحسن الذي حسن المحاسن
كلها عن حسنه وشانت الزينات جميعها بعد النظر الى زينته وشهد الجمال
الذي يجمل الجمال والمتجملون بجماله ان لا يستحسن سواه وكره ان يحب غير ما
استحسن او يزين في عينه الا اياه ام كيف ينظر غير اياه ام كيف يطلب
غير ما احب او يصبر مع غير ما طلب بل كيف يهتم بغير ما طلب فهذا نعت عبد
مطلوب بحق ما طلب ووصف مخصص محبوب بعين ما احب الله يصطفي
من الملايكة رسلا ومن الناس انتهى وفي الاشارات عن الله تعالى
يا عبدي اعزل نفسك ينعزل عنها الملك والملكوت فتلحق الدارين بالملك
وتلحق العلوم بالملكوت فتكون عبدي من ورا ما ابدي فلا يستطيعك
ما ابدي لانك عندي واذا كنت عندي كنت عبدي واذا كنت عبدي
كان عليك نوري فلا يستطيعك ما ابدي وان ارسلته اليك لان نوري
عليك وليس نوري عليه فاذا جاءك لم يطقك فاوذنك به فتاذن انت له

والعبارات عنهم في هذا المعنى خارجة عن الحصر وفيما رسمنا والممنا منها كفاية وانما ذكرنا
هذه المعاني وان كانت في الظاهر اعلامًا بيننا ولها كلام المولف رحمه الله تعالى لان من
امرنا اليها اداد فقنا فيه النظر ونصرفنا فيه بوجوه العبر وكان باطنه هو المقصود المعتبر
وكلام الصوفية رضي الله عنهم كثيرا ما يجري هذا المجرا والله تعالى يجزيهم عنا خيرا ويمن علينا
بالفهم عنهم وحسن القبول منهم ويفتح اسماعنا للاصغا اليهم ويشرح صدورنا للاستحسان
ما يرد منهم اويه وعليهم بمنه وفضله تحقق باوصافك يمدك باوصافه تحقق
بذلك يمدك بعزه تحقق بعجزك يمدك بقدرته تحقق بضعفك يمدك
بحوله وقوته هذا مناسب لما تقدم من قوله كن باوصاف ربوبيته متعلقا
وباوصاف عبوديتك متحققا قال سيدي ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه
لعد كلام ذكره وتصحيح العبودية بملازمة الفقر والعجز والضعف والذل لله تعالى
واضدادها اوصاف الربوبية فما لك ولها فلازم اوصافك وتعلق باوصافه وقل
من بساط الفقر الحقيقي يا غني من للفقير غيرك ومن بساط الضعف يا قوي من للضعيف غيرك
ومن بساط العجز يا قادر من للعاجز غيرك ومن بساط الذل يا عزيز من للذليل غيرك
تجد الاجابة كانها طوع يدك واستعينوا بالله واصبروا ان الله مع الصابرين انتهى كلام
سيدي ابي الحسن رضي الله عنه وهو معنى ما ذكره المولف ۲ ههنا واكثر كلام المولف
رحمه الله جار على منهاج كلام ابي الحسن رضي الله عنه ونفعنا بهما ٥ يخرجك عن شهود
الوصف الا شهود الوصف هذه عبارة مليحة والوصف المذكور اولا وصف العبد
والوصف المذكور ثانيا وصف الرب تعالى انما وسعك الكون من حيث جسمانيتك
ولم يسعك من حيث ثبوت روحانيتك انما وسعك الكون من حيث جسمانيتك لوجود
المناسبة والمجانسة ووسعه لك باعتبار ما ذكرناه انما هو باكتنافه به وقضي اوطارك
منه ووقوف املك فيه لا حاجة لك اليه ولا خاصية لك في هذا ايها الانسان لان منزلتك
اجل من ذلك وانما لم يسعك من حيث ثبوت روحانيتك لعدم المناسبة فلا يسعك
ح ولا ينا سب العلو بالمكون الا التعلق بالمكون وهذه هي خاصيتك التي فيها سموك
وعلوك ورفعة قدرك فلم تهملها وتخطها الى اسفل السافلين قال
ابو عبد الله ابن الجلاء رضي الله عنه من علت همته على الاكوان وصل الى مكونها ومن وقف بهمته

على شيء

على شيء سوى الحق تعالى فاته الحق لانه اعز من ان يرضى معه شريكا وسيل احمد ابن خضرويه
رضي الله عنه اي الاعمال افضل قال رعاية السر عن الالتفات الى شيء سوى الله تعالى
عز وجل لا يلزم من ثبوت الخصوصية عدم وصف البشرية انما مثل الخصوصية
كاشراق شمس النهار ظهرت في الافق وليست منه تارة تشرق شموس اوصافه
على ليل وجودك وتارة تقبض ذلك عنك فيردك الى حدودك فالنهار
ليس منك اليك ولكنه وارد عليك ثبوت الخصوصية للعبد لا يلزم منه
عدم وصف البشرية لان الوصف البشري امر ذاتي لازم للعبد والامور
الذاتية اللازمة يستحيل عدمها وانقلابها وانما اللازم من ذلك عدم غلبة احكام
ذلك الوصف على العبد فقط لاجل الوارد الغالب فان قدر ذهاب هذا الوارد الغالب
بقي وصف البشرية غالبا قاهرا وكان العبد في يده اسيرا ومثل ذلك من المحسوسات
اشراق شمس النهار على الافاق المظلمة لتزيل اثار ظلماتها فتستنير
بذلك وتشرق فاذا غابت الشمس رجعت الى حالها من الظلمات الى النور
ليس بذاتي لها وهو معنى قوله وليست منه ومعنى الخصوصية المذكورة هي
ما خص الحق تعالى به اولياءه من ظهور اوصافه العلية ونعوته القدسية
عليهم ليغطي بذلك اوصاف نفوسهم الدنية الردية عنهم لئلا ينظروا اثار
كدوراتها في صفاء اوقاتهم كما تقدم من قوله اذا اراد ان يوصلك اليه
ستر وصفك بوصفه وغطى نعتك بنعته فاذا اشرقت انوار ذلك على
ليل وجودهم ذهبت بظلمات نفوسهم وبقوا في نهار الوصلة والقربة
من غير حول منهم ولا قوة وهو معنى قوله فالنهار ليس منك اليك وان
غابت عنهم تلك الانوار المشرقة رجعوا الى اصولهم ولزموا الوقوف
على حدهم وكانوا في ليل القطعة والجحدة كما كانوا قبل ذلك والغرض من
هذا الرد على طوايف غلطت في هذا الامر وتغالت وزعمت ان القرب
من الله تعالى والوصول اليه انما يكون بعدم اوصافه البشرية وزوالها
بالكلية واتصافه بصفات الربوبية بدلا منها وفسرت بهذا ما عبرت به المشايخ
من الفناء والبقاء فوقعوا من ذلك في ضلال وتزندق ونعوذ بالله من ذلك

والمعنى الصحيح في ذلك انما هو ما ذكره المولف رحمه الله تعالى **باب**
وبيان الله تعالى من المخلوقات وظهوره من الاشياء تنبيها ودلالة الكون
كله ظلمة وانما اناره ظهور الحق فيه فمن راي الكون ولم يشهده فيه او عنده
او قبله او بعده فقد اعوزه وجود الانوار وحجبت عنه شموس المعارف
بسحب الاثار العدم ظلمة والوجود نور الكون بالنظر الى ذاته عدم
مظلم وباعتبار تجلي نور الحق عليه وظهوره فيه وجود مستنير ثم
اختلفت احوال الناس ههنا فمنهم من لا يشاهد الا الاكوان وحجب
بذلك عن رؤية المكون فهذا تايه في الظلمات محجوب بسحب الاثار
الكاينات ومنهم من لم يحجبه الاكوان عن المكون ثم هم في مشاهدتهم
اياه فرق فمنهم من شاهد المكون قبل الاكوان وهولاء هم الذين
يستدلون بالموثر على الاثار ومنهم من شاهده بعد الاكوان وهولا
الذين يستدلون بالاثار على الموثر ومنهم من شاهده مع الاكوان
والمعية ههنا اما معية اتصال وهو شهوده في الاكوان واما معية
انفصال وهو شهوده عند الاكوان وهذه الظروف المذكورة
ليست بزمانيه ولا مكانيه لان الزمان والمكان من جملة الاكوان
والاتصال والانفصال المذكوران ليسا على ما يفهم من معانيهما
فانهما ايضا من جملة الاكوان ومعرفة تفصيل هذه الامور والتفرقة
بين هذه الحقايق على ما هي عليه موكول الى اربابه فلنقتصر على ما
ذكرناه فههنا زلت اقدام كثير من الناس فتكلموا بكلمات موهمه وعبروا
بعبارات منكره في الشرع فكفروا بذلك وبدعوا اعتقد كمال التنزيه
وتمسك بقوله عز وجل ليس كمثله شي وهو السميع البصير **مما يدلك**
على وجود قهره سبحانه وتعالى ان حجبك عنه بما ليس بموجود معه اتفقت
مقالات العارفين والمحققين واشاراتهم ومواجيدهم على ما ذكرناه
قبيل هذا من ان ما سوى الله تعالى عدم محض من حيث ذاته لا يوصف
بوجود مع الله سبحانه قال الله تعالى كل شي هالك الا وجهه وقال

رسول

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصدق شي قالته الشعراء

الا كل شي ما خلا الله باطل   وكل نعيم لا محالة زايل

قال بعض العارفين ابا المحققون ان يشهدوا غير الله لما
حققهم به من شهود القيوميه واحاطة الديموميه وقال
سيدي ابو الحسن الشاذلي رض انا لننظر الى الله تعالى ببصر
الايمان والايقان فاغنانا ذلك عن الدليل والبرهان ونستدل
به على الخلق هل في الوجود شي سوى الواحد الحق فلا نراهم
وان كان ولا بد فنراهم كالهباء في الهوى وان فتشتهم لم تجدهم
شيا وقال ايضا رض قوي على الشهود مرة فسالته ان يستر
ذلك عني فقيل لي لو سالته بما ساله موسى كليمه عليه السلام
وعيسى روحه ومحمد صفيه صلى الله عليه وسلم لم يفعل ولكن سله
ان يقويك فسالته فقواني قال ابن عطا في التنوير فما
سوى الله تعالى عند اهل المعرفه لا يوصف بوجد ولا بفقد اذ لا
يوجد معه غيره لثبوت احديته ولا فقد لغيره لانه لا يفقد
الا ما وجد ولو انهتك حجاب الوهم لوقع العيان على فقد الاعيان
ولاشرق نور الايقان فغطى وجود الاكوان وهذا الكلام هو
بسط ما ذكره في هذا الكتاب وقال بعضهم لو كلفت ان ارى
غيره لم استطع فانه لا غير معه حتى اشهده معه وقال الشاعر

مذ عرفت الاله لم ار غيرا   وكذا الغير عندنا ممنوع
مذ تجمعت ما خشيت افتراقا   وانا اليوم واصل مجموع

وقال اخر

الله قل وذر الوجود وما حوى   ان كنت مرتادا بلوغ كمال
فالكل دون الله ان حققته   عدم على التفصيل والاجمال
واعلم بانك والعوالم كلها   لولاه في محو وفي اضمحلال
من لا وجود لذاته من ذاته   فوجوده لولاه عين محال

فالعارفون فنوا ولما يشهدوا شيا سوى المتكبر المتعال
وراوا سواه على الحقيقة هالكا في الحال والماضي والاستقبال
وقد صنفوا في هذا الامر تصانيف وتفننوا في هذا المعنى نظما ونثرا
وكل عبر على حسب شربه ووقه جزاهم الله عنا خيرا واذا تقرر
هذا وجدنا اكثر الناس قد حجبوا عن الله تعالى بشهواتهم
الدنياوية ودرجاتهم الاخروية ومقاماتهم العلوية وكل
ذلك من الاغيار العدمية والوجودات الوهمية علمنا بذلك
وجودهم اذ من اسمايه تعالى القهار ولو ارتفع الحجاب عنهم لفنوا
عن انفسهم وارادتهم وبقوا بربهم وكانوا عباد الله حقا وقد
سيل ابو سعيد بن الاعرابي رحمه عن الفنا فقال الفنا ان تبدوا
العظمة والاجلال على العبد فتنسيه الدنيا والاخرة والاحوال
والدرجات والمقامات والاذكار وتفنيه عن كل شي وعن
عقله وعن نفسه وفنايه عن الاشيا وعن فنايه عن الفنا حتى
انه يغرق في التعظيم انتهى قالوا والفنا على ثلثة اوجه فنا
في الافعال ومنه قولهم لا فاعل الا الله وفنا في الصفات
لا حي ولا عالم ولا قادر ولا مريد ولا سميع ولا بصير ولا متكلم على
الحقيقة الا الله وفنا في الذات لا موجود على الاطلاق الا الله
وانشدوا في ذلك المعنى

فيفنى ثم يفنى ... فكان فناوه عين البقاء

وقال الشيخ محيي الدين من شهد الخلق لا فعل لهم فقد فاز ومن
شهدهم لا حياة لهم فقد حاز ومن شهدهم عين العدم فقد وصل وانشدوا

من ابصر الناس كالسراب ... فقد ترقى عن الحجاب
الى وجود تراه رتقا ... بلا ابتعاد ولا اقتراب
ولم يشاهد به سواه ... هناك تهدي الى الصواب
فلا خطاب به اليه ... ولا مشير الى الخطاب

كيف يتصور ان يحجبه شي وهو الذي اظهر كل شي بما اشرق عليه من نور الوجود
وقد كان في ظلمة العدم كما تقدم كيف يتصور ان يحجبه شي وهو الذي ظهر بكل شي
حتى استدل عليه المستدلون بالاشيا كما قال تعالى سنريهم اياتنا في الافاق
وفي انفسهم كيف يتصور ان يحجبه شي وهو الذي ظهر في كل شي اذ هو المتجلي
فيها بمحاسن صفاته واسمايه كيف يتصور ان يحجبه شي وهو الذي ظهر لكل شي
في طور ذلك الشي ولذلك كان ساجدا له ومسبحا بحمده ولكن لا تفقهه
ذلك كيف يتصور ان يحجبه شي وهو الظاهر قبل وجود كل شي ليتحقق
هذا الاسم له ابدا وازلا كيف يتصور ان يحجبه شي وهو اظهر من كل
شي لان الوجود اظهر من العدم على كل حال كيف يتصور ان يحجبه شي
وهو الواحد الذي ليس معه شي اذ كل ما سواه عدم لا وجود له على
التحقيق كيف يتصور ان يحجبه شي وهو اقرب اليك من كل شي لثبوت
احاطته بك ووجود قيوميته عليك كيف يتصور ان يحجبه شي ولولاه
لما كان وجود كل شي حتى استدل به المشاهدون على الاشيا كما قال
تعالى اولم يكف بربك انه على كل شي شهيد يا عجبا كيف يظهر الوجود
في العدم لان العدم ظلمة والوجود نور وهما ضدان لا يجتمعان ام كيف
يثبت الحادث مع من له وصف القدم لان الباطل لا يثبت مع ظهور
الحق كما قال تعالى وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا
وقوله عز من قايل بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق
قلت وهذا الفصل من قوله الكون ظلمة الى هنا ابدع
المولف فيه غاية الابداع واتى فيه بما تقر به الاعين وتلذ
به الاسماع لانه رضي الله عنه ذكر جميع متعلقات المذكور
وابطل حجابيته بكل ظلام ونور واراك فيه الحق روية عيان
وبرهان ورفعك من مقام الايمان الى مراتب الاحسان بكل
ذلك في اوجز لفظة وافصح عبارة واتم تصريح والطف اشارة
فلو لم يكن في هذا الكتاب الا هذا الفصل لكان كافيا شافيا في جزاه

الله عن ذلك جبرا الحق ليس بمحجوب وانما المحجوب انت عن النظر اليه اذ
لو حجبه شي لستره ما حجبه ولو كان له ساتر لكان لوجوده حاصرا
وكل حاصر لشي فهو له قاهر وهو القاهر فوق عباده الحجاب على
الحق تعالى محال واستدل المولف رحمه الله تعالى على ذلك بما ذكره هنا وهو
بين لا اشكال فيه والحجاب على العبد واجب من حيث ذاته اذ هو عدم
كما تقدم ولا نسبة بين العدم وبين الوجود فاذا اراد الله تعالى
رفع هذا الحجاب عمن شا كشف شا متى شا فراى من ليس كمثله
شي وهذا مما يجب اعتقاده شعاع البصيرة يشهدك قربه
منك وعين البصيرة يشهدك عدمك لوجوده وحق
البصيرة يشهدك وجوده لا عدمك ولا وجودك شعاع البصيرة
نور العقل وعين البصيرة نور العلم وحق البصيرة نور الحق
فالعقلا بنور عقلهم شهدوا انفسهم وشاهدوا ربهم قريبا منهم اي
بالعلم والاحاطة والعلما بنور علمهم شهدوا انفسهم عدما في وجود ربهم
والمحققون بنور الحق شاهدوا الحق ولم يشاهدوا معه سواه
كان الله ولا شي معه وهو الان على ما عليه كان الازمنة ههنا امور
وهميه لا وجود لها على التحقيق والمقصود ان الله عز وجل لا شي
معه لثبوت احديته

فلم يبق الا الحق لم يبق كاين ٭ فما ثم موصول وما ثم باين
بذا جا برهان العيان فلا ارى ٭ بعيني الا عينه اذا عاين

وسياتي من كلام المولف رحمه الله تعالى الاكوان ثابتة باثباته ممحوة
باحدية ذاته العجب كل العجب ممن يهرب مما لا انفكاك له عنه ويطلب
ما لا بقاء له معه فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور
هرب العبد من مولاه باقباله على شهواته ومتابعة هواه وذلك بنتيجة عمى
قلبه ووجود جهله بربه لانه استبدل الذي هو ادنى بالذي
هو خير واثر الفاني الذي لا بقاء معه على الباقي الذي لا انفكاك

له عنه ولو كانت له بصيرة لاثر الباقي على الفاني والفعل ما فعله سحرة
فرعون لما امنوا بربهم اذ لم يلتفتوا لما وعدهم به فرعون من الاحسان و
الانعام والتقرب والاكرام ولم يكترثوا بما توعدهم به من العذاب
والقتل والصلب على جذوع النخل بل قالوا لن نوثرك على ما جانا
من البينات والذي فطرنا الى قالوا والله خير وابقى فهولا في
استنارة قلوبهم وشهدوا محبوبهم فكان منهم ما كان انما استوحش
العباد والزهاد من كل شي لغيبتهم عن الله في كل شي فلو
شهدوه في كل شي لم يستوحشوا من شي
العباد والزهاد في حجبة عن ربهم بنظرهم لنفوسهم ومراعاة
حظوظهم فهم يفرون من الاشيا ويستوحشون منها لانها
موجودة في نظرهم والزهد في المزهود شاهد له بالوجود كما قال
سيدي ابو الحسن الشاذلي رض والله لقد عظمتها اذ زهدت
فيها فهم يخافون منها ان تعوق عليهم اغراضهم وتفوتهم مقاصدهم
بميلهم اليها وافتتانهم بها ولو كانوا من اهل العلم بالله تعالى
لراوه ظاهرا ظاهرا في الاشيا كلها ولكان لهم في ذلك من
قرة اعينهم ما يشغلهم عن رويتهم لنفوسهم فلا يكون لهم من الاشيا
وحشة ولا يخشون منها فتنة لانها فانية متلاشية بهذا الاعتبار
امرك في هذه الدار بالنظر في مكوناته وسيكشف لك في
تلك الدار عن كمال ذاته روية العباد لربهم عز وجل على حسب
تجليه لهم ففي هذه الدار يرونه ظاهرا في المكونات بانوار بصايرهم
لما يجل من وراء حجابها ولذلك امرهم بالنظر فيها وفي الدار الاخرة
بروية معاينة بانوار ابصارهم من غير حجاب ولا مانع وهذا غاية
الظهور والكشف علم منك انك لا تصبر عنه فاشهدك ما برز منه
عدم الصبر عن الله من وجود الاحتظا بمعرفته وهو حال شريف يقتضي
وجود المعية الاختصاصية والمعية الاختصاصية تقتضي دوام المشاهدة

والحضور والمشاهدة الحقيقية غير منحصرة في هذه الدار لما هي
عليه من الدناءة والنقص والفنا والذهاب فاكرم الله تعالى
عبده لعلمه بعدم صبره عنه بان اشهده ما برز منه من الاثار
والاكوان تسلية له بالاثر عن النظر فحصلت له المعية
الاختصاصية اللايقة بحاله حتى اذا اقعده في مقعد الصدق
وحصلت له عنديه الحق خلع عليه خلع التقريب والتكريم والوجهة
بوجهه الكريم فحصلت له المعية الحقيقية والمشاهدة
السرمدية وما ذلك على الله بعزيز الكاين في الكون ولم تفتح له
ميادين الغيوب مسجون بمحيطاته محصور في هيكل ذاته من لازم
وبقي معه وقصر همته عليه ولم تنفتح له ميادين الغيوب الملكوتية
ولا خلص سره الى فضا مشاهدة الوحدانية فهو مسجون بمحيطاته
ومحصور في هيكل ذاته وهذه هي صفة اصحاب اهل النار كما
قال تعالى احاط بهم سرادقها وليس في جهنم عذاب اعظم من
السجن والحصر والضيق والقهر كما قال الله تعالى واذا القوا
منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا وما ذكرناه هو
حال من بقي مع نفسه وعمل على نيل حظه كاينا ما كان وفي
بعض الاخبار المروية عن الله تعالى انه قال عبدي اجعلني
مكان همك ما كنت بك فانت في محل البعد وما كنت بي فانت في
محل القرب فاختر لنفسك انت مع الاكوان ما لم تشهد المكون
فاذا شهدته كانت الاكوان معك فرق بين كونك مع الاكوان وكون
الاكوان معك فان كونك مع الاكوان يقتضي تعبدك بها وحاجتك
اليها فانت بذلك عبد لها ثم هي خاذلتك ومسلمتك احوج ما تكون
اليها وهذه حالة خسيسة تقتضيها عدم شهودك للمكون وكون
الاكوان معك يقتضي ملكك لها واستغناك عنها فانت حينئذ حر
عنها وهي محتاجة اليك وخادمة لك ومتبركة بك حتى الجمادات والحيوانات

قال الشبلي رضه ليس يخطر الكون ببال من عرف المكون انتهى وهذه
حالة نفيسة تقتضيها شهودك للمكون قال بعض المشايخ رضه انا
ادخل السوق والاشيا تشتاق الي وانا عن جميعها حر وعن المزين
الكبير رضه قال كنت مع ابرهيم الخواص في بعض اسفاره فاذا عقرب
تسعى على فخذه قال فقمت لاقتلها فمنعني وقال دعها كل شي مفتقر
الينا ولسنا مفتقرين الى شي وقال محمد بن المبارك الصوري
رضه كنت مع ابرهيم بن ادهم رضه في طريق بيت المقدس فنزلنا وقت
القايلة تحت شجرة رمان فصلينا ركعات فسمعت صوتا من اصل الرمانة
يا ابا اسحق اكرمنا بان تاكل منا شيا فطاطا ابراهيم راسه فقال ذلك ثلث مرات
ثم قال يا محمد كن شفيعا اليه ليتناول منا شيا فقلت يا ابا اسحق لقد سمعت فقام
واخذ منها رمانتين فاكل واحدة وناولني الاخرى فاكلتها وفي غير هذه
الحكاية ان الشجرة كانت قصيرة ورمانها حامض وانها تطعم في كل عام
مرتين مرة فعلت وارتفعت وحلا ثمرها وصارت تطعم في كل عام مرتين وكانت
السباع تجي الى سهل ابن عبد الله فيدخلها بيتا عنده فيضيفهم ويطعمهم اللحم وقال
ابراهيم الخواص رضي الله عنه كنت في البادية مرة فسرت في وسط النهار فوصلت
الى شجرة وفي القرب منها ما فنزلت فاذا انا بسبع عظيم قد اقبل فلما قرب مني
اذا هو يعرج فجا وبرك بين يدي ووضع يده في حجري فنظرت فاذا يده منتفخة فيها
قيح ودم فاخذت خشبة وشققت الموضع الذي فيه القيح وشددت على يده خرقة
ومضى فاذا انا بساعة وجا معه شبلان يبصبصان وحملا الي رغيفين وقال
بعضهم اشرفت على ابراهيم ابن ادهم رضي الله عنه وهو في بستان يحفظه وقد
اخذه النوم واذا حية في فمها طاقة نرجس تروح بها وحكي عن ابي اسحق
الصعلوكي رضه قال خرجت مرة الى الحج فبينا انا في البادية اذ تهت فلما جن علي
الليل وكانت ليلة قمرا سمعت صوت شخص ضعيف يقول يا ابا اسحق قد انتظرتك
من الغداة قال فدنوت منه فاذا هو شاب نحيف قد اشرف على الموت وحوله
رياحين كثيرة منها ما عرفته ومنها ما لم اعرفه فقلت من اين انت فقال من مدينة شمشاط

كنت في عز وثروة فطالبتني نفسي بالعزلة فخرجت وقد اشرفت على الموت فسالت الله
ان يفيض لي من اوليايه فارجو انك انت هو فقال فقلت الك الوالدان قال نعم واخوة
واخوات فقلت هل اشتقت اليهم والي ذكرهم فقال لا الا اليوم اردت ان اشم ريحهم
فاحوشتني السباع والبهايم وبكين معي وحملن اليهن الرياحين قال فبينما انا في تلك
الحالة رق له قلبي اذا بحية اقبلت في فيها طاقة نرجس فقال دع شرك عنه فان الله تعالى
يغار على اوليايه قال فغشي على فخرجت فلما افقت حتى خرجت نفسه رحمة الله عليه ونهضت
لم وقع على سبات فانتبهت وانا في الجادة قال فدخلت مدينة شميشاط بعدها
بحجت فاستقبلتني امراة بيدها كوز ماء اشبه بالشام منها فلما راتني قالت يا ابا اسحق
كيف رايت الشاب فاني انتظرتك منذ ثلث فذكرت لها القصة الي ان قلت وقد اردت ان
اشمهم فصاحت وقالت اه بلغ الشم الشم وخرجت نفسها فخرج اتراب لها عليهن المرقعات
والصوف فكفلن امرها وتولين شانها رضي الله عنهن اجمعين فهذا ايكون حال عظيم
الهمة شريف الارادة والنية لا يساكن احدا من المخلوقات ولا يوطن نفسه على شي
من المصنوعات بل يتكفل الله تعالى بامره وجعل الكون خادما باسره رزقنا الله حما
زفهم ووفقنا الله لما وفقهم بجوده وكرمه اباح لك ان تنظر في المكونات
وما اذن لك ان تقف مع ذوات المكونات قل انظروا ماذا في السموات
ولم يقل انظروا السموات قل انظروا ماذا في السموات فتح لك باب الافهام
ولم يقل انظروا السموات ليلا يدلك على وجود الاجرام امر الله تعالى
بالنظر في المكونات ليس لذاتها لان في ذلك البعد عن الله تعالى بالنظر الي ما سواه
ولم يبح هذا وانما امر بذلك ليتوصلوا بنظرهم فيها اليه لوجود ظهوره فيها
والاشارة الي هذا المعنى تنبيها في قوله تعالى قل انظروا ماذا في السموات
والارض فالمعنى المقصود في وجود الظرفية ومنها ما يستفاد وهو
معنى قوله فتح لك باب الافهام فلو اسقطها وقال انظروا السموات لكان منه
دلالة على وجود الاجرام وهي اغيار له وفيها البعد عنه فكيف يدل على ذلك
وهو لم ياذن فيه قال في لطايف المنن فما نصبت الكاينات لتراها ولكن لترى فيها
مولاها فمراد الحق منك ان تراها بعين من لا يراها تراها من حيث ظهوره فيها ولا تراها

من حيث كونها

من حيث كونها قال ولنا في هذا المعنى ما ثبتت تلك المعالم الا لتراها بعين من لا يراها
فترقى عنها الي من ليس يرضى حاله دون ان يرى مولاها الاكوان ثابتة باثباته
ومحوة باحدية ذاته للاكوان من ذا انتفى العدم المحض كما تقدم وانما حصل لها
وصف الثبوت باثبات الله تعالى لها وجعلها اكوانا فالثبوت لها امر عرضي والحق
اللازم هو وجود احدية الله تعالى والاحدية مبالغة في الوحدة ولا يتحقق الا
اذا كانت الوحدة بحيث لا يمكن ان تكون اشد ولا اكمل منها فمن مقتضى حقيقتها
محو الاكوان وبطلانها بحيث لا توجد اذ لو وجدت لم تكن احدية وكان فيه
تعدد واثنينية كما قيل رب وعبد ونفي ضد قلت لا لبس ذاك عندي
فقال ما عندكم فقلنا وجود فقد وفقد وجد توحيد حق بترك حق
وليس حق سواي وحدي وانشدوا سر سري من جانب القدس افناني
لكن بذاك الفنا عني وقد احياني وردني للبقا حتى اعبر عن جمال حضرته بكل هيماني
وطرت في ملكوت من عجايبه لم الق غير وجود ماله ثان وانشد المولف رحمه الله
لنفسه في لطايف المنن يوصي رجلا من اخوانه اسمه حسن فقال حسن ان تدع
الوجود باسره حسن فلا يشغلك عنه شاغل وان فهمت لعلمي به لا تترك الا
للذي هو حاصل ومتى شهدت سواه فاعلم انه من وهمك لا دنا وقلبك ذاهل
حسن الي له شهوده لوجوده والله يعلم ما يقول القايل
ولقد اشرت الي الصريح من الهدى دلت عليه ان فهمت دلايل
وحدته كان وليس شي مثله يقضي به الا اللبيب العاقل
لا غير والاسماء مثبوتة ليدوم ذو ترك وتجحد فاعل من عرف الحق
شهده في كل شي فلا يستوحش من شي ويستانس به كل شي كما تقدم من نعت
العارفين ومن فني به غاب عن كل شي فلا يكون منه على الاشيا اعتماد ولا
له اليها استناد ومن احبه لم يوثر عليه شيا من مراداته وشهواته وهذه
الامور التي ذكرها المولف رحمه الله من علامات بلوغ هذه المقامات العلية وبها تتضح
وتكمل فمن لم يجدها في نفسه فلا ينبغي له ان يدعي تلك المقامات وليعمل على مجاهدة
نفسه فيما يصححها ويكملها انما حجب الحق عنك شدة قربه منك شدة القرب حجاب

كما ان شدة البعد حجاب لان شدة قربه منك موجبة لاضمحلالك وذهابك
والمضمحل الذاهب لا نسبة بينه وبين الثابت الموجود فكيف يراه قال
في لطائف المنن فعظيم القرب هو الذي غيب عنك شهود القرب قال
الشيخ ابو الحسن الشاذلي رضه حقيقة القرب ان تغيب في القرب عن
القرب لعظيم القرب كمن يشم رائحة المسك فلا يزال يدنو وكلما دنى منها تزايد
ريحها فلما دخل البيت الذي هو فيه انقطعت رائحته عنه وانشد بعض العارفين

كم ذا تموه بالشعبين والعلم ۰ والامر اوضح من نار على علم ۰
اراك تسال عن نجد وانت بها ۰ وعن تهامة هذا فعل متهم ۰

انما احتجب لشدة ظهوره وخفي عن الابصار لعظم نوره هذه عبارة تداولها
الناس وضربوا لمعناها مثلا بالشمس وذلك ان الشمس نورها اقوى
من سائر الانوار المحسوسة وقوة نورها هي التي حجبت الابصار الضعيفة
عن ادراك كنهها فقد صار ظهورها الذي اوجب وجود نورها
حجابا لها وليس الحجاب على الحقيقة منها فان الظاهر لذاته لا يحجب من
ذاته وانما الحجاب عليه من غيره والحجاب ههنا ضعف البصر عن مقاومته
فيصار النور فالحق سبحانه وتعالى احتجب عن الخلق بشدة ظهوره
وخفي عن الابصار لعظم نوره ولنشد واني هذا المعنى ۰

لقد ظهرت فما تخفى على احد ۰ الا على اكمه لا يعرف القمرا ۰
لكن بطنت بما اظهرت محتجبا ۰ وكيف يعرف من بالعزة استترا ۰

وانشدوا ايضا

بالنور يظهر ما ترى من صورة ۰ وبه وجود الكائنات بلا امترا ۰
لكنه يخفى لفرط ظهوره ۰ حسا ويدركه البصير من الورا ۰
فاذا نظرت بعين عقلك لم تجد ۰ شيئا سواه على الذوات مصورا ۰
واذا طلبت حقيقة من غيره ۰ فبذيل جهلك لا تزال معثرا ۰

كيف يحتجب الحق بشيء والذي يحتجب به هو فيه ظاهر وموجود حاضر
قد اشبع المولف رضه الكلام على هذا المعنى في اول هذا الباب واتى فيه

بالحجب

بالحجب الحجاب وقد نبهنا عليه هناك ما حجبك عن الله وجود موجود
معه اذ لا شي معه ولكن حجبك عنه توهم وجود شي معه تقدم ان لا
موجود سوى الله تعالى على التحقيق وان وجود ما سواه انما هو وهم
مجرد فلا حاجب لك عن الله تعالى الا توهم وجود ما سواه لا غير والتوهم
باطل فلا حجاب لك عن الله تعالى اذا وقد استوفى المولف رحمه
الله ذكر جميع انواع اعتبارات هذا المعنى قبل هذا قال في لطائف
المنن واشبه شي بوجود الكائنات اذا نظرت اليها بعين البصيرة وجود
الظلال والظل لا موجود باعتبار جميع مراتب الوجود ولا معدوم
باعتبار جميع مراتب العدم واذا ثبتت ظلية الاثار لم تنسخ احدية
المؤثر اذ الشي انما يشفع بمثله ويضم الى شكله كذلك ايضا من شهد
ظلية الاثار لم تعوقه عن الله فان ظلال الاشجار في الانهار لا
تعوق السفن عن التسيار ومن ههنا يتبين لك ايضا ان الحجاب
ليس امرا وجوديا بينك وبين الله تعالى ولو كان بينك وبينه حجاب
وجودي للزم ان يكون اقرب اليك منه ولا شي اقرب من الله فرجعت
حقيقة الحجاب الى توهم الحجاب فما حجبك عن الله وجود موجود معه وذلك
كرجل بات في مكان واراد البراز فسمع صوت الرياح من كوة هناك
فظنه زئير اسد فمنعه ذلك عن البراز فلما اصبح لم يجد هناك اسدا
وانما هو الريح انضغط في تلك الكوة فما حجبه وجود اسد وانما حجبه توهم
اسد لولا ظهوره في المكونات ما وقع عليها وجود ابصار لو ظهرت
صفاته اضمحلت مكوناته ظهور الحق سبحانه من وراء حجاب
المكونات هو الذي اوجب ظهورها ووقوع الابصار عليها ولولا وجود
حجابيتها لم يقع عليها ابصار ولتلاشت لوجود التجلي الحقيقي كما قال
لو ظهرت صفاته اضمحلت مكوناته بل لم يكن هناك بصر ولا ابصار
ولا مبصر كما جاء في الحديث حجابه النار وفي رواية لو كشفها لاحرقت
سبحات وجهه كل شي ادركه بصره اظهر كل شي بانه الباطن وطوى

وجود كل شي لانه الظاهر من اسمايه تعالى الظاهر الباطن فاسم
الظاهر يقتضي بطون كل شي حتى لا ظاهر معه فيطوي وجود
كل شي واسمه الباطن يقتضي ظهور كل شي حتى لا باطن معه فيظهر اذ
ذاك وجود كل شي فالحق تعالى هو الموجود بكل اعتبار والحمد لله
تطلعك الى بقاء غيره دليل على عدم وجدانك له واستيحاشك
لفقدان ما سواه دليل على عدم وصلتك به وجود العبد لربه ووصوله
اليه هو غاية مطالبه ومنتهى امالة ومآربه وبه يفوز بالنعيم ويحظى
بالملك العظيم وعند ذلك نسي كل محبوب ويلهى عن كل مرغوب به و
مرغوب وهذه هي صفة اهل التوحيد الذين استهتروا في ذكر
الله المجيد كما روي عن ابي عبد الله البسري رضي الله عنه قال سالت رجلا
بالكام ما الذي اجلسك في هذا الموضع فقال لي وما سوالك عن
شي ان طلبته لم تدركه وان لحقته لم تقع عليه قلت تخبرني ما هو قال
علمي بان مجالسة الله تعالى تستغرق نعيم الجنان ثم قال اواه قد
كنت اظن ان نفسي طرفت ومن الخلق هربت فاذا انا كذاب
في مقالتي لو كنت محبا لله تعالى صادقا ما اطلع علي احد فقلت اما
علمت ان المحبين خلفاء الله في ارضه مستانسين بخلقه يبعثونهم
على طاعته فصاح صيحة وقال لي يا مخدوع لو شممت رايحة الحب
وعاين قلبك ما وراء ذلك من القرب ما احتجت ان ترى فوق
ما رايت ثم قال يا سماء ويا ارض اشهدا انه ما خطر على قلبي ذكر
الجنة والنار قط ان كنت صادقا فاميتني فوالله ما سمعت له كلاما
بعدها وخفت ان يسبق الظن الي من الناس من قتله فتركته ومضيت
فبينما انا على ذلك فاذا انا بجماعة فقالوا ما فعل الفتى فكنيت عن ذلك
فقالوا ارجع فان الله قد قبضه فصليت معهم عليه فقلت لهم من
هذا الرجل ومن انتم فقالوا ويحك هذا رجل به كان مطر المطر قلبه
على قلب ابرهيم الخليل عليه الصلاة والسلام اما رايته يخبر عن نفسه

ان ذكر الجنة والنار ما خطر على قلبه فهل كان احد هكذا الا ابرهيم
الخليل عليه الصلاة والسلام فقلت من انتم فقالوا نحن السبعة المخصوصون
من الابدال قلت علموني شيا قالوا لا تحب ان تعرف ولا تحب ان تعرف
انك ممن لا يحب ان يعرف وفي مثل هذا الحال انشدوا

كانت لقلبي اهواء مفرقة • فاستجمعت اذ راتك العين اهواي •
فصار يحسدني من كنت احسده • وصرت مولى الورى مذ صرت مولاي •
تركت للناس دنياهم ودينهم • شغلا بذكرك يا ديني ودنياي •

وقد سيل ابو سليمان الداراني رضي الله عنه عن اقرب ما يتقرب به الى
الله تعالى فقال اقرب ما يتقرب به اليه ان يطلع الله على قلبه
وهو لا يريد من الدنيا والاخرة غيره فهذه هي العلامة الصادقة
والدلالة القاطعة على التحقيق بهذا المقام العظيم فان كان
له شعور بشي من الاغيار المحبوبة فتطلع الى بقايها او يتوحش
لفقدانها فذلك دليل على عدم تحقيقه بذلك فليعرف منزلته
وحده وليعمل في تصحيح هذا المقام جهده ما تجده القلوب من الهموم والاحزان
فلاجل ما منعت من وجود العيان وجدان الهموم والاحزان الدنيوية و
الاخروية من نتايج روية النفس واعتبارها وتلاحظها وهو
الذي منع العبد من وجود العيان فلو فني عن نفسه وذهب
عن مراعاة حظه لظفر بوجود العيان ولم يكن له هم ولا حزن البتة
بل يكون متصل الحبور دايم الفرح والسرور كما قال تعالى لا تحزن
ان الله معنا فالمعية المذكورة لا يجتمع معها حزن وهي ما قلناه من وجود
العيان والعيان درجة فوق درجة اليقين وقد قيل •

كبر العيان علي حتى انه • صار اليقين من العيان توهما •

قال الشبلي رضي الله عنه من عرف الله تعالى لا يكون له غم ابدا وقيل اوحى الله
تعالى الى داود عليه السلام يا داود ان محبتي في خلقي ان يكونوا روحانيين
وللروحانية علم هو ان لا يغتموا وانا مصباح قلوبهم يا داود لا تمزج الهم قلبك

فينتقص ميراث حلاوة الروحانيين وسياتي من كلام المولف رحمه الله في
اخر باب الشكر اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام بي فافرح وبذكرى
تنعم فبا ستنارة القلب بنور المعرفة واحتظايه بوجدان العباده
والرويه تخرج منه الهم ويحل محل الروحانيه على ان في وجود الهموم
والاحزان لمن لم يبلغ هذا المقام اذا لم يقدر على دفعها عن نفسه
فوايد جزيله لا ينبغي ان يستحقر من قبلها انها موجبة لخمود النفس
وصفاء القلب وزوال الاشر والبطر والفرح بالدنيا
ثم هي كفارات ان كانت في الامور الدنياويه ودرجات ان
كانت في الامور الاخراويه والهم متعلق بما يكون في المستقبل والحزن
متعلق بما يكون في الماضي متى الملك عدم اقبال الناس عليك
او توجههم بالذم اليك فارجع الى علم الله فيك فان كان لا يقنعك
علمه فمصيبتك بعدم قناعتك بعلمه اشد من مصيبتك بوجود الاذى
منهم العبد لا ينبغي ان يكون مطمح نظره الا الى مولاه فلا يفرح الا باقباله
عليه ولا يحزن الا لاعراضه عنه ولا ينظر الى المخلوقين في اقبال
ولا اعراض ولا مدح ولا ذم فانهم لا يغنون عنه من الله شيا وقد
تقدم هذا المعنى عند قوله غيب نظر الخلق اليك بنظر الله اليك وغب
عن اقبالهم عليك بشهود اقباله عليك فمتى المه عدم اقبالهم عليه او
توجههم بالذم اليه فليرجع الى ما بينه وبين ربه فان كان قانعا
بعلمه راضيا بقسمه كان له في ذلك اعظم سلوان عما يفوته من
جهة المخلوقين بل لا يجد وقعا في قلبه لما عسى ان يكون منهم من اقبال
او اعراض فان لم يكن راضيا ولا قانعا فمصيبته بذلك اعظم
من مصيبته باذى الناس له بل لا مصيبة له في اذى الناس البتة
عند من عرف سر ذلك على ما ذكره المولف في قوله انما اجرى الاذى
عليهم الخ قال ابرهيم التيمي رضه لبعض اصحابه ما يقول الناس
في فقال يقولون انك مراي فقال الان طاب العمل فقال

لبشر رضي الله عنه اكتفي والله بعلم الله فلم عيب ان يدخل مع علم الله
علم غيره وقال بشر الحافي رضه سكون النفس الى قبول المدح
لها اشد عليها من المعاصي النعيم وان تنوعت مظاهره انما هو بشهوده
واقترابه والعذاب وان تنوعت مظاهره انما هو بوجود حجابه فسبب
العذاب وجود الحجاب واتمام النعيم بالنظر الى وجه الله الكريم
مظاهر النعيم المتنوعه هي ما ورد من انواع الثواب في دار الاخرة من الحور
والقصور والولدان والغلمان والماكل والمشرب والملبس الى غير ذلك
من انواع المسرات والتلذذات ومظاهر العذاب المتنوعه هي ما ورد
من انواع العقاب فيها من الجحيم والحميم والزقوم والحيات والعقارب
والسلاسل والاغلال والانكال وغير ذلك من انواع الالام والعقوبات
وليس وجود النعيم بسبب وجود ذوات هذه الاشيا ومباشرتها المنعم والمعذب
وانما ذلك لما تضمنته وظهر فيها من وجود قرب الله تعالى وشهود المنعم
او وجود حجابه واعراضه عن المعذب فهذان الامران بهما يقع النعيم والعذاب
على التحقيق باب في بعض خصايص العارف ليس العارف من
اذا اشار وجد الحق اقرب اليه من اشارته بل العارف من لا اشارة
له لفنايه في وجوده وانطوايه في شهوده الاشارة الطف من العبارة وهي
كنايه وتلويح وايماء لا تصريح وهي التي يستعملها اهل هذه الطريق فيما بينهم
عند ذكرهم لاسرار التوحيد كما يجي عند قوله من رايته مجيبا عن كل ما سيل ومعبرا
عن كل ما شهد فالمشير الى الله تعالى الملاحظ لاشارته وان وجد
الله تعالى اقرب اليه من اشارته غير عارف على التحقيق لانه يوصف
التفرقه بشهوده للاغيار بل العارف الفاني في وجوده المنطوي في شهوده
غاب عن الاشارة والمشير والمشار به سيل الدقاق رضه عن المريد
فقال حقيقة المريد ان يشير الى الله تعالى فيجد الله عز وجل مع
نفس الاشارة قيل له فالذي يستوعب حاله قال هو ان يجد الله باسقاط
الاشارة وسيل ابو علي الروذباري رضه عن الاشارة فقال الاشارة الابانه

عما يتضمنه الوجد المشار اليه لا غير وفي الحقيقة ان الاشارة تصحبها
العلل والعلل بعيدة من عين الحقايق قال الشبلي رضه كل اشارة اشار
بها الخلق الى الحق فهي مردودة عليهم حتى يشيروا الى الحق بالحق وليس لهم الى
ذلك طريق وقال ابو يزيد رضه ابعدهم من الله اكثرهم اشارة مطلب
العارفين من الله عز وجل الصدق في العبودية والقيام بحق الربوبية
مطلب العارفين من ربهم اعلا من مطالب غيرهم سوا كان عابدا او زاهدا
او عالما لان مطلب العارفين انما هو الصدق في العبودية والقيام
بحق الربوبية فقط من غير مراعاة حظ ولا نقار مع نفس وكل من عداهم
لم يفارقوا الحظوظ والاغراض في مطالبهم وقد تقدم من كلام المولف
رحمه الله خير ما تطلبه منه ما هو طالبه منك قال سيدي ابو مدين
رضي الله عنه شتان بين من همته الحور والقصور وبين من همته رفع
الستور ودوام الحضور العارف لا يزول اضطراره ولا يكون مع غير الله
قراره معرفة العارفين هي معرفتهم بانفسهم وبما هي عليه من الفاقة والافتقار
الى العزيز الجبار وبقدر ما يتحققون بذلك في انفسهم تكون معرفتهم بالله
عز وجل كما جاء في الخبر من عرف نفسه عرف ربه ولذلك كان العارف
لا يفارقه الاضطرار قال سيدي ابو العباس المرسي رضه في قوله
تعالى امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء الولي لا يزال مضطر
قال ابن عطاء معنى كلام الشيخ ان العامة اضطرارهم بتيرات
الاسباب فاذا زالت زال اضطرارهم وذلك لغلبة دائرة الحس على مشهدهم
ولو شهدوا قبضة الله الشاملة المحيطة لعلموا ان اضطرارهم الى الله دايم
الزهاد اذا مدحوا انقبضوا لشهودهم الثناء من الخلق والعارفون اذا
مدحوا انبسطوا لشهودهم ذلك من الملك الحق تقدم ان الزهاد في غيبة
عن الله تعالى فهم لا يشاهدون الا الخلق فاذا مدحوا واثني عليهم شهدوا
ذلك من الخلق فانقبضوا عند ذلك لانهم يخافون من فوت نصيبهم من
ربهم لاجل ما يتوهمون من الاغترار بذلك والعارفون حاضرون مع الله

فهم

فهم لا يشاهدون معه غيره فاذا مدحوا شهدوا الثناء من ربهم فانبسطوا
لذلك وكان ذلك مزيدا في حالهم ومقامهم لغيبتهم عن انفسهم كان
بعضهم يمدح وهو ساكت فقيل له في ذلك فقال لست اعلم ذلك ولست
اغلط في نفسي بل انا في البين والمجري والمنشئ هو الله تعالى وقيل
هذا المعنى في الخبر المروي اذا مدح المؤمن ربا الايمان في قلبه قال
ابو طالب المكي رضه وفيه طريق العارفين ان يعلو الايمان الى المولى الاعلى
فيفرح هو بذلك لمولاه ويضيف الى سيده [illegible]

[illegible]

يصل بشي من الاذى اليهم كما قيل

رب رام لي باحجار الاذى • لم اجد بدًّا من العطف عليه •
فعسى يطلع الله علي • فرج القوم فيدنيني اليه •

باب التفرس والاستدلال بالشي على الشي من رايته مجيبا عن كل ما سيل ومعبرا عن كل ما شهد وذاكرا عن كل ما علم فاستدل بذلك على وجود جهله الاجابة عن كل سوال والتعبير لكل مشهود والذكر لكل معلوم امارات على وجود جهل من اتصف بها كما قال اما الاجابة عن كل سوال فلاقتضايها منه الاحاطة بجميع المعلومات وذلك محال في حقه قال الله تعالى وما اوتيتم من العلم الا قليلا فكيف يتصور منه هذه الاجابة عن كل سوال لولا وجود جهله وايضا فانه يجب عليه ان يراعي حال السايل من وجود الاهلية لما سال عنه فيمتنع عن الاجابة لمن لا اهلية فيه لذلك ويفعل ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي عنه مع السايل الذي جا يساله ان يعلمه من غرايب العلم فانه استفسره وقال ما فعلت في راس العلم وفي كذا وفي كذا فاجابه السايل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اذهب فاحكم ما هناك ثم تعال حتى اعلمك من غرايب العلم وكما اخذ الله تعالى على العلما ان لا يكتموا العلم اهله فكذلك اخذ عليهم ان يصونوه عن غير اهله فمن لا يسلك هذا المسلك فهو جاهل واما التعبير لكل مشهود فلان فيه نوعا من افشا السر الذي يجب كتمه وقد قالوا قلوب الاحرار قبور الاسرار والسر امانة الله تعالى عند العبد فاشهاره بالتعبير عنه خيانة والله لا يحب الخاينين وايضا فان الامور المشهودة لا يستعمل فيها الاشارات والايما والعبارات واستعمال العبارات فيها افصاح بها واشهارها وفي ذلك ابتذالها واذاعتها ثم ان العبارة لا تزيدها الا غموضا وانغلاقا لان الامور الذوقية يستحيل ادرا

حقايقها

حقايقها بالعبارات النطقية فيودي ذلك الى الانكار والقدح في علوم السادة الاحرار قال ابو علي الروذباري رضي علمنا هذا اشارة فاذا صار عبارة خفي واما الذكر لكل معلوم فلعدم تفريقه بين المعلومات وقد يكون له علم يختص به فاذا ذكره لغيره استضر به وان كان ينتفع به هو فعدم تفريقه بين المعلومات في ذكرها من وجود جهله **من علامة النجح في النهايات الرجوع الى الله عز وجل في البدايات** للمريد بداية ونهاية فبدايته حال سلوكه ونهايته حال وصوله فمن صحح بدايته بالرجوع الى الله تعالى والتوكل عليه والاستعانة به افلح وانجح في نهايته وكان وصوله الى الله تعالى وامن عليه من الرجوع والانقطاع قال بعض المشايخ ما رجع من رجع الا من الطريق ولو وصلوا ما رجعوا ومن لم يصحح ذلك بما ذكرناه من تعلقه بالحق وفراره اليه من نفسه والخلق انقطع ورجع من حيث جا قال بعض العلما من ظن انه يصل الى الله تعالى بغير الله تعالى قطع به ومن استعان على عبادة الله بنفسه وكل الى نفسه فعلى العبد السالك ان يجعل معتمده الاستعانة بالله على ما هو بسبيله ولا يرى حول نفسه ولا قوتها في كثير عمله ولا قليله فهذا اساس السلوك الذي يبتنى عليه قواعده **من اشرقت بدايته اشرقت نهايته** هذه عبارة اخرى موافقة لمعنى ما تقدم فاشراق بداية المريد برجوعه الى الله تعالى في مهماته وثقته به في ملماته واشراق نهايته الوصول الى قربه والحصول في حضرته **من علامة اقامة الحق لك في الشي ادامته اياك فيه مع حصول النتايج** لا اعتبار بما يقوم فيه العبد بنفسه من عمل وحال وانما العبرة بما يقيمه فيه ربه وعلامة اقامة الله تعالى عبده في الشي ان يديمه عليه ويحصل له ثمرته ونتيجته ويبني على هذا اداب ومعاملات وقد اشرنا الى نحو من هذا عند قول المولف رحمه الله ارادتك التجريد مع اقامة الله تعالى اياك في الاسباب الخ

من علامة اتباع الهوى المسارعة الى نوافل الخيرات والتكاسل
عن القيام بالواجبات هذه الصور التي يتبين فيها خفة الباطل
وثقل الحق على النفس وما ذكره هو اكثر حال الناس فترى الواحد
منهم اذا اعتقد التوبة لا نهمة له الا في النوافل من الصيام
والقيام وتكرار المشي الى بيت الله الحرام وما اشبهه هذا من
النوافل وهو مع هذا غير متدارك لما فرط فيه من الواجبات
ولا متحلل لما لزم ذمته من الظلامات والتبعات وما ذلك
الا لانهم لم يشتغلوا برياضة نفوسهم التي خدعتهم ولم يحملوا
بمجاهدة اهوايهم التي استرقتهم وملكتهم ولو اخذوا في ذلك
لكان لهم فيه اعظم شغل ولم يجدوا فسحة لشي من الطاعات
والنوافل قال بعض العلما رض من كانت الفضايل
اهم اليه من اداء الفرايض فهو مخدوع وقال محمد بن ابي
الورد رض انقطع الخلق عن الله عز وجل بخصلتين احدهما انهم
طلبوا النوافل وضيعوا الفرايض والثانية انهم عملوا اعمالا بالظاهر
ولم ياخذوا انفسهم بالصدق فيها والنصح لها وابى الله تعالى ان يقبل
من عامل عملا الا بالصدق واصابة الحق قال الشيخ ابو طالب
المكي رض افضل شي للعبد معرفته بنفسه ووقوفه على حده واحكامه
لحالة التي اقيم فيها وابتداره بالعمل بما افترض عليه بعد اجتنابه ما نهي
عنه بعلم يقين في جميع ذلك وورع يحجزه عن الهوى في ذلك ولا
يشتغل بطلب فضل حتى يفرغ من فرض لان الفضل لا يصح الا بعد
حوز السلامة كما لا يخلص الربح الا بعد حصول راس المال فمن تعذرت
عليه السلامة كان من الفضل ابعد والى الاغترار اقرب **الحزن على**
فقدان الطاعة مع عدم النهوض اليها من علامة الاغترار هذا هو الحزن
الكاذب الذي يكون عنه البكاء الكاذب كما قالوا كم من عين جارية
وقلب قاس وهو من مكر الله تعالى الخفي حيث منعه ما ينفعه واعطاه

ما

ما يغتر به من الحزن والبكا سمعت رابعة رض رجلا يقول واحزناه
قالت قل واقلة حزناه لو كنت حزينا لم يتهيا لك ان تتنفس واما
الحزن الصادق فخلاف هذا وهو مقام من مقامات السالكين وهو
يبعث على الانكماش في الاعمال والنهوض الى الطاعات على كل حال
قال الشيخ ابو علي الدقاق رضي الله عنه صاحب الحزن يقطع من
طريق الله تعالى في شهر ما لا يقطع من فقد الحزن في سنين وفي الخبر
ان الله تعالى يحب كل قلب حزين وفي التوراة اذا احب الله تعالى
عبدا نصب في قلبه نايحة واذا ابغضه نصب في قلبه مزمارا وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دايم الفكرة وقيل
اذا فقد الحزن من القلب خرب ومن لم يذق طعم الحزن لم يذق
لذة العبادة فان الحزن الذي يجد العبد من نفسه ان لم يبعثه
على النهوض والانكماش والاجتهاد فذلك من علامة الاغترار
وليس بمقام السالكين الابرار **ما استودع في غيب السرائر ظهر في**
شهادة الظواهر هذا بيان علامة يعرف بها حال المريد السالك
وما انغر به باطنه من المريد المتدارك لان الظاهر مراة الباطن
كما قيل الاسرة تدل على السرائر وما خامر القلوب فعلى الوجوه يلوح
اثره فما استودعه الله تعالى القلوب والاسرار لا بد ان تظهر اثار
ذلك على الجوارح فيستدل بشاهده العبد على غايبه من ارادة صحبته
والوصول به وما اشبه هذا من الاغراض والمقاصد قال ابو
حفص رض حسن ادب الظاهر عنوان حسن ادب الباطن قال
النبي صلى الله عليه وسلم قال لو خشع قلبه لخشعت جوارحه وقيل
لما قدم ابو حفص العراق جا اليه الجنيد فراى اصحاب ابي حفص وقوفا على
راسه ياتمرون لامره لا يخطي احد منهم فقال يا ابا حفص ادبت اصحابك
ادب الملوك فقال له يا ابا القاسم ولكن حسن الادب في الظاهر عنوان
ادب الباطن قلت واكثر من ذلك ان يعرف المريد نفسه ويكون

من امرها على بصيرة ولا يختلج بما يتوهمه صلاح سريرته دون علانيته فمن
ادعى بقلبه معرفة الله ومحبته ولم تظهر على ظاهره ثمرات ذلك واثاره
من اللهج بذكره والمسارعة الى متابعة امره والاغتباط بوجوده والاستبشار
عند تيقن شهوده والفرار من القواطع الشاغلة عنه والاضراب عن الوسائط
المبعدة عنه فهو كذاب في دعواه متخذ الهه هواه فان كان موصوفا
باضداد هذه الخصال فخوف ظاهر عن جادة الاعتدال فهو في دعواه
اكذب وحاله الى النفاق والشرك اقرب قال الشيخ ابو طالب المكي
رضه وقد جعل الله تعالى انه اذا ذكر الله تعالى وحده في شي انقبضت قلوبهم
واذا ذكر غيره في شي فرحوا وجعل من نعتهم انهم اذا ذكر الله بتوحيده وافراده
بشي غطوا وكرهوا واذا اشرك غيره في ذلك صدقوا به قال الله تعالى
واذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يومنون بالاخرة واذا ذكر
الذين من دونه اذا هم يستبشرون وقال ايضا ذلكم بانه اذا
دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تومنوا والمكفر التغطية والشرك
الخلط بذكره ذكر سواه ثم قال فالحكم لله العلي الكبير يعني لا يشركه
خلق في حكمه لانه العلي في عظمته الكبير في سلطانه لا شريك له في
ملكه وعطائه ولا نظير له بين عباده ففي دليل هذا الكلام وفهمه
من الخطاب ان المومنين اذا ذكر الله بالتوحيد والافراد في شي انشرحت
صدورهم واتسعت قلوبهم واستبشروا بذكره وتوحيده واذا ذكرت
الاواسط والاسباب التي دونه كرهوا ذلك واشمازت قلوبهم
وهذه علامة صحيحة فاعرفها من قلبك او من قلب غيرك لتستدل بها
على حقيقة التوحيد في القلب ووجود خفي الشرك في الاسرار كنت عارفا
انتهى قلت وهذه المسالة التي تضمنها كلام الشيخ ابي طالب المكي
رضه من اعظم المسايل وعلى صدق الصادق وكذب الكاذب من اوضح
الدلايل ولما كان قصدنا في هذا التنبيه على اغتنام ذكر الفوايد
العجيبة والحرص على رسم المقاصد الوهبية لغربة الدين في هذا الزمان

الرذل

الرذل واستيلاء الغرة والجهل على المنسوبين الى العلم والفضل حسن منا
ايراد هذه الكلمات على جهة ضرب المثل والاكتفا بالتنبيه عن العلل بعمل
بمقتضى ذلك مريد سالك وليتبهج من هنا صحة ربحه في دينه وقلبه
اوضح المسالك واحمل على هذا الاسلوب كل كلام لم يظهر لك مطابقته ولم
يتم في نظرك مناسبته لتسلم بذلك من الاعتراض وتقلوا همتك
عما تولع به اصحاب القلوب المراض عافانا الله تعالى واياك من ذلك
بمنه وفضله **من وجد ثمرة عمله عاجلا فهو دليل على وجود القبول**
ثمرة العمل وجدان الحلاوة فيه والتنعيم به ويتصور ذلك في اكثر الاعمال
بالمواظبة عليه على حال تكره واستثقال له هذا هو غالب الامر قال
بعض العارفين ليس شي من البر الا ودونه عقبة يحتاج الى الصبر
فيها فمن صبر على شدتها افضى الى الراحة والسهولة وانما هي مجاهدة النفس
ثم مخالفة الهوى ثم مكابدة في ترك الدنيا ثم اللذة والتنعم وقال
ثابت البناني رضي الله عنه كابدت القران عشرين سنة وتنعمت به
عشرين سنة وقال عتبة الغلام رضي الله عنه كابدت الليل عشرين
سنة ثم تنعمت به عشرين سنة وقال بعض الحكما كنت اقرا القران
فلا اجد حلاوة حتى تلوته كاني اسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتلوه على اصحابه رضي الله عنهم ثم رفعت الى مقام فوقه وكنت اتلوه كاني
اسمعه من جبريل عليه السلام يلقيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم جا الله بمنزلة اخرى فانا الان اسمعه من المتكلم به فعندها وجدت له
لذة ونعيما لا اصبر عنه وما ذكرناه من الحلاوة والنعيم انما تثمره الاعمال
الصحيحة المستقيمة السالمة من الريا والسمعة مقبولة مع قوله عز
وجل انما يتقبل الله من المتقين وقبول الله تعالى لعمل العبد ورضاه به
هو ثوابه المعجل كما يقوله المولف بعد هذا وذلك علامة على وجود الجزاء عليه
في الدار الاخرة فحسب ما ياتي في قوله الان وقال ابو سليمان الداراني
رضي الله عنه كل عمل ليس له ثواب في الدنيا ليس له جزاء في الاخرة فحصل من

هذا ان وجدان الحلاوة علامة على وجود القبول المقتضي لوجود الرضا
والجزا ولذلك قال الحسن رضه تفقدوا الحلاوة في ثلاثة فان
وجدتموها فابشروا وامضوا لقصدكم وان لم تجدوها فاعلموا ان
الباب مغلق عند تلاوة القران وعند الذكر وفي السجود وزاد غيره
وعند الصدقة وبالاسحار وقيل في قوله تعالى ولمن خاف مقام
ربه جنتان قال جنة معجلة وهي حلاوة الطاعة ولذة المناجاة
والاستيناس بفنون المكاشفات وجنة موجلة هي فنون المثوبات
وعلو الدرجات قلت وهذه الحلاوة المذكورة لا تكون الا في
مقام المعرفة الخاصة وهي التي تنافيها المعصية قيل لبعضهم هل
تعرف الله فغضب على السايل وقال اتراني اعبد من لا اعرفه
فقال له او تعصي من تعرفه وقيل لبعضهم بم تعرف انك عرفته فقال
لم اقصد مخالفته الا ورد على قلبي استحياؤه وقال اسمعيل
ابن نجيد رضي الله عنه التهاون بالامر من قلة المعرفة بالامر فاذا
العصيان في حال العرفان بعيد فان وقعت منه زلة او هفوة بحكم
وكان امر الله قدرا مقدورا وجد لذلك لا محالة مرارة والما في قلبه
فوجدان هذه المرارة والالم في المعصية علامة صحة ما وجد من الحلاوة
والنعيم في الطاعات فهذه هي الحلاوة التي هي الميزان للاعمال المقبولة
وغير المقبولة كما ذكرناه واما الحلاوة التي يجدها من دون اهل هذا
المقام في بعض العبادات فمدخولة معلولة الا ما فيها من تنشيط
العباد للمواظبة على العبادة والحلاوة على الاطلاق اذا وجدها العامل في العمل
لا ينبغي له ان يقف معها ولا يفرح بها ولا يسكن اليها وكذلك ايضا لا
ينبغي له ان يقصد بعمله الى نيلها لما له فيها من اللذة والحظ فان ذلك
ما يقدح في اخلاص عبادته وصدق ارادته وليكن اعتناؤه بحصولها
لتكون ميزانا لاعماله ومحكا لاحواله فقط قال الواسطي رضي الله عنه
استحلاء الطاعات سموم قاتلة قال في لطايف المنن ومقصود الواسطي

دو

رضه واقل ما في ذلك انك اذا فتح لك باب الحلاوة في الطاعة تصير
قايما فيها لطلب الحلاوة فيفوتك صدق الاخلاص في نهوضك لها
وتحب دوامها لا قياما بالوفا لكن لما وجدت من الحلاوة والمتعة فتكون
في الظاهر قايما لله تعالى وفي الباطن انما قمت لحظ نفسك ويخشى عليك
ان تكون حلاوة الطاعة جزاء تعجلته في الدنيا فتاتي يوم القيمة ولا
جزاء لك وجدان ثمرات الطاعة عاجلا بشاير العاملين بوجود الجزا
عليها آجلا ما يجده العاملون بطاعة الله في اعمالهم عاجلا من
مزيد الايمان واليقين وتنسم روح الانس ولذيذ القرب ولطيف
الوصل بشاير من الله تعالى عاجلة بوجود الجزاء عليها في الدار
الاخرة بانها مقبولة عند الله تعالى وقد تقدم هذا المعنى
ان اردت ان تعرف قدرك عنده فانظر فيما ذا يقيمك هذا ميزان
صحيح فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من اراد
ان يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله تعالى من قلبه فان
الله عز وجل ينزل العبد عنده حيث انزله العبد من نفسه وهذا
الانزال المذكور المنسوب الى العبد هو معنى الاقامة المذكورة
اذ العبد لا فعل له على التحقيق قال الفضيل بن عياض رضي الله عنه
انما يطيع العبد ربه على قدر منزلته منه وقال الشيخ ابو طالب
المكي رضه فاذا كان العبد لنظر مولاه مكرما ولحرماته معظما والى محبوبه
ومرضاته مسارعا كان الله عز وجل في اخرته لوجهه مكرما ولشعائره
معظما والى مسرته من النعيم المقيم مسارعا واذا كان العبد بحق
مولاه متهاونا وبامره مستخفا ولشعايره مستصغرا كان الله له عز
وجل مهينا وبشانه متهاونا والى ما يكره من العذاب الاليم له مسارعا
والعياذ بالله من ذلك قال وهب بن منبه رضه قرات في بعض الكتب
يا بن ادم اطعني فيما امرتك ولا تعلمني بما يصلحك اني عالم بخلقي انما اكرم
من اكرمني واهين من هان عليه امري لست بناظر في حق عبدي حتى ينظر

عبدك في حقي باب الوعظ وشرايطه تاثيره في القلوب من اذن
له في التعبير فهمت في مسامع الخلق عباراته وجليت اليهم اشاراته
الماذون له في التعبير هو الذي يتكلم لله وفي الله وبالله ولذلك كان
كلامه صوابا قال الجنيد رضه الصواب كل الصواب نطق عن اذن
اشار بهذا والله اعلم الى قوله تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال
صوابا فاذا قرع اسماع السامعين كلامه فهمت في مسامعهم عبارته
فلم يفتقروا الى معاودة ولا تكرار وجليت اليهم اشارته فلم يحتاجوا
الى اطناب ولا اكثار بخلاف غير الماذون له في ذلك قيل لسيدي
حمدون القصار رضه ما بال كلام السلف الصالح انفع من كلامنا
قال لانهم تكلموا لعز الاسلام ونجاة النفوس ورضا الرحمن
ونحن نتكلم لعز النفس وطلب الدنيا وقبول الخلق ربما برزت الحقايق
مكسوفة الانوار اذا لم يوذن لك فيها بالاظهار من لم يستكمل الاوصاف
المذكورة لم يوذن له في اظهار شي من الحقايق الربانية فان اظهرها
برزت مكسوفة الانوار لما غشيها من ظلمة روية الاغيار فمجتها
اذان السامعين وانكرتها قلوبهم وعلامة استكمال الاوصاف
المذكورة ان يفتح له باب التعبير مع وجود السلامة من افات المنطق
قال في لطايف المنن ان من اجل مواهب الله تعالى لاوليايه
وجود العبارة قال وسمعت شيخنا ابا العباس رضه يقول الولي
يكون مشحونا بالعلوم والمعارف والحقايق لديه مشهودة حتى اذا اعطي
العبارة كان كالاذن من الله تعالى له في الكلام قال وسمعت سيدي ابا
العباس يقول كلام الماذون له يخرج وعليه كسوة وطلاوة وكلام الذي لم
يوذن له يخرج مكسوف الانوار حتى ان الرجلين ليتكلمان بالحقيقة الواحدة
فتقبل من احدهما وترد على الاخر عبارتهم اما لفيضان وجد او لقصد هداية
مريد فالاول حال السالكين والثاني حال ارباب المكنة والمحققين انما يقع
التعبير منهم عما يطالعون به الامور الغيبية والعلوم الالهية لاحد معنيين اما

حال

حال غلبة الوجد عليهم وفيضانه وهم معذورون في ذلك لوجود الغلبة
وهذا حال السالكين من اهل البداية واما لقصد هداية مريد فلهم في ذلك
لما فيه من فايدة الارشاد والهداية وهذا حال اهل التمكين والمحققين
من اهل النهاية فان عبر السالك لا عن غلبة وجد كان في ذلك نوع من
الدعوى وان عبر المتمكن عن غير قصد هداية مريد كان ذلك افشاء
سر لم يوذن له فيه وايضا فحاله يقتضي وجود الصمت وعدم النطق
لانه في حضرة مولاه الحق تعالى يتلقى ما يرد على سمع قلبه من عجايب العلوم
وغرايب الفهوم فكيف يصدر منه نطق وتعبير على غير الوجه المذكور
والصمت من اداب الحضرة قال الله عز وجل وخشعت الاصوات للرحمن
فلا تسمع الا همسا العبارة قوت لعايلة المستمعين وليس لك الا ما انت له
اكل المستمعون موسومون بالفقر والحاجة الى معنى ما يستمعون اليه من
المواعظ والحكم وهو قوت قلوبهم وغذاء ارواحهم كما ان المستطعمين
والسوال موسومون بالفقر والفاقة الى قوت ابدانهم وكما ان اقوات هولا
مختلفة فلا يصلح لواحد من هولاء ما يصلح للاخر من الاطعمة والاشربة
لاختلاف طبايعهم وامزجتهم فكذلك اقوات الاخرين مختلفة فلا يصلح لواحد
منهم من العبارات التي تتضمن وجود القوت المعنوي ما يصلح للاخر
لاختلاف مذاهبهم وتباين مطالبهم فاذا سمعت عبارة من عالم او عارف
او واحد من اهل هذه الطريق ولم تحظ منها بشي فاعلم انها لا تصلح لقوتك
وغذايك وهي صالحة لقوم اخرين ومما ينتظم في هذا السلك ان
يقع اسماع بعض الناس من العبارة من بعض الاشخاص فيفهم منها معنى
لم يقصده المتكلم ويتاثر باطنه بذلك تاثيرا عجيبا وقد يقع ذلك لجماعة
من الناس فيفهم كل واحد منهم ما لا يفهمه الاخر ويحصل لهم بذلك التاثر
مع ان المتكلم لم يرد شيا من ذلك وربما كان مضادا له وقد يستمع ارباب
القلوب من الجمادات ويستمدون به لسني الحالات قال في لطايف
المنن وربما فهم من اللفظ ضد ما قصد واضعه كما اخبرنا الشيخ الامام مفتي

الانام تقي الدين محمد القشيري رحمه قال كان ببغداد فقيه يقال له الجوزي
يقري اثنا عشر علما فخرج يوما قاصدا للمدرسه فسمع منشدا يقول

اذا العشرون من شعبان ولت ... فواصل شرب ليلك بالنهار
ولا تشرب باقداح صغار ... فقد ضاق الزمان عن الصغار

قال فخرج هايما على وجهه حتى اتى مكه ولم يزل مجاورا بها حتى مات رحمه
الله قال وقرى على الشيخ مكين الدين الاسمر رحمه الله تعالى عليه قول القايل

لو كان لي مسعد بالراح يسعدني ... لما انتظرت لشرب الراح افطارا
الراح شي شريف انت شاربه ... فاشرب ولو حملتك الراح اوزارا
يا من يلوم على صهباء صافية ... خذ الجنان ودعني اسكن النارا

فقال انسان هناك لا يجوز قراة هذه الابيات فقال الشيخ مكين
الدين للقاري اقراها هذا رجل محجوب والشيخ مكين الدين هذا هو الذي
شهد له الشيخ ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنهما انه من السبعة الابدال
ويكفيك في هذا ان ثلثة سمعوا مناديا ينادي يا سعتر بري ففهم
كل منهم مخاطبة عن الله خوطب بها في سره سمع واحد اسع ترى بري
وسمع واحد الساعه ترى بري وسمع اخر ما اوسع بري فالمسموع واحد
واختلفت افهام السامعين كما قال سبحانه وتعالى يسقى بما واحد
ونفضل بعضها على بعض في الاكل وقال عز وجل قد علم كل اناس مشربهم
فاما الذي سمع اسع ترى بري فهو مريد دل على النهوض الى الله بالاعمال
فيستقبل الطريق بالجد فقيل له اسع الينا بصدق المعامله ترى برنا
بوجود المواصله واما الثاني فكان سالكا الى الله تعالى طاولته الاوقات
فخاف ان تفوته الوصله فقيل له ترويحا على قلبه لما احرقه نار الشوق
الساعه ترى بري واما الاخر فعارف كشف له عن وسع الكرم فخوطب من
حيث اشهد فسمع ما اوسع بري قال وقال الشيخ محي الدين بن عربي
دعانا بعض الفقرا الى دعوة بزقاق القناديل بمصر فاجتمع بها جماعة من
المشايخ فقدم الطعام وعمروا الاوعيه وهناك وعا زجاج قد اتخذ للبول

ولم

ولم يستعمل فقرب فيه رب المنزل الطعام فالجماعه ياكلون واذا الوعا
يقول منذ اكرمني الله باكل هولاء السادات مني لا ارضى لنفسي ان اكون
بعد ذلك محلا للاذى ثم انكسر نصفين فقال الشيخ محي الدين قلت
للجماعه سمعتم ما قال الوعا فقالوا نعم فقلت ما سمعتم فاعادوا القول
الذي تقدم فقلت قال قولا غير ذلك فقالوا وما هو قلت قال
كذلك قلوبكم قد اكرمها الله عز وجل بالايمان فلا ترضوا بعد ذلك ان
تكون محلا للنجاسه بالمعصيه وحب الدنيا جعلنا الله واياكم من اهل
النعيم عنه والتلقي منه قلت وهذه المنازع كلها ما تستملح وتستظرف
وتتاثر بها القلوب السليمه وتنقاد لها النفوس الكريمه وقد جرت عادة
ايمة هذا الطريق باستعمالها وايرادها في محالها فلا حرج علينا اذا
ذكرنا بعض ذلك اذا كانت له مناسبة تامة ووجدت فيها فايدة
خاصة او عامة وبالله التوفيق تسبق انوار الحكما اقوالهم فحيث صار
التنوير وصل التعبير والحكما هم العارفون بالله تعالى والعالمون به
والانوار المنسوبة اليهم هي انوار معرفتهم وهي قوة يقينهم فان الامور
كلها بيد الله تعالى لا شريك له فيها فاذا اراد وارشاد عباد الله
تعالى ونصيحتهم باذن من الله تعالى لهم سبقت انوار قلوبهم الى الله
تعالى بالالتجا والافتقار اليه في ان يتولى لهم امر قلوب عباده بان يجعل
فيها اهلية واستعدادا لقبول ما يريدون ايراده عليهم من كلام الحكمة
فيجيبهم الى ذلك فاذا تكلموا به تلقت قلوبهم التي وصل اليها اثار
انوار اسرار الحكما كما تتلقى الارض الميته وابل المطر فينتفعون بذلك
اتم الانتفاع وقد اوصى لقمن الحكيم ابنه فقال يا بني ما بلغت من حكمتك
قال لا اتكلف ما لا يعنيني قال يا بني انه قد بقي شي اخر جالس العلما
وزاحمهم بركبتيك فان الله تعالى يحيي القلوب الميتة بنور الحكمة كما يحيي
الارض الميته بوابل السماء وانما قلنا الحكما هم العارفون بالله تعالى
العالمون به لانهم خايفون من الله تعالى وفي بعض الاثار راس الحكمة

مخافة الله والخوف من ثمرات العلم بالله عز وجل قال الله تعالى انما
يخشى الله من عباده العلماء العلم الموجب للخشية هو العلم بالله تعالى
فقط فالحكماء هم العلماء بالله وان كانوا ضعفاء في سائر العلوم الرسمية
كليلة السنتهم في البيان عنها كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب
الذي برز منه اللسان ترجمان القلب فاذا صفا من الاكدار وتزكى
من الاغيار واشرقت فيه الانوار كانت ترجمانية لسانه على حسب ذلك
فيتكلم بالكلام النوراني الذي يلج اذان السامعين فتنفتح به اقفال
قلوبهم ويستجيبون لنداء جنبيهم روى الحافظ ابو نعيم رحمه الله عن
سعيد بن عاصم قال كان قاص يجلس قريبا من مسجد محمد بن واسع
فقال له يوما وهو يوبخ جلساءه ما لي ارى القلوب لا تخشع وما لي
ارى العيون لا تدمع وما لي ارى الجلود لا تقشعر فقال محمد بن واسع
يا عبد الله ما ارى القوم اتوا الا من قبلك ان الذكر اذا خرج من القلب
وقع على القلب قلت وقد حاز المؤلف رحمه الله قصب السبق
في هذا المعنى الذي ذكره ومن مارس كلامه في هذا الكتاب وفي غيره
وحصل له منها التاثير المحمود يسلم ما قلناه وكفى بشهادة شيخه ابا
العباس المرسي رض على عظم قدره ودعايه له برهانا على ذلك قال
في لطايف المنن وكنت قد قلت لبعض اصحاب الشيخ يعني ابا العباس
اريد لو نظر الي الشيخ برعايته وجعلني في خاطره فقال ذلك للشيخ فلما دخلت
على الشيخ قال رضي الله عنه لا تطالبوا الشيخ بان تكونوا في خاطره بل طالبوا
ان يكون الشيخ في خواطركم فعلى مقدار ما يكون عندكم تكونوا عنده ثم قال
اي شي تريد ان تكون والله ليكونن لك شان عظيم والله ليكونن لك كذا لم
اثبت منه الا على قوله ليكونن لك شان ليكونن لك شان عظيم قال فكان
من فضل الله سبحانه ما لا انكره قال واخبرني سيدي جمال الدين ولد
الشيخ قال قلت للشيخ هم يريدون ان يصدروا ابن عطاء في الفقه فقال
الشيخ هم يصددونه في الفقه وانا اصدره في التصوف قال ودخلت عليه فقال

اذا اعوى الفقيه ناصر الدين يجلسك في موضع جدك ويجلس الفقيه من ناحيه
وانا من ناحيه وتتكلم ان شاء الله في العلمين فكان ما اخبر به رضي الله عنه
قال وسمعته يقول اريد ان استنسخ كتاب التهذيب لولدي جمال الدين
فذهبت انا فاستنسخته من غير ان اعلم الشيخ فاتيت بالجزء الاول فقال
ما هذا قلت كتاب التهذيب استنسخته لكم فاخذه فلما نهض للقوم
قال اجعل بالك الولي لا يتفضل عليه احد تجد هذا في ميزانك ان شاء
الله تعالى فلما اتيته بالجزء الثاني لقيني بعض اصحابه عند نزولي من
عنده قال قال الشيخ عنك والله لا جعلنه عينا من عيون الله يقتدى
به في علم الظاهر والباطن فلما اتيته بالجزء الثالث ونزلت من عنده
لقيني بعض اصحابه وقال طلعت عند الشيخ فوجدت عنده مجلدة حمراء
فقال هذا الكتاب استنسخه لي ابن عطاء الله والله ما ارضى له بجلسه
جده ولكن بزيادة التصوف وقال واخبرني بعض اصحابه قال قال
الشيخ يوما اذا جاء ابن فقيه الاسكندرية فاعلموني فلما اتيت اعلموا الشيخ
بك قال تقدم فقدمك بين يديه ثم قال جاء جبريل عليه الصلاة والسلام
ومعه ملك الجبال حين كذبته قريش فقال له هذا ملك الجبال قد امره
الله تعالى ان يطيع امرك في قريش فسلم عليه ملك الجبال فقال يا محمد ان
شئت ان اطبق عليهم الاخشبين فعلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا ولكني ارجو ان يخرج الله من اصلابهم من يوحد الله تعالى ولا يشرك به
شيا فصبر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء ان يخرج الله من اصلابهم
كذلك صبرنا على جد هذا الفقيه لاجل هذا الفقيه قال وخرجت يوما
من عند الفقيه المكين الاسمر رض وخرج معي ابو الحسن الحريري وكان من اصحاب
الشيخ ابي الحسن رض فسلمت عليه وسلم علي ببشاشة واقبال فقلت له من
اين تعرفني قال وكيف لا اعرفك كنت يوما جالسا عند الشيخ ابي العباس
وكنت انت عنده فلما نزلت قلت له يا سيدي انا يعجبني هذا الشاب
انقطع فلان وفلان عن الملازمة وهذا الشاب ملازم قال فقال الشيخ رض

يا أبا الحسن انه لن يموت هذا الشاب حتى يكون داعيا يدعو الى الله تعالى
فكان مما قال الشيخ رض قال وكنت كثيرا ما يطرا علي الوسواس في الطهارة
فبلغ ذلك الشيخ رض فقال بلغني ان بك وسواسا في الوضوء قلت
نعم فقال رض هذه الطايفة تلعب بالشيطان لا الشيطان يلعب بها
ثم تمكنت ايام ودخلت عليه فقال ما حال ذلك الوسواس قلت على
حاله فقال ان كنت لا تترك الوسوسه فلا تاتنا فشق علي ذلك وقطع
الله الوسواس عني قال وكان رضي الله عنه يلقن للوسواس سبحان
الملك الخلاق ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز
قال وعملت قصيدة امدحه بها فقال حين انشدت ايدك الله
بروح القدس وقال ثم عملت قصيدة اخرى باشارته جوابا لقصيدة
مدحه بها انسان من بلاد العجم فلما قريت عليه قال رض صحبني هذا
الفقيه وبه مرضان وقد عافاه الله منها ولا بد ان يجلس ويتحدث
في المجلس يشير الشيخ رض الى مرض الوسوسه قال فلقد انقطع
عني ببركة الشيخ حتى صرت اخاف ان اكون لشدة التوسعه التي
احدها قد تساهلت في بعض الامر والمرض الاخر كان لي الم براسي
فشكوت ذلك اليه فدعا لي فعافاني الله وشفاني قال وبت ليلة
من الليالي مهموما فرايت الشيخ في المنام فشكوت عليه ما انا فيه
فقال اسكت والله لا علمنك علما عظيما فلما انتبهت جيت الي الى الشيخ
رض وقصصت عليه الرويا فقال هذا يكون ان شا الله قال
وجاء يوما من السوق فخرجنا للقايه فلما سلمت عليه قال لي يا احمد كان
الله لك ولطف بك وسلك بك سبيل اوليايه وبهاك بين خلقه
قال فلقد وجدت بركات هذا الدعا وعلمت انه لا يمكنني الانقطاع
عن الخلق واني مرادهم لقوله وبهاك بين خلقه قال وكنت انا الامر
من المنكرين وعليه من المعترضين لا لشي سمعته منه ولا لشي صح نقله عنه
حتى جرت بيني وبين بعض اصحابه مقاولة وذلك قبل صحبتي اياه وقلت

لذلك الرجل ليس الا اهل العلم الظاهر وهولاء القوم يدعون امورا
عظاما وظاهر الشرع ياباها فقال ذلك الرجل بعد ان صحبت الشيخ
تذكر ما قال لي الشيخ يوم تخاصمنا قلت لا قال دخلت عليه فاول
ما قال لي هولاء كالحجر ما اخطاك منه خير مما اصابك فعلمت ان الشيخ
كوشف من امرنا ولعمري لقد صحبت الشيخ اثنا عشر عاما فما سمعت
منه شيا ينكره ظاهر العلم من الذي كان ينقله عنه من يقصد الاذى
قال وكان سبب اجتماعي معه ان قلت في نفسي بعد ان جرت المخاصمه
بيني وبين ذلك الرجل دعني اذهب فاري هذا الرجل فصاحب
الحق له امارات لا يخفى شانه قال فاتيت الى مجلسه فوجدته يتكلم
في الانفاس التي امر الشاب بها فقال الاول اسلام والثاني
ايمان والثالث احسان وان شيت قلت الاول عباده والثاني
عبوديه والثالث عبوده وان شيت قلت الاول شريعه والثاني
حقيقه والثالث تحقق ونحو هذا فما زال يقول وان شيت الى ان
ابهر عقلي وعلمت ان الرجل انما يغرف من فيض بحر الهي ومدد رباني
فاذهب الله تعالى ما كان عندي ثم اتيت تلك الليلة الى المنزل
فلم اجد شيا يقبل الاجتماع بالاهل على عادتي ووجدت معنا غريبا
لا ادري ما هو فانفردت في مكان انظر الى السماء والى كواكبها
وما خلق الله فيها من عجايب قدرته فحملني ذلك على العود اليه مرة
اخرى فاتيت فاستوذن لي عليه فلما دخلت عليه قام وتلقاني ببشاشه
واقبال حتى دهشت خجلا واستصغرت نفسي ان اكون اهلا لذلك
فكان اول ما قلت له يا سيدي انا والله احبك فقال احبك الله كما احببتني
ثم شكوت له ما اجد من هموم واحزان فقال احوال العبد اربعة لا خامس
لها النعمة والبلية والطاعة والمعصية فاذا كنت بالنعمة فمقتضى الحق
منك الشكر وان كنت بالبلية فمقتضى الحق منك الصبر وان كنت بالطاعة
فمقتضى الحق منك شهود المنة عليك وان كنت بالمعصية فمقتضى الحق منك

شهود المنة عليك وان كنت بالمعصية فمقتضى الحق منك وجود الاستغفار
قال فقمت من عنده وكانما كانت تلك الهموم والاحزان ثوبا نزعته قال
ثم سالني بعد ذلك بمدة فقال كيف حالك فقلت افتش على الهم فلا اجده فقال

ليلي بوجهك مشرق ، وظلامه في الناس ساري
والناس في سدف الظلام ، ونحن في ضوء النهار

[illegible] فوالله ان لزمت لتكونن مفتيا في المذهبين يريد مذهب اهل
الشريعة اهل العلم الظاهر ومذهب اهل الحقيقة اهل العلم
الباطن انتهى ما نقلته من لطائف المنن وانما اوردت ذلك ههنا على
طوله ليعرف به قدر المولف رحمه الله وليدفع بواضح برهانه طعن الطاعن
وتعسف المتعسف وليتعرض بذلك لنزول الرحمة من الله تعالى
علينا وموالاة منحه وعطاياه لدينا وقد قيل عند ذكر الصالحين تنزل
الرحمة مع ما في ذلك من قرب المناسبة لمعنى ما اورده المولف من الكلام
الحائز به قصب السبق بين من عاصره من الائمة والاعلام واما شيخه
ابو العباس وشيخ شيخه ابو الحسن فحالهما اوضح من نار على علم وقد
طرزت بكلامهما الكتب والدفاتر وزهيت بماثرهما وعلومهما الالسنة والاقلام
والصحف والمحابر ولولا خشية الملالة وكراهة الاطالة لذكرنا من
ذلك ما يبهر عقول السامعين والمطالعين ويرغم اناف الجاحدين والمعاندين
سيكفيك من ذكر المسمى اشارة ، ودعه مصونا بالجمال محجبا ،

باب الشكر من لم يقبل على الله تعالى بملاطفات الاحسان قيد اليه بسلاسل الامتحان النفوس الكريمة تقبل على الله تعالى بملاطفات
احسانه وموالاة فضله وامتنانه والنفوس اللئيمة لا تنقاد الا بسلاسل
الامتحان ووقوع المصائب في الاموال والابدان والقود بالسلاسل
استعارة حسنة قال سيدي ابو مدين رضه سنته عز وجل استدعاء
العباد لعبادته بسعة الارزاق ودوام المعافاة ليرجعوا اليه بمعرفته
وبنعمته فان لم يفعلوا ابتلاهم بالسراء والضراء لعلهم يرجعون لان مراده عز وجل رجوع

العبد

العبد اليه طوعا او كرها **من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها** شكر النعم موجب لبقائها والزيادة منها وكفرانها وعدم
شكرها موجب لزوالها وانقضائها قال الله تعالى ان الله لا
يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم اي اذا غيروا ما بهم من الطاعات
وهي شكر النعم غير الله تعالى ما متعهم من الاحسان والكرم واجمعت
حكماء العرب والعجم على هذه اللفظ فقالوا الشكر قيد النعم وقالوا الشكر
قيد الموجود وصيد المفقود وكان يقال النعم اذا روعيت بالشكر
فهي اطواق واذا روعيت بالكفر فهي اغلال والشكر على ثلاثة اوجه
شكر بالقلب وشكر باللسان وشكر بسائر الجوارح فشكر القلب ان تعلم
ان النعم كلها من الله تعالى قال الله عز وجل وما بكم من نعمة فمن الله و
شكر اللسان الثنا على الله وكثرة الحمد والمدح له ويدخل فيه التحدث
بالنعم واظهارها ونشرها قال الله تعالى واما بنعمة ربك فحدث
وقال عمر بن عبد العزيز رضه تذاكروا النعم فان ذكرها شكر ومن
شكر اللسان ايضا شكر الوسايط بالثنا عليهم والدعا لهم وفي حديث
النعمان بن بشير رضه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله وعن
اسامة بن زيد رضه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اشكر الناس لله اشكرهم للناس وسياتي الكلام على هذا المعنى ان
شا الله تعالى عند كلام المولف رحمه الله ان كانت عين القلب تنظر
الى ان الله تعالى واحد في منته الى اخره وشكر ساير الجوارح ان يعمل
بها العمل الصالح قال الله تعالى اعملوا ال داود شكرا وقليل
فجعل العمل شكرا وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قام
حتى انتفخت قدماه فقيل يا رسول الله اتفعل هذا وقد غفر الله لك
ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال افلا اكون عبدا شكورا وسال
رجل ابا حازم رضي الله عنه فقال له ما شكر العينين قال اذا رايت

سر استرته قال فاشكر الاذنين قال ان سمعت بهما خيرا وعيته
وان سمعت بهما شرا دفنته قال فما شكر اليدين قال لا تاخذ بهما ما ليس
ولا تمنع حقا لله هو فيهما قال فما شكر البطن قال ان يكون اسفله صبرا واعلاه
علما قال فما شكر الفرج قال كما قال الله تعالى والذين هم لفروجهم
حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين قال
فما شكر الرجلين قال ان رايت شيا غبطته استعملتهما عليه وان رايت
شيا مقته كففتهما عن عمله وانت شاكر لله تعالى فاما من شكر بلسانه
ولم يشكر بجميع اعضايه فمثله كمثل رجل له كساء ياخذ بطرفه ولم
يلبسه فلم ينفعه ذلك من الحر والبرد والثلج والمطر واجمع العبارات
للشكر قول من قال الشكر معرفة بالجنان وذكر باللسان وعمل
بالاركان والقدر اللازم من شكر النعم ما قاله الجنيد رض حين
ساله سري رض قال الجنيد كنت بين يدي السري وانا ابن
سبع سنين وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر فقال لي يا غلام ما
الشكر فقلت ان لا يعصى الله بنعمه فقال يوشك ان يكون حظك
من الله لسانك فلا ازال ابكي على هذه الكلمة **ربما وردت الظلم
عليك ليعرفك قدر ما من به عليك** الظلم اضداد الانوار فما من نور
الا وفي مقابلته ظلمة وكل ظلمة على قدر نورها والشي يعرف بضده كما قيل
وبضدها تتبين الاشياء فما ورد عليك من الظلمات الحجبية
والغيبة في ليالي الهجر والفرقة فانما ذلك ليعرفك قدر ما من به عليك
من انوار التجلي والحضور في نهار القرب والوصلة فجميع ذلك نعم سابقة
عليك من غير علم منك بذلك **من لم يعرف قدر النعم بوجدانها عرف
بوجود فقدانها** اكثر الناس لا يعرفون قدر النعم الا اذا فقدوها وذلك
لاجل غلبة الغفلة عليهم حين وجودها عندهم قال سري رض من لم
يعرف قدر النعم سلبها من حيث لا يعلم وقال الفضيل رض عليكم
بملازمة الشكر على النعم فقل ما زالت نعمة عن قوم فعادت اليهم وقال

بعض

بعض العلماء اذا كانت النعمة وسيمة فاجعل الشكر لها تميمة وقال اخر
شكر النعمة عصمة من حلول النقمة وفي هذا المعنى قيل انما يعرف قدر الماء
من بلي بعطش البادية لا من كان على شاطي الاودية الجارية وقيل
ايضا الولد العاق المصر على تاديبه انما يعرف قدر الاب يوم وفاة
ابيه وقيل نعم الله تعالى مجهولة تعرف اذا فقدت ومن دعاء بعض
الصالحين رضي الله عنهم عرفنا نعمك بدوامها ولا تعرفنا لها بزوالها
فلاجل غلبة الجهل بالنعم الا عند الفقد وتضييع الشكر عليها من
العبد امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنظر الى من هو اسفل
منا لئلا نزدري نعمة الله علينا والسعيد من وعظ بغيره قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي عن ابي هريرة رض انظروا
الى من هو اسفل منكم ولا تنظروا الى من هو اعلى منكم فهو اجدر ان لا
تزدروا نعمة الله عليكم وروي عنه صلى الله عليه وسلم ايضا انه قال
اذا نظر احدكم الى من فضل عليه بالمال والخلق فلينظر الى من هو اسفل
منه ممن لم يفضل عليه قال الامام ابو حامد رض وكان بعض الصوفية
رحمه الله وظف على نفسه كل يوم ان يحضر دار المرضى فيشاهدهم
ويشاهد عللهم ومحنهم ويحضر حبس السلطان ويشاهد ارباب
الجنايات ومحنهم في التعرض لاقامة العقوبات ويحضر المقابر
فيشاهد اصحاب العزا وتاسفهم على ما لا ينفع من اشتغال
الموتى بما هم فيه وكان يعود الى بيته ويشتغل بالشكر طول النهار
على نعم الله تعالى عليه في تخليصه من تلك البلايا انتهى وكان
الربيع بن خثيم رضي الله عنه حفر في داره قبرا وكان يضع في عنقه
غلا وينام في لحده ثم يقول رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت ثم
يقوم ويقول يا ربيع قد اعطيت ما سالت فاعمل قبل ان تسال الرجوع
فلا ترد وهذا كله موافق لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديثين
المذكورين ولا طريق للعبد الغافل الى تعرف النعم الموجودة لديه ابلغ

منه فاذا عرفت نعم الله تعالى اشتغل بالشكر عليها من قبل ان تزول
عنه ولا يكون له سبيل اليها وقد تقدم من كلام المؤلف رحمه الله
تعالى من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها
بعقالها **لا تدهشك واردات النعم عن القيام بحقوق شكرك
فان ذلك مما يحط من وجود قدرك** اذا ترادفت نعم الله تعالى
عليك فلا ينبغي ان تدهشك عن القيام بشكرها من حيث ترى عجز
نفسك عن توفية ذلك وان لا قبل لك به فتتركه فان الله تعالى
رفع قدرك واعلا امرك وجعل القليل منك كثيرا واشهدك من حسن
توليه لك ونسبة افعالك اليه ما يوذن بعظم سيادتك ورفع قدرك فلم
تبخس نفسك حقها وتحطها عن قدرها فتراها عاجزة عن الشكر والقيام
بمقتضى الامر لا على وجه الادب والاتيان من الشكر بما وجب كان
الامر في ذلك اليها قال سهل بن عبد الله رض ما من نعمة الا والحمد
افضل منها والنعمة التي الهم بها الحمد افضل من الاولى لان بالشكر
يستوجب المزيد وفي اخبار داود عليه السلام انه قال الهي ابن
ادم ليس فيه شعرة الا وتحتها نعمة وفوقها نعمة فمن اين يكافيها فاوحى
الله عز وجل اليه يا داود اني اعطي الكثير وارضى باليسير وان
شكر ذلك ان تعلم ما بك من نعمة فمني وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز
رضي الله عنه وعنهم اليه اني بارض كثرت فيها النعم حتى لقد اشفقت
على من قبلي ضعف الشكر فكتب اليه عمر رضي الله عنه اني كنت اراك
اعلم بالله مما انت ان الله تعالى لم ينعم بنعمة على عبد فحمد الله تعالى عليها
الا كان حمده افضل من نعمته لو كنت لا تعرف هذا الا في كتاب الله المنزل
قال الله تعالى ولقد اتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي
فضلنا على كثير من عباده المومنين وقال تعالى وسيق الذين اتقوا
ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاوها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها
سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله واي نعمة افضل من دخول الجنة

متى

متى رزقك الطاعة والعبادة عليها فاعلم انه اسبغ عليك نعمه ظاهرة وباطنة
المطلوب من العبد شيئان اقامة الامر في الظاهر والتعلق بالله في الباطن
وهو الاستغناء به عن غيره فاذا رزق الله تعالى العبد هذين الامرين
فقد اسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة واوصله الى غاية الامل في الدنيا
والاخرة سبحانه جل وعلا **من تمام النعمة عليك ان يرزقك ما يكفيك
ويمنعك ما يطغيك** وجدان الكفاية من الرزق وعدم الزيادة عليها
والنقصان منها من نعم الله تعالى التامة الكاملة على العبد لما له
في ذلك من حصول جميع المصالح الدنيوية والدينية اما مصالح الدين
في عدم الزيادة على الكفاية فظاهر اذ لو وجدها ربما اوجب له ذلك
طغيانا كما قال تعالى كلا ان الانسان ليطغى ان راه استغنى فالاستغنا
هو وجود الزيادة على الكفاية وهو سبب الطغيان والطغيان اصل
كل معصية لله عز وجل وقصة ثعلبة بن حاطب حين طلب الدعا
من النبي صلى الله عليه وسلم ان يرزقه الله تعالى مالا وما ال اليه
امره امر مشهور وقال سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خير الرزق ما يكفي وخير الذكر
الخفي وفي حديث ابي الدرداء رض عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال ما طلعت الشمس ولا غربت الا بجنبيها ملكان يناديان
يسمعان الخلايق غير الثقلين ايها الناس هلموا الى ربكم ما قل وكفى
خير مما كثر والهى او كما قال صلى الله عليه وسلم واما مصالح الدنيا في ذلك
فمر التنبيه عليها في قول المؤلف رحمه الله ليقل ما تفرح به يقل ما
تحزن عليه واما مصالح الدين عند وجود الكفاية وعدم نقصانها
فمن اجل توصله بذلك الى الاستعانة بها على طاعة الله تعالى ولاجل
ذلك عظمت النعمة بها على العبد قال الله تعالى وابتغ فيما اتاك الله الدار
الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا اي لا تنس نصيبك في الاخرة ان تتوصل
اليه بما اتاك من الدنيا واما مصالح الدنيا في ذلك فظاهر لا يحتاج الى

التنبيه عليه اذ بذلك يحصل له طيب العيش وراحة القلب والبدن
وصيانة الوجه عن ذل المسالة عند وجود الحاجة والفاقة فعلى العبد
ان يشكر الله تعالى على هذه النعمة العظيمة ويقنع بما اباح له من هذه المنة
الجسيمة فيستعجل بذلك راحة نفسه والاستغنا عن بني جنسه ويحصل
له بذلك حلاوة الزهد في الامور العاجلة وتجافي القلب عن زهراتها
فان طلب الزيادة من الدنيا ولم يقنع بما قسم له منها خيف عليه من اقتحام
المهالك اذ يجره الطمع والحرص الى ذلك قال بعض العارفين
كل من لا يعرف قدر ما زوي عنه من الدنيا ابتلي باحد وجهين اما
بحرص مع فقر ينقطع به حسرات او رغبة في غنى ينسيه شكر ما انعم
به عليه وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس
الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس وغنى النفس من الدنيا
شرف الاوليا المختارين وعن اهل التقوى من المومنين المحسنين
ولقد صدق الشاعر في قوله
غنى النفس ما يكفيك من سد خلة • فان زاد شيا عاد ذاك الغنا فقرا
يحكى عن بنان بن الحمال رضي الله عنه قال كنت مطروحا ولي على باب بني
شيبة سبعة ايام لم اذق شيا فنوديت في سري ان من اخذ من الدنيا
فوق ما يكفيه اعمى الله عيني قلبه وقال عبد الواحد بن زيد رحمه الله
ذكر لي ان في خراب الابلة جارية مجنونة تنطق بالحكمة فلم ازل اطلبها
حتى وجدتها في خربة جالسة على حجر وعليها جبة صوف وهي محلوقة
الراس فلما نظرت الي قالت من غير ان اكلمها مرحبا بك يا عبد الواحد
قلت لها رحمك الله وعجبت من معرفتها بي ولم ترني قبل ذلك فقالت
ما الذي جابك الى هاهنا قلت جيت لتعظيني قالت واعجبا لواعظ يوعظ
ثم قالت يا عبد الواحد اعلم ان العبد اذا كان في كفاية ثم مال الى
الدنيا سلبه الله حلاوة الزهد فيظل حيران والها فان كان له
عند الله نصيب عاتبه وحيا في سره فقال عبدي اردت ان ارفع قدرك

بين

بين ملايكتي وحملة عرشي واجعلك دليلا لاوليايي واهل طاعتي في
ارضي فملت الى عرض من اعراض الدنيا وتركتني فورثتك بذلك الوحشة
بعد الانس والذل بعد العز والفقر بعد الغنا عبدي ارجع الى ما كنت
عليه ارجع لك الى ما كنت تعرفه من نفسك قال ثم تركتني وولت عني ثم
انصرفت وبقلبي حسرة منها وفي بعض الكتب ان اهون ما اصنع بالعالم
اذا مال الى الدنيا ان اسلبه حلاوة مناجاتي وذكر ابو ابرهيم اسحق بن
ابرهيم التجيبي القرطبي المالكي رحمه الله في كتاب النصايح له عن ابي عبد
الله الشامي نفر الدمشقي انه كان من اكثر اهل دمشق مالا فخرج مسافرا
فامسى الى جانب نهر ومرعى فنزل به قال فسمعت صوتا يكثر حمد الله تعالى
في ناحية المرج فاتبعته فوافيت رجلا ملفوفا في حصير فسلمت عليه فقلت
من انت يا عبد الله قال رجل من المسلمين قلت فما حالك هذه قال حال
نعمة يجب علي حمد الله عليها قال فقلت وكيف وانما انت في حصير قال
وما لي لا احمد الله وقد خلقني فاحسن خلقي وجعل منشاي ومولدي
في الاسلام والبسني العافية في اركاني وستر علي ما اكره ذكره
ونشره فمن اعظم نعمة ممن امسى في مثل ما انا فيه فقلت له ان رايت رحمك
الله ان تقوم معي الى المنزل فانا نزول على النهر هاهنا قال ولم قلت
لتصيب من الطعام ونعطيك ما يغنيك عن لبس الحصير قال ما لي فيه حاجة
فراودته على ان يتبعني فابى فانصرفت وقد تقاصرت في نفسي ومقتها ازلم
اخلف بدمشق رجلا يكاثرني في غناي وانا التمس الزيادة فقلت اللهم اني
اتوب اليك من سو ما انا فيه فبت لا يعلم اعواني ما اجمعت عليه فلما كان
من السحر رحلوا كنحو رحلتهم فيما مضى وقدموا الى دابتي فصرفتها الى دمشق
فقلت ما صدقت في التوبة ان مضيت الى متجري فسالني القوم فاخبرتهم
وعاتبوني على المضي فابيت فلما قدم دمشق وضع يده يتصدق بماله فما زال
يفرقه في سبيل الخير حتى احتضر فما وجدوا عنده الا قدر ثمن الكفن
زاد غير ابي ابرهيم وكان يقول يعني ابا عبد الله المذكور والله لو ان نهركم

يعني بهر دمشق سال ذهبا ما خرجت اليه ولا اخذت شيا منه ولو قيل
لي من مس هذا العمودمات لمت اليه وعانقته شوقا الى الله ورسوله متى
جعلك في الظاهر ممتثلا لامره ورزقك في الباطن الاستسلام لقهره فقد
اعظم المنة عليك هذان الامران هما اللذان يلزمانك في اقامة العبودية لربك
لا غير فمتى يسرهما الله تعالى لك واقامك في مراعات احكامها ووفقك
لذلك فقد اعظم المنة عليك فلماذا تتشوف وما الذي تلتمس بعدهما ان كنت
عبدا حقيقيا قال سيدي ابو الحسن رضه صحبت اخا في الله تعالى في
البداية فاعترتنا في مغارة علينا ان نكون من اوليا الله تعالى وانه يفتح
الله تعالى علينا بما فتح عليهم فاقمنا زمانا نقول لعل في هذه الجمعة لعل
في هذا الشهر فلم يفتح الله علينا فنحن كذلك فاذا بشيخ على باب المغارة
يستاذن فاذنا له فدخل فسلم ووقف علينا فقلنا له من انت قال عبد
الملك فعلمنا انه من اوليا الله فقلنا له كيف حالك فقال كيف حالك كيف
حالك يرددها كالمنكر علينا ثم قال كيف حال من يقول لنفسه في هذه
الجمعة اكون وليا في هذا الشهر اكون وليا فلا ولاية ولا فلاح ولا دنيا
ولا اخرة يا نفس لم لا تعبدين الله تعالى كما امرك مخلصة لوجهه الكريم قال
الله عز وجل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ثم انصرف عنا فانتبهنا
لغلطنا وتبقضنا من اين دخل علينا وعلمنا ان الله تعالى رحمنا به فرجعت
على نفسي باللوم والتوبيخ وقلت لها يا نفس من انت وما عملك وما
خطك انت لا شي وتبنا واستغفرنا الله تعالى قال ففتح الله علينا
بجوده وفضله مراسله في مراتب الشكر الثلثة ان كانت عين
القلب تنظر الى ان الله تعالى واحد في منته فالشريعة تقتضي ان لا
بد من شكر خليقته اذا وصل الحق تعالى اليك نعمة على يد انسان سواء
كانت دينية او دنيوية فعليك في ذلك وضيفتان احدهما ان تشهد
انفراد الله تعالى بذلك فلا ترى النعمة الا منه وحده وترى من سواه مجرى
اجراها على يديه مقهورا مجبورا على ذلك مسلطا عليه الدواعي والبواعث

حتى

حتى لا يجد انفكاكا عنه وهذا هو حق التوحيد والثانية ان تشكر من وصلت
اليك على يديه بان تدعو له وتثني عليه امتثالا لامر الله تعالى وعملا بما جا
به الشريعة قال الله تعالى ان اشكر لي ولوالديك وفي حديث النعمان
ابن بشير رضه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم يشكر القليل
لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله وفي حديث اسامة
ابن زيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشكر
الناس لله اشكرهم للناس ولان الله تعالى اختصه بان اقامه في ذلك
واهله له ومن اسمايه تعالى الشكور فليتخلق العبد بذلك وهذا هو
حق الشرع وان الناس في ذلك على اقسام ثلثة غافل منهمك في غفلته
قويت دايرة حسه وانطمست حضرة قدسه فنظر الاحسان من
المخلوقين ولم يشهده من رب العالمين اما اعتقادا فشركه جلي واما
استنادا فشركه خفي هذا بيان احوال الناس بالنسبة الى مشاهدة التوحيد
ورؤية الوسايط والعبيد فبدا بذكر عامة الناس وهم الغافلون المنهمكون
في غفلتهم اصحاب الظواهر والرسوم الذين قويت داير حسهم فقيدتهم
ووقفوا معها وانطمست حضرة قدسهم فبعدتهم ولم يحلوا بها فشهدوا الاحسان
من المخلوقين فتعبدوا لهم وطمعوا فيهم ولم يشهدوه من رب العالمين فكفروا
بنعمة الله واستوجبوا سخطه ونقمته ثم هم في ذلك على قسمين احدهما ان يعتقدوا
ذلك اعتقادا بقلوبهم انه منهم ومن قبلهم وهذا هو الشرك الجلي الذي
يخرج صاحبه عن دايرة الاسلام ويوقعه في الكفر والعياذ بالله والثاني
ان يحصل ذلك منهم استنادا اي اعتمادا الى غير الله تعالى وسكونا الى
سواه مع سلامة عقدهم وهذا هو الشرك الخفي الذي يخرج صاحبه من حقايق
الايمان ويدخله في ابواب النفاق ونعوذ بالله من الشرك جليه وخفيه
وصاحب حقيقة غاب عن الخلق بشهود الملك الحق وفني عن الاسباب بشهود
مسبب الاسباب فهذا عبد مواجه بالحقيقة ظاهر عليه سناها سالك
الطريقة قد استولى على مداها غير انه غريق الانوار ومطموس الاثار

وقد غلب سكره على صحوه وجمعه على فرقه وفناؤه على بقايه وغيبته على حضوره

هذا هو حال الخاصه من ارباب الحقايق وهم الذين غابوا عن الخلق بشهود
الملك الحق فلم يبق لهم شعور بهم ولا التفات اليهم وقفوا عن الاسباب
برويه مسبب الاسباب فلم يروا بها فعلا ولا جعلا فهم مواجهون بحقيقة
الحق ظاهر عليهم سناها اي نورها وضياها سالكون طريقة الحق
قد استولوا على مداها اي وصلوا الى غايتها الا انهم غرقا في بحار الانوار
التوحيد مطموس عليهم اثار الوسايط والعبيد اي مغلق عليهم
رويه ذلك والشعور به قد غلب سكرهم وهو عدم احساسهم بالاغيار
على صحوهم وهو وجود احساسهم وجمعهم وهو ثبوت وجود الحق على فرقهم وهو
ثبوت وجود الخلق وفناوهم وهو استهلاكهم في شهود الحق على بقايهم
وهو شعورهم بالخلق وغيبتهم وهو ذهاب احوال الخلق عن نظرهم
على حضورهم مع الخلق ومعاني هذه الالفاظ كما تراها متقاربه وهي
الفاظ تداولها الصوفيه المحققون بينهم وعبروا بها في كتبهم ووضعوها
على معان اختصوا بفهمها ليعرفوا بعضهم من بعض ما يخاطبون به ولهم
الفاظ كثيرة غيرها وكان المولف رحمه الله تعالى اراد ان لا يخلو
كتابه عن ذكر شي منها **واكمل منه عبد شهد فازداد صحوا وغاب فازداد**
حضورا فلا جمعه يحجبه عن فرقه ولا فرقه يحجبه عن جمعه ولا فناوه يصرفه
عن بقايه ولا بقاوه يصده عن فنايه يعطي كل ذي قسط قسطه ويوفي كل
ذي حق حقه هذا هو حال الخاصة الذين حازوا الرتبة الاكملية وهم
قوم شربوا كووس التوحيد فازداد صحوهم وغابوا عن الاغيار فازداد حضورهم
قد ملكوا الاحوال وتمكنوا في مقامات الرجال فلم يغلبهم محو ولا طمس ولا
يحجبهم شي عن شي بل وفوا جميع حقوق المراتب واعطوها ما لها من قسط
واجب وذلك لاتساع نظرهم ونفوذ بصرهم وهذه هي صفة الصديق رضي
الله عنه في القصة التي نذكرها الان **وقد قال ابو بكر الصديق رضي**
الله عنه لعايشة رضي الله عنها لما نزلت براتها من الافك على لسان رسول

الله

الله صلى الله عليه وسلم يا عايشة اشكري رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت والله لا اشكر الا الله دلها ابو بكر رضي الله عنه على المقام الاكمل
مقام البقا المقتضي لاثبات الاثار وقد قال الله تعالى ان اشكر
لي ولوالديك وقال صلى الله عليه وسلم لا يشكر الله من لا يشكر
الناس وكانت هي في ذلك الوقت مصطلمه عن شاهدها غايبه عن
الاثار فلم تشهد الا الواحد القهار هذا مثال لهذين القسمين وقد اشبع
المولف رحمه الله الكلام فيه والمعنى في ذلك بين لا حاجة لنا الى مزيد
تنبيه الا قوله وكانت هي في ذلك الوقت مصطلمة عن شاهدها اي مقتطعة
عن شاهدها وهو حكم بشريتها مستوفاة عن احساسها بالكليه والاصطلام
نعت الحيرة وتحت القهر وصفة الدهشه وفي قوله وكانت هي في ذلك الوقت
اشعار بان ذلك لم يكن حالا لازما لها في جميع اوقاتها بل كان ذلك
في وقت مخصوص وذلك صحيح اذ حالها رضي الله عنها هو حال الكمال
في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته كنحو حال ابيها رضي
الله عنه وذلك معلوم من اخبارها وسيرها رحمها **مراسلة ايضا في الشكر**
الناس في ورود المنن على ثلثه اقسام فرح بالمنن لا من حيث مهديها و
منشيها ولكن بوجود متعة فيها فهذا هو من الغافلين يصدق عليه قوله
تعالى حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة وفرح بالمنن من حيث انه يشهدها
منة ممن ارسلها ونعمة ممن اوصلها يصدق عليه قوله تعالى قل بفضل
الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون وفرح بالله ما شغله
من المنن ظاهر متعتها ولا باطن منتها بل شغله النظر الى الله عز وجل عما سواه
والجمع عليه فلا يشهد الا اياه يصدق عليه قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون
تضمن هذا الفصل بيان ما يجد من احوال الناس وما يلزم عند ورود النعم
عليهم وحصول الفرح اذ ذاك لهم وينبني عليه ما يكون من ذلك شكر الها وما
لا يكون وقد قسم المولف رحمه الله تعالى ثلثة اقسام وجعلهم طرفين ووسط
وواسطه فقسم في غاية الدناءه والخسه وهم الذين فرحوا بالنعم من حيث ان

في قضاء اوطار نفوسهم ونيل اغراضهم والتمتع بشهواتهم ولذاتهم
فاحوال هولاء مذمومة اشبه شيء بهم الانعام والبهائم وهذه احوال اهل
الطرد والبعد والاستدراج والمكر حسبما اشار اليه في الاية الكريمة
التي ذكرها المولف رحمه الله في هذا القسم وهذه الاحوال بعيدة من الشكر
منافية له وقسم في غاية الشرف والجلالة وهم الذين فرحوا بالمنعم
فقط ولم يلتفتوا الى ظواهر النعم لاجل ان فيها متعتهم ولذاتهم ولا
الى بواطنها من كونها دليل على عناية الله تعالى بهم حيث من بها عليهم
واحوال هولاء محمودة جدا لانهم غابوا من الاغيار لعدميته وتحققوا
بحقايق الوحدانية كما اشار اليه في الاية الكريمة التي ذكرها المولف رحمه
الله تعالى في هذا القسم وحال هولاء هو الشكر الحقيقي الخالص
الخالي من المزج والشوب لان المشاهد للمنعم فاني عن حظوظ نفسه فهو
يرى الاشياء كلها نعما فلا تفرقة عنده بين وجود ولا عدم ولا عطاء ولا منع
ولا يخاف عليه من التغير والانقلاب لتغير الاحوال والاسباب ما يخاف على
غيره لبقاء حظه قال ابو محمد الجريري رضه من راى النعم ولم يرى
المنعم فقد حجب عن الشكر ومن راي المنعم بغيبته عن النعمة فقد شكر وقال
الشيخ ابو محمد عبد العزيز المهدوي رضه كل من لم يشاهد المنعم في النعمة
كانت النعم في حقه استدراجا لانه يوديه ان يسكن اليها فاذا نزعت
له لزمه ان يتغير عليها ومنهم من حصل له نصيب من الشرف والجلالة
وحظ من الدناءة والرذالة وهم الذين فرحوا بالنعم لكونها منة من الله
تعالى عليهم فمن حيث شهودهم للمنة من ربهم شرفوا وجلت اقدارهم
وكانت احوالهم محمودة وهي شكر منهم لائق بهم ومن حيث نظرهم لانفسهم
وبقاؤهم مع حظوظهم كان لهم نصيب من الدناءة والخسة فانحطوا بهذا
الوصف عن مراتب الاعلين وارتقوا بالوصف الاول عن احوال الادنين
فخوطبوا بما خوطب به عامة المومنين واوساطهم في الاية الكريمة التي ذكرها
المولف رحمه الله في هذا القسم وقد ضرب الامام ابو حامد الغزالي رحمه الله

في

في كتاب الشكر لهذه الاقسام الثلاثة مثلا فقال الملك الذي يريد الخروج
الى سفر فانعم بفرس على انسان يتصور ان يفرح المنعم عليه بالفرس من ثلثة اوجه
احدها ان يفرح بالفرس من حيث انه فرس وانه مال ينتفع به وانه
مركوب يوافق غرضه وانه جواد نفيس وهذا فرح من لا حظ له في الملك
بل غرضه الفرس فقط ولو وجده في صحراء فاخذه لكان فرحه به مثل هذا
الفرح الوجه الثاني ان يفرح به لا من كونه فرسا بل من جهة ما يستدل
به على عناية الملك به وشفقته عليه واهتمامه بجانبه حتى لو وجد هذا
الفرس في صحراء واعطاه له غير الملك لم يفرح به اصلا لاستغنائه عن
الفرس اصلا ولاستحقاره له بالاضافة الى مطلوبه من نيل المحل في قلب
الملك الوجه الثالث ان يفرح به ليركبه فيخرج في خدمة الملك ويحتمل
مشقة السفر لينال بخدمته رتبة القرب منه ويرتقي الى درجة الوزارة
من حيث انه ليس يقنع بان يكون محله في قلب الملك محل من يعطيه فرسا
ويعنى به هذا القدر من العناية بل هو طالب لان لا ينعم الملك بشيء من ماله
على احد الا بواسطته ثم انه ليس يريد من الوزارة الوزارة ايضا بل
مشاهدة الملك والقرب منه حتى لو خير بين القرب دون الوزارة وبين
الوزارة دون القرب لاختار القرب فهذه درجات ثلثة فالاولى لا
يدخل فيها معنى الشكر اصلا والثاني داخل في معنى الشكر من حيث انه فرح
بالمنعم ولكن لا من حيث ذاته بل من حيث معرفة عنايته التي تستحثه على
الانعام في المستقبل وهذه حال الصالحين الذين يعبدون الله تعالى
ويشكرونه خوفا من عقابه ورجاء لثوابه وانما الشكر التام في الفرح الثالث
وهو ان يكون فرح العبد بنعم الله عز وجل من حيث انه يقدر بها على التوصل
الى القرب منه والنزول في جواره والنظر الى وجهه على الدوام فهذه هي
المرتبة العليا وامارته ان لا يفرح من الدنيا الا بما هو مزرعة للاخرة ويعينه
عليها ويحزن بكل نعمة تلهيه عن ذكر الله تعالى وتصده عن سبيله لانه ليس
يريد النعمة لانها لذيذة كما لم يرد صاحب الفرس الفرس لانه جواد ومهملج بل من حيث

انه يحمله في صحبة الملك حتى يدوم مشاهدته له وقربه منه ولذلك الشبلي
رض الشكر روية المنعم لا روية النعمة ولذلك قال الخواص رض شكر العامة
على المطعم والملبس وشكر الخاصة على واردات القلوب وهذه رتبة لا يدركها
كل من انحصرت عنده اللذات في البطن والفرج ومدركات الحواس من
الالوان والاصوات وخلا عن لذة القلب فان القلب لا يلتذ في حال
الصحة الا في ذكر الله تعالى ومعرفته ولقايه وانما يلتذ بغيره اذا مرض
بسوء العادات كما يلتذ بعض الناس باكل الطين وكما يستبشع بعض
المرضى الاشيا الحلوة ويستحلي الاشيا المرة كما قيل

ومن يك ذا فم مر مريض ۰ يجد مرا به ماء الزلالا ۰

فان هذه شرايط الفرح بنعمة الله عز وجل فان لم يكن له ايل فمعز
فان لم يكن له هنا فالدرجة الثانية اما الاولى فخارجة عن كل
حساب فكم بين من يريد الملك للفرس وبين من يريد الفرس
للملك وكم من فرق بين من يريد الله عز وجل لنعمه عليه وبين من
يريد نعم الله تعالى ليصل بها اليه انتهى كلام الامام ابي حامد
الغزالي رض وهو في غاية البيان والوضوح وهو كالتفسير لما ذكره
المولف رحمه الله ولذلك اوردته هنا بكماله وقد اوحى الله عز وجل
الى داود عليه السلام يا داود قل للصديقين بي فليفرحوا وبذكري
فليتنعموا بهذا تحققت صديقيتهم وعلم ارتفاع رتبتهم على من دونهم قيل ان
عتبة الغلام دخل في بعض الايام على رابعة العدوية رضي الله عنهما
وعليه قميص جديد وهو يتبختر في مشيته بخلاف ما سبق من عادته فقالت
له يا عتبة ما هذا التيه والعجب الذي لم اره في شمايلك قبل اليوم فقال
يا رابعة ومن اولى بهذا التيه مني وقد اصبح لي مولى واصبحت له عبدا وقال
بعضهم كنت مسافرا الى مكة فبينما انا امشي اذ رايت شيخا بيده مصحف
وهو ينظر فيه ويرقص فتقدمت اليه فقلت يا شيخ ما هذا الرقص فقال
دعني عنك قلت في نفسي عبد من انا وكلام من اتلو وبيت من انا قاصد

ما سوى

١٨٦

فاستغرق في الوجد فرقصت وانشد وا في هذا المعنى ۰

قوم تخالجهم زهو بسيدهم ۰ والعبد يزهو على مقدار مولاه ۰
تاهوا برويته عما سواه له ۰ يا حسن رويتهم في حسن ما تاهوا ۰

ويجوز ان يكون المراد بقوله وبذكري فليتنعموا اي بذكري اياهم في الازل
حيث لا وجود لهم ولا افان الذكر المنسوب اليهم محل الافات والعلل
وهم اجل رتبة من ان يكون نعيمهم بشي ملتبس بهم والله يجعل فرحنا
واياك به وبالرضا منه وان لا يجعلنا من الغافلين وان يسلك
بنا سبيل المتقين بمنه وكرمه هو دعا حسن موافق لمعنى ما تقدم
وهو بين لا يحتاج الى تنبيه عليه والله تعالى يحقق لنا ذلك بفضله

خاتمة في مناجاة المولف رضي الله عنه مع ربه جل ذكره
الهي انا الفقير في غناي فكيف لا اكون فقيرا في فقري الهي انا
الجاهل في علمي فكيف لا اكون جهولا في جهلي العبد موصوف بصفات
النقص وهي ذاتية له والكمال العارض له والمنسوب اليه نقصان
على التحقيق ومن ثم كان ما ذكره المولف رحمه الله من كونه فقيرا في غناه
وجاهلا في علمه صحيحا مستقيما وكان رحمه الله قصد بهذا الى الاعتراف
بدوام الاضطرار ولزوم الفاقة والافتقار وانه لا استغنا
له عن مولاه عز وجل ولا ينفك من الاحتياج اليه والتعلق به والسوال
والطلب منه في كل حال من احواله كما قال بعضهم ۰

اني اليك مع الانفاس محتاج ۰ لو كان في مفرقي الاكليل والتاج ۰

وهذا منه دليل على تحققه في مقام العبودية التي اقتضتها عظمة
الربوبية وتقديمه لهذه المعاني بين يدي دعايه ومناجاته في غاية
الحسن قال سيدي ابو الحسن رض ما طلبت من الله تعالى شيا
الا وقدمت اساتي امامي يريد رضي الله عنه حتى لا يطلب من الله تعالى
شيا بوصف يستحق به العطا بل لا يكون طلبه وجود فضله الا بفضله
وقال ابو عثمن رض في قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية قال

التضرع في الدعاء ان لا تتقدم اليه بافعالك وصلواتك وصيامك وقرائتك
ثم تدعوا على اثرها انما التضرع ان تتقدم اليه افتقارك وعجزك وضرورتك
وفاقتك وقلة حيلتك ثم تدعوا بلا علاقة ولا سبب فيرفع دعاءك
وقال الواسطي رضي التضرع بذل العبودية وخلع الاستطالة وقال
سهل بن عبد الله رضي ما اظهر عبد فقره الى الله في وقت الدعاء
في شي يحل به الا قال الله عز وجل للملائكة لولا انه لا يحتمل كلامي لاجبته
لبيك الهي ان اختلاف تدبيرك وسرعة حلول مقاديرك منعا عبادك
العارفين بك عن السكون الى عطاء والياس منك في بلاء تلوين الاحكام
على العباد يقتضي ان لا يسكنوا الى حال سارة يكونون عليها ولا ييأسوا في
حال ضارة تنزل بهم من وجود الراحة والفرج وهذا محض تعلق بالله
عز وجل وهو نعت العارفين الهي مني ما يليق بلومي ومنك ما يليق
بكرمك لوم العبد الذي ركب عليه يقتضي منه مبارزة مولاه بالعظائم
والكبائر وكرم المولى الذي هو متصف به يقتضي منه التجاوز والعفو
عن عبده وقبول عذره وهذا الكلام من الطف وجوه السؤال والرغبة
وهو من اداب الدعاء وحكي ان رجلا قال لبعض الانبياء عليهم الصلاة
والسلام قل له كم اخالفه واعصيه وهو لا يعاقبني فاوحى الله الى ذلك
النبي قل لفلان لتعلم اي انا وانت انت الهي وصفت نفسك باللطف
والرافة بي قبل وجود ضعفي افتمنعني منهما بعد وجود ضعفي اللطف
والرافة صفتان له عز وجل نتصف بهما في الازل قبل وجود ضعف
العبد وفاقته وحاجته وهما مقتضيان لوجود اثارهما فيما لا يزال بعد وجود
ذات العبد وصفاته وهو اسباغ نعمه عليه وايصال افضاله اليه فكيف
يتصور اذ ذاك منعه اياهما الهي ان ظهرت المحاسن مني فبفضلك
ولك المنة علي وان ظهرت المساوي مني فبعدلك ولك الحجة علي ظهور المحاسن
على العبد وهي انواع الطاعات والحسنات والصفات المحمودات فضل
من الله تعالى والمنة له عليه لعدم استحقاقه لذلك وظهور المساوي

مني

منه وهي ضروب المعاصي والسيئات والاوصاف المذمومة عدل من
الله تعالى اذ له ان يفعل بعبده ما شاء والحجة له عليه لانه رب وهو عبد
ومناجاة العبد لمولاه بهذا الكلام من احسن المناجاة وهي مقتضية لوجود
اسعافه له ومولاه الطافه عليه لما فيها من الثناء على الله تعالى
على بساط قربه وذكر صفاته العلية والتعلق بها والاعتراف له
بالنعم الظاهرة والباطنة ولما فيها ايضا من رؤية ضعف النفس
والاقرار عليها بالنقص والقصور وانزالها منزلتها من الذلة
والمهانة وقد قال بعضهم تعلق شاب باستار الكعبة وقال
الهي لا لك شريك فيؤتى ولا وزير فيرشى ان اطعتك فبفضلك ولك
الحمد وان عصيتك فبجهلي ولك الحجة علي فباثبات حجتك علي
وانقطاع حجتي لديك الا غفرت لي فسمع هاتفا يقول الفتى عتيق
من النار الهي كيف تكلني وقد توكلت لي وكيف اضام وانت
الناصر لي ام كيف اخيب وانت الحفي بي الوكيل والحفي والناصر
اسماء الله عز وجل وهي مقتضية لوجود اثارها من وجود الكفاية
والمنعة والظفر بغاية المقصود والبغية فكيف يتصور انفكاك
ذلك عن العبد عند وجود حاجته كما تقدم في اللطف والرافة والضيم
في اللغة انتقاص الحق والحفي هو اللطيف واللطف بعبده علمه بدقائق
مصالحه وخفيات مآربه وايصال ذلك اليه برفق قال الله تعالى
الله لطيف بعباده ها انا اتوسل اليك بفقري اليك التوسل التقرب
والوسيلة ما يتقرب به واعظم وسائل العبد الى مولاه هو تحققه بما
توجبه عبوديته وهو فقره الى الله تعالى في كل حال من احواله فلا
يرى لنفسه حسنة يقتضي ثوابا ولا يدلي بحجة يستدفع بها عن نفسه
عقابا قال ابو يزيد رضي نوديت في سري قيل لي خزائننا مملوءة من
الخدمة فان اردتنا فعليك بالذلة والافتقار وسئل ابو حفص رضي
بماذا يقدم الفقير على ربه فقال وما للفقير ان يقدم به على ربه سوى فقره

وكيف اتوسل اليك بما هو محال ان يصل اليك بين المتوسل به والمتوسل اليه
نسبة تامة ووصلة حقيقية هي التي اقتضت له وجود التوسل ولا نسبة
ولا وصلة بين الفقر الذي هو نعت العبد وبين الرب الذي له الغنا الاكبر
وايضا توسل العبد بفقره يقتضي شهوده واعتداده به واعتماده عليه ورويته
العبد لاحواله وسكونه اليها علا فيها والاحوال الحادثة لا تليق بالحضرة الالهية
ولا تصل الى الله تعالى بعينها انه لا يرضاها ولا يقبلها فالفقر لا يصح التوسل به
من هذا الوجه ايضا والى هذا المعنى يشير ما يحكي عن سيدي ابي الحسن رضي الله عنه
حين دخل على شيخه ابي محمد عبد السلام رضه فقال يا ابا الحسن بماذا تلقى الله تعالى
قال له بفقري فقال له الشيخ والله لين لقيت الله بفقرك لتلقينه بالصنم الاعظم
والاتضح حقيقة الفقر الا الغيبة عن الفقر والا كنت غنيا بفقرك فاذا لا وسيلة
الى الله سواه ام كيف اشكوا اليك حالي وهو لا يخفى عليك شكوى الحال لا تصح
الا لمن هي غايبة عنه وهو غير عالم بها والله تعالى لا يخفى عليه شي وقد قال
ابراهيم الخليل عليه الصلوة والسلام حسبي من سوالي علمه بحالي ام كيف اترجم
لك بمقالي وهو منك برز اليك الترجمة بالمقال هي التعبير باللسان عما في
الضمير ليقع التفهم بذلك للمترجم له والله تعالى هو الذي انطق اللسان واطلقه
بذلك فالترجمة من الله تعالى برزت واليه مالها والعبد لا مدخل له في ذلك
فكيف تنسب اليه الترجمة ونسبة ذلك الى الله تعالى دليل على احاطة علمه باحوال
العبد فكيف يصح في حقه معنى الترجمة ام كيف تخيب امالي وهي قد وفدت اليك
عليك الامال الوافدة الى الله تعالى لا تخيبها من حيث انها قايمة اليه ومتعلقة به
بها ومنقطعة عما سوا الله تعالى كريم جواد متفضل منعم فليثق العبد بذلك
وليكن على يقين منه وان لم يسال ولم يطلب ام كيف لا تحسن احوالي وبك
قامت واليك من تحقق في المعرفة راى احواله كلها حسنة لوجوه قيامها بالله
ورجوعها اليه وهذه كلها انواع من التعجب يعني المولف نفسه من نفسه
فيما هو بصدده من سواله وطلبه بسبب رغبته في المعرفة التي اوجبت له روية
نقصه ونقصانه وقصوره في احواله الاول الهي ما الطفك بي مع عظيم
جهلي

جهلي وما ارحمك بي مع قبيح فعلي شهود العبد لهذا المعنى مزيد عظيم
يوجب له الخبار والانكسار يستحسن منه الاعتراف بالنعم فقط
الهي ما اقربك مني وما ابعدني عنك شهود المولف رحمه الله تعالى بشدة قرب الله
تعالى منه لما راى من بعد الاشيا عنه ودفعها اليه كما سياتي من قوله قد
دفعتني العوالم اليك وشهوده لبعده من الله عز وجل من حيث اقيم في الطلب له والطلب
للشي يدل على فقد الطالب له وبعده عنه فالمشاهدة الاولى اوجبت له ملازمة
باب مولاه وانقطاع طمعه عن كل ما سواه والمشاهدة الثانية اوجبت له
التلطف في سوال التقرب والاستغنا عن طلب القرب ومن دعا سيدي ابي
المرسي رضه يا قريب انت القريب وانا البعيد قربك ايسني من غيرك وبعدي عنك
ردني للطلب لك فكن لي بفضلك حتى تمحوا طلبي بطلبك يا قوي يا عزيز
ما ارافك بي فالذي يحجبني عنك الرافة اشد الرحمة ولما شاهد
رافته به غاب بهذا الشهود عن رويته نفسه وصفاتها فلذلك لم
يظهر له سبب لوجود حجاب عنه الهي قد علمت باختلاف الاثار وتنقلات
الاطوار ان مرادك مني ان تتعرف الي في كل شي حتى لا اجهلك في شي كان
المولف رح يقول اختلاف الاثار علي وتنقلات الاطوار بي من الصحة
والمرض والغنا والفقر والعز والذل والقبض والبسط والطاعة والعصيان
والفقد والوجد وغير ذلك من مختلفات احوالي التي هي من شونك التي
تنزلها بي علمت منها ان ارادتك بي ان تتعرف الي في كل شي تعرفا خاصا
في حالة خاصة حتى اشاهد وحدانيتك وعظمتك وجلالك وكمالك
بحيث لا يتصور مني جهل بها انا قايل لمعرفته من جميع ذلك ولو كان
الامر على خلاف هذا ولزمتني حالة واحدة ارتضيها لنفسي واختارها
لكانت معرفتي ناقصة ومشاهدتي قاصرة فانا الان اتقلب في
جنة معجلة ابتوا منها حيث اشا فقد استغرقني ما انا فيه من عظيم
النوال وشغلني ذلك عن الدعا والسوال وطلب الكون على ما ارتضيه
من الاحوال فلك الحمد على نعمك الظاهرة والباطنة والخفية والجلية قال بعضهم

في الدنيا جنة من دخلها لم يشتق الى جنة الاخرة ولا الى شي ولم يستوحش قيل
وما هي قال معرفة الله تعالى وقال مالك بن دينار رحمه الله خرج الناس
من الدنيا ولم يذوقوا اطيب الاشيا قيل وما هو قال المعرفة ثم قال

ان عرفان ذي الجلال لعز ۞ وضياء وبهجة وسرور
وعلى العارفين ايضا بهاء ۞ وعليهم من المحبة نور
فهنيئا لمن عرفك الهي ۞ هو والله دهره مسرور

وقد روي انه راى صورة حكيمين من الحكما المتعبدين في مسجد
وفي يد احدهما رقعة فيها مكتوب اذا احسنت كل شي فلا تظنن انك
احسنت شيا حتى تعرف الله عز وجل وفي يد الاخر كنت قبل ان اعرف
الله عز وجل اشرب واظما حتى اذا عرفته رويت بلا شرب قال في
التنوير بعد كلام ذكره وانما قلنا ان الحالة زايلة عنك لا محالة فان مراده
ان ينقلك في الاطوار ويخالف عليك الاثار ليتعرف اليك في كل حالة
خاصة بتعرف خاص فان اردت ان يديمك على حالة واحدة فقد
اردت ان يسلك بك غير الكمال فكانه يقول لك لا تطلب مني ان اقيمك
في حالة واحدة فاني لا افعل ذلك معك اتريد ان تبقى ربوبيتي معطلة
الاثار ولكن سلني ان اشهدك لطفي حيثما اردتك وحيث ما اقمتك
حتى تكون بي ولي قال الله سبحانه يساله من في السموات والارض
كل يوم هو في شان اي يمنع ويعطي ويضع ويعلي ويقبض ويبسط ويعز ويذل
الى غير ذلك من مختلفات الاثار فكانه سبحانه وتعالى يقول لك يا عبدي
لا تاس على شي ما دمت لك ولا تفرح بشي وانا لست لك فانا العوض عما
سواي وما سواي لا يغنيك عني ولا تكن ممن يعبدني بالعلل فتكون من
عبيد الحروف بل اعبدني لاني بكمال الغناء موصوف وبدوام
الافضال معروف قال الله سبحانه وتعالى ومن الناس من يعبد
الله على حرف فان اصابه خير اطمان به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه
خسر الدنيا والاخرة لان الذي طلبه غير لنا معنه فما دام له وهو فما طلبنا
حتى

حتى تكون له ومن عبده لما سواه فهو عبد ما سواه ومن عبده لاجل جوده ونعمايه
فهو عبد جوده ونعمايه لان من احب شيا فهو عبد ما احبه قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد
الخميصة تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش فكن عبد الله في كل
شي عطاء ومنعا وعزا وذلا وغنا وفقرا وقبضا وبسطا وفقدا
ووجدا وشدة ورخا وفناء وبقاء الى غير ذلك من مختلفات الاثار
وتنقلات الاطوار انتهى كلام المؤلف رحمه الله وقد احسن في الاحسان
كله فجزاه الله خيرا وغفر له بمنه وكرمه ورضي عنه الهي كلما اخرسني لومي انطقني
كرمك وكلما ايستني اوصافي اطمعتني منتك لوم العبد ومخالفته وعصيا
نه يخرس لسانه عن السوال والطلب وكرم المولى وفضله واحسانه ينطقه
بذلك واوصاف العبد الذميمة التي اقتضتها طبيعته وجبلته
توبسه من حصول الاستقامة على طريق الحق ومنن الله تعالى التي
شملت البر والفاجر تطمعه في ذلك الهي من كانت محاسنه مساوي
فكيف لا تكون مساويه مساوي ومن كانت حقايقه دعاوي فكيف
لا تكون دعاويه دعاوي هذا مثل ما تقدم من ان الكمال المنسوب للعبد
نقصان على التحقيق فما ظنك بنقصانه الهي حكمك النافذ ومشيتك القاهرة
لم يتركا لذي مقال مقالا ولا لذي حال حالا شهود هذا المعنى يوجب
للعبد مقام الخوف والتحقق فيه فان كان ذا قول سديد وحال حميد لم
يقطع ببقاء ذلك ولم يغتر بما هنالك لنفوذ حكم الحق تعالى وقهر مشيته
الهي كم من طاعة بنيتها وحالة شيدتها هدم اعتمادي عليها عدلك
بل اقالني منها فضلك الطاعة صفة ظاهر العبد والحالة صفة باطنه وبناء
للطاعة هو اقامتها على الوجه المامور به من الوفاء بجميع اركانها وشرايطها
وما يتعلق بها من حقوق واداب وتشييده بالحالة هو تزيينها
وتطهيرها وصيانتها عما يكدر صفاها ويكشف ضياها وكانه لما فعل
هذين الامرين راي انه تحصن بحصن حصين واوى الى ركن متين لكن لما

شاهد عدل الله تعالى هدم عليه ذلك لأن مقتضاه أن يفعل ما يشا
ولا يبالي بأعمال العاملين فلما شاهد فضله وكرمه اتقاله من ذلك بأن
جعل له من التعلق به والاعتماد عليه لا منه وعوضا عنه ونعم العوض والبدل
سبحان المتفضل المنان الهي انك تعلم وان لم تدم الطاعة مني فعلا جزما
فقد دامت محبة وعزما جعل عزمه على الطاعة ومحبته لها وان لم يدم
عليها فعلا فأحرى وسائله وذلك صحيح وكم من شخص قد طرد وأبعد
فلم يكن عنده عزم ولا فعل جزم الهي كيف أعزم وأنت القاهر وكيف
لا أعزم وأنت الآمر استبعد من نفسه وقوع العزم منه وجعل
مستند ذلك شهود القهر لأن من شهد قهره بطل عزمه لأنه الغالب واستبعد
انتفاء عدم العزم وجعل مستند ذلك شهود الأمر لأن من شهد أمره
بادر إلى امتثاله وتحرز من إغفاله وإهماله الهي ترددي في الآثار
يوجب بعد المزار فاجمعني عليك بخدمة توصلني إليك شكا إلى
مولاه عز وجل طول تردده في الآثار وهي الأكوان وأخبر أنه يوجب
له بعد المزار وهو البعد عن شهود التوحيد وكمال المعرفة وقد تقدم هذا
المعنى عند قوله لا ترحل من كون إلى كون ثم سأله وطلب منه أن يخص
له طريق سلوكه ويقربه عليه ويجمعه من مفترقات الآثار بخدمة
تظهر فيها عبوديته ويصل بها إلى مولاه من غير تردد ولا طول
الهي كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك أيكون لغيرك
من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك متى غبت حتى تحتاج إلى
دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك
هذا تقبيح لأحوال المستدلين على ربهم وهم أصحاب النظر والاستدلال
بالنسبة إلى مقام أصحاب المقام الآخر وهم أرباب الشهود والعيان
قال أبو بكر الكتاني رض وجود العطا من الحق شهود الخلق بالحق لأن
الحق دليل على كل شيء ولا يكون شيء دونه دليل عليه قال في لطائف
المنن وأرباب الدليل والبرهان عوام عند أهل الشهود والعيان

قد سوى الحق في ظهوره أن يحتاج إلى دليل يدل عليه وكيف يحتاج إلى
دليل من سبق وجوده نصب الدليل وكيف يكون معرفا به وهو المعرف
له قال الشيخ أبو الحسن رض كيف يعرف بالمعارف من به عرفت
المعارف أم كيف يعرف بشيء من سبق وجوده وجود كل شيء وقال مريد
لشيخه يا أستاذ أين الله فقال له أسحقك الله أتطلب مع العين أين
وتقدم هذا المعنى عند قوله شتان بين من يستدل به ويستدل عليه الهي
عميت عين لا تراك عليها رقيبا الرقيب الحفيظ فمن رأى الله تعالى
رقيبا عليه يعلم جميع أحواله ولا يخفى عليه شيء منها استحيى منه وهابه أن
يراه على ما يكره منه وقد قيل إذا عصيت مولاك فاعصه بموضع لا
يراك ومن لم يكن على هذا الوصف وغفل عن نظر الله إليه عميت عين بصيرته
فبارز الله تعالى بأنواع القبائح والفضائح من غير اكتراث ولا
مبالاة وقد سئل بعضهم بم يستعين الرجل على حفظ بصره من
المحظورات قال بعلمه بأن رؤية الحق سبحانه وتعالى تسبق نظره
إلى تلك المحظورات قال الله عز وجل وما تكون في شأن وما
تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون
فيه قال الإمام أبو القسم القشيري رض حق فهم بأعم فيهم من
اطلاعه عليهم في جميع أحوالهم ورؤيته بما يسلفونه من فنون أعمالهم والعلم
بأنه يراهم يوجب استحياءهم منه وهذا حال المراقبة فالعبد إذا
علم أن مولاه يراه استحيا منه وترك متابعة هواه ولا يحوم حول ما
عنه نهاه وفي حديث عبادة الصامت قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم أفضل إيمان المرء أن يعلم أن الله معه حيث كان وخسرت صفقة
عبد لم تجعل له من حبك نصيبا حب الله تعالى لعبده هو رحمته له وثناؤه عليه
وإحسانه إليه وحب العبد للرب عز وجل طاعته وموافقة أمره وتعظيمه
وهيبته والحب المضاف إلى الكاف في قوله من حبك يحتمل إضافته إلى الفاعل
أو إلى المفعول والظاهر كونه مضافا إلى الفاعل لأنه أبلغ وأملح ولأن

محبة الله تعالى لعبده اصل لمحبة العبد له قال الله تعالى يحبهم ويحبونه
فمن اعطاه الله تعالى من الحب المذكور نصيبا فقد حاز ربح الدارين
وفاز بقرة العين ومن حرمه ذلك فقد خسرت صفقته وبان غبنه
وخيبته حكي عن بعضهم انه قال اشتريت مملوكة فسمعتها في
شطر الليل وهي تقول الهي بحبك اياي الا ما غفرت لي فقلت لها
لا تقولي هكذا ولكن قولي بحبي اياك فقالت يا سيدي بمحبته اياي
من علي بالاسلام وايقظني لعبادته وكثير من عباده نيام وفي
بعض الكتب المنزلة على بعض الانبيا على جميعهم افضل الصلاة والسلام
يا عبدي انا لك محب فبحقي عليك كن لي محبا وقال زيد بن اسلم
رضي الله عنه ان الله عز وجل ليحب العبد حتى يبلغ من حبه له ان يقول
اصنع ما شئت فقد غفرت لك الهي امرت بالرجوع الى الاثار فارجعني
اليها بكسوة الانوار وهداية الاستبصار حتى ارجع اليك منها كما دخلت
اليك منها مصون السر عن النظر اليها ومرفوع الهمة عن الاعتماد
عليها انك على كل شي قدير الاثار التي امر العبد بالرجوع اليها بعد
وصوله الى صريح المعرفة وخالص التوحيد هي المكونات التي يلزمه
اذا تلبس بها حق او يكون له فيها منفعة وحظ فسال الله تعالى ان
يرجعه اليها على حالة شريفة مضادة للحالة التي كان عليها قبل
السلوك وهي كونه مكتسيا بكسوة الانوار وهي انوار اليقين مويدا
بهداية الاستبصار وهو العلم الراسخ المبين فاذا رجع العبد الى الاثار
على هذا الاسلوب والمعيار لم تؤثر فيه ولم تاخذ منه الا كمال حريته
عنها وكان رجوعه الى مولاه في مآلها مثل دخوله منها عليه
في ابتدايه وسلوكه مصون السر عن النظر اليها بعين الاستحسان
مرفوع الهمة عن الاعتماد عليها في نوال واحسان وقد تقدم هذا
المعنى في قوله فان نزلوا الى سماء الحقوق او ارض الحظوظ الخ
الهي هذا ذلي ظاهر بين يديك وهذا حالي لا يخفى عليك هذا تطارح

منه

منه على مولاه ومبالغة في بث شكواه وتلطف في سوال رحماه ومثل
هذا يرجى اجابة الدعا واستحقاق جزيل العطا وقد قالوا ابواب
الملوك لا تقرع الا بالايدي بل بنفس المحتاج وقال بعضهم قلت
للشيخ جوركي اجد في قلبي قسوة وقد شاورت فلانا فاشار علي بالصوم
فلم يزل وشاورت فلانا آخر فاشار علي بالسهر فلم يزل فقال
الشيخ جوركي رض خلطا بك احضر الملتزم اذا نام الناس وتضرع و
تحيرت في امري فخذ بيدي ففعل فزالت القسوة قال الشاعر
ولازمت الدخول عليه حتى ، حللت محلة العبد الذليل ،
واغضيت الجفون على قذاها ، وصنت النفس عن قال وقيل ،
وذل العبد لمولاه غاية العز والفخر قال ذو النون المصري رض
ما اعز الله عبدا بعز هو اعز له من ان يدله على ذل نفسه وما اذل
الله عبدا بذل هو اذل له من ان يحجبه عن ذل نفسه منك اطلب
الوصول اليك هذه صفة العارفين المحققين لا يسبق نظرهم الى الله
ولا يطلبون الا منه ولا يكون مطلبهم الا الوصول اليه لا غير وبك
استدل عليك لا بغيرك لانك الظاهر قبل وجود كل شي ظاهر بل
بظهورك خفيت المظاهر قيل لبعض العارفين بم عرفت ربك فقال
عرفت ربي بربي ولولا ربي لما عرفت ربي وقال ابو القاسم النصراباذي
رض الاشيا ادلة منه ولا دليل عليه سواه وقال احمد بن الحواري
رض لا دليل على الله سواه وانما العلم يطلب لاداب الخدمة فاهدني
بنورك اليك وهو نور الايمان واليقين والمقتضي لصدق العبودية
بين يديك حتى اكون ممتثلا لامرك مستسلما لقهرك الهي علمني من علمك
المخزون اضافة العلم الى الله تعالى ههنا اضافة تشريف والعلم المخزون هو
العلم اللدني الذي اختزنه عنده فلم يوته الا المخصوصين من الاوليا
كما قال تعالى في شان الخضر عليه السلام وعلمناه من لدنا علما وفي
حديث ابي هريرة رض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال

ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا العلماء بالله فاذا نطقوا به
لا ينكره الا اهل الغرة بالله قال بعضهم هي اسرار الله تعالى
يبديها الى امناء اوليائه وسادات النبلاء من غير سماع ولا دراسة
وهي من الاسرار التي لا يطلع عليها الا الخواص وقال ابو بكر
الواسطي رضي الله عنه في قوله تعالى والراسخون في العلم الذين رسخوا بارواحهم
في غيب الغيب وفي سر السر فعرفهم ما عرفهم وخاضوا بحر العلم
بالتفهم لطلب الزيادة فانكشف لهم من مدخور الخزاين المخزون
تحت كل حرف واية دقايق من الفهم وعجايب النظر فاستخرجوا الدرر
والجواهر ونطقوا بالحكمة وصني بسر اسمك المصون الصون المطلوب
هو صيانته عن روية الاغيار بما يتجلى لقلبه من سر الاسرار
الهي حققني بحقايق اهل القرب حقايق اهل القرب هو الفناء في
التوحيد والتحقق بالتجريد فتبطل في حقهم روية الاسباب
ويزول عن مطمح نظرهم كل ستر وحجاب كما قال سيدي ابو الحسن رضي الله عنه
في حزبه الكبير واقرب مني بقدرتك قربا تمحق به عني كل حجاب
محقته عن ابرهيم خليلك فلم يحتج لجبرايل رسولك ولا لسواله منك
وحجبته بذلك عن نار عدوك فكيف لا تحجب عن مضرة الاعداء
من غيبته عن منفعة الاحباء كلا اني اسالك ان تغيبني بقربك مني
حتى لا ارى ولا احس بقرب شي ولا ببعده عني انك على كل شي قدير
واسلك بي مسالك اهل الجذب اهل الجذب هم المحبوبون ومسالكهم
في غاية السهولة لا تعب عليهم فيها ولا مشقة بل يجدون اللذة و
الحلاوة في اعمالهم وذلك من قبل انه اخرجهم من اسر نفوسهم
وتولاهم بكلاءته ورعايته من غير مجاهدة منهم ولا مكابدة الهي
اغنني بتدبيرك عن تدبيري وباختيارك لي عن اختياري وقفني
على مراكز اضطراري المنفرد بالتدبير والاختيار والمشيئة والاقتدار
هو الله عز وجل فمن كان له دعوى في شي من ذلك فقد نازع الله

تعا

تعالى في ربوبيته وخلع عن عنقه ربقة عبوديته فلذلك ساله وطلب
منه ان يغنيه عن تدبيره واختياره وان يوقفه على مراكز اضطراره ليكون
متحققا بصفاته متعلقا بصفات مولاه وقد تقدم هذا المعنى غير
مرة والمراكز مواضع الاستقرار والثبوت وهي استعارة حسنة الهي
اخرجني من ذل نفسي ذل النفس الذي يطلب الاخراج منه هو
ذلها لغير الله تعالى بالطمع والحرص وقد تقدم هذا المعنى عند قوله
ما بسقت اغصان ذل الا على بذر طمع وطهرني من شكي وشركي
قبل حلول رمسي الشك والشرك هما سبب وجود الطمع والحرص
الموجبين لوقوع الذل والهوان وهذه الاوصاف كلها مجانبة لحقايق
الايمان والتوحيد عافانا الله من الشرك والشك والشك ضيق
الصدر عند احساس النفس بامر مكروه يصيبها فاذا ضاق صدره
بسبب ذلك اظلم قلبه واصيب من اجله الهم والحزن وطهارته منه انما تكون
بوجود ضده وهو اليقين فبه يتسع الصدر وينشرح ويزول عنه الحرج و
الضيق وبقدر احتظاء القلب من نور اليقين يكون انشراح الصدر واتساعه
وعند ذلك يجد القلب الروح والفرح بالله تعالى وبفضله وفي الحديث عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى بقسطه وعدله جعل الروح والفرح
بالرضا واليقين وجعل الهم والحزن في السخط والشك والشرك تعلق القلب
بالاسباب عند غفلته عن المسبب ونسيانه له تعلق الصيد بالشرك
ويكون مبدا ذلك هيجان الشهوة عند استيلاء ظلمة الشك على القلب
فيحوله الهوى فيفزع اذ ذاك الى الاسباب التي يتوصل بها الى بغيته اذ لا
يرى غيرها فيرتبك من اجل ذلك في حبايل الشرك وطهارته منه بضده
وهو نور التوحيد الذي يقذفه الحق تعالى في قلبه فتطمين بذلك نفسه
وتسكن عن الشره والطيش الذي اصابه وكلما قوي نور التوحيد في قلبه
كان خلاصه من الشرك اكثر فتمحى منه الاسباب وتثبت فيه خالص التوحيد
فاذا تطهر العبد من الشك والشرك تولاه الله تعالى بالهداية والتسديد

والمعونة والتايد وفي اخبار داود عليه السلام ان الله تعالى اوحى
اليه يا داود هل تدري متى اتولاهم اذا طهروا قلوبهم من الشرك ونزعوا
من قلوبهم الشك بك استنصر فانصرني وعليك اتوكل فلا تكلني واياك
اسال فلا تخيبني وفي فضلك ارغب فلا تحرمني ولجنابك انتسب فلا تبعدني
وببابك اقف فلا تطردني تعلق بالله تعالى في كل مطلب من هذه المطالب
واضرب عن الوسايط والاسباب وذلك من تحققه بالتوحيد الذي
ساله من مولاه ان يحققه به بتطهره من اضداده ومعاني هذه الكلمات
قريب بعضها من بعض قال ابو الحسن علي بن هند الفارسي رضي
اجتهد في ان لا تفارق باب سيدك بحال فانه ملجا الكل فمن فارق
تلك السدة فلا يرى بعدها لقدميه قرارا ولا مقاما الهي تقدس رضاك
ان تكون له علة منك فكيف تكون له علة مني رضا الله تعالى صفة من
صفاته وصفاته قديمة ولذلك امتنع عليها سبقية العلل والقديم
لا يكون مسبوقا بشي واذا كانت صفاته الهلية منزهة ان تكون لها
علة منه فكيف تكون لها علة من غيره فرضا الله تعالى لا علة له ولا سبب
بل رضاه وسخطه هما سبب اعمال العاملين حسنها وسيبها رضي الله
عن قوم فاستعملهم باستعمال اهل الرضا وسخط على قوم فاستعملهم باعمال
اهل السخط قال ابو بكر الواسطي رضي الرضا والسخط نعتان من
نعوت الحق يجريان على الابد بما جريا في الازل يظهران الوسمين على
المقبولين والمطرودين فقد بانت شواهد المقبولين بضيايها عليهم كما
بانت شواهد المطرودين بظلامها عليهم فاني تنفع من ذلك الالوان
المصفرة والاكمام المقصرة والاقدام المنتفخة انت الغني بذاتك عن
ان يصل اليك النفع منك فكيف لا تكون غنيا عني الكلام في الغنى كالكلام
في الرضى وكان المولف رحمه الله قصد في مناجاته بهذه الكلمات الى
الاسترضا والاستعطاف وطلب المسامحة والتجاوز عن اعماله المدخولة
المعلوله وذلك من احسن المقاصد للداعي الهي ان القضا والقدر قد غلبني

الهي

وان

وان الهوى بوثايق الشهوة اسرني فكن انت النصير حتى تنصرني وتنصر
بي واغنني بفضلك حتى استغني عن طلبي هذا اعتذار واعتراف والله تعالى
اكرم من ان يرد عذر من اعتذر اليه او يخيب امل من اعترف بذنبه واقر
به لديه يقال ان العبد يبتهل الى الله تعالى في الاعتذار والحق سبحانه
وتعالى يقول له عبدي لو لم اقبل عذرك لما وفقتك للاعتذار وقال
الكتاني رضي لم يفتح الله تعالى لسان المومن بالمعذرة الا لفتح باب المغفره
فلا جرم لما وثق بذلك وقوي رجاوه فيه طلب منه النصرة له على اعدايه
ولم يقتصر على ذلك بل اضافه اليه طلب النصر به ليكون تلك النصرة
بسببه وعلى يديه كما قال سيدي ابو الحسن رضي واجعلنا سبب الغنا
لاوليايك وبرزخا بينهم وبين اعدايك ثم لم يقنع بذلك حتى طلب منه
ان يغنيه بما يستغني به عن الطلب منه وهو ما يوليه من فضله العظيم
وكرمه الجسيم وهذه هي غاية السعاده كما قال سيدي ابو الحسن رضي
والسعيد حقا من اغنيته عن السوال منك انت الذي اشرقت الانوار
في قلوب اوليايك حتى عرفوك ووحدوك وانت الذي ازلت الاغيار
من قلوب احبابك حتى لم يحبوا سواك ولم يلجوا الى غيرك انت المونس
لهم حين اوحشتهم العوالم سبب ايحاش العوالم لهم ما هي عليه من الفاقه
والافتقار والحاجه والاضطرار فكل واحد منها جالب لنفسه طالب لحظه
من كمال نقصه وفاد جنسه والله تعالى غني حميد عزيز مجيد وهو مع ذلك لطيف
بعباده عطوف عليهم يتودد اليهم رووف بهم فلما شهد واهذا كله مشاهدة
يقين ومعاينة باشهاده اياهم لم يتمالكوا ان احبوه والوه وقصروا
هممهم عليه وجعلوه معتمد انسهم واستغنوا به عن ابنا جنسهم فحصلوا اذ
ذاك على غاية النعيم وفازوا بالحظ العظيم قال ذو النون المصري رضي
بينما انا اسير في بعض البوادي اذ لقيتني امراة فقالت لي من انت
فقلت رجل غريب فقالت وهل يوجد مع الله احزان الغربة وكتب
مطرف بن عبد الله بن الشخير الى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما وليكن

انسك بالله وانقطاعك اليه فان لله عبادا استانسوا بالله فكانوا في
وحدتهم اشد استيناسا من الناس في كثرتهم واوحش ما يكون الناس
آنس ما يكونون وآنس ما يكون الناس اوحش ما يكونون انت الذي
هديتهم حتى استبانت لهم المعالم لما تولى الله تعالى هدايتهم الى طريق
التوحيد والمعرفة بان لهم علامات ذلك ودلايله فعند نظرهم في تلك
العلامات والادله انشرحت صدورهم بانوار الايمان واليقين فلم يداخلهم
شك ولم يخالجهم ريب والمعالم جمع معلم وكانه رحمه الله عرض في هذه
الكلمات بالمطلب الذي بحصوله له يستغني عن الطلب وهو اشراق
الانوار في قلبه وازالة الاغيار عن سره وايناسه له وهدايته اياه
وهذه الاربعه مطالب متضمنة لاسنى الرغايب ماذا وجد من
فقدك وما الذي فقده من وجدك قد تقدم غير مرة ان ما سوى الله تعالى
عدم وظلمة وان وجود الحق والنور المحقق انما هو لله عز وجل فاذا
كان الامر على هذا صح ما قاله المولف ههنا وكان لا مرية فيه قال ابو
علي الروذباري رض سالني ابو بكر الدقاق رحمه الله فقال يا ابا علي
لم ترك الفقرا اخذ البلغة في وقت الحاجة فقلت لانهم مستغنون بالمعطي
عن العطا فقال نعم ولكن وقع لي شي آخر فقلت هات افدني ما وقع لك فقال
لانهم قوم لا ينفعهم الوجود اذ الله فاقتهم ولا تضرهم الفاقة اذ الله وجودهم
وكان ابو حمزة البغدادي رض يقول في مناجاته اللهم انك تعلم اني
من افقر خلقك اليك فان كنت تعلم ان فقري اليك يعني هو غيرك فلا
تسد فقري لقد خاب من رضي دونك بدلا ولقد خسر من بغى عنك متحولا
هذا بين وهو مبني على ما تقدم الآن من الكلام روي الشبلي رض في المنام
بعد وفاته فقيل له ما فعل الله بك فقال لم يطالبني بالبراهين على الدعاوي
الا على شي واحد قلت يوما لا خسارة اعظم من خسران الجنه ودخول
النار فقال واي خسارة اعظم من خسران لقايي وفي معناه انشدوا
سهر العيون لغير وجهك باطل وبكاوهن لغير فقدك ضايع

دار

١٩٢

وقال بعضهم كان عندنا رجل مكث عندنا ثلثة عشر سنه يصلي كل يوم
وليلة الف ركعه حتى اقعد من رجليه فاذا صلى العصر احتبى واستقبل
القبلة ثم قال عجبت للخليقة كيف ارادت بك بدلا بل عجبت للخليقة كيف
استانست بسواك ثم سكت الى المغرب كيف يرجى سواك وانت ما قطعت
الاحسان وكيف يطلب من غيرك وانت ما بدلت عادة الامتنان هذا العجب
ممن كان على هذا الوصف وهو اعجب من كل عجب والمعنى في ذلك بين يا من
اذاق احباءه حلاوة موانسته فقاموا بين يديه متملقين التملق هو التلطف
في التودد وترتبه على ذوقهم لحلاوة موانسته بين ويا من البس اوليايه
ملابس هيبته فقاموا بعزته مستعزين استعزازهم بعزته هو رفع همهم
عن تعليقها بغير الله تعالى بتها وتكبرا عليها وثقة منهم به وذلك لما
البسهم من ملابس هيبته حتى لم يهابوا معه غيره ولم تتاله
قلوبهم الى سواه ولذلك قالوا المعرفة حقر الاقدار سوى قدره
ومحو الاذكار سوى ذكره وقال بعض المشايخ اذا عظم الرب في
القلب صغر الخلق في العين وقيل في معنى قوله تعالى عز من يشا قال
بان يكون لك بك معك بين يديك انت الذاكر من قبل الذاكرين وانت
البادي بالاحسان من قبل توجه العابدين وانت الجواد بالعطا من
قبل طلب الطالبين وانت الوهاب لنا ثم انت لما وهبتنا من المستقرضين
الحق سبحانه وتعالى له الاولية فيما ذكر كما ذكر قال ابو يزيد رض
غلطت في ابتدا امري في اربعة اشيا توهمت اني اذكره واعرفه
واحبه واطلبه فلما انتهيت رايت ذكره سبق ذكري ومعرفته تقدمت
معرفتي ومحبته اقدام من محبتي وطلبه لي اولا حتى طلبته فاذا كانت
له الاولية في ذلك لم يبق للعبد وسيلة يتوسل بها سوى فضله
وكرمه ومما يوافق ما ذكره المولف ما حكي عن الجنيد رض في مناجاته
يا ذاكر الذاكرين بما به ذكروه ويا بادي العارفين بما به عرفوه ويا
العابدين لصالح ما عملوه من ذا الذي يشفع عندك الا باذنك ومن

موفق

ذا الذي يذكرك الا بفضلك واستقراض الرب من عبده ما وهبه له
غاية في ترفيعه لقدره وابانته لشرفه ووعده مع ذلك جزيل
الثواب عليه نهاية في اكرامه له وتفضله عليه قال بعضهم ملكك
ثم اشترى منك ما ملكك ليثبت لك معه نسبة ثم استقرض منك
ما اشتراه ثم وعدك عليه من العوض اضعافا بين فيه ان نعمه
وعطاياه بعيدتان ان تكونا مشوبتين بالعلل الهي اطلبني برحمتك
حتى اصل اليك واجذبني بمنتك حتى اقبل عليك لا سبيل للعبد
الى وصوله الى الله تعالى الا برحمته فلذلك طلب منه ان يجذبه
اليه بها وذلك لتحقيق الاوليه التي ذكرناها من قبل الهي ان
رجائي لا ينقطع عنك وان عصيتك كما ان خوفي لا يزايلني وان
اطعتك الخوف والرجا حالان يتعاقبان على قلب العبد واعتدالهما
واستواوهما هو المطلوب سوا كان العبد في طاعة او معصية وقد
مثلوا ذلك بكفتي الميزان وجناحي الطير وهذا من اعلى مشاهد
العارفين والاوليا وذلك ان منشاهما عندهم انما هو شهود الصفات
المخوفة والمرجوة وصفات الله تعالى لا تفاوت فيها وكذلك
مشاهدتها لا تفاوت فيها فان وقع فيها تفاوت كانت مشاهدته
ناقصة واحواله معلولة فلذلك يتصور وجود كمال الخوف مع عمل
العبد بالطاعة وغلبة الرجاء مع ارتكابه للمعصية كما وصف به
المولف نفسه قال يحيى بن معاذ رضه يكاد رجائي لك مع الذنوب
يغلب رجائي لك مع الاعمال لاني اجدني اعتمد في الاعمال على الاخلاص
وكيف احرزها وانا بالافة معروف واجدني في الذنوب اعتمد على عفوك
وكيف لا تغفرها وانت بالجود موصوف وقد تقدم من كلام المولف رحمه
الله من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجا عند وجود الزلل ومن
دعا سيدي ابي العباس رضه الهي معصيتك نادتني بالطاعة وطاعتك
نادتني بالمعصية ففي ايهما اخافك وفي ايهما ارجوك ان قلت بالمعصية

قابلتني

قابلتني بفضلك فلم تدع لي خوفا وان قلت بالطاعة قابلتني بعدلك
فلم تدع لي رجا فليت شعري كيف ارى احساني مع احسانك ام كيف
اجهل فضلك مع عصيانك ومن كلام سيدي ابي العباس رضه
العامة اذا خوفوا خافوا واذا رجوا رجوا والخاصة متى خوفوا رجوا
ومتى رجوا خافوا قال في لطايف المنن ومعنى كلام الشيخ هذا
ان العامة واقفون في ظاهر الامر فاذا خوفوا خافوا اذ ليس
لهم نفوذ الى ما وراء العبارة بنور الفهم كما لاهل الله واهل الله
اذا خوفوا رجوا علما منهم ان من وراء خوفهم وما به خوفوا اوصاف
المرجو الذي لا ينبغي ان يقنط من رحمته ولا ان يويس من منته
فاحالوا على اوصاف كرمه علما منهم انه ما خوفهم الا ليجمعهم عليه
وليردهم بذلك اليه واذا رجوا يخافون غيب مشيته الذي من
وراء رجايهم وخافوا ان يكون ما اظهر من الرجا اختبارا لعقولهم
هل تقف مع ظاهر الرجا او تنفذ الى خوف ما بطن في مشيته فلذلك
استثار الرجا خوفهم الهي قد دفعتني العوالم اليك انما دفعته العوالم
اليه لما تضمنته من السمات الموحشة كما تقدم ولقد احسن من قال
لا وحشة مع الله ولا راحة مع غير الله وفي هذا المعنى انشدوا

يا قرة العين سل عيني هل اكتحلت . بمنظر حسن مذ غبت عن عيني

وقد اوقفني علمي بكرمك عليك اذ الكريم لا تتخطاه امال المومّلين
ولا يتوجه نحو سواه طلبات الطالبين الهي كيف اخيب وانت
املي ام كيف اهان وعليك متكلي لما تعلق بالله تعالى وتوكل عليه
استبعد ان يخيب امله او يناله هوان يوده تحمله الهي كيف
استعز وفي الذلة اركزتني ام كيف لا استعز واليك قد نسبتني
الهي كيف لا افتقر وانت الذي في الفقر اقمتني ام كيف افتقر وانت
الذي بجودك اغنيتني تلوينه في هذه الاوصاف المتضادة لما
يغلب عليه من مشاهدة ما يوجبها والذلة المتبلة فيها هي ذلة الخلق

والعبوديه والنسبة التي اشار اليها هي سر الخصوصيه والافتقار بمعنى
الذلة والاستغنا مثل العزه قال بعضهم رايت ذل كل ذي ذل
فزاد ذلي على ذلهم ونظرت عز كل ذي عز فزاد عزي على عزهم وقال
الشبلي رض لقد ذللت حتى عز في ذلي كل ذي ذل دخل في ذلي كل
ذل وعززت حتى ما تعزز احد الا بي وبين به تعززت انت الذي
لا اله غيرك تعرفت لكل شي فما جهلك شي وانت الذي تعرفت
الي في كل شي فرايتك ظاهرا في كل شي فانت الظاهر لكل شي
هذا كله تقدم معناه ولفظه في كلام المولف على غاية التمام والكمال
والحاصل منه ان الظهور التام له بكل اعتبار ثم انه عبر هنا عن
ذلك بعبارة لم يذكرها فيما تقدم وهو قوله رضي الله عنه يامن
استوى برحمانيته على عرشه فصار العرش غيبا في رحمانيته كما
صارت العوالم غيبا في عرشه كانه اشار بهذا الى معنى قوله تعالى
الرحمن على العرش استوى وقوله تعالى ثم استوى على العرش الرحمن
ورحمانية الله تعالى كونه رحمانا والرحمن اسم الله تعالى يقتضي وجود
كل موجود وهو مشتق من الرحمه والرحمة ههنا هي الرحمه العامه
التي وسعت كل شي كما وسع علمه كل شي في قوله تعالى مخبرا عن
حملة العرش اذ قالوا ربنا وسعت كل شي رحمة وعلما ولذلك
دخل تحت مقتضى اسمه الرحمن جميع اسمايه تعالى الايجاديه ويفهم
من معنى الاستوا القهر والغلبه ومقتضاهما في حق الله تعالى ان لا
يكون لغيره وجود مع وجوده ولا ظهور مع ظهوره فلا جرم لما كان
الحق تعالى مستويا برحمانيته على عرشه الذي العوالم كلها في طيه
كان العرش غيب في الرحمانيه مندرجا فيها والعوالم كلها غيبا في
العرش لانها في طيه فلا ظهور اذا للعرش ولا للعوالم وانما الظهور
التام له عز وجل محقت الاثار بالاثار كما بين العوالم والعرش
ومحوت الاغيار بمحيطات افلاك الانوار كما بين العرش والرحمانيه

ومحيطات

ومحيطات افلاك الانوار هي اسما الله تعالى الحسنى والله اعلم يامن احتجب
في سرادقات عزه عن ان تدركه الابصار عزة الله تعالى تقتضي
كون كل ما سواه محجوبا عن روية الله عز وجل فان العزيز معناه المنيع
الذي لا يوصل اليه يقال حصن منيع اذا تعذر الوصول اليه وقيل
العزيز الذي لا يرتقي اليه وهم طمعا في تقديره ولا يسموا الى الصمدية
فهم قصدا الى تصويره وقيل العزيز من ضلت العقول في بحار عظمته
وحارت الالباب دون ادراك نعته وكلت الالسن عن استيفا
مدح جلاله ووصف جماله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا احصي ثنا عليك انت كما اثنيت على نفسك وذكر السرادقات مضافه
الى عزه واحتجابه فيها مجاز حسن يامن تجلى بكمال بهايه فتحققت
عظمته الاسرار كمال بهايه هو محاسن صفاته واسمايه فظهور
ذلك وتجليه بها تحققت عظمته اسرار العارفين كيف يخفى وانت
الظاهر ام كيف تغيب وانت الرقيب الحاضر والله الموفق
وبه استعين هذا كله بين لا اشكال فيه وقد تقدم معناه غير ما مره
من كلام المولف رحمه الله قال الشارح رضي الله عنه وقد
انجز بحمد الله تعالى ما اردناه وبلغنا الغرض الذي قصدناه ولا حول
لنا في ذلك ولا قوة الا بالله وبذلك يتبين ما عندي في مسايل
الكتاب والله تعالى الهادي الى الصواب وقد تقدم في اول
هذا التنبيه اني لم اقصد فيه الا هذا المعنى ولم التزم كون ما ذكرناه
في صحيح المعنى حتى نحتاج الى نصب الادلة والبراهين على ما ادعيناه
فيه وانما سقنا ذلك على سبيل حكاية مذهب من المذاهب والمحكي له
ذلك ان يصححه او يبطله ان احب وما وقع فيه من نوع استدلال
على مطلب من المطالب فانا في ذلك متبرع فان صح ذلك الدليل
فهو المطلوب وان بطل لم يلزم من بطلانه بطلان المدلول وبقي
المذهب قابلا للتصحيح او الابطال من غير ان يتوجه عليه مطالبه

بذلك والذي حملني على سلوك هذا السبيل ما فيه من وجدان السلامة
لي من الخطر الذي يتعرض له كل من يتكلم على طريق التصوف ممن لا تحقق
له فيه ويدعي صحة ما ينظره بعقله وفهمه وينسب ذلك الى القوم
ولعل شيا من ذلك لا يصح عنهم فيكون بذلك مفتريا كذابا عليهم ثم فيه من سوء
الادب معهم والتقدم بين ايديهم ما لا يقوم له شي وعند ذلك
يكون الخرص والبكم وذهاب الحس والحركة اولى به واحمد عاقبة له
لتخلصه في ذلك من شر لسانه وبنانه ثم ان ما قصدناه
من ذلك لا يمنع من حصول الفايدة لمن اراد الله تعالى له بها وفقه
لما فعل العبد ان يجعل على خلاص نفسه ولا يلزمه ابتياع مرضاة
غيره فقد قيل رضا الناس غاية لا تدرك ونحن نرغب الى
من وقع بيده هذا التاليف وظهر له فيه خطا وتحريف ان
يصلح منه ما الفاه مختلا وان ينتهج من الاعتذار عنه الطريقة
المثلى وان ظهر له ان يضع في ذلك تاليفا يتضمن تهذيبه وتنقيحا فذلك
من المذاهب التي ترتضى ومما لم يزل من شان من قد مضى ونحن
نستغفر الله تعالى مما يعلمه منا من التعدي والجراة فيما تعرضنا له
من بيان كلام الاوليا والراسخين من العلما وتقرير عباراتهم
واشاراتهم من غير اطلاع منا على كنهها ولا بصيرة فيها ونستغفره
ايضا مما اقدمنا عليه من اظهار ما ستروه واعلان ما اسروه ونستغفره
ايضا ما وقع منا فيه من ذكر احوال الاوليا ومقاماتهم وتحريضنا
على سلوك طريقهم المستقيم مع افلاسنا من جميع ذلك وعدم
اختصاصنا به ونساله مع ذلك ان لا يواخذنا بما انطوت عليه
ضمايرنا واكنته سرايرنا من انواع القبايح والمعايب التي
يعلمها منا ولا نعلمها او نعلمها ولا تسمح نفوسنا بالتنقي منها والتنزه عنها
اغترارا منا بحلمه واستهانة بنظره وعلمه ونرغب اليه جل وعلا
ان يمن علينا بتوبة تمحوا عنا كل حوبة حتى ننقلب اعداونا خايبين
خاس

خاسرين داخرين صاغرين لم ينالوا من تحقيق ارادتهم فينا مطلبا ولم
يبلغوا من عدم اسعافه ايانا بما طلبنا منه مآربا وان نسيك في
ذلك معنا لامين امن على هذا الدعا ممن سمعه ومن دعا لنا بمثله
من اخواننا المسلمين ونتوسل اليه في بلوغ هذا الامل والوصول الى
مبتغى الاجل بمن صرفنا به عن تولي كل جحود وكفور واخرجنا على
يديه من الظلمات الى النور سيدنا ومولانا وحبيبنا محمد خاتم النبيين
وامام المرسلين وحبيب رب العالمين صلى الله عليه وعلى اله واصحابه وا
زواجه وذريته الطيبين الطاهرين من البررة الاكرمين والتابعين
وتابعي التابعين لهم باحسان الى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا ولا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل واخر دعوانا
ان الحمد لله رب العالمين

ثم يقول مبوب هذا الشرح علي بن حسام الدين الهندي عفا الله
له ولوالديه والمومنين وقد حصل الفراغ من تبويبه يوم الاحد شهر جماد الاولى
سنه ٩٥٠ والحمد لله رب العالمين

تم الكتاب وانتهى وزاد فضلا ونهى فزده يا ربه وانفع به اولوا النهى
وكان الفراغ من تحرير هذه النسخة المباركة الميمونة التي هي من الفضايل مستوفي
صبيحة يوم الاثنين لسبع وعشرين خلون من شهر القعدة الحرام سنه ١٠١٨
وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم
والحمد لله رب العالمين